# الإسلام والتحليل النفسى عند فرويد

دكتور

**أحمد السيد على رمضان**

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد

كلية أصول الدين

جامعة الأزهر

**مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع**

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

رقم الإيداع بدار الكتب : ٩٩/٥٢٩٨

الترقيم الدولى : I. S.B.N: 977 - 290 - 089 - 0

مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع

المنصورة - أمام جامعة الأزهر

تليفون: ٣٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة:

لقد توصل الطبيب النمساوى «فرويد» فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين إلى ما أسماه بـ «التحليل النفسى» الذى يعتبر أهم مدارس علم النفس المعاصرة، وأبعدها أثراً فى دراسة الطبيعة البشرية. . وذلك لأنه يركز على العناصر الشخصية والحاجات والقوى التى تدفع الإنسان إلى النشاط[1].

ويعتبر التحليل النفسى طريقة علاجية للأمراض النفسية، ولقد استعان عليها «فرويد» فى بدايته بالتنويم المغناطيسى الذى كان شائعاً فى ذلك الحين إلا أنه سرعان ما استبدله بالتحليل النفسى واضعًا أسسه الأولى، وما زال يطبق حتى يومنا هذا، فيما عدا بعض التعديلات التى أدخلها تلامذته خلال هذا القرن.

ولقد ابتدأت هذا البحث بمقدمات عامة بينت فيها ما يلى:

أن التحليل النفسى فن لدراسة العقل الباطن،يقوم على أسلوب التداعى الحر لسبرغور أعماق اللاشعور، وكشف ما يحتويه من غرائز وميول، أو نزعات وتأثيرات، أو مشتهيات مكبوتة يجهلها الفرد.

* ثم ذكرت أن هذا التحليل النفسى نشأ نتيجة الخلاف بين «فرويد» و «بروير» فى استخدام «طريقة التفريغ» أثناء التنويم. ثم عدل «فرويد» عن استخدام التنويم المغناطيسى إلى طريقة «الإيحاء أثناء اليقظة» لكى يتذكر المريض الحوادث والتجارب الشخصية الماضية التى سببت مرضهم. ثم ظهرت له عيوب هذه الطريقة أيضاً فعدل عنها إلى استخدام طريقة «التداعى الحر» بأن يطلق المريض العنان لأفكاره تسترسل من تلقاء نفسها دون قيد أو شرط، وبدون توجيه منه أو إشراف. وأن يتفوه المريض بكل ما يخطر بباله أثناء ذلك من أفكار وذكريات ومشاعر دون إخفاء أى شىء عنه مهما كان تافهاً أو معيباً أو مؤلماً.

وأطلق على هذه الطريقة اسم «التحليل النفسى».

---

(١) انظر: الماركسية والتحليل النفسى. تأليف:روبن أو سبورن . ترجمة:د/ سعاد الشرقاوى،مراجعة د/ مصطفى زيور ص: ٨٠. دار المعارف الطبعة الثانية.

* وذكرت أن للتحليل النفسى منهجاً يقوم على تبادل الاستقراء والاستنباط بين المحلل والمريض، وقاعدة هذا المنهج هو الطرح بينهما، ووسيلته فى ذلك هو قانون «التداعى الحر»، وهدفه هو الكشف عن اللاشعور، ولبه هو الجنس.

وموضوعه هو النفس بشعورها ولا شعورها.

* هذا وقد ذكر علماء النفس أن للتحليل النفسى مبادىء تقوم على الصراحة والصدق والثقة التامة بالمحلل وعدم إخفاء المريض شيئًا من إسراره مهما كانت عزيزة عليه. وعدم الحياء والخجل بين المريض والمحلل. ووجود نوع من العلاقة بين المحلل والمريض. كما يقوم على دراسة ومعلومات لا يعرف عنها شىء خاج نطاق دائرة التحليل. وفى عملية التحليل لا يجوز لأى شخص ثالث مهما كانت صفته أن يحضر هذه العملية.. ويقوم أيضًا على دراسة تتناول تاريخ حياة المريض منذ الطفولة وتفريغ طاقته الانفعالية...

وإلى جانب هذا ذكر علماء النفس أغراضًا للتحليل النفسى أهمها: أنه يعالج الظواهر الهستيرية، وهى الظواهر النفسية الشاذة. ويعالج الإجرام. ويهذب النفوس ويشفيها مما تعانيه. والتغلب على الكبت للوصول إلى مكونات العقل الباطن وإخراجها إلى العقل اليقظ أو الظاهر، ليخف ضغطها على النفس، ويتخلص المريض من أمراضه العقلية. كما أنه يهدف الوصول إلى أكمل معرفة ممكنة بكل المنظمات الثلاث التى يعتقد أن الشخصية النفسية تتألف منها أو أن نتبين ما عليه علاقاتها مع بعضها البعض ومع العالم الخارجى وهى «الهو والأناو الأنا الأعلى».

وفى الفصل الثانى الذى يحمل عنوان «عناصر التحليل النفسى» وهو عبارة عن آراء «لفرويد» تعبر عن وجهة نظره فى الحياة العقلية «القوى النفسية» والمكونة من الشعور، وما قبل الشعور، واللاشعور. ويمثل «الشعور» الجهد الإنسانى المبذول لتحقيق حاجات الإنسان، الخاص بالغريزة وحدها. أما «ما قبل الشعور» فهو يمثل الحالات العقلية اللاشعورية التى يمكن استرجاعها وتذكرها بسهولة عن طريق الخبرات السابقة والذكريات والمعلومات والعواطف... كتذكر رقم تليفون أو تذكر معلومات سبق دراستها. وأما «اللاشعور» فهو عبارة عن الحالات العقلية اللاشعورية التى لا يمكن استرجاعها إلا بطرق التحليل النفسى. هذا اللاشعور هو مخزن أو مستودع لجميع الدوافع الأساسية التى تسمى بالغرائز، كما أنه يمثل المنطقة التى تنتقل إليها

رغبات الإنسان المكبوتة وذكرياته المؤلمة ونزعاته الجنسية والعدوانية التى لم تجد سبيلاً إلى التحقيق والإشباع.

*** ثم اتضح لفرويد أن آراءه السابقة فى العقل (الجهاز النفسى) غير دقيقة وأنها فى حاجة إلى تعديل، فانتهى إلى القول بوجود تصورات جديدة تثير النشاط النفسى** بطريقة أكثر دقة، فاستعمل تصورات: الأنا الأدنى (الهو)، والأنا، والأنا الأعلى. وهذه التصورات الثلاث تمثل عناصر الشخصية، وهى تختلف فيما بينها اختلافاً جوهريًا. فـ «الهو» يمثل الجانب الشهوانى من الطبيعة البشرية، ويعد نتيجة للنشوء والتطور. و«الأنا» يمثل الجانب العملى أو الدنيوى، ويعد نتيجة لما يحدث بين الفرد والواقع الموضوعى من تفاعل. و«الأنا الأعلى» يمثل الجانب المعنوى، وهو الذى يعد نتيجة لعملية التطبيع والتنشئة الاجتماعية ووعاء للتقاليد والأصول الحضارية.

*** ومن أهم عناصر التحليل النفسى عند «فرويد» «الغريزة الجنسية» فهى جوهر ولب** التحليل النفسى وعماده، وبها يفسر «فرويد» كل الأشياء وقد قسمها إلى مراحل ثلاث:

١ ـ مرحلة ما قبل التناسلية.

٢ مرحلة الكمون.

٣ ـ المرحلة التناسلية.

**أما عقدة «أوديب» و«إليكترا» فهى تمثل القمة التى يصل إليها النشاط الجنسى الطفلى والتى تؤثر فى نتائجها تأثيراً حاسمًا على النشاط الجنسى للراشدين. كما أنها تعبر عن أحداث النمو ومشكلاته.**

*** أما «الكبت» فيرى «فرويد» أنه رد فعل ضد صعوبات اجتماعية واقتصادية بالغة الأثر.**

*** وتعتبر «الأحلام» عند «فرويد» لتحقيق الرغبات أو لمحاولة تحقيقها، ويستعملها «فرويد» فى الكشف عن عالم اللاشعور عند المريض ـ ولذا تعتبر دراسته للأحلام** وربطها بفكرة اللاشعور، إلى جانب الغريزة الجنسية أهم تطبيق لنظرية فرويد.

**وفى الفصل الثالث تعرضت إلى الجانب الفلسفى الذى يكون فكر «فرويد».**

ويبدو أنه تأثر بالفلسفتين السائدتين فى نهاية القرن التاسع عشر وهما: الفلسفة الوضعية فى فرنسا، ومدرسة المنفعة فى انجلترا. فوجدت أن فلسفته تقوم على العلم

وذلك لأنه أحس أن فلسفة الحياة التى تستحق الاتباع هى تلك التى تقوم على معرفة حقيقية بالطبيعة الإنسانية، أى المعرفة التى تكتسب عن طريق التحرى والبحث العلمى وحده - وهذا واضح فى الطريقة الوضعية التى يقوم بها المريض فى وصف حالته للمحلل النفسى عن طريق التداعى الحر.

* أما «مدرسة المنفعة» فى إنجلترا والذى رأت أن الطبيعة فرضت على البشرية سيدين هما «اللذة والألم» وذلك لأنهما يشيران على الإنسان بما ينبغى أن يفعله ويحددان له ما سيفعله؛ فإن مبدأ اللذة والألم يبدو واضحاً عند «فرويد» حينما اعتقد لسنوات طويلة وحتى حرب ١٩١٤ - ١٩١٨م أن جميع العمليات النفسية على الأقل فى أصلها وبطريقة مباشرة أو غير مباشرة تخضع لمبدأ اللذة. ولاحظ «فرويد» أن جميع الناس بلا استثناء يميلون إلى البحث عن المتعة، ابتداء من الأنانى الذى يتجلى هذا الموقف عنده لأنه يستخدم الآخرين لإشباع رغباته، وصولاً إلى الغيرى الذى يجد للارتياح فى إقلاعه عن نزواته لصالح الشخص المحبوب، أو باسم مبدأ مجرد مثل الشرف والواجب(١).

* ووجدت أن المعرفة عنده تكتمل من خلال عملية الطرح من المريض للمعالج لأن التبادل بين المحلل والمريض عبارة عن عمليات الاستقراء والاستنباط حول الدور الذى يريد المريض القيام به، وهو الذى يسمح لقوى اللاشعور أن تتجلى فى إطار الموقف التحليلى. فالمحلل يعلم أن إلحاح المريض هو وليد طرح، ولكنه لا يعلم عناصر هذا الطرح فيقوم باستنباط تلك العناصر تدريجياً من معطيات المريض فى سعيه لأداء الدور. أما المريض فإنه يقوم بالدور ويجاهد فى تحقيق موقف يكون للمحلل فيه دور مقابل، وعليه أن يستقرئ من جزئيات دوره المركب العام لها وهو طرحه على المحلل.

- وعلى هذا فاهتمامات «فرويد» الفلسفية لم تكن مماثلة لاهتمامات الفلاسفة المحترفين، بل كانت فلسفته اجتماعية وإنسانية، فلسفة اتخذت شكل فلسفة حياة. وعند الألمان كلمة خاصة بها هى «**weltanschauung**» ومعناها «**world-view**» «وجهة نظر إلى العالم»(٢).

---

(١) انظر: فكر فرويد. تأليف: إدغاريش. ترجمة: جوزف عبد الله. ص: ١٣٩، ١٤٠. المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر. الطبعة الأولى ١٩٦٠م.

(٢) انظر: علم النفس عند فرويد. تأليف: د/ كالفن س. هول. ترجمة: أحمد عبد العزيز سلامة وآخر ص: ١٦ مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٨٨ .

* والأخلاق عنده فى مجملها، أخلاق عاطفية، معيارها المنفعة، تخضع لمبدأ اللذة والألم منبعها الغريزة الجنسية، لأنها الأساس الذى يبلغ منه السلوك الإنسانى.

* يقول «فرويد»: «إن الدين والأخلاق والشعور الاجتماعى ـ وهى العناصر الأساسية لما هو أسمى ما فى الإنسان ـ إنما كانت فى الأصل شيئًا واحدًا. وقد اكتسبت هذه الأشياء، تبعاً للفرض الذى وضعته فى كتاب «الطوطم والمحرم» عن عقدة الأب أثناء نشوء النوع الإنسانى: فاكتسب الدين والوازع الخلقى عن العملية الحقيقية للتغلب على عقدة أوديب نفسها، واكتسب الشعور الاجتماعى عن ضرورة التغلب على المنافسة التى ظلت حينذاك باقية بين أعضاء الجيل الناشىء»[1].

* والدين عنده وهم اجتماعى يستخدم للتغلب على شعور الفرد بالعجز أمام قوى الطبيعة والتى جسدها الإنسانى فى كائنات محددة كالآلهة[2].

والعقائد الدينية هى رد فعل لحرمان الأفراد، وهى طريقة لضبط الأفراد.

وهذا الدين نشأ عن الشعور بالذنب وتأنيب الضمير، كرد فعل لقتل الأب الذى هو نواة الطوطمية. وكل الأديان جاءت كمحاولة لحل جريمة القتل الأولى الذى نشأت الحضارة عنه.

وهذا الدين إجاباته وهمية، فهو مرض يعتمد على الخيالات مثل التى توجد فى خيال المريض النفسى. ولم يكتف بهذا بل اعتبره خطراً، فانتقده فى كتابه «مستقبل وهم».

فاعتبر الإيمان بالله عملية تثبيت للجنسين لشخص الأب، وتعبيراً عن الرغبة فى الإنقاذ والمساعدة، لأن الإنسان لا يستطيع إنقاذ نفسه أو حتى مساعدتها إلا بالتخلى عن أوهامه الطفولية وباللجوء إلى قوته وعقله وقدراته[3].

وإذا كان الإله عند «فرويد» عبارة عن أب يمجد وصاحب مكانة عالية، فإن هذا يعنى أن الأب يحل محل الإله يأخذ شكل الإنسان وله كافة خصائصه وما فيه من

---

(١) انظر: الأنا والهو. تأليف: سيجمند فرويد. ترجمة: د/ محمد عثمان نجاتى. ص:٦١، ٦٢ ـ دار الشروق. الطبعة الخامسة سنة١٩٨٨.

(٢) انظر: هؤلاء درسوا الإنسان. تأليف: أ. كاردينر/أ. بريبل. ترجمة: د/ أمين الشريف. ص٣٤٥. دار اليقظة العربية ـ بيروت ١٩٦٤ .

(٣) انظر: مهمة فرويد تحليل لشخصيته وتأثيره. تأليف: اريك فروم. ترجمة: د/طلال عتريسى. ص:٩٥ المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع. ط١ سنة١٤٠٧هـ ـ سنة١٩٨٧م .

فضائل ورذائل، وعواطف ومشاعر، ونزعات خير وشر. وبهذا فإن مفهوم الإله قريب جداً من مفهوم التجسد. وهذا يدل على تأثر «فرويد» بالأساطير اليونانية وبالآلهة عند الإغريق التى تأخذ شكل الإنسان وما يتصف به، وصراع الإنسان مع الطبيعة، والصراع بين الآلهة(١).

أما مصادر التحليل النفسى فهى:

١) الأساطير اليونانية.

٢) العقائد اليهودية.

٣) الثقافة الغربية.

فوجدت أن عناصر التحليل النفسى مأخوذة من العقائد اليهودية والأساطير. ومفهومه عن الدين والأخلاق والنظم الاجتماعية مأخوذ أيضاً من الأساطير. كما أن معرفته وفلسفته مأخوذة من الثقافة الغربية.

هذا وقد ظهر لى أن التحليل النفسى يعتبر تجربة خاصة لحياة «فرويد». فكان شديد الارتباط بأمه ولم يتزوج إلا بعد موتها، وقد أخفى هذا الارتباط عن الآخرين. وهذا يدل على تأثره بعقدة أوديب. وفى تأثره بالكبت كان يستخدمه بطريقة أخرى هى «التكتم» دون أن يعترف بذلك.

وتعتبر الأحلام هى العمل الرئيسى لـ «فرويد»، ولذا يصف تفسيرها بقوله: «لم يكن أى عمل من أعمالى أكثر التصاقاً بشخصى من هذا إنه غرستى»(٢).

وبهذا يكون عناصر التحليل النفسى عند «فرويد» مرتبطة بشخصيته، وهذا مانجده نادراً فى الأبحاث العلمية. فهى تعبر عن حياته وفكره، ووصف عمله.

وفى الفصل الرابع تعرضت لأثر التحليل النفسى فى ميدانى العلوم والفنون.

* فلقد اعترف علم النفس بأهمية التحليل النفسى كمدرسة فى ميدانه، ولم يستطع علماء النفس الاستمرار فى إغفال ما كشف عنه التحليل النفسانى من نواحى

---

(١) انظر: مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق فى ضوء الإسلام. أنور الجندى. ص: ٢٤٠، ٢٤١ دار الكتب ـ الجزائر.

(٢) انظر: فرويد والتراث الصوفى اليهودى. تأليف: دافيد باكان. ترجمة وتقديم :د/ طلال عتريسى. ص٤٩ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

هامة من النفس الإنسانية كانت من قبل بعيدة عن دائرة أبحاث علم النفس[١]. وهو «اللاشعور» من الطبيعة الإنسانية، والذى يسيطر على حياتنا الشعورية ويتحكم فى أعمالنا وتصرفاتنا ومظاهر تفكيرنا عامة فى حالتى الصحة والمرض على السواء.

وبهذا تطور علم النفس من وراء ذلك تطوراً كبيراً، فاتخذ وجهة أخرى غير الوجهة القديمة، فأصبح يعنى باللاشعور وأعماله عناية كبيرة حتى أنه ليكاد يقوم علم جديد من علوم النفس يسمى سيكولوجية اللاشعور، أو كما يسميها كثيرون من الباحثين «علم النفس الحديث» أو «علم النفس التحليلى» أحياناً. وموضوع هذا العلم الحياة الإنسانية كلها[٢].

* وفى مجال التربية الحديثة نجد العناية انتقلت من النظرية إلى التطبيق إلى الطفل، وهى بهذا تتمشى مع فكر «فرويد»، لأنه هو الذى وجه العناية إلى الاهتمام بالطفل، بل إلى الاهتمام بالغريزة الجنسية فى مرحلة الطفولة. ومعنى هذا أن هذا الاتجاه منصب على شخصية الطفل كاملة، وليس إلى تهذيب عقله وحسب[٣].

كما أن التربية الحديثة فى مجملها تهدف إلى أن التلميذ يعلم نفسه بنفسه، وهذا يؤدى بدوره إلى أن التعليم يخضع لرغبات وأهواء وميول التلاميذ. وتحصيل الرغبة عند الأطفال أصبحت شيئاً أساسياً فى التربية الحديثة التى ارتبطت «بجون ديوى» وتحصيل الرغبة أيضا عند «فرويد» شىء أساسى فى التحليل النفسى، وهذا يعنى أن «ديوى» قد تأثر بـ «فرويد»، كما تأثر به فى موقفه من الدين فقرر كما قرر «فرويد»: «أن الناس لم يستخدموا قط القوى التى يملكونها لنشر الخير تمام الاستخدام، وذلك لأنهم انتظروا قوة خارجية عنهم وعن الطبيعة لتؤدى عنهم العمل الذى تقع عليهم مسئولية أدائه»[٤].

وفى الناحية الاجتماعية تجد أن غريزة التجمع غير موجودة عند «فرويد» بناء على أن الجنس يحتاج إلى العزلة. ومع ذلك فهو يعتبر أن عقدة «أوديب» هى الأساس

---

(١) انظر: علم النفس عند فرويد. د/ كالفن س. هول. ص:١٣.

(٢) انظر: أصول علم النفس وأثره فى التربية والتعليم. تاليف: امين مرسى قنديل. ص:٥٧ المطبعة العربية بمصر - الطبعة الأولى سنة ١٣٤٣هـ - سنة١٩٢٥م.

(٣) انظر: مؤتمر أساليب التربية الحديثة. ص:٦٧، ٦٨ رابطة خريجى معهد التربية. فبراير سنة ١٩٤٥ - مطبعة الاعتماد مصر.

(٤) انظر: الدين والتحليل النفسى. اريك فروم . ترجمة: فؤاد كامل. ص:٢٤. مكتبة غريب .

الذى قامت عليه الأنظمة الاجتماعية والدين والأخلاق. فنشأت الأنظمة والنواهى وما تتضمنه من شعور اجتماعى للقضاء على المنافسة بين الأبناء بعد قتل الأب. ولولا وضعهم لهذه الأنظمة والنواهى لتقابل الأبناء فيما بينهم، لأدى ذلك إلى انقراض المجتمع الإنسانى.

يقول «فرويد»: «أن الشعور الاجتماعى اكتسب عن ضرورة التغلب على المنافسة التى ظلت حينذاك باقية بين أعضاء الجيل الناشئ»[1].

فهو يربط مضمون العائلة بعقدة «أوديب» بصرف النظر عن العوامل الاقتصادية والسياسية. فـ «فرويد» لا يتحدث عن الأسس الاجتماعية المختلفة أو عن الظروف الاقتصادية للمجتمعات، بحيث يبقى معرفته بعلم الاجتماع محدوداً جداً.

كما أنه يُهمل دور العوامل التاريخية ـ السياسية فى تطور الحضارة، وهو بهذا بعيد عن نظرة ناقصة عن الحياة الاجتماعية.

ويهمل أيضاً أهمية الصراعات الاجتماعية داخل الاتحاد الاجتماعى مع أن هذه الصراعات الطبقية أو صراعات الطوائف قد لعبت دوراً كبيراً فى تطور الحضارة. وذلك إما بسماحها بتبنى هيكل أكثر فعالية، وإما بإنقاصها فى حال استمرارها كمية الطاقة التى تمتلكها العشيرة فى صراعها مع القوى الطبيعية[2].

* وفى مجال الفن والأدب نجد أن للتحليل النفسى عند «فرويد» أثر كبير فى كل المجالات الفنية والأدبية. فالنقد الأدبى والفنى المعاصر، يعتمد اعتماداً كبيراً على الفكر الفرويدى فى تقويمه لعملية الخلق الفنى ولدوافع الفنان فى خلقه. وليس الأمر مقصوراً على ذلك، بل ظهر فى مجال الفن والأدب نتاج يتخذ من آراء التحليل النفسى مضامين عديدة للصياغات والأشكال الفنية والأدبية[3].

فتحت اسم التحليل النفسى ظهرت ألوان من الادب ومن القصص خاصة التى تخوض فى أوحال الرذيلة، وتعرض خفايا الحوادث، وتجرح كثيراً من الفضائل بزعم أنها تورث الكبت، وتبرر كثيراً من الرذائل باسم «التنفيس» وتسقط التبعية فى كثير

(١) انظر: الأنا والهو. سيجمند «فرويد». ص: ٦٢.
(٢) انظر: فكر فرويد. إدغاربيش. ص: ١١٠.
(٣) انظر: التحليل النفسى بين العلم والفلسفة. د/أحمد فائق. ص: ٧٠، ٧١. مكتبة الأنجلو المصرية.

من الجرائم بزعم أن أصحابها مصابون بأمراض نفسية[1].

وفى الفصل الخامس والمعنون بالتحليل النفسى والعالم الإسلامى.

* وجدت أن علم النفس فى مصر تقوم أبحاثه العلمية ودراساته على التحليل النفسى، وخاصة قسم علم النفس بجامعة عين شمس.

ووجدت أن «سلامة موسى» قد روج لنظرية التحليل النفسى فى مصر، وعمل على نشرها على مدى ما يقرب من أربعين عاماً.

وهذا واضح من خلال عناوين بعض كتبه والتى أهمها:

١] العقل الباطن أو «مكنونات النفس».

٢] عقلى وعقلك.

فلقد تتبع وجهة نظر «فرويد» فى الجهاز النفسى، والغريزة الجنسية، والكبت، والحلم. ويذهب إلى أن العقل الباطن هو مصدر الدين، وهو العامل المهم فى الأخلاق والأذواق.

* وإلى جانب «سلامة موسى» نجد أيضا الدكتور ،«عبد العزيز القوصى» الذى وجه العناية إلى أهمية دراسة التحليل النفسى والاهتمام خاصة باللاشعور.

* وعلى هذا فليست الدعوة إلى أهمية التحليل النفسى فى مصر مقتصرة على «سلامة موسى» و «عبد العزيز القوصى» بل الكثير من أساتذة علم النفس فى مصر اعتنقوا آراءه واهتموا بدراستها.

* وما زال الأمر إلى الآن، ففى رسالة الدكتوراة للباحثة/ أمال كمال محمد وعنوانها «البناء النفسى للمرضى المصابين بفقدان الشهية العصبى. دراسة إكلينيكية» والتى حدث بسببها ضجة إعلامية كبرى وتتبعتها أخبار الحوادث فى مصر بداية من العدد (٣٧٠) إلى العدد (٣٧٤) فقد ذهبت الباحثه إلى أن جميع معجزات الأنبياء. ما هى إلا تخيلات وأساطير اقتنع بها الناس. وما ذهبت إليه الباحثة هو نفس ما قرره «فرويد» من قبل حيث رد الدين إلى الأساطير، واعتبر إجاباته وهمية، بل اعتبره مرض يعتمد على الخيالات. وهذا يدل على مدى تأثير الدراسات النفسية فى جامعتنا

(١) انظر: المرجع السابق. ص:٢١٣، ٢١٤.

بالتحليل النفسى عند «فرويد».

* والتربية فى مصر نجدها تأثرت بالتحليل النفسى أيضاً لدرجة أنهم يدافعون عنه. وهذا واضح فى قول الأستاذ «وديع الضبع»:

لقد أحدثت بحوث «فرويد» تغيرات كثيرة فى طرق التربية والتعليم، وفى علاقة المدرس بتلميذه، وفى تنشئة الأطفال. فكل هذه الأمور وغيرها يمكن إرجاع أصولها إلى تأثير «فرويد» فى حثه على وجوب فهم صعوبات الأطفال خلال سنى نموهم على نحو يقوم على العطف والتقدير[1]. كما أدى تأثير التحليل النفسى على التربية أن وضع المربون مناهجهم على أساس أن يتركوا الأطفال دون توجيه أو ضرب تحت زعم «فرويد» بأن معارضة رغبات الطفل تؤثر فى تصرفاته فى الكبر. وقد روج لهذه النظرية علماء التربية من أتباع (ديوى) وخاصة فى بلادنا العربية والإسلامية.

ووجدت أيضًا للتحليل النفسى عند «فرويد» أثراً كبيراً على الأدب العربى. ففى رواية «الخبز الحافى» للكاتب المغربى «محمد شكرى» تأثر كبير بالتحليل النفسى، فإلى جانب أنها سير ذاتية للمؤلف، تجدها مليئة بقطع ونصوص جنسية مشينة. ومع ذلك تقررها الدكتورة «سامية محرز» أستاذة الأدب فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة كنموذج للأدب العربى الحديث على الطلاب.

وإضافة إلى ما سبق نجد أيضًا مشاهدة بعض الأفلام المصرية والتى تذاع فى التلفزيون مليئة بالإغراء والفتن وإثارة الشهوة، وعلى سبيل المثال، فيلم «اغتصاب» والذى عرض على شاشة التليفزيون فى القناة الفضائية المصرية خلال شهر يونية عام ١٩٩٩م . هذا الفيلم بطولة هدى رمزى وفاروق الفيشاوى، والذى يصور ويجسد عمليات خطف واغتصاب الإناث المتكررة فى مصر. هذا الفيلم رغم ما فيه من الإثارة الجنسية إلا أنه يعتبر صورة مخزية ومسيئة لسمعة مصر. . . وغيره كثير.

**وفى الفصل السادس» وعنوانه «التحليل النفسى فى الميزان»** ذكرت أهم الجوانب الإيجابية فى التحليل النفسى عند أصحاب التحليل النفسى، ككشفه لعالم اللاشعور، ومبدأ التداعى الحر، والتخفيف من المقاومة، واكتشافه لعقدة أوديب، والتغييرات الأساسية التى أحدثها فى دراسة الشخصية والأمراض العقلية.

---

(١) انظر: مجلة التربية الحديثة. العدد الثانى. ديسمبر ١٩٥٦م. ص:١١٩.

وفى الجانب النقدى للتحليل النفسى: ذكرت عدة انتقادات له تتمثل فيما يلى:

أولا: - النقد العام للتحليل النفسى.

ثانيا: - النقد العلمى. ويشتمل على:

١ - نقد علم النفس لمنهج التحليل النفسى، ونقد لآرائه، وموقفه من الأخلاق والدين.

٢ - نقد الطب النفسى للتحليل النفسى.

٣ - نقد علم الأحياء للتحليل النفسى.

ثالثا: النقد الفلسفى للتحليل النفسى. ويشتمل على:

١ - نقد الوجودية للتحليل النفسى. والذى يقوم على أن التحليل النفسى عند تناوله لأصل السلوك وتفسيره له يرجعه إلى «إحالات»، هذه الإحالات التحليلية قد توقع المحلل النفسى فى تزييف الذات لواقعها أو توقعه فيما هو شر من ذلك. كما يرى «سارتر» أن الموضوعية والسببية فى التحليل النفسى هى التى دعته إلى تسمية بالتحليل النفسى التجريبى فى مقابل التحليل النفسى الوجودى. ولذا يرفض مفهوم «الرغبة» فى التحليل النفسى، ويرى ضرورة تعليق «مضمون الرغبة» لمناقشة «معنى رغبة» بوصفها ظاهرة إنسانية وشكل للوجود[1].

٢ - نقد المادية الجدلية للتحليل النفسى. وهذا النقد يقوم على مثالية التحليل النفسى، وهو عبارة عن خليط من عدة اعتراضات على الصياغات النظرية، والنتائج العلمية، والتبعية الفكرية كما هو مبين بالبحث.

**وفى «الفصل السابع» وعنوانه «الإسلام والتحليل النفسى عند فرويد».**

تعرضت لموقف الإسلام من الحياة النفسية عند «فرويد» والذى استعمل تصورات الأنا الأدنى، والأنا، الأنا الأعلى، وهى عبارة عن مكونات الشخصية الذى ميز فيها بوجود ثلاثة أقسام للنفس. أما النفس فى الإسلام فواحدة، ولكن لها صفات، فتسمى باعتبار كل صفة باسم، وهى: اللوامة، والأمارة بالسوء، والمطمئنة. ثم عرضت مقارنة بين أوصاف النفس فى القرآن وتقسيمها عند «فرويد» مبيناً أوجه الشبه والخلاف بينهما.

---

(١) انظر: التحليل النفسى بين العلم والفلسفة. د/ أحمد فائق. ص ٩٩، ١٠٠.

* ثم ذكرت موقف الإسلام من فكرة «اللاشعور» عند «فرويد»، حيث أشار القرآن الكريم إلى التعبير اللاشعورى عن طريق فلتات اللسان عما يجيش فى النفس من دوافع يحاول الإنسان كتمانها وإخفائها وذلك فى قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ . وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾(١).

كما أشار القرآن الكريم إلى بعض الحيل العقلية التى كان يستخدمها المنافقون فى سلوكهم، لأن شخصية المنافق تتميز بالشك والتردد.

* ثم تعرضت لموقف الإسلام من الغريزة الجنسية عند «فرويد» التى اعتبرها مدار الحياة كلها ومنبع المشاعر البشرية كلها. وهى تعنى عنده كل ما يتلذذ به المرء فى كل حركة من حياته، ثم استعملت بالمفهوم الشائع وهو الشهوة الجنسية.

ونظرًا لأن كل إنسان يشتهى بينه وبين نفسه، ويعرف أنها شهوة لذيذة فلماذا تكبت هذه الشهوة، أو لماذا تحرم هذه الشهوة، أو لماذا يكبت الناس دوافعهم الغريزية التى تريد أن تنطلق، وعلى هذا فكبت الشهوة لاعتبارها محرمة. وبذلك تكون نظرية «فرويد» قامت على أساس حيوانية الإنسان، وسيطرة غرائزه الحسية وحدها على كل تصرفاته. وبذا تركز على الجسد وحده واعتباره هو الأصل دون الروح فهى نظرية مادية.

* أما الإسلام فنجده اعتبر الإنسان كائن متميز عن الحيوان. ولذا ينبغى له أن يحقق كيانه الإنسانى المتميز ولا ينحرف إلى حياة الحيوان، ولذا من الضرورى ألا يخضع خضوعاً مطلقاً لدوافع الغريزة وذلك لأن الإسلام ينظر إلى الإنسان نظرة كلية على أنه مكون من جسد وروح وعقل، ووازن بين حاجاته البدنية وحاجاته الروحية. ولذا يعترف الإسلام بكل النوازع الإنسانية والغرائز الطبيعية ويحدد لها الطريق نحو الإشباع بصورة متوازنة بحيث يظل الإنسان إنساناً، فلا تنحط إلى دركة الحيوان الذى تتحكم فيه غرائزه، وتستولى على عقله وإرادته فتسوقه إلى حيث تريد هى.

فالإسلام يعترف بكثير من شهوات النفس ومنها شهوة الجنس كما يعترف للناس بحق الإحساس بها فى الشعور. وذلك لأنها مسألة بيولوجية وبدونها لا يمكن استمرار

---

(١) سورة محمد: آية (٢٩ ـ ٣٠).

الحياة على وجه الأرض. ولكنه لم يطلق لها العنان، أو يطلق الحبل على الغارب فى هذه المسألة فوضع لها ضوابط وقيود تضمن الاستمرارية فى الحياة، وتحقيق أهدافها العليا، ويحترم كل ما يؤدى إلى تحقيق هذا. وهذه الضوابط والقيود عبارة عن طريقة التنفيذ لتلك الأهداف.

* أما الكبت عند «فرويد» فهو مسألة لا شعورية، تستبعد من الشعور الخبرات المؤلمة حتى لا تحدث ألماً للشعور. وهو ينشأ من استقزاز الدافع الغريزى فى ذاته وعدم الاعتراف بينه وبين نفسه، وأن هذا الدافع يجوز أن يخطر فى باله أو يشغل تفكيره. وعلى هذا فالكبت هو قمع الشهوات، ومحاولة الامتناع عن الإحساس بها رغبة فى التطهر وهذا له عواقب وخيمة. أما الإسلام فنجده اعترف بالدوافع الفطرية كلها من حيث المبدأ وعدم كبتها فى اللاشعور، ثم إباحة التنفيذ العملى لها فى الحدود التى رسمها الإسلام وتكفل لكل شخص أخذ حقه منها فهو لا يستقذر الدوافع الجنسية بل يعترف بها اعترافاً صريحاً واضحاً على أنها أمر دافع لا يستنكر ولا يستقذر ومع ذلك لا يبيح الإسلام للناس أن ينساقوا وراء الشهوات إلى المدى الذى يكونوا فيه عبيداً لها، حتى لا يهبطوا إلى عالم الحيوان. ولذا وضع حدوداً لضبط الشهوات حتى يمنع الضرر الذى يحدث من الاستغراق فيها.

وعلى ذلك فلا يوجد كبت فى الإسلام، لأن الإسلام لا يمنع من تحقيق الرغبات وإنما يوجد كظم للغيظ. كما أن كبت الأفكار التى تتصادم مع الفطرة فى الإسلام ليست محرمة ما دام لم يتم عملها، لأن العبرة فى الإسلام بالعزم والتصميم. والإنسان مسؤل ومحاسب على ما تم عمله فقط. وهذا بخلاف كبت الأفكار عند «فرويد» على أساس أنها محرمة.

* وفى موقف الإسلام من الأخلاق عند «فرويد» وجدت أن «فرويد» اعتبر الأخلاق من الموانع، لأنها تحجب الإنسان عن إشباع طاقته الجنسية، فهى تقييد لطاقة الإنسان، ولذا تؤدى إلى الاضطرابات النفسية والعصبية. وعلى هذا فالأخلاق عنده تتسم بطابع القسوة.

وأما الأخلاق فى الإسلام فهى أخلاق سامية تهدف إلى إقامة الأهداف العليا للأفراد والمجتمعات، وتزكوا بها النفوس وتطهر. ومن هنا فالإسلام يهتم بها اهتماماً بالغاً لأنها توجه الإنسان إلى ما يصلح به حاله بطريقة ذاتية.

وقد جعل «فرويد» الشعور بالإثم لا شعوريًا، أى أن الإثم أو الذنب يفعله الإنسان بدون علمه لأنه مفروض على لاشعوره، لأن الإنسان مغلوب على أمره. وبذلك يكون الإحساس بالذنب عند «فرويد» مرضاً وهذا الرأى مرفوض فى جميع الشرائع، بل وعند الفطر السليمة.

* وفى موقف الإسلام من العلاج النفسى عند «فرويد» وجدت أن «فرويد» قد عالج الأمراض النفسية للتحليل النفسى بواسطة «التداعى الحر» غير المقيد، و«تأويل الأحلام». وقد أثبتت الدراسات النفسيه أن طريقة التحليل النفسى فى معالجة هذه الأمراض لم تحقق النجاح المرجو، بل إن بعض المرضى كانت تسوء حالتهم بعد العلاج النفسى. ونتيجة لذلك ظهر حديثاً اتجاهات بين بعض علماء النفس تبين أهمية الدين فى الصحة النفسية وفى علاج الأمراض النفسية. وترى أن الإيمان بالله قوة خارقة تمد الإنسان المتدين بطاقة روحية تعينه على تحمل مشاق الحياة، وتجنبه القلق الذى يتعرض له كثير من الناس الذين يعيشون فى هذا العصر الحديث الذى يسيطر عليه الاهتمام الكبير بالحياة المادية. وقد أيد هذا الاتجاه من علماء النفس المحدثين: «وليم جيمس» الفيلسوف وعالم النفس الأمريكى، و «كارل يونج» و«بريل». فقد رأوا أن أزمة الإنسان المعاصر ترجع إلى افتقاره إلى الدين والقيم.

* وإذا كان «فرويد» قد لجأ إلى فكرة «التداعى الحر» لتخليص المريض من الكبت ومساعدته على نقل الأفكار والذكريات المؤلمة من اللاشعور إلى الشعور. فهى تفريغ لكل ما يعانيه المريض من مشكلات، والإفصاح عن كل ما يقلقه أو يؤلمه، كى يشعر بالارتياح والطمأنينة ويتخلص من مصادر قلقه. فإنا نجد الإسلام قد عالج هذا بالدعاء والاستغفار والتوبة.

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[1].

وقال ﷺ: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب»[2].

* وفى موقف الإسلام من تفسير الأحلام عند «فرويد» لتخليص المريض من

---

(١) سورة الزمر: آية (٥٣).

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه والنسائى والحاكم.

الكبت. ذكرت أن الأحلام عنده هى تحقيق لإشباع رغبة مكبوتة. وتفسيره لها هو الذى سماه الإسلام «أضغاث أحلام» لأنها حديث النفس الأمارة لشهواتها أو رغباتها، أو حديث الشياطين إلى تلك النفس أثناء النوم، أو هى الأحلام التى تكون بسبب تأثير الحوادث الخارجية أو أوضاع جسدية أثناء النوم. وهذه الأحلام غير منطقية لا يقبلها العقل، وهى عشوائية لا تستند إلى أساس علمى.

ولم يتحدث «فرويد» عن الأحلام التنبؤية القائمة على أساس الروح وهى الرؤيا الصادقة التى تأتى إلى النفس من الملأ الأعلى، وتكون حديثاً من الله إلى نفس النائم، أو حديثاً من الملائكة المكلفين إلى تلك النفس. وقد أخبرنا القرآن الكريم برؤيا الأنبياء، مثل إبراهيم ويوسف ونبينا محمد عليهم جميعًا الصلاة والسلام.

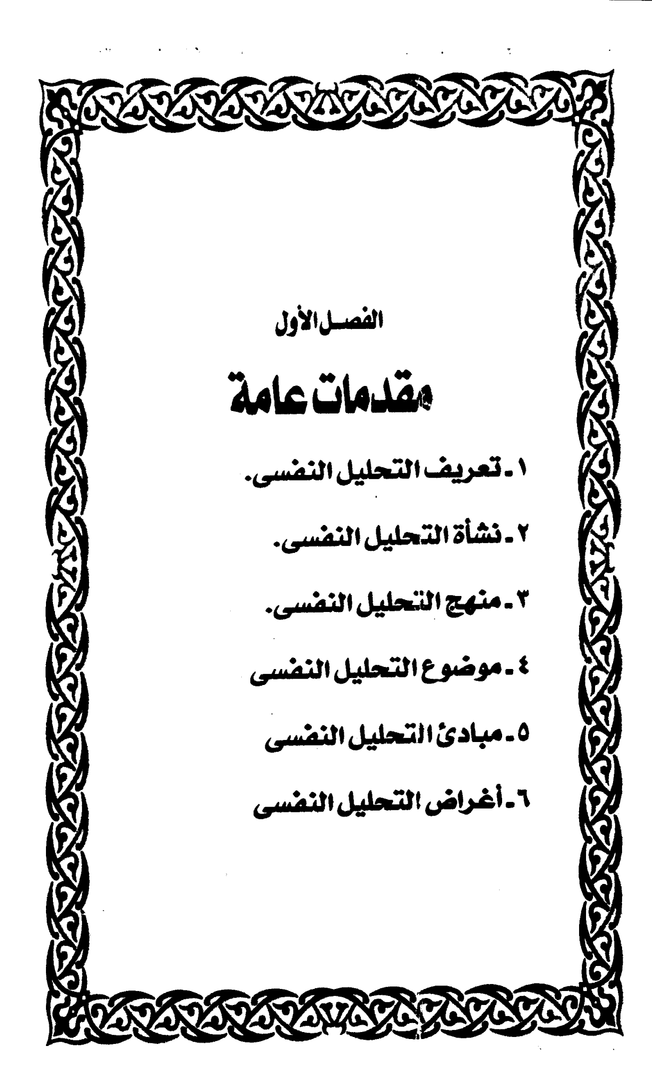
وقد ذكرت نصوصاً من القرآن ومن السنة النبوية تؤيد هذا.

- وأخيراً أدعو الله تعالى أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه وابتغاء مرضاته. إنه نعم المولى ونعم النصير.

**وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين**

**دكـتور**

**أحمد رمضان**



الفصل الأول

# مقدمات عامة

١- تعريف التحليل النفسي.

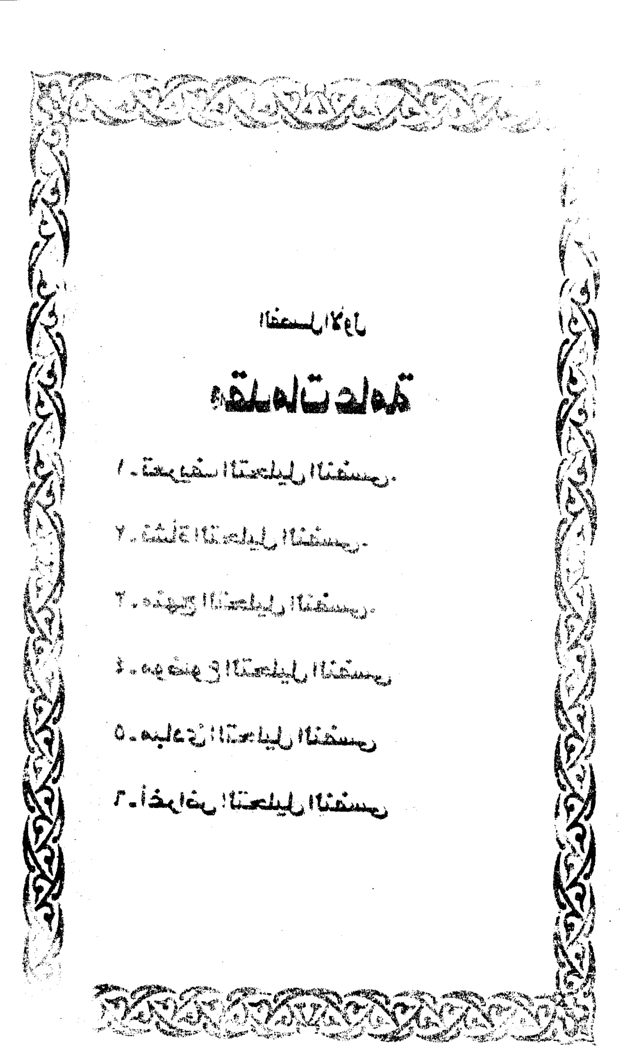
٢- نشأة التحليل النفسي.

٣- منهج التحليل النفسي.

٤- موضوع التحليل النفسي

٥- مبادئ التحليل النفسي

٦- أغراض التحليل النفسي



## ١- تعريف التحليل النفسى

كلمة التحليل النفسى psycho - analysi تدل على فعل هو التحليل Analysis ينصب على موضوع معين هو النفس psych. وتقوم بين الفعل وموضوعه علاقة الوسيلة بالغاية، أى المنهج بمجال البحث. وهو اسم يطلق على أسلوب علاجى معين، يستهدف أعراضاً نفسية، تتسم بعدم زوالها بالأساليب المعتادة من نقاش هادئ أو توجيه واضح[١].

فالتحليل النفسى عملية علاجية طويلة الأمد، يطلب فيها من المريض إطلاق العنان لأفكاره وذكرياته وخبراته المنسية بهدف استدراجها من أعماق اللاشعور إلى حيز الشعور ومساعدته من ثم على حلها فى ضوء واقعة، ومحاولة تحسين فاعليته الشخصية[٢].

فهو عملية طويلة شاقة تحتاج إلى صبر وجهد كبيرين من المحلل والمريض، ولابد لمن يقوم به من خبرة نظرية واسعة بالنفس الإنسانية؛ ومن تدريب عملى طويل يؤهله لعلاج المرضى[٣]. وفى الوقت نفسه نجد تسميته تطلق على مدرسة فكرية فى علم النفس، لها أسلوب خاص فى استخلاص النتائج وصياغتها[٤].

كما أن تعبير التحليل النفسى، كثيراً ما يستعمل للإفصاح عن نظرية تفسر السلوك الإنسانى فى ضوء مفهوم الجنسى sex.

وباختصار يمكن تعريف التحليل النفسى بأنه: فن لدراسة العقل الباطن، يقوم على أسلوب التداعى المطلق لسبرغور أعماق اللاشعور، وكشف ما يحتويه من غرائز وميول فطرية، أو نزعات وتأثيرات أو مشتهيات مكبوتة يجهلها الفرد ولكنها ذات أثر فعال فى حياته الشعورية[٥].

---

(١) انظر: التحليل النفسى بين العلم والفلسفة. د/ أحمد فائق. ص:٩، ٨ .
(٢) انظر: الإسلام والأمراض النفسية. د/ منى أحمد المضواحى . ص:٩٧. سنة ١٤١٠هـ - سنة: ١٩٩٠م.
(٣) انظر: الأمراض النفسيه مع إشارة إليها فى المجتمع المصرى. د/ أحمد عزت راجح. ص:١٠٧ . دار الشروق للطبع والنشر. الطبعة الأولى .
(٤) انظر: التحليل النفسى بين العلم والفلسفة. د/ أحمد فائق . ص:٩.
(٥) انظر: مشكلة التحليل النفسى فى مصر. محمد فتحى بك. ص:١٣٦. مطبعة مصر .

## ٢- نشأة التحليل النفسى

لقد نشأ التحليل النفسى فى أوائل القرن العشرين على يد الطبيب النمساوى «سيجموند فرويد» الذى ولد فى عام (١٨٥٦) من أبوين يهوديين فى مدينة «فرايبرج» بمورافيا المعروفة الآن بتشيكوسلوفاكيا، وبعد الرابعة انتقل إلى «فيينا» مع أسرته فنشأ وتعلم فى مدارسها وجامعتها. وكان ميالاً بفطرته إلى معرفة أسرار الطبعة البشرية، فلفتت نظره الظواهر النفسية الشاذة بصفه خاصة. فاشتغل وهو لا يزال طالباً بالجامعة فى معمل «أرنست بروك» E.Bruck الفسيولوجى، وقام بعدة أبحاث فى تشريح الجهاز العصبى. وفى عام (١٨٨١) حصل على إجازة الدكتوراة فى الطب، وأصبح مساعداً لـ «أرنست بروك» فى معمله. وفى عام (١٨٨٢) اشتغل طبيباً فى المستشفى الرئيسى بفيينا. واستمر «فرويد» يواصل دراسته فى تشريح الجهاز العصبى إلى جانب عمله كطبيب، ونشر بعض الأبحاث الهامة فى هذا الموضوع، ثم أخذ اهتمامه يتجه نحو دراسة الأمراض العصبية، وقام فيها ببعض الأبحاث العلمية التى لفتت إليه الأنظار. فعين محاضراً فى علم أمراض الجهاز العصبى فى عام ١٨٨٥م[١] .

وفى هذه الفترة نشأت صداقة متينة بينه وبين زميل له اسمه «بروير Breuer» وفى هذا العام رحل «فرويد» إلى باريس للدراسة فى جامعة «سالبتريير» حيث كان «شاركو» يقوم بأبحاثه فى الهستيريا. شاهد «فرويد» بنفسه بعض هذه الأبحاث التى أثبتت إمكان إحداث أعراض الهستيريا بالإيحاء التنويمى، وإمكان إزالتها بالإيحاء أيضاً، وقد أكدت هذه التجارب التشابه التام بين الهستيريا التى تحدث عن الإيحاء وبين الهستيريا التى تشاهد بين المرضى.

فقضى «فرويد» نحو عام تقريباً فى بارس يدرس مع «شاركو» ويقوم بترجمة أبحاث أستاذه إلى الألمانية. ثم عاد إلى مدينة فيينا فى عام ١٨٨٦ واشتغل طبيباً خاصاً مع استمراره فى وظيفته التدريسية. وأخذ «فرويد» يطبق ما تعلمه من «شاركو» وحاول إقناع أطباء فيينا بإمكانه إحداث الهستيريا بالإيحاء التنويمى، فقوبل بمعارضة شديدة، ولم يلق بينهم أذناً صاغية ، غير أن عزم «فرويد» لم يلن أمام معارضة

---

(١) انظر: معالم التحليل النفسانى. سيجمند فرويد. ترجمة: د/ محمد عثمان نجاتى. ص:١٧، ١٨. دار النهضة العربية . الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٦ .

زملائه الأطباء، فأخذ يواصل بحثه العلمى كطبيب خاص يعالج مرضاه بوساطة الإيحاء التنويمى. ولم يلبث «فرويد» طويلاً حتى اتضحت له بعض العيوب فى فنه التنويمى، إذتبين له أنه لا يستطيع أن ينوم بعض مرضاه، وهذا هو الذى جعله يشعر أنه لازال فى حاجة إلى تحسين فنه التنويمى، فسافر فى عام ١٨٨٩ إلى مدينة نانسى بفرنسا، وقضى هناك عدة أسابيع فى اتصال بالطبيبين «ليبولت» و «برنهايم».

* **طريقة التفريغ:**

وعندما استقر «فرويد» أخيراً بـ «فيينا» جدد اتصاله بـ «جوزيف بروير»، واستطاع إغراءه على الاشتراك معه فى مواصلة البحث العلمى فى أسباب الهستيريا وطرق علاجها. وقد نشرا معاً فى عام ١٨٩٣ بحثاً فى «العوامل النفسية للهستيريا». وفى عام ١٨٩٥ نشرا كتاب «دراسات فى الهستيريا».

* ويعتبر هذا الكتاب الأخير نقطة تحول هامة فى تاريخ علاج الأمراض العقلية والنفسية، فقد احتوى على البذور الأولى التى نمت منها فيما بعد نظرية التحليل النفسانى. حيث أشار المؤلفان فى هذا الكتاب إلى أهمية الدور الذى تلعبه الحياة العاطفية فى الصحة العقلية، وبيّنا ضرورة التمييز بين الحالات العقلية الشعورية وبين الحالات العقلية اللاشعورية؛ وذهبا إلى أن الأعراض الهستيرية تنشأ عن كبت الميول والرغبات، فتتحول تحت تأثير هذا الكبت عن طريقها الطبيعى، وتتخذ لها منفذاً عن طرق شاذة غير طبيعية هى الأعراض الهستيرية.

وشرح المؤلفان «طريقة التفريغ»، وبينا قيمتها العلاجية فى شفاء الهستيريا. وتتلخص هذه الطريقة فى حث المريض أثناء التنويم المغناطيسى على تذكر الحوادث والخبرات الشخصية الماضية، وعلى «التنفيس» **Abreaction** عن العواطف والمشاعر المكبوتة. ولذلك سميت هذه الطريقة فى العلاج بطريقة التفريغ[1]. فكان «بروير» لايستخدم إلا الإيحاء التنويمى فى معالجة مرضاة، وقد اكتشف أثناء علاجه لفتاة مصابة بالهستيريا أن المريضة ذكرت أثناء نومها حوادث ماضية لم تستطع تذكرها أثناء اليقظة. ورأى «بروير» أن مجرد ذكر المريضة لهذه الحوادث والتجارب الشخصية التى مرت بها والتى كانت سبباً فى أزمتها النفسية، وأن مجرد الإفضاء بالعواطف والمشاعر المتعلقة بها التى كانت من قبل مكبوتة كان له أثر كبير فى شفاء المريضة، فزالت عنها

(١) انظر: المرجع السابق. ص:١٩ ـ ٢١.

الأعراض المرضية، وعادت إلى حالتها العادية. وبذلك تم لـ «بروير» اكتشاف وسيلة ناجحة لعلاج الهستيريا سماها فيما بعد «طريقة التفريغ» **Cathartic Method**. وكان ذلك فى وقت لم تكن تعرف فيه بعد أبحاث «بييرجانيه» فى علاج الهستيريا بطريقة تشبه كثيراً طريقة التفريغ.

وذكر «بروير» لـ «فرويد» قصة علاجه لتلك الفتاة، فأعجب «فرويد» بطرافتها وبنجاحها فى شفاء المريضة. ولكنه لم يعلق عليها فى ذلك الوقت أهمية كبيرة وحدث أن توقف «بروير» عن مواصلة بحثه فى هذا الاكتشاف الجديد الهام، وترك الأمر يستقر عند هذا الحد بضع سنوات[1].

*** الخلاف بين «فرويد» و «بروير»:**

فى هذه الفترة حدث خلاف بين «فرويد» و «بروير» وهذا الخلاف ينصب على ناحيتين:

**الأولى**: أن «فرويد» رأى أن يستغنى عن استعمال التنويم المغناطيسى فى كثير من الحالات، وذلك لصعوبات منها أن بعض المرضى لا يمكن تنويمهم، ومنها أيضًا أن بعض الأطباء لا يسهل عليهم القيام بعملية التنويم. وقد توصل «فرويد» إلى أن ما يمكن كشفه بالتنويم يمكن سبرغوره بالمحادثه العادية من غير تنويم (التداعى المطلق). ولم يوافقه «بروير» على هذا الأمر[2]. فهذا الخلاف بينهما يرجع إلى تفسير العوامل النفسية المسببة للهستيريا. ففسر «بروير» الانحلال العقلى الذى يصاحب الهستيريا بانقطاع الصلة بين حالات النفس الشعورية، وفسر الأعراض الهستيرية بحالات شبه تنويمية **Hypnoid States** ينفذ أثرها إلى الشعور. لم يقتنع «فرويد» بهذا التفسير إذ رآه تفسيراً فى حاجة إلى تفسير، لأن الحالات شبه التنويمية وأسباب حدوثها لا تزال أمراً غامضاً. أما «فرويد» فكان يرى أن الانحلال العقلى يحدث نتيجة صراع الميول وتصادم الرغبات. واعتبر الأعراض الهستيرية أعراضاً دفاعية نشأت تحت ضغط الدوافع المكبوتة فى اللاشعور التى تحاول التنفيس عن نفسها بشتى الطرق. ولما كان ظهور هذه الدوافع المكبوتة فى الشعور أمراً غير مقبول للنفس، فإنها تحاول التنفيس

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص: ١٨، ١٩.

(٢) انظر: علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية. د/ عبد العزيز القوصى. المجلد الاول. ص: ٣٣٠. مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الاولى ١٩٤٨.

عن نفسها بطرق غير طبيعية هى الأعراض الهستيرية[1].

**الثانية**: أن «فرويد» يعتقد أن الصدمة التى يتسبب عنها المرض العصبى هى دائما صدمة جنسية. ويرى أن الغريزة الجنسية هى الدافع الأول الذى ترجع إليه مختلف نواحى النشاط الإنسانى.

كما يرى أن مكوناتها تظهر منذ الولادة، وتمر فى أدوار مختلفة حتى يصل الإنسان إلى القدرة على التزاوج والتكاثر الذى يخرج عن كونه مظهراً أساسياً من مظاهر الغريزة الجنسية[2].

لم يوافق «بروير» على هذا الرأى وعارض «فرويد» فيه، كما عارضه فى ذلك جمهور الأطباء فى عصره. وقد لحق بـ «فرويد» من جراء رأيه هذا ضرر كثير إذ خسر صداقة «بروير» التى كان يعتز بها اعتزازاً كبيراً، كما قاطعه جمهور الأطباء، وأخذوا يهزأون به، ويسفهون رأيه، ويحطون من قيمة أبحاثه [3].

فقبل الخلاف بين « فرويد» و«برويد» نجد أن «فرويد» يستخدم «طريقة التفريغ» أثناء التنويم، وهى الطريقة التى اكتشفها «بروير»، ثم أخذ «فرويد» يفطن إلى ما فى التنويم من عيوب. فرأى أن بعض المرضى لا يمكن تنويمهم. كما رأى أيضًا أن الشفاء الذى ينتج عن التنويم كان قاصراً فقط على إزالة الأعراض المرضية، ولم يتناول العلل الرئيسية التى تنتج عنها هذه الأعراض، كما أن هذا الشفاء كان وقتياً فقط لا يلبث أن يزول أثره بعد فترة طويلة أو قصيرة، فتعود الأعراض نفسها أو غيرها إلى الظهور مرة أخرى. ورأى «فرويد» أيضاً أن نجاح العلاج يتوقف على استمرار العلاقة بين المريض وطبيبه، ودعاه ذلك إلى أن يفطن إلى أهمية الدور الذى تلعبه الرابطة الإنسانية فى العلاج. ولم تكن الرابطة الإنسانية تظهر بوضوح أثناء التنويم المغناطيسى.

لكل هذه الاعتبارات رأى «فرويد» أن يعدل عن استخدام التنويم، وبدأ يحث مرضاه عن طريق الإيحاء وهم في حالة اليقظة على تذكر الحوادث والتجارب الشخصية الماضية.

واستمر «فرويد» في استخدام طريقة «الإيحاء أثناء اليقظة» **waking suggestion**

---

(١) انظر: معالم التحليل النفسانى. سيجموند فرويد. ترجمة: د/محمد عثمان نجاتى. ص: ٢١، ٢٢.
(٢) انظر: علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية. د/ عبد العزيز القوصى. ص: ٣٣٠، ٣٣١.
(٣) انظر: معالم التحليل النفسانى. سيجموند فرويد. ص: ٢٢.

حوالى أربع سنوات (فيما بين ١٨٩٥ و١٨٩٩م).

ثم ظهرت لـ «فرويد» فيما بعد عيوب هذه الطريقة أيضًا، فقد وجد أنه لايستطيع دائما باستخدام الإيحاء وحده دفع مرضاه إلى تذكر الحوادث والتجارب الشخصية الماضية التي سببت مرضهم.

هذا فضلاً عما فى هذه الطريقة من مشقة وإرهاق لكل من الطبيب والمريض. فرأى «فرويد» أن يعدل عن هذه الطريقة، وبدأ يطلب فقط من مرضاه أن يطلقوا العنان لأفكارهم تسترسل من تلقاء نفسها دون قيد أو شرط، وبدون توجيه منهم أو إشراف؛ وطلب منهم أن يفوهوا بكل ما يخطر ببالهم أثناء ذلك من أفكار وذكريات ومشاعر دون إخفاء أى شىء عنه مهما كان تافهاً أو معيباً أو مؤلماً. وتعرف هذه الطريقة التى ابتكرها «فرويد» بطريقة «التداعى الحر». **Free Association**.

وباستخدام التداعى الحر بدأت تتكشف أمام «فرويد» حقائق هامة لم يكن من المستطاع الاهتداء إليها من قبل، حينما كان العلاج يتم فقط أثناء التنويم. فاتضح له الأسباب التى تجعل تذكر بعض الحوادث والتجارب الشخصية الماضية أمراً صعباً. فقدر رأى أن معظم هذه التجارب مؤلم أو مشين للنفس. وهكذا بدا لـ«فرويد» أن سبب نسيانها هو كونها مؤلمة أو مشينة. ولهذا السبب كانت إعادتها إلى الذاكرة أمراً شاقاً يحتاج إلى مجهود كبير للتغلب على المقاومة **Resistance** الشديدة التى كانت دائماً تقف ضد ظهور هذه الذكريات فى الشعور **The conscious** . ومن هذه الملاحظات كون «فرويد» نظريته الهامة فى «الكبت **Repression**» التى قال عنها إنها الحجر الأساسى الذى يعتمد عليه جميع بناء التحليل النفسانى وأهم جزء فيه.

بهذا ذهب «فرويد» إلى أن الكبت يحدث فى الأصل عن الصراع **conflict** بين رغبتين متضادتين. وذكر نوعين من الصراع بين الرغبات، يحدث أحدهما فى دائرة الشعور، وينتهى بحكم النفس فى صالح إحدى الرغبتين والتخلى عن الأخرى، وهذا هو الحل السليم للصراع الذى يقع بين الرغبات المتضادة، ولا ينتج عنه ضرر للنفس. وإنما يقع الضرر من النوع الثانى من الصراع الذى تلجأ فيه النفس بمجرد حدوث الصراع إلى صد إحدى الرغبتين عن الشعور وكبتها دون إعمال الفكر فى هذا الصراع وإصدار حكمها فيه. وينتج عن ذلك أن تبدأ الرغبة المكبوتة حياة جديدة شاذة فى «اللاشعور **The Unconscious**»، وتبقى هناك محتفظة بطاقتها الحيوية ، وتظل تبحث

عن مخرج لانطلاق طاقتها المحبوسة، فتجده فى الأعراض المرضية. التى تنتاب العصابيين **Neurotics**.

وعلى ضوء هذا التفكير رأى «فرويد» **أن مهمة الطبيب النفسانى ليست هى دفع المريض إلى «التفريغ» و«التنفيس» على الرغبات المكبوتة كما كان يفعل «بروير» و«فرويد»** من قبل، بل هى الكشف عن الرغبات المكبوتة لإعادتها مرة أخرى إلى دائرة الشعور لكى يواجه المريض من جديد هذا الصراع الذى فشل فى حله سابقاً فيعمل الآن على حله بإصدار حكمه فيه تحت إرشاد الطبيب النفسانى وتشجيعه. وبعبارة أخرى أصبحت مهمة الطبيب النفسانى هى إحلال الحكم العقلى محل الكبت اللاشعورى. ومنذ ذلك الوقت أخذ «فرويد» يسمى طريقته في العلاج «بالتحليل النفسانى» [1].

**والخلاصة:**

أن «فرويد» ابتدأ حياته كطبيب ثم سافر إلى فرنسا ليدرس الأمراض العصبية بجامعة «باريس» على يد الدكتور «شاركو **charcot**». وبعد أن أتم دراسته عاد إلى مزاولة مهنة الطب فى «فيينا» ، واشترك في معالجة بعض الحالات العصبية مع زميله «بروير **Breuer**» [2].

واستفاد من طريقته فى البحث عن أسباب الهستريا خلال تنويم المريض مغناطيسيًا، وكان ذلك قبل أن ينشر «شاركو» «وبييرجانيه» الفرنسيان بحوثهما فى أصول الأعراض الهستيرية.

واستفاد «فرويد» من كل تلك البحوث وغير منهج التنويم بمنهج التداعى الحر وأطلق على العلم الجديد اسم «التحليل النفسى» [3].

●●●●●

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص: ٢٥ ـ ٢٩.

(٢) انظر: علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية. د/ عبد العزيز القوصى . ص:٣٢٧.

(٣) انظر: موسى والتوحيد. سيجموند فرويد. ترجمة: د/ عبد المنعم الحفنى . ص:٢٧ . مطبعة الدار المصرية . الطبعة الثانية ١٩٧٦٨م

## ٣- منهج التحليل النفسى

إن فكرة التحليل كمقولة فكرية عامة، تقوم على مسلمة بسيطة مضمونها أن الموضوع المطلوب تحليله مركب **complex** وليس خليطا **Mixture**. والمركبات التى تستهدف للتحليل إما أن تكون معلومة للباحث فى تمام تركيبها، حيث تكون عناصرها المركبة هى المجهول والمستهدف في البحث. وإما أن تكون تلك العناصر هى المعلومة، حيث تكون الصيغة النهائية للمركب هى المجهولة، ونهدف إلى الكشف عنها. ويطلق أصحاب المناهج على المبحث الذى يقوم على تحليل المركب الكلى إلى عناصر بنائه تعبير «الاستنباط **Deduction**». ويسمى المبحث الذى يهدف إلى صيغة المركب المعلوم العناصر والمجهول البناء بالمبحث «الاستقرائى **Inductive**» [١].

وتاريخ علم النفس يدل على أن هناك صراعاً بين أصحاب الاستنباط والاستقراء، مما يدل على أن علماء النفس يتخذون موقفين متناقضين من النفس التى هى موضوع بحثهم.

فبعضهم يقول: أن النفس مركب معلوم فى كله، مجهول في عناصره التي لابد من استنباطها.

والبعض الآخر يقول: أن الموقف يحتاج إلى استقراء قانون لتركيب النفس من جزئياتها المعلومة[٢].

* ورغم هذا التناقض بين الجانبين إلا أن هناك وحدة فكرية تجمعها وتضمها معاً فى تناقض مع التحليل النفسى. والأصل أن مباحث الاستقراء والاستنباط تقوم على مسلمة مضمونها أن النفس بمكوناتها، إنما هى معلومات نجهلها، لأننا لم نقع عليها بعد. وقد باءت جهود الاستنباط بالفشل فى بحثه عن العناصر المجهولة فى النفس، وتضاربت آراؤه ونتائجه. كذلك تشعبت مباحث الاستقراء تشعبًا كبيراً يدعو إلى الحذر من التفاؤل فيما توصلنا إليه.

ويتركز تناقض (الاستقراء والاستنباط) مع التحليل النفسى فى تلك الفكرة

---

(١) انظر: التحليل النفسى بين العلم والفلسفة. د/أحمد فائق ص:٩، ١٠.
(٢) انظر: نفس المصدر. ص: ١٠.

الموحدة بينهما.

* فالاستقراء والاستنباط مناهج تنصب بحوثهما على دراسة موضوعات، تفترض فيها ظهورها للباحث في مستوى واحد من الملاحظة ولا يحتاج البحث عنها تغيير المنهج حسب طبيعتها، لافتقادها التمايز، وافتراض عدم تمايزها عناصر ومركبات. بل يكاد يصل الأمر في أحيان كثيرة إلى أن يتغافل الباحث عن أمور لا يستقيم في بحثها منهجه الذى لا يقبل عنه بديلاً، كما هي الحال في دراسة دوافع السلوك عند الحيوان لتطبيق قوانينها على الإنسان، رغم ما قد يواجهه الباحث من اختلافات جوهرية بين الاثنين. وذلك لأن منهج بحثه لا يسمح له بأن يدرس دوافع الإنسان ذاته[1].

* أما التحليل النفسي فينفرد بموقف خاص من النفس، يجعله معارضاً لكل من الاستنباط والاستقراء.

فالتحليل النفسي من حيث هو منهج لدراسة النفس الإنسانية، يستند على حقيقة أولية، هي بداية آراء «فرويد» في النفس ومجملها: أن النفس الإنسانية مركب، ولكنها مركب من عناصر تختلف في طبيعتها، ولا تبدى للباحث في نفس مستوى الملاحظة أبداً. فبعض عناصرها ينتمي إلى مجموعة من الأنشطة التي قد نعلم صيغتها المركبة أو جزئياتها المركبة منها، ويطلق عليها تعبير الشعور **conscious**. أما عناصرها الأخرى والتي يجهلها الإنسان مركبا وعناصر، وظل يجهلها تماماً حتى أواخر القرن التاسع عشر فيطلق عليها تعبير اللاشعور **unconscious**.

ولقد قام منهج التحليل النفسي على هذه الحقيقة، أو على هذا الافتراض الشبيه بالمسلمة.

وذلك حيث قال «فرويد»: إن كل مجموعة من المجموعتين السابقتين لا يوجد أمام الباحث في استقلالية، بل دائماً تكون النفس موضوع بحثه مزيجاً من أنشطة شعورية وأخرى لا شعورية، ويؤدي امتزاجهما إلى تغيير وتشويه وإخفاء معالم كل نشاط شعورى أو لا شعورى خالص، حيث يكون المعطى النفسى الوحيد القابل للدراسة هو نتاج التداخل بينهما.

---

(١) انظر: المرجع السابق.

لذلك كان التحليل النفسى موقفاً منهجياً مغايراً تماماً لمناهج الاستقراء والاستنباط، لأن هدفه الأول هو الكشف عن أسلوب تداخل الأنشطة الشعورية واللاشعورية، ومن ثم يمكنه فيما بعد أن يقدم لعالم النفسى التقليدى موضوعات نقية تصلح للاستقراء أو الاستنباط (١).

وتستطيع أن نجد هذا واضحاً في الموقف القائم بين المحلل والمريض، لأنه هو نفسه موقف الصراع القائم بين الاستقراء والاستنباط فى ميدان المباحث النفسية. فالمحلل يعمل مع مركب مجهول العناصر ويحتاج إلى الاستنباط، على حين يعمل المريض مع عناصر مجهولة المركب ويحتاج للاستقراء. لذلك يقوم التحليل النفسى علي مزيج جديد فى المعرفة الإنسانية، إذ أنه ليس بمنهج استقرائى فقط، وليس منهجاً استنباطياً بحتاً، وليس دورة من استقراء تتلوها أخرى من استنباط، بل هو استقراء واستنباط متبادلين متوازيين ممتزجين فى موقف واحد وآن واحد. فالمحلل كطرف يقوم بالبحث بأسلوب ومنهج مخالف للبحث الذى يقوم به المريض كطرف آخر. والذى يجعل ذلك ممكنًا، هو اقتسام العمل التحليلى حيث يصبح على المحلل استنباط جزئيات المركب النفسى، فى الوقت الذى يكون على المريض استقراء مركب هذه الجزئيات من المحلل. ومما لاشك فيه أن عملية التحليل فى هذا الإطار تجعل المعرفة ممكنة، وتسمح للظاهرة النفسية بأن تحصل علي أكمل شكل ممكن لها.

فالتحليل النفسى موقف يقوم على تبادل دينامى حى ، بين المحلل والمريض، إذ يقومان - بالتناوب الدقيق - بإقامة وحدة فكرية أساسها الكشف عن معنى النفس، ومفهوم الحياة النفسية. فكل واحد منهما يقوم باتباع منهج من المنهجين الأساسيين فى الفكر فتكتمل للفكر وحدته ويتم التبادل فى تحقيق المنهجين، حسب خطة منظمة وحتمية وضرورية.، ولا يتفق مع التحليل النفسى، أى منهج آخر فى قدرته على إبقاء الموقف المعرفى فى نشاطه هذا.

فالتحليل النفسى يعتمد اعتماداً أساسياً وجذرياً على تبادل الاستقراء والاستنباط بين المحلل والمريض، دون تعطل فى نشاط من النشاطين فى أى وقت من أوقات العلاج.

وتبادل المحلل والمريض عبارة عن عمليات الاستقراء والاستنباط حول الدور الذى

(١) انظر: المرجع السابق. ص:١١ .

يريد المريض الفيء به، وهو الذى يسمح لقوى اللاشعور أن تتجلى فى إطار الموقف التحليلى فالمحلل يعلم أن إلحاح المريض هو وليد طرح، ولكنه لا يعلم عناصر هذا الطرح فيقوم باستنباط تلك العناصر تدريجياً من معطيات المريض فى سعيه لأداء الدور. أما المريض فإنه يقوم بالدور ويجاهد فى تحقيق موقف يكون المحلل فيه دوراً مقابلاً، وعليه أن يستقرىء من جزئيات دوره المركب العام لها وهو طرحه على المحلل. والطرح هنا هو الحالجة لإشباع رغبات لا شعورية لا يحق لها إشباعًا مباشراً. ومن ذلك تجد أن التحليل كتحليل للطرح هو منهج تكتمل فيه المعرفة الإنسانية بالنفس. ويعد الطرح قاعدة المنهج التحليلى، وذلك لأن الطرح وليد امتزاج الشعور باللاشعور.

ولذلك كان تحليل الطرح هو تحليل اللاشعور. ولاشك أن إيضاح الطرح بما وراءه من حاجات هو كشف عن حاجات لا شعورية [1].

**والخلاصة:**

أن منهج التحليل النفسى يعتمد على تبادل الاستقراء والاستنباط بين المحلل والمريض. وقاعدة هذا المنهج هو الطرح بينهما. ووسيلته فى ذلك هو قانون التداعى المطلق. وهدفه هو الكشف عن اللاشعور، ولبه هو الجنس. والنفس عنده مركبة من الشعور واللاشعور وليست خليطاً. والخبرة الشعورية تظهر للباحث بتفاوت فى الوضوح دون تمايز فى مستوى نوعيتها، حيث تعطينا خليطاً من الأنشطة النفسية كالإدراك والتصور والتخيل... وما إلى ذلك. والحياة النفسية عنده ليست مقصورة على الخبرة الشعورية وحدها، بل كثيراً ما تظهر فى الشعور كيفيات نفسية من طبيعة مخالفة كما هو الحال فى الأحلام والهفوات والأمراض النفسية. وقد أرجع «فرويد» هذه الكيفيات النوعية الغريبة إلى النظام النفسى اللاشعورى. هذا النظام يتضمن من عناصر الحياة النفسية ما لا يصلح معه إلا تحليله، لأنه دائمًا يظهر ممتزجاً بغيره، وهو النشاط الشعورى. والتحليل هنا تحليل للمزيج الذى يؤدى إلى تنقية المركب، وعزل عناصره الشعورية عن اللاشعورية.

لذلك كان التحليل النفسى منهجاً فى دراسة النفس [2].

---

(١) انظر: المرجع السابق ص ١٤ - ١٩

(٢) انظ : المرجع السابق. ص ٤٣، ٤٤.

## ٤ ـ موضوع التحليل النفسى

موضوع التحليل النفسى هو النفس بشعورها ولا شعورها. هذه النفس مركبة من عناصر تختلف في طبيعتها، ولا تتبدى للباحث في نفس مستوى الملاحظة أبداً، وتنتمى عناصرها إلى مجموعتين متمايزتين تماماً، واحدة نعلم صيغتها مركبًا وعناصر ويطلق عليه كلمة اللاشعور **conscious** ـ والأخرى يجهلها الإنسان مركباً وعناصر ويطلق عليها كلمة اللاشعور **unconscious**[١].

ونظرية «فرويد» فى النفس ترى أن الشعور نظام لا وجود له لأنه لحظة في تدفق الحياة النفسية التى تبدأ من تلك الأفكار التى أصبحت فيما بعد لا شعور. وترى تلك النظرية أن العمليات الشعورية تمثل نطاقاً ضيقاً خافتاً فى الحياة النفسية، ليس جديراً بدراسة جادة لوقتيته من جانب ولعدم واقعيته من جانب آخر لأنه رجعٌ وليس أصلاً للظواهر [٢].

وهو يمثل المضامين الفكرية التي تعبر الغريزة بوساطتها عن نفسها فى العالم المادى. وتقوم اللغة بدور خطير فى هذا الأمر. إذ أن الكلمة هى حامل لموضوعية العالم ولدفعه النشاط البدنى ذاته وهما في حالة عدم استقرار، وحركة لولبية صاعدة مستمرة، تسعى إلى تحقيق أكبر قدر من التبدى للغريزة في العالم. لذلك كانت الكلمة دائماً ذات شحنة غريزية، وكانت اللغة ذات قيمة ذاتية تتفاوت بتفاوت دلالتها على العالم المادى وعالم الشخص [٣].

وبعبارة ثانية يتحول إشباع الغريزة إلى علاقة بالواقع. وفى هذه الحالة يصبح ترقيم العالم [تسميته] حتم، لكى يتميز عن الجسد وتنشأ اللغة لحل الموقف المتناقض وإجماله. وعندما يتم ذلك ـ وهو ما يحدث تدريجياً ـ نجد أن اللغة تتجه من الدلالة المباشرة على الشىء العيانى إلى الدلالة الرامزة للشىء المجرد. ويقوم الكبت بمعناه الحقيقى **proper Repression** برفض المستخرجات الذهنية المعبرة عن الغريزة، ومنع الكلمات التى تقود إلى التعرف على الدفعة الغريزية من غزو الشعور.

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص:٢٧.
(٢) انظر: المرجع السابق. ص:ـ ٣١، ٣٢.
(٣) انظر: المرجع السابق. ص: ٣٤.

إن قيام الكبت فى مركب النفس بهذه الوظيفة يشير إلى أمرين:

{١} إن الكبت الأولى هو لبنة الكبت الثانوى، وهما معاً فى تفاضلهما يخلقان طبقتين فى النفس :

الطبقة الأولى هى قطب من الغريزة يطلق القطب المقابل ليغزو الشعور {الكبت الأولى} مكوناً الطبقة الثانية.

{٢} إن مضمون الشعور هو نفس مضمون اللاشعور فى المرحلة الأولى من الكبت، ثم يأتى الكبت الثانوى فيقوم بالنفى محققاً الإثبات وهو الشعور [١].

●●●●●

(١) انظر: المرجع السابق. ص٣٨. وسوف نتحدث بتفصيل عن هذا فى أثناء تعرضنا للكبت فى هذا البحث .

## ٥ـ مبادىء التحليل النفسى

يقوم التحليل النفسى عند «فرويد» على مبادىء أساسية وهامة فى عملية التحليل نوجزها فيما يلى:

{١} أن التحليل النفسى يقوم على الصراحة والصدق والثقة التامة بالمحلل وعدم إخفاء المريض شيئاً من أسراره مهما كانت عزيزة عليه، فهناك أشياء نجتهد فى إخفائها عن سوانا، كما أن هناك أشياء أخرى نحاول أن نخفيها عن أنفسنا أو عن ضمائرنا لأن تذكرها يزعجنا أو يؤلمنا (١).

{٢} أن التحليل النفسى يقوم على نزع رداء الحياة والخجل بين المريض والمحلل وعليهما أن يسقطا من حسبانهما كل الاعتبارات الادبية والأخلاقية التى قد تمنع المريض من التحدث عن ماضيه وحاضره وإفشاء أعز أسراره.

{٣} يرى أصحاب التحليل النفسى أن من مبادئه أن يتحلى المحلل بالادب، لأن إجراءات التحليل تتطلب من المريض أن يبوح للمحلل بأعز أسراره وأعمقها مما لا يجوز أن يبوح به لأى إنسان، فضلاً عن أن التحليل بطبيعته يتطلب الخوض فى المسائل الجنسية إلى أعمق مدى، وأن على المريض أن يتحدث بلا حياء أو خجل عن كل ما يتعلق بحياته الجنسية وما يمس نزعاته وميوله من هذه الناحية مهما بدت له شاذة أو مجلبة للخجل والحياء. وهذه الضرورة فى حرية الحديث بشأن المسائل الجنسية ترجع إلى حقيقة أيدتها التجربة، وهى أن للمسائل الجنسية أثراً بليغاً فى إحداث الأمراض العصبية وأن كشفها على جانب من الخطورة والأهمية فى هذه الناحية (٢).

{٤} أن التحليل النفسى لا يقوم على أساس نظرية الاعتراف ولا هو نوع من أنواع العلاج بالإيحاء أو التنويم المغناطيسى، ولكنه كما يقول صاحبه «فرويد» إجراء قائم بذاته مستقل بنوعه (**suigeneris**) فى بابه وأساليبه ولا يمكن فهمه إلا عن طريق التسليم بفروض ونظريات عملية جديدة.

{٥} أن التحليل النفسى يقوم على إيجاد نوعاً من العلاقة أو التأثير بين المحلل

---

(١) انظر: مشكلة التحليل النفسى فى مصر - محمد فتحى بك . ص١٦١.
(٢) انظر: نفس المصدر. ص:١٦٣.

والمريض، لأن هذا له شأن فى نجاح عملية التحليل. ولكن هذا التأثير يختلف اختلافاً جوهرياً عن التأثير الناشىء من المنوم على النائم مغناطيسيًا . وتسمى هذه العلاقة بالنقل **The Trans ference**.

{٦} أن التحليل النفسى يقوم على دراسات ومعلومات لا يعرف عنها شىء خارج نطاق دائرة التحليل، ولا يعرف قدرها إلا فريق المشتغلين بها. وتعاليم التحليل النفسى قد يتعذر على الإنسان هضمها أو الاقتناع بها حتى لدى طلاب التحليل النفسى المبتدئين، إلا إذا كابد الإنسان عملية التحليل على شخصه بأن يضع نفسه على مائدة التحليل تحت يدى أستاذ مدرب محنك، وتعد هذه خطوة لازمة لكل من يرغب مزاولة التحليل النفسى. ويسمى التحليل فى هذه الحالة تحليلاً تعليمياً أو دراسياً [١].

{٧} من أخص مبادىء التحليل النفسى وتقاليده المتبعة أن عملية التحليل لا يجوز أن يحضرها شخص ثالث غير المحلل والمريض مهما كانت صفة الشخص المذكور حتى ولو كان محللاً آخر أو طبيباً. ولذا يحذر على المحلل أن يتصدى للمس جسم المريض ولو بحجة الكشف عليه طبياً إن كان المحلل طبيباً، لأن ذلك من شأنه أن يحول العاطفة الروحية التى بين المحلل وطبيبه إلي عاطفة جسمانية أو شهوانية مما يفسد عملية التحليل ويقضى عليها، بل على المحلل فى هذه الحالة أن يعهد بهذه المهمة إلى طبيب آخر يقوم بها نيابة عنه [٢].

{٨} أن التحليل النفسى يقوم على دراسات عميقة تتناول تاريخ حياة المريض بأسرها منذ الطفولة الأولى.

{٩} أن التحليل النفسى يقوم على تفريغ الطاقة الانفعالية المكبوتة.

{١٠} من مبادىء التحليل النفسى كما كتب «إرنست جونز» وهو من المحللين النفسيين فى عام ١٩٥٩م:

« أن الإنسان أولاً وقبل كل شىء مخلوق اجتماعى، يتكون فى مجموعه ابتداء من ردود فعل تنشأ بينه وبين أعضاء آخرين فى المجتمع ولا يمكن تطور فرد مكون على نحو مختلف عن ذلك».

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص١٦٢.
(٢) انظر: المرجع السابق. ص: ١٦٣، ١٦٤.

كما أن وعيه الاجتماعى يظهر فى علاقاته ومسئولياته حيال الآخرين. هذا الوعى لا يتدخل إلا فى نطاق ضيق خلال الحياة - كما يقول «روبن أسبورن» - إذ أخذ فى الاعتبار التأثير الذى تمارسه علينا المواقف الخيالية من أى معنى **positionsabsurdes** التى تأتينا من الطفولة. ونتيجة لهذا، فإنه من الضرورى، قبل البدء فى التفكير الاجتماعى والسياسى، ألا نهمل واقعة أن الكثير من الأوجه الهامة لعلم النفس الإنسانى توضح أن الرجال والنساء لم ينجحوا فى التخلص من العادات وأنماط التفكير التى ترجع إلى فترة الطفولة [1].

هذه هى أهم مبادئ التحليل النفسى. فما هى أغراضه؟

●●●●●

(١) انظر: الماركسية والتحليل النفسى. د/روبن أوسبورن. ترجمة: د/سعاد الشرقاوى. ص:٢٦

## ٦ـ أغراض التحليل النفسى

يمكن القول أن التحليل النفسى يرمى إلى أغراض أو أهداف عند أنصاره أهمها ما يلى:

[١] علاج طائفة من الظواهر النفسية الشاذة المعروفة باسم الظواهر الهستيرية.

[٢] من أعظم النتائج التى تمخضت عن التحليل النفسى فى وقتنا الحاضر كما يقول «فرنزى» في تقديمه لكتاب «فرويد» «مشكلة التحليل» وعلاج الإجرام عن طريق التحليل النفسى» (١).

[٣] تهذيب النفوس وشفائها مما تعانيه من سقم وما تطرق إليها من شذوذ أو نشوذ. وهذه بالذات هى أخص أغراض التحليل النفسى ومراميه .

[٤] من أهم أغراض التحليل النفسى التغلب على قوة المقاومة (الكبت) حتى يتسنى للمحلل الولوج إلى العقل الباطن وكشف ما فيه من عقد ومركبات نفسية مكبوتة، (٢). لأن الأمور المكبوتة تكون مفصولة عن النفس الشعورية. والغاية من التحليل هو تحويلها إلي الحالة الشعورية بحيث تتكامل مع الذات الشعورية، وتندمج فيها، وتصبح تحت سيطرتها (٣).

فالتحليل النفسى غرضه الوصول إلي مكونات العقل الباطن، وإخراجها إلى العقل اليقظ أو الظاهر، ليخف ضغطها على النفس، ويتخلص المريض من أمراضه العقلية (٤).

[٥] يرى «فرويد» أن من أغراض التحليل النفسى: أن نحصل على أكمل معرفة ممكنة بكل المنظمات الثلاث التى يعتقد أن الشخصية النفسية تتألف منها وأن نتبين ما عليه علاقاتها مع بعضها البعض، ومع العالم الخارجى. ومعنى ذلك: فيما يتصل بالأنا، أن نتقصى مضموناتها، وحدودها، ووظائفها، وأن نتبين تلك التأثيرات، من

---

(١) انظر: مشكلة التحليل النفسى. فرويد. تقديم: فرنزى. ص: ١٥. نقلاً عن مشكلة التحليل النفسى في مصر ص: ١٦٧.

(٢) انظر: مشكلة التحليل النفسى فى مصر . محمد فتحى بك. ص: ـ ١٦٨ ، ١٠٣.

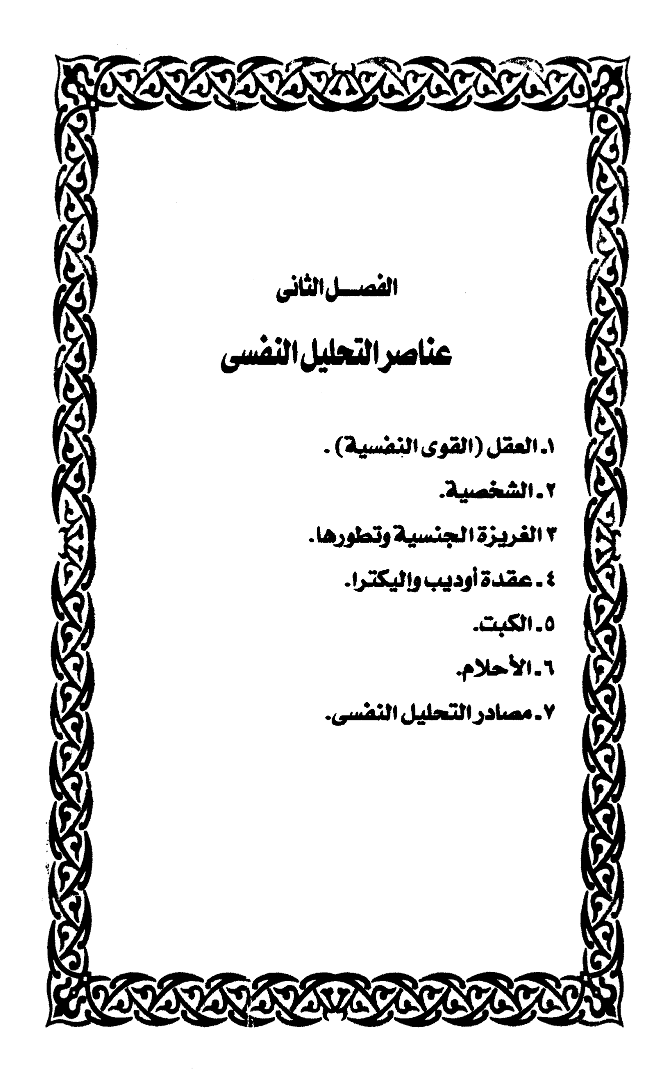
(٣) انظر: علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية . د/ عبد العزيز القوصى . ص: ٣٥٧.

(٤) انظر: فى علم النفس. د/ حامد عبد القادر وآخرون. جـ ١ . ص: ٢٥٤. مطبعة المعرفة بالقاهرة سنة ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م.

جانب العالم الخارجى والهو والأنا العليا، التى اضطلعت بتشكيل الأنا؛ وفيما يتصل بالهو، أن نقدم وصفاً للغرائز أى مضمونات الهو، وأن نتتبعها فى تحوراتها التى تطرأ عليها [1].

●●●●●

(1) انظـر: الأنا وميكانيزمات الدماغ. تأليف: أنا فرويد. ترجمة: صلاح مخيمر. تقديم: مصطفى زيور. ص:٨، ٩ .مكتبة الأنجلو المصرية.



الفصــل الثانى

# عناصر التحليل النفسى

١. العقل (القوى النفسية) .

٢ ـ الشخصية.

٣ الغريزة الجنسية وتطورها.

٤ ـ عقدة أوديب واليكترا.

٥ ـ الكبت.

٦ ـ الأحلام.

٧ ـ مصادر التحليل النفسى.

## ١ - العقل (القوى النفسية)

### مقدمـــة:

يقول «فرويد»: إن تقسيم الحياة النفسية إلى ما هو شعورى وما هو لا شعورى هو الفرض الأساسى الذى يقوم عليه التحليل النفسى. وهذا التقسيم وحده هو الذى يجعل من الممكن للتحليل النفسى أن يفهم العمليات المرضية في الحياة العقلية - وأن يجد لها مكاناً فى إطار العلم. وهذا يعنى كما يقول هو - إن التحليل النفسى لايمكنه أن يقبل الرأى الذى يذهب إلى أن الشعور هو أساس الحياة النفسية، وإنما هو مضطر إلى اعتبار الشعور كخاصية واحدة للحياة النفسية، وقد توجد هذه الخاصية مع الخصائص الأخرى للحياة النفسية أو قد لا توجد [١].

ويقول: أن لفظ «شعورى»، هو لفظ وصفى بحت يعتمد على الإدراك الحسى المباشر، ويرى أن العنصر النفسى - مثل الفكرة - لا يكون شعورياً دائماً. بل تمتاز حالة الشعور، على العكس، بأنها تستمر فترة قصيرة جداً. فالفكرة التي تكون شعورية الآن لا تظل شعورية فى اللحظة التالية مع أنها تستطيع أن تصبح شعورية مرة ثانية تحت شروط معينة من السهل توفرها. والفكرة الواقعة بين هاتين الحالتين فكرة «كامنة». ويعنى بذلك أنها «تستطيع أن تصبح شعورية» فى أى وقت. وإذا قلنا إنها كانت «لاشعورية» فإن وصفنا يكون أيضاً صحيحاً، لأنها تعادل قولنا «كامن ويستطيع أن يصبح شعورياً» [٢].

ثم يقول «فرويد»: إننا نستمد، إذن، مفهومنا عن اللاشعور من نظرية الكبت. ونعتبر المكبوت كنموذج للاشعور. ونحن نرى مع ذلك أنه يوجد نوعان من اللاشعور: اللاشعور الذى يكون كامناً ولكنه يستطيع أن يصبح شعورياً، واللاشعور المكبوت الذى لا يستطيع بذاته وبدون كثير من العناء أن يصبح شعورياً. وهذا القدر من الاستبصار فى الديناميات النفسية لابد أن يترك أثراً فى مصطلحاتنا وفى وصفنا. فما

---

(١) انظر: الأنا والهو. سيجموند فرويد. ص:٢٥، ٢٦ .

(٢) انظر: نفس المصدر ص:٢٦.

هو كامن ولا شعورى بالمعنى الوصفى - هو الشىء الكامن الذى يستطيع أن يظهر بسهولة فى الشعور إذا توافرت شروط معينة - نسميه «ما قبل الشعور». أما لفظ اللاشعور فإنا نبقيه للمكبوت اللاشعورى الذى يجد مقاومة تمنعه من الظهور فى الشعور. فعندنا الآن، إذن، ثلاثة ألفاظ:

الشعور، وما قبل الشعور، واللاشعور (١).

وبناء علي ما تقدم يمكن القول: أن« فرويد» يصف العمليات والنزعات العقلية بكلمتى «الشعورى» و «اللاشعورى»، واللاشعورى عنده قسمان: ما قبل الشعور واللاشعور.

وبذلك لايكون العقل عند «فرويد» مقسمًا إلى مناطق بعضها شعورى وبعضها لا شعورى، كما ذهب البعض إلى ذلك. وإنما عناصر الحياة العقلية عند (فرويد) يمكن تقسيمها على وجه العموم إلى ما يلى:

{١} الشعور.

{٢} ما قبل الشعور.

{٣} اللاشعور (٢).

وسوف أتحدث عن كل قسم من هذه الأقسام كما يلى:

**{١} الشعور:**

**يقول د/ «روبن أسبورن»: أن الشعور كلمة من الصعب إن لم يكن من المستحيل تعريفها. إذ عندما نحاول تعريفها نلجأ إلى مصطلحات مثل «إحساس» وهذه تحتاج بدورها إلى تعريف. ويبدو أنه يجب علينا أن نقبل فكرة أننا نعرف ما هو« الشعور» حتى إذا كان من الصعب شرح ماهيته.**

**وتلتقى هذه الفكرة مع فكرة «فرويد» الذى كتب بهذا الصدد يقول: «لا حاجة بنا لمناقشة ما نريد أن نقوله عندما نتحدث عن «الشعور» إذ يتعلق الأمر بفكرة واضحة جلية» (٣).**

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص:٢٨.

(٢) انظر: معالم التحليل النفسانى. سيجموند فرويد. ص:٧٨، ٧٩.

(٣) انظر: الماركسية والتحليل النفسى. د/ أوسبورن . ص:١٥.

ثم يقول: «فهو قسم من العمليات النفسية التى نشعر بها وندركها. ومن المشاهد أن العمليات النفسية الشعورية لا تكون سلسلة متصلة، بل يوجد فيها دائماً كثير من الثغرات والفجوات.

وقد رأى «فرويد» أنه من الممكن تفسير هذه الثغرات فى سلسلة العمليات النفسية الشعورية بالرجوع إلى العمليات النفسية التى تجرى فى القسمين الآخرين من العقل وهما «ما قبل الشعور» و«اللاشعور» [1].

هذا الشعور يمثل الحالات العقلية التي يتكون منها شعورى فى اللحظة الراهنة والأشياء الموجودة في عقل الإنسان عندما يفكر فى موقف بالذات وفى وقت معين وما يتوارد إلى ذهنه فى هذا الوقت وهذا الموقف من صور الأفكار [2].

وواضح أنها محدودة وضئيلة جداً بالنسبة للحالات التى تنتمى لحياتى العقلية والتى لا توجد فى شعورى فى هذه اللحظة. فإذا كنت أفكر الآن فى حل مسألة رياضية، فالذى أشعر به فى اللحظة هو إدراك المسألة، وإدراك العلاقات بين عناصرها، ومحاولة استخدامها فى الوصول إلى المطلوب من المسألة. ولكن العمليات العقلية الشعورية الحالية تتأثر بكثير من الخبرات الماضية فى النواحى الرياضية وغيرها مما يعيننى فى حل المسألة بدون أن أشعر به شعوراً صريحاً واضحاً. ومن أمثلة ذلك ما تقوم به عند إيجاد حاصل ضرب (٩X٩) فإنك لا تجمع التسعة تسع مرات كما كنت تفعل في الصغر، وإنما تصل إلى الجواب دفعة واحدة متأثراً بخبرة الجمع التي قمت بها فى الصغر بدون أن تكون شاعراً بهذا التأثير. كذلك إذا سئلت عن الجذر الرابع للعدد «٦٢٥»، فإنك تجيب على الفور بأنه «٥» متأثراً فى ذلك بخبرات الماضى بدون أن تشعر بعمليات عقلية سابقة يمكن استرجاعها بسهولة [3].

ولذا فإن نظرية التحليل النفسى ترى أن العمليات الشعورية تمثل نطاقاً ضيقاً خافتاً في الحياة النفسية، ليس جديراً بدراسة جادة لوقتيته من جانب ولعدم واقعيته من جانب آخر. لأنه رجع وليس أصلاً للظواهر فهو لايقبل أكثر من موضوع واحد يعالجه. لأنه إما أن ينشغل بالغريزة ذاتها أو بالعالم المادى الخارجى، وأما أن ينشغل

---

(١) انظر: الأنا والهو. تأليف: سيجمند فرويد. ص:١٤.

(٢) انظر: الإسلام والأمراض النفسية. د/ منى المضواحى. ص:٩٨.

(٣) انظر: علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية. د/ عبد العزيز القوصى. ص:٣٠٨.

بالوسيط الموفق بين المتناقضين وهو اللغة. وعلى هذا فإن الشعور في البداية الأولى للحياة لابد وأن ينشغل بالغريزة بدرجة أكبر حيث لا تكون الحواس على قدر كاف من النضج والتآزر الفسيولوجى الذى يسمح بانشغال حقيقى بالعالم، كما أن اللغة لاتكون قد شرعت فى التوفيق المتطلب منها فى المراحل التالية (١).

وإذًا فإن النشاط الشعورى ينشغل بالغريزة وحدها (الجسد) لامتناع العالم المادى عن التأثير فيه. وهو يمثل المضامين الفكرية التى تعبر الغريزة بوساطتها عن نفسها فى العالم المادى. وتقوم اللغة بدور خطير فى هذا الأمر: إذ إن الكلمة هى حامل لموضوعية العالم ولدفعة النشاط البدنى ذاته وهما فى حالة عدم استقرار، وحركة لولبية صاعدة مستمرة، تسعى إلي تحقيق أكبر قدر من التبدى للغريزة فى العالم. لذلك كانت الكلمة دائماً ذات شحنة غريزية، وكانت اللغة ذات قيمة ذاتية تتفاوت بتفاوت دلالتها على العالم المادى وعالم الشخص (٢).

- فالشعور عند «فرويد» هو أحد أقسام العقل الذى ينمو ويتطور ليخدم علاقات الفرد مع العالم الخارجى (الواقع الموضوعى)، ويمثل الجهد الإنسانى المبذول لتحقيق حاجات الإنسان (٣).

**[٢] ما قبل الشعور**

ما قبل الشعور عند «فرويد» هو عبارة عن الفكرة التى كانت ظاهرة في الشعور لفترة قصيرة واختفت. وهى تستطيع الظهور مرة أخرى فى الشعور بسهولة إذا توفرت شروط معينة. وهو يقع فى مكان متوسط بين الشعور واللاشعور (٤).

فهو يمثل الحالات العقلية اللاشعورية التى يسهل استرجاعها وتذكرها بسهولة عن طريق الخبرات السابقة والذكريات والمعلومات والعواطف... ،إلخ مثل إذا سألناك الآن عن اسم عاصمة جمهورية مصر العربية وعن موقفها فى القضية الفلسطينية، فإنك قد تجيب إجابة صحيحة بمعلومات كانت لا شعورية قبل أن تستمع إلى السؤال، ثم أصبحت شعورية للإجابة عليه، ويقال عندئذ: إن هذه المعلومات كانت في حالة

---

(١) انظر: التحليل النفسى بين العلم والفلسفة. د/أحمد فائق. ص:٣٢، ٣٥.

(٢) انظر: نفس المصدر. ص:٣٤.

(٣) انظر: الإنسان.. من هو ؟.قاسم حسين صالح .ص:٦٣، ٦٤ - دار الشئون الثقافية العامة - بغداد .١٩٨٦.

(٤) انظر: الأنا والهو. سيجموند فرويد. د/محمد عثمان نجاتى. ص١٤.

لاشعورية يسهل استرجاعها [١].

ومثل المعلومات التى يحفظها التلميذ أثناء دراسته والتى تظل مختزنة فى هذه المنطقة ويمكنه أن يستعيدها فى أى وقت [٢]. وكما إذا طلب منى أخى رقم تليفون أتوقف وأتذكره دون جهد كبير. ويصبح هذا الرقم شعورياً. وبنفس المعنى يمكن التحدث عن تحول المعرفة الذهنية اللاشعورية إلى معرفة ذهنية شعورية، أى أن ما قبل الشعور أصبح شعوريا [٣].

[٣] اللاشعور

اللاشعور: هو عبارة عن الحالات العقلية اللاشعورية التى لا يمكن استرجاعها إلا بطرق فنية خاصة، وهي طرق التحليل النفسى. ولقد اكتشف «فرويد» هذا اللاشعور عندما كان يحاول أن يحيى ذكريات الطفولة، فوجد نظاماً مانعاً رادعاً يجهض كل المحاولات الهادفة إلى تحويل العناصر اللاشعورية إلى عناصر شعورية. وقد كتب «فرويد» فى هذا قوله:

«إن نظرية التحليل النفسى تستند فى الواقع على الإحساس بمقاومة المريض عندما نحاول جعله شاعراً بما يكمن فى لا شعوره. ويشهد على صحة هذه المقاومة وحقيقتها كون معاونة المريض للطبيب تتوقف أو تبتعد كثيراً عن موضوع النقاش» وعلى ذلك فإن جزءاً كبيراً من ذكريات الطفولة التى نقول عنها «إنها دخلت فى عداد النسيان، تكون فى تصور «فرويد» قد كبتت» [٤].

ثم يقول «فرويد»: «إن كل ما هو مكبوت لا شعورى. ولكن ليس كل ما هو لاشعورى مكبوتًا. فإن جزءاً من الآن أيضاً - والله وحده يعلم مقدار أهمية هذا الجزء - قد يكون لا شعورياً، بل هو لا شعورى من غير شك. وليس هذا اللاشعور المتعلق بالأنا كامنًا مثل ما قبل الشعور، لأنه لو كان كذلك لما استطاع أن ينشط بدون أن يصبح شعورياً، ولتمت عملية جعله شعورياً بدون أن تلاقى مثل هذه المشقة العظيمة» [٥].

فما يقصده «فرويد» باللاشعور هو عمليات نفسية كانت أصلاً تشكل مضمون

---

(١) انظر: علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية . د/ عبد العزيز القوصى. ص٣٠٩.
(٢) انظر: الإسلام والأمراض النفسية. د/ منى الضواحى. ص٩٨.
(٣) انظر: الماركسية والتحليل النفسى . د/ روبن أوسبورن . ص١١٧.
(٤) نفس المصدر. ص: ١٧، ١٨.
(٥) الأنا والهو. سيجموند فرويد. د/ محمد عثمان. ص٣٢.

الشعور، ثم طرأ عليها ما جعلها «لا شعورية» في لحظة تالية، وإن كانت قابلة للعودة إلى الشعور مرة أخرى. وموقفه من الأمر يتركز حول نقطة غفلت عنها سيكولوجيات الشعور، وهى أن ما يجعل تلك العمليات تتحول إلى «لاشعور»، هو عدم صلاحيتها لشغل الشعور وتهديدها للإنسان بتحطيم علاقته بالواقع المادى والعالم الخارجى. لذلك يقوم الإنسان بكبتها وتعطيلها من خلال الجهاز الإدراكى، الذى يبين له مدى مطابقتها وفاعليتها فى نشاط العالم [1].

هذا اللاشعور عند « فرويد» هو الذى يحوى الدوافع الغريزية البدائية الجنسية والعدوانية التى غالباً ما تكبت فى مجتمعاتنا المتحضرة تحت تأثير المعايير الخلقية والدينية والاجتماعية التى ينشأ فيها الفرد. وتنزع الدوافع والرغبات المكبوتة فى اللاشعور إلي الإشباع وإلى الظهور فى الشعور، وهى كثيراً ما تلجأ فى سبيل ذلك إلى طرق شاذة ملتوية كما يشاهد مثلاً فى الأمراض العصابية [2].

فاللاشعور عند «فرويد» هو مخزن أو مستودع لجميع الدوافع الأساسية التى يفضل «فرويد» تسميتها بالغرائز وهو يمثل المنطقة التي تنتقل إليها رغبات الإنسان المكبوتة وذكرياته المؤلمة ونزعاته الجنسية والعدوانية التي لم تجد سبيلاً إلى التحقيق والإشباع [3].

مثل الذكريات المؤلمة المنسية التى قد تؤثر فينا دون أن ندركها، فتؤثر فى اتجاهات تفكيرنا، وفى سلوكنا، وفى أحلامنا وما إلى ذلك. ويدخل تحتها كذلك النزعات النفسية القوية التى لا تجد سبيلاً إلى التحقيق، فتستبعد بطريقة ما، وتصبح فى حالة لا شعورية. ولكى نفهم هذا نذكر ما يحدث عندما يضرب الوالد ابنه المراهق. يشعر الولد عادة بأنه عادة قد كبر، وأنه ليس من حق والده أن يضربه هكذا. ولكنه كثيراً ما يقنع نفسه بأنه يحب والده، وبأن والده يحبه، وبأن ما وقع عليه من الضرب كان أمراً مقبولاً للنفس. بهذا استبعد الولد كراهيته لأبيه، ورغبته فى الانتقام منه بدون أن يشعر بأنه فعل هذا. فيعلن أمام نفسه وأمام الناس بأنه يحب والده ويحترمه، ولكنه قد يحدث شغباً يزعج والده وهو نائم، وتجده يحدث هذا الشغب بالرغم من إرادته، وتجده يعتذر عنه، ولكنه يتكرر صدوره منه. وقد يحلم بالليل أن والده قد قضى نحبه، وينزعج عادة لهذا الحلم الذى يقوم فيه بتحقيق رغبة لاشعورية، وهى الانتقام

(١) انظر: التحليل النفسى بين العلم والفلسفة. د/أحمد فائق. ص٣١.
(٢) انظر: الأنا والهو. سيجموند فرويد. ترجمة: د/محمد عثمان نجاتى. ص١٥.
(٣) انظر: الإسلام والأمراض النفسية. د/منى المضواحى. ص٩٨.

منه. وقد لا يكون الحلم صريحاً إلى هذا الحد، فيرى مثلاً فى الحلم أن ملكًا قد مات، أو أن أسدًا قد قتل، ويكون كل من الملك والأسد فى هذه الحالة رمزاً للوالد وما يكمن فيه من سلطان وقوة.

والذى يحفظ الحالات العقلية اللاشعورية فى هذه الصورة اللاشعورية ويمنعها من غزو «الشعور» هو ما يسمى عند «فرويد» بالكبت [1]. وهو يقع تحت رقابة خاصة مستمدة من الذات الشعورية سماها الرقيب (Thecensor) ومن شأن القوة الكابتة أن تصد الذكريات المكبوتة دائماً إلى جوف اللاشعور إذا ما حاولت الصعود إلى منطقة الشعور. وقوة الكبت هذه هى أشبه شيء بحاجز يفصل ما بين الشعور واللاشعور[2].

فاللاشعور هو عبارة عن الحالات العقلية التى لا يمكن استرجاعها إلا بطرق التحليل النفسى، وهو يحتوى على الذكريات المؤلمة، وعلى النزعات التى لا تنسجم مع تقاليد الحياة وآدابها المعترف بها [3] . ومضمون هذا اللاشعور هو النشاط الغريزى ظنه «فرويد» أولاً «الجنس»، ثم عدله إلى غريزتى الحياة والموت [4].

●●●●●

## الفرق بين اللاشعور وما قبل اللاشعور

يوجد فارق بين اللاشعور وما قبل الشعور، وهذا الفارق يتمثل فيما يلى:

{١} أن اللاشعور ينشأ عن مادة تظل غير معروفة. بينما ما قبل الشعور ينشأ عن مادة غير معروفة، لكنه مع ذلك مرتبطاً ببعض الصور اللفظية.

{٢} أن الفكرة الموجودة فى اللاشعور بعيدة عن الشعور، وهى لا تصبح شعورية إلا بعد مجهود شاق. بينما الفكرة الموجودة فيما قبل الشعور تكون قريبة من الشعور، ويمكنها أن تصبح شعورية بسهولة.

وهذا الفارق الثانى بينهما هو من حيث علاقتهما بالشعور [5].

●●●●●

---

(١) انظر: علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية. د/ عبد العزيز القوصى. ص٣٠٩.

(٢) انظر: مشكلة التحليل النفسى فى مصر .محمد فتحى بك. ص١٠٢.

(٣) انظر: أسس الصحة النفسية. د/ عبد العزيز القوص. ص١٧ مكتبة النهضة المصرية. الطبعة التاسعة ـ ١٩٨١م. .

(٤) انظر: التحليل النفسى بين العلم والفلسفة . د/ أحمد فائق. ص١٨٢.

(٥) انظر: الأنا وا لهو. سيجموند فرويد. ترجمة: د/ محمد عثمان نجاتى. ص٣٥.

يقول «فرويد» بصدد علاقة الشعور باللاشعور ما يلى: «من المؤكد أننا نخطىء إذا تصورنا أن اللاشعور يبقى ساكنًا على حين يكون نشاط العقل فى كله مقصوراً على ماقبل الشعور (الشعور قبل تحوله إلي فعل ونشاط). وأن اللاشعور شيء قد انتهى أمره، ومخلف لعضو انقراض، وبقايا عملية تطور، وخطأ أن نفترض اقتصار علاقة النظامين على فعل الكبت وإلقاء كل ما يعكر صفو القبشعور فى جب اللاشعور. على النقيض أن اللاشعور حى وقادر على النماء ويحتفظ بأكثر من صلة بالقبشعور، أهمها تعاونهما. ولإجمال الأمر، يجب أن نقول إن اللاشعور يستمر فيها يسمى باشتقاقاته، وأنه عرضة لتأثير الحياة عليه، ويؤثر فى القبشعور تأثيراً دائماً، بل أنه من جانبه، قابل للتأثر بالنظام الآخر (القبشعور) »[1] وهذا يعنى أن «فرويد» لايرى انفصال بين الشعور واللاشعور .

كما أن عبارة «فرويد» السابقة واضحة الحدود فيما يلى:

(أ) يقول بأن اللاشعور دائم التأثير والتأثر بالشعور، وبالتالى بالعالم الخارجى.

(ب) إن اللاشعور ليس موتًا لجانب من النفس بل هو جزء حى له تأثيره .

(جـ) إن اللاشعور له أكثر من صلة بالشعور من بينها التعاون.

هذه الحدود تدل على أن طريق «فرويد» إلى البحث عن اللاشعور هو معالجة الخبرة الشعورية ذاتها. إنه يعترف بأن الشعور هو المدخل الطبيعى للاشعور، والمدخل الوحيد إلى الحياة النفسية. [2] فاللاشعور له صفة شعورية فى ذاته لأن «الإنسان» ينشغل هو نفسه بنفسه شعوريًا كما ينشغل بالعالم. لذا لم يكن للشعور عند «فرويد» دوام فى ذاته بل بوصفه مجالاً لتفاعل اللاشعور مع الواقع، تفاعل الجسد مع اللاجسد، تفاعل الوجه البدنى من النشاط مع الموضوع المادى للنشاط [3].

والعلاقة القائمة بين الشعور واللاشعور هى علاقة الموضوع بنقيضه، لأن مايقصده «فرويد» باللاشعور هو عمليات نفسية كانت أصلاً تشكل مضمون الشعور

---

(١)التحليل النفسى بين العلم والفلسفة.د/أحمد فائق. ص٣٩.
(٢) انظر: نفس المصدر . ص٤٠.
(٣) انظر: نفس المصدر . ص٣٥.

ثم طرأ عليها ما جعلها «لا شعورية» فى لحظة تالية، وإن كانت قابلة للعودة إلى الشعور مرة أخرى. وموقفه من الأمر يتركز حول نقطة غفلت عنها سيكولوجيات الشعور، وهى أن يجعل تلك العمليات تتحول إلى «لاشعور»، هو عدم صلاحيتها لشغل الشعور وتهديدها للإنسان بتحطيم علاقته بالواقع المادى والعالم الخارجى لذلك يقوم الإنسان بكبتها وتعطيلها من خلال الجهاز الإدراكى، الذى يبين له مدى مطابقتها وفاعليتها فى النشاط الموجود فى العالم. ويقوم النظام الشعورى في هذه الحالة على تلك النقاط التى تنتهى عندها إمكانيات النظام اللاشعورى وتفرعا منه، وتصبح ظواهر الشعور جميعاً ـ فى خالص صورها ـ بناء، أساسه ظواهر اللاشعور. والعلاقة القائمة بينهما هى علاقة الموضوع بنقيضه [1].

كما أن قيام عملية الكبت بخلق الشعور من اللاشعور، يدل على الارتباط بينهما.

**خلاصة:**

اعتبر «فرويد» العقل كالبناء مكون من ثلاثة طوابق. يعيش فى الطابق العلوى أعضاء جديرون بالاحترام من عائلة الشعور، وفى الدور الأسفل تعيش عائلة ما قبل الشعور، أناس هادئون مسموح لهم بزيارة جيرانهم القاطنين فى الدور الأعلى صحيح أن هناك جنديًا من «البوليس» يقف على السلالم المؤدية إلى الدور الأعلى ولكنه رجل طيب، من النادر أن يمنع الزيارات. وعلى العكس يشكل سكان الطابق الأسفل «البدروم» مجموعة غير مهذبة ومشاغبة تسعى جاهدة إلى تخطى عسكرى المرور المتعب الذى يقف بينها وبين عائلة ما قبل الشعور.

ويقتنص أحد أعضاء عائلة اللاشعور فرصة نوم عسكرى «البوليس» ويلج إلى الطابق الأعلى متخفيًا فى صورة غير هجومية ومسالمة. ويصور لنا عساكر المرور بطريقة طريفة القوى الرادعة أو الزاجرة [2].

وإذا كان الشعور عند «فرويد» له طابعه الغريزى، واللاشعور هو مضمون الشعور لأن لب اللاشعور هو الغريزة كما سبق. فإن هذا يعنى أن العقل (الجهاز النفسى) المكون من الشعور واللاشعور يقوم على الغريزة. وبالتالى فإن «نظرية التحليل النفسى» تقوم على هذه الغريزة. فهى نظرية غرائزية.

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص٣١.
(٢) انظر: الماركسية والتحليل النفسى. د/ روبن أوسبورن. ترجمة: د/ سعاد الشرقاوى. ص١٨.

## لا معقولية العقل:

إن التحليل النفسى عند «فرويد» يرى أن عقلنا خاضع تماماً لسيطرة الأهداف العاطفية الهوائية؛ وهدفها الوحيد هو العثور على مخارج فى العالم الخارجى لحاجاتنا العاطفية، مخارج فى منأى عن تسبيب صراعات مع الأفكار المقبولة فى المجتمع بصفة عامة. وطبقاً لهذا التفسير لا يمر نمو العقل والشعور بمرحلة يحدث خلا لها تعديل فى طبيعتها. فالشعور ليس إلا امتداداً لجوهر اللاشعور دائب البحث عن التعبير عن الميول اللاشعورية عن طريق استعمال الإمكانيات المسموح بها.

ونظراً لأن الإنسان أقل معقولية بكثير مما يتصور، لأنه يميل إلى استخدام ملكاته الشعورية لتحقيق أهداف بعيدة عن أن توصف بكونها معقولة «بدليل التذكير بالمناسبات العديدة التى استخدم فيها العلم للتحطيم والقتل للتحقيق من أن العقل أسير اللامعقول.

لكن البعض من مثل د/ «روبن أوسبورن» يرى أن التحليل النفسى يذهب إلى أن عبودية العقل للامعقول ليست مطلقة. ويستدل على ذلك بأن العبد الذى لا يعرف أنه عبد والذى يقبل مصيره كما لو كان شيئاً طبيعياً سيظل عبداً إلى الأبد. إن الشرط الأول للانتفاضة والثورة على أى شكل من أشكال العبودية هو الاعتراف بوجود العبودية. ويصدق هذا أيضًا على خضوع عقلنا لأهداف لا معقولة أو خضوع الأنا لـ«لأنا الأدنى» . عندما يفهم الإنسان، وهو ما بدأ يفعله، إنه يستخدم عقله لتحقيق أهداف لا معقولة، يكون قد خطا الخطوة الأولى لإنهاء هذا الخضوع [1].

●●●●●

(١) انظر: المرجع السابق . ص٢٤، ٢٥.

## ٢ـ الشخصية

لقد فسر «سيجموند فرويد» الشخصية فى ضوء تكوين عقلى معين أو جهاز معين للشخصية يتضمن ثلاث جوانب: الهو، الأنا، الأنا الأعلى، وما يجرى بينهما من علاقات متبادلة تقوم على الصراع أو التوافق بينها، وتؤكد نظرية فرويد فى التحليل النفسى على أثر الخبرات المبكرة فى الطفولة علي تكوين الشخصية ـ وتكشف عن دور الخبرات اللاشعورية فى توجيه الشخصية [١].

بهذا نجد أن مدرسة التحليل النفسى تتناول الشخصية من زاوية الجانب الداخلى فتعتبر الشخصية عبارة عن تنظيم دينامى داخلى لعوامل نفسية وفسيولوجية تحقق تكيف الفرد لبيئته. وبهذا يذهب أصحاب هذه النظرية إلى أن الشخصية نتاج لتفاعل أو تعارض أو صراع بين عوامل غريزية من ناحية، وعوامل اجتماعية من ناحية أخرى. وهم يؤمنون بوجود طاقة غريزية جنسية موروثة عند الفرد، تدخل فى صراع محتوم مع المجتمع الذى يعيش فيه ـ ذلك أن علاقة الفرد ببيئته علاقة ديناميكية بمعنى أن الآثار التى تلحق به فى أثناء تفاعله مع المجتمع الخارجى تؤثر فى شكل سلوكه مستقبلاً. وتعتمد هذه النظرية على تلك الحقيقة إلي حد كبير في تفسيرها للشخصية، لتبين أن الشخصية هى محصلة للخبرات العديدة التى مر بها الفرد فى حياته المبكرة. ولقد كان «فرويد» هو أول من صور تفاعل العوامل الاجتماعية فى تكوين الشخصية ونموها وفى عملية التطبيع الاجتماعى ـ كما بين أن الشخصية ميدان لصراع موصول بين عدد من القوى الشعورية واللاشعورية، وهو صراع قد ينتهى بتكوين الشخصية المتكاملة المتزنة، أو تكون نتيجته اضطراب الشخصية. وفى الواقع أن نظرية التحليل النفسى قد وجهت الأنظار إلى نقطة فى غاية الأهمية لدراسة الشخصية الإنسانية، وهى أن الخبرات الانفعالية فى الطفولة المبكرة تترك أثرًا باقيًا فى التكوين الشخصى، الأمر الذى يجعلنا نقرر أن بذور الشخصية وتحديد معالمها توضع فى فترة الخمس السنوات الأولى من حياة الفرد ففى، هذه الفترة يتكون أسلوب الفرد فى الحياة ويتحدد موقفه من المجتمع ومن نفسه. وتتحدد نظرته العامة إلى الأمور وكذلك سمات الشخصية الأساسية [٢].

---

(١) انظر: أسس علم النفس العام . د/ طلعت منصور وآخرون. ص٣٣٤. مكتبة الأنجلو المصرية: ١٩٧٨م .
(٢) الشخصية فى سوائها وانحرافها. د/ مصطفى فهمى ص٩، ١٠. مكتب مصر. ١٩٦٦م .

لقد اتضح لـ «فرويد» أن آراء، السابقة فى الجهاز النفسى (العقل) غير دقيقة وأنها فى حاجة إلى تعديل. فانتهى إلى ضرورة تعديل آرائه السابقة فى تركيب الجهاز النفسى. وقد احتفظ فى هذا التعديل بالقول بوجود الكيفيات النفسية الثلاث التى سبق أن قال بها، وهى «الشعور» و «ما قبل الشعور» و«اللاشعور». ولكنه عدل نظريته[1] فقال بوجود تصورات جديدة تثير النشاط النفسى بطريقة أكثر دقة، فاستعمل تصورات: الأنا الأدنى (الهو) والأنا، والأنا الأعلى.. وهى عبارة عن مكونات الشخصية. وسوف أتحدث عن كل قسم من هذه الأقسام الثلاثه فيما يلى:

●●●●●

## [١] الأنا الأدنى (الهو)

يقول «فرويد»: لقد أطلقنا على أقدم قسم من أقسام هذا الجهاز النفسى اسم «الهو». وهو يحوى كل ما هو موروث، وما هو موجود منذ الولادة، وما هو ثابت فى تركيب البدن.

وهو لذلك يحوى، قبل كل شيء، الغرائز التى تنبعث من البدن والتى تجد أول تعبير عقلى لها فى «الهو» فى صور غير معروفة لنا[2]. فـ «الهو» يحتوى على دوافعْ فطرية عديدة تسمى بالغرائز فى معظم كتابات «فرويد»، مثل الجوع والعطش ويعطى اهتماماً خاصاً بالجنس والعدوان، حيث اعتبرهما على جانب كبير من الأهمية فى بناء الشخصية. ولقد برر أخذه بهما عن طريق دراساته التى أظهرت أن هذين الدافعين أكثر من أى دوافع أخرى لأنهما عرضة للإحباطات والصعوبات فى سبيل إشباعها وأن لهما بالتالى تأثير مختلف للفرد والمجتمع، وبالتالى يجب ضبطهما والتحكم فيها.

وتقوم وجهة نظر «فرويد» فى الهو على أن الطفل له عدة غرائز، أو دافع يحاول إشباعها فى الحال وبصورة مباشرة، فإذا كان جائعاً فإنه يعبر عن ذلك بالضيق ولا يعنيه ما إذا كان الوقت مناسباً عند أحد الأفراد لكى يدفع عنه هذا الضيق، وإذا

---

(١) انظر: الأنا والهو فرويد. ترجمة: د/ محمد عثمان نجاتى. ص:١٦.

(٢) انظر: معالم التحليل النفسانى. فرويد. ترجمة: د/ محمد عثمان نجاتى. ص:٤٦.

امتلأت مثانته فسوف يتبول مهما كان الأمر، وحتى وإن كان جالساً بين يدى أحد الكبار، وإن لم يفعل ذلك فإن ضيقه سيزداد، حيث أن كل ما يهمه هو راحته. مثل هذه الملاحظة أدت بـ «فرويد» إلى استنتاج رئيسى وهو أن سلوك الطفل موجه وفقًا لمبدأ اللذة، أى أنه يعمل على إزاحة التوتر غير المرغوب فيه لكى يحصل على راحته ولذته(١).

أما إذا لم يتيسر له إزاحة التوتر فإنه يشعر بالإحباط. والشعور بالإحباط ينشأ عنه عملية تعرف بـ «العملية الأولية»(٢) التى من شأنها أن تولد صورة عقلية من صور الذاكرة للشىء الذى يحتاج إليه لإنقاص التوتر(٣).

والعملية الأولية التى تحاول التخلص من التوتر تحدث شيئًا أسماه «فرويد» بالتسوية فى الإدراك أو بتوحيد الإدراك (Identity of perception). والتسوية أو التوحيد فى الإدراك الحسى عند «فرويد» يقصد بها أن «الهو» يعد الصورة العقلية المبنية على التذكر مساوية للمدرك الحسى ومطابقة له. ومعنى هذا أن تذكر الطعام مساو ومطابق لعملية تناول الطعام عند الهو. أى أن الهو يعجز عن أن يميز ويفرق بين الصورة المتذكرة وهى أمر ذاتى وبين الإدراك الحسى الموضوع للشىء الواقعى القائم فعلاً. والمثال المألوف الذى يوضح العملية الأولية أن المسافر العطشان تخيل رؤية الماء والعثور عليه. والمثال الآخر لهذه العملية هو تذكر الأحلام والرؤى عند النوم بالليل. فإن الحلم عبارة عن عدد متتابع من الصور العقلية هى بصرية فى أغلب الأحيان تكون وظيفتها التخفف من التوتر، وذلك بأن تبعث الحياة من جديد فى تلك الذكريات التى تخلفت عن الأحداث والأشياء الماضية والتى تكون مرتبطة بالإشباع والإمتاع على نحو من الأنحاء. ألسنا نجد النائم الجائع يحلم بالطعام وما إلى ذلك من الأمور المرتبطة بالأكل، على حين أن النائم المستثار جنسيًا يحلم بألوان النشاط الجنسى وما يتصل به فى الوقائع؟ والعملية التى تتكون بمقتضاها الصور العقلية للأشياء التى تنتقض من حدة التوتر تعرف بتحقيق الرغبات (wish fulfillment)(٤) ثم إن «فرويد» يعترف بأن «الهو» هو ذلك الجزء الغامض من الشخصية الذى لا سبيل

---

(١) انظر: أسس علم النفس العام. د/ طلعت منصور وآخرون. ص٣٣٨، ٣٣٩.
(٢) انظر: معالم التحليل النفسانى. فرويد. ص١٦١.
(٣) انظر: علم النفس عند فرويد. د/ كالفن س. هول. ترجمة: د/ أحمد عبد العزيز سلامة. ص٤٣.
(٤) انظر: نفس المصدر. ص٢٣.

إلى الوصول إليه، والذى لم نحصل عنه إلا قليل من العلم عن طريق دراسة الأحلام والأعراض العصابية. ومع ذلك فإننا نستطيع أن نتعرف على عمله إذا نحن شاهدنا شخصاً يتسم بالرعونة والاندفاع.

ومعنى هذا أن الشخص الذى يستجيب لنوازعه ونزواته فيقذف بالحجر من خلال النافذة الزجاجية، أو يعرقل بقدمه شخصاً آخر، أو يغتصب الفتيات إنما يكون واقع تحت سيطرة «الهو». وكذلك نقول إن الشخص الذى ينفق كثيراً من الوقت فى أحلام اليقظة وهو يبنى القصور فى الهواء إنما يسيطر عليه «الهو» ويستند به. ذلك أن «الهو» لا يفكر وإنما يشتهى أو يعمل على تحقيق ما يشتهى [1].

**خصائص الهو:**

يمكن إجمال خصائص «الهو» فيما يلى:

{١} أن «الهو» هو المصدر الأول للطاقة النفسية، وأنه مستودع الغرائز.

{٢} أن عمليات «الهو» ألصق بالبدن من العالم الخارجى [2].

{٣} أن «الهو» مُفتقر إلى التنظيم ولا يعرف اتخاذ الحيطة لضمان البقاء، ولايعرف القلق أيضاً، كما يقول «فرويد» [3].

{٤} أن طاقة «الهو» غير ثابتة ولا مستقرة بحيث إنه يمكن - فى يسر - أن يتم التخلص منها أو تحويلها من موضوع إلى آخر.

{٥} أن «الهو» لا يتغير بمرور الزمن، وأنه لا يتغير بفعل الخبرة أو التجربة، لأنه غير متصل بالعالم الخارجى. ومع ذلك فإنه يمكن السيطرة عليه وتنظيمه.

{٦} أن «الهو» لا تحكمه قوانين العقل أو المنطق، كما أنه ليس ذا قيم أو أخلاق أو معايير سلوك. وهو لا يدفعه إلا اعتبار واحد، هو تحصيل الإشباع للحاجات الغريزية وفقاً لمبدأ اللذة [4].

{٧} التخلص من التوتر عن طريق النشاط الحركى الاندفاعى، وتحقيق الرغبات.

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص٢٦

(٢) انظر: المرجع السابق. ص٢٤.

(٣) انظر: معالم التحليل النفسانى .سيجمند فرويد. ترجمة د/ محمد عثمان نجاتى . ص١٦١.

(٤) انظر: علم النفس عند فرويد. د/ كالفن س. هول ترجمة: د/ أحمد عبد العزيز سلامة. ص٢٤، ٢٥.

## [٢] الأنــا

نظراً لأن «الهو» يسيطر على الطفل الصغير، لذا نجده يصرخ لينبه على ما يريده. ولكنه يتعلم بالتدريج أن هناك حدوداً لإشباع رغباته. فوالداه لا يستجيبان دائماً له بسرعة لما يريد، وأحياناً يعاقب إذا ما أبدى رغبة ما. وتؤثر على الطفل التجربة المؤلمة والتى مؤداها: أن العالم لا يرضخ بسهولة لرغباته فتحدث تغيراً فى «الهو» الذى يغدو متنبهاً إلى حد ما للعالم الخارجى منبهاً له وشاعراً به. هذا التعديل الذى يطرأ على «الهو» والذى يكتسب بمقتضاه «الهو» حساسية بالعالم الخارجى سماه «فرويد» «الأنا» (Ego) [١].

يقول عنه «فرويد»: «القسم الآخر من العقل وهو القسم الذى يبدو أننا نعرفه معرفة جيدة، والذى ندرك فيه أنفسنا بسهولة، يعرف بـ «الأنا». فقد نشأ من الطبقة الخارجية المحيطة بـ «الهو» وهى طبقة مهيأة لاستقبال المنبهات وللتخلص منها، وهى لذلك على اتصال مباشر بالعالم الخارجى» [٢].

و«الأنا» عند الشخص هو الذى يتصف بحسن التوافق والتكيف، أى هو الذى يسيطر على كل من «الهو» و«الأنا العليا» ويتحكم فيهما، كما أنه هو الذى يدير حركة التفاعل مع العالم الخارجى تفاعلاً تراعى فيه مصلحة الشخصية بأسرها وما لها من حاجات [٣].

و«الأنا» لا يحكمها مبدأ اللذة، وإنما يتحكم فيها «مبدأ الواقع»، والواقع هو ماكان قائمًا بالفعل. كما أن الغرض من مبدأ الواقع هو تأجيل التخلص من الطاقة حتى يتم اكتشاف الموضوع الحقيقى الذى يشبع الحاجة أو يتيسر إيجاده. ومثال ذلك: أن الطفل عليه أن يتعلم ألا يضع كل مايصادفه فى فمه حين يكون جائعًا، وأن يتعلم كيف يتعرف على الطعام، وكيف يرجىء الأكل حتى يهتدى إلى شىء يصلح للأكل وإلا فإنه يعاين خبرات أليمة كريهة.

---

(١) انظر: الماركسية والتحليل النفسى. د/ روبن أوسبورن. ترجمة: د/ سعاد الشرقاوى. ص٢٠.
(٢) معالم التحليل النفسانى. سيجمند فرويد. ترجمة: د/ محمد عثمان نجاتى. ص١٦٣.
(٣) انظر: علم النفس عند فرويد كالفن س. هول. ترجمة: د/ أحمد عبد العزيز سلامة. ص٢٧.

وبرجاء التصرف أو السلوك أو الفعل، معناه أن على «الأنا» أن يتعلم كيف تطيق التوتر وتحمله، إلى أن يصبح من الممكن التخلص من التوتر بصورة مناسبة من صور السلوك.

وقيام «مبدأ الواقع» لا يعنى انقضاء مبدأ اللذة أو إغفاله. وإنما معناه: أن مبدأ اللذة يعلق ويعطل من أجل مبدأ الواقع. ثم إننا بعد حين نجد «مبدأ الواقع» يؤدى فى النهاية إلى اللذة، ولو أن المرء قد يضطر إلى تحمل بعض الأذى وهو بسبيل البحث عن الواقع.

* ومبدأ الواقع تخدمه عملية يسميها «فرويد» بالعملية الثانوية Process Secondary [1]. والتى هى عبارة عن اكتشاف الواقع والوصول إليه عن طريق خطة للعمل نماها التفكير أو التعقل (أى الجانب المعرفى)، فكأن العملية الثانوية ليست بأكثر ولا أقل مما يعرف عادة بالتفكير أو حل المشكلات.

والمرء الذى يجرب خطة للعمل ويضعها موضع التنفيذ ليتبين صلاحيتها من فسادها، يقال عنه إنه يقوم باختيار الواقع وتفحصه **Reality testing** بحيث إنه لو فشلت الخطة وتبين فسادها، ولم يتم العثور على الشىء المطلوب والاهتداء إليه، كان لزاماً أن تصمم خطة جديدة توضع بعد ذلك موضع الاختبار. وتظل الحال كذلك حتى يتم العثور على الحل الصحيح، ويتم التخلص من التوتر بالفعل أو التصرف المناسب، وواضح أن الفعل أو التصرف المناسب هو تناول الطعام فى حالة الجوع.

فالعملية الثانوية، إذن، تحقق ما تعجز العملية الأولية عن القيام به، وهو الفصل بين العالم العقلى الذاتى وعالم الواقع المادى الموضوعى. كما أن العملية الثانوية لاتقع فى الخطأ الذى تتردى فيه العملية الأولية وهو النظر إلى الصورة العقلية للشىء وكأنها الشىء نفسه [2].

ثم إنه يترتب على قيام «مبدأ الواقع»، وأداء العملية الثانوية لوظيفتها، وقيام العالم الخارجى بأداء دور هام فى حياة المرء، أن ينشط النمو ويزداد الاتضاح فى العمليات النفسية من قبيل الإدراك الحسى والتذكر والتفكير والتصرف [3].

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص٢٧، ٢٨.

(٢) انظر: المرجع السابق. ص٢٨.

(٣) انظر: المرجع السابق. ص٢٩.

وبالإضافة إلى تلك العمليات التي تكون في خدمة الواقع، توجد وظيفة أخرى تشبه العملية الأولية عند «الهو»، هي وظيفة «خلق الأوهام وأحلام اليقظة»، وهي وظيفة لا تتقيد بمطالب اختيار الواقع، وإنما تخضع لمبدأ اللذة. لكن هذه العملية التي يقوم بها «الأنا» تختلف عن العملية الأولية؛ لأن لها القدرة على التمييز بين الأوهام والواقع تمييزاً لا تقدر عليه العملية الأولية. ومعنى هذا أن الأوهام التي تخلقها «الأنا» لا تحاول أن تكون نفسها مسحة الواقع، ويتم إدراكها دائمًا على أنها أوهام يتلهى بها المرء، وخيالات ممتعة طريقة تتيح للمرء أن يخفف من أعباء «الأنا» الجادة الخطيرة[1].

وعلى ذلك نستطيع أن نجمل خصائص «الأنا» فيما يلي:

### خصائص الأنا:

يوجد للأنا عند فرويد خصائص عديدة، نذكر أهمها فيما يلي:

{١} الارتفاع بالعمليات [2] التي تجري في «الهو» إلى مستوى أعلى.

{٢} القيام بدور الوسيط بين «الأنا الأدنى» والواقع الخارجي. وهذا ما عبر عنه «فرويد» بقوله: « وهو نشاط عقلي يحاول أن يحسب النتائج التي ستترتب على هذا العمل مستخدماً في ذلك بعض الأعمال التجريبية. ويصل «الأنا» بهذه الطريقة إلى قرار فيما إذا كان من الواجب تنفيذ محاولة إشباع الغريزة أو تأجيلها، أو فيما إذا كان الأمر لا يلزم قمع رغبة الغريزة قمعاً تاماً على اعتبار أنها أمر خطير، وهذا هو «مبدأ الواقع» [3].

ففي هذا الدور تقوم بالتوسط بين أغراض النفس ذات الشهوة وبين مقتضيات الحياة العملية، وتقريب شقة الخلاف بينهما، فتعمل من جهة إلى إخضاع رغبات النفس لمقتضيات البيئة إلى حد ما لنزعات النفس، فخليق بها أن تسمى النفس المجاهدة[4].

{٣} طاعة مبدأ الواقع، والتي تتكون من الاحتفاظ برقابة على الإمكانيات التي

(١) انظر: المرجع السابق. ص٣٠.

(٢) النشاط الحركي وتحقيق الرغبات.

(٣) معالم التحليل النفساني. سيجمند فرويد. ترجمة: د/ محمد عثمان نجاتي. ص١٦٤.

(٤) انظر: مشكلة التحليل في مصر. محمد فتحي بك. ص١٠٥، ١٠٦.

يمكن أن تخرق قواعد الشعور [١]

**مهمة الأنا:**

هى تحقيق التوازن بين القوى المؤثرة عليها وهى: النزعات الغريزية المختلفة المسيطرة على «الهو»، والواقع، وقوة الذات العليا التى تقوم بمنع «الأنا» من الاستمتاع بالكثير من لذات إشباع النزعات الغريزية الملحة [٢]

فعلى «الأنا» أن تعبر عن نزعاتها ودوافعها الغريزية تعبيراً يتفق مع ما فى المجتمع من تقاليد ونظم بغير أن يثير سخط الذات العليا. فإذا أراد المرء أن يعبر عن نزعاته الجنسية، عليه أن يفعل ذلك فى الحدود التى يعترف بها المجتمع بقوانينه وشرائعه وتقاليده بصورة لا تثير فى الإنسان تأنيباً داخلياً أو شعوراً بالخطيئة والإثم وكذلك إذا اعتدى على شخص، فإن الرد على هذا الاعتداء تمثله حاجة ملحة فى «الهو» ويجب أن يتم بالصورة التى تقبلها النظم الموضوعة، والتى ترضى عنها «الأنا العليا»[٣].

**وسائل تحقيق مهمة «الأنا»:**

**مقدمة:**

إذا كانت كل دولة تفعل ما فى استطاعتها فى سبيل الوصول إلى الحياة الصحيحة المشبعة فى إطار الحياة المحيطة بنا، فإنها تسمح بذلك بدون ضرر أو خطر. ولكنها عندما تجد ضرر أو خطر يهدد ذلك، فإنها تلجأ إلى الدفاع عن أمنها. وأضرب لذلك مثلاً بدول الخليج العربى عندما كانت تعيش فى أمن واستقرار لم تلجأ إلى التسليح العسكرى، وعنما أحست بالخطر والتهديد بدأت تلجأ إلى الدفاع عن أمنها بالتسليح العسكرى وغيره. و«فرويد» يعتبر الفرد صورة مماثلة للمجتمع لا يكون أنماطاً سلوكية (ميكانزمات دفاعية) إلا إذا أحس بالخطر والتهديد. والفرد الذى لا يشعر بمثل هذا الخطر والتهديد فإنه لا يجد بالتالى سببًا لتشكيل هذه الحراسة . ومع ذلك يذهب «فرويد» إلى أن كل منا لديه خبرات تهديدية فعلاً، ولذا نلجأ إلى تكوين هذه الميكانزمات فى محاولة منا لتقليل الخطر وبالتالى حماية لأمننا [٤]

---

(١) انظر: الماركسية والتحليل النفسى. د/روبن أوسبون ترحمة د/سعاد الشرقاوى. ص٢١

(٢) انتظر. علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية د/عبد العزيز القوصى ص٣١٩

(٣) انظر نفس المصدر ص٣١٩، ٣٢

(٤) انظر أسس علم النفس العام. د/طلعت منصور وآخرون ص ٣٤٢

فهذه «الميكانزمات الدفاعية» هي وسائل دفاعية للفرد ولتحقيق مهمة «الأنا» في التوازن. وقد ناقشت «أنّا فرويد» ابنة «سيجموند فرويد» هذه الميكانزمات في كتابها «الأنا وميكانزمات الدفاع» [1]. ويوجد وسائل أو حيل نفسية عديدة لتحقيق هذا التوازن أهمها ما يلي:

**{١} حيل هروبية:**

يوجد حيل نفسية هروبية متعددة تصل بها «الأنا» إلى حالة الاتزان. اكتفى منها بالآتي:

**{أ} التغلب على النزعات:** فإذا زارني في بيتي شخص لا أحبه فإنه يحدث أحياناً أن أبالغ في إكرامه والترحيب به. وتؤدي المبالغة في الترحيب وظيفة أساسية وهي تغطية ناحية يخشى ظهورها. وهذه الناحية التي يخشى ظهورها تلح في الظهور. ولهذا يلزمنا أن نتشدد في تغطيتها حتى لا تظهر. ونجد أحيانًا شخصاً يظهر أمام الناس بمظهر التعبد الشديد، فإذا أتيحت له فرصة التعبير عن شهواته ونزعاته فإنه قد يفرق في هذا غرقًا شديدًا. فالتشدد في التعبد والتمسك الظاهري بالمبادىء الأخلاقية يقوم بتغطية الشهوات التي تلح في التعبير عن نفسها، ويؤدي وظيفة أخرى هي: محاولة التغلب على هذه النزعات [2].

**{ب} التعويض:** تجد المقصرين في دراستهم يعوضون عن هذا بتزعم الطلاب في الحركات البعيدة عن النواحي الدراسية، كالحركات السياسية والرياضية وغير ذلك. فكأن العقل يقوم من تلقاء نفسه بدون أن يشعر بتعويض نواحي النقص. وبذلك يتخلص العقل من الشعور بالقصور أو بالنقص بطريقة إيجابية [3].

**{جـ} النسيان:** نجد من أساليب الهرب النسيان، فينسى المرء عادة الأشياء التي لايرغب في تذكرها؛ فإن كان لدى ميعاد مع صديق لاسدد له دينًا علي، فإنني أميل - دون أن أشعر - إلى نسيان هذا الميعاد. وتجد الإنسان على وجه العموم يتذكر ما له من حقوق، وينسى عادة ما عليه من التزامات وواجبات. وينسى الإنسان عادة

---

(١) راجع «الأنا وميكانزمات الدفاع». أنّا فرويد. ترجمة: د/ صلاح مخيمر. مكتبة الأنجلو المصرية

(٢) انظر: علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية. د/عبد العزيز القوصي. ص٣٢٠.

(٣) انظر: نفس المصدر . ص ٣٢٠.

الحوادث المؤلمة. وللنسيان وظيفة هامة، وهى أن يحرر الإنسان من الذكريات المؤلمة فيتفرغ بجهده لأعماله اليومية العادية.

**[د] القراءة الكثيرة:** يهرب كثير من الناس عن طريق القراءة الكثيرة، لأنها تبعدهم عن الاتصال بحياة الواقع، وتخلق لهم برجًا عاجيًا يعيشون فيه مسترحين، وينظرون منه عادة بشيء من الازدراء إلى الواقعيين. وكذلك يهرب الإنسان.

**[هـ] النوم:** يهرب كثير من الناس عن طريق النوم. فبعض الناس يستغرق فى نوم عميق إذا واجهته مصيبة أو مشكلة صعبة الحل.

**[و] المخدرات والمسكرات:** يهرب بعض الناس من حياة الواقع باستعمال المخدرات والمسكرات.

**[ز] فقد الذاكرة والإغماء:** نجد بعض الناس يهربون من مواقفهم بحالات فقد الذاكرة والإغماء. فإذا وجد بعض الناس فى موقف يقابلون فيه صدمة نفسية عنيفة، فإنهم يصابون أحيانًا بحالة إغماء تعفيهم من شدة الألم، وتجلب إليهم عطفاً كثيراً من المحيطين بهم[1].

**[ح] التراجع أو (النكوص):** وهو من أساليب الهرب. فإذا اصطدم إنسان بمشكلة يصعب عليه التغلب عليها، فإنه يرتد أحيانًا إلى الوراء. ومعنى هذا أنه يرتد فى الغالب إلى أسلوب اعتاده فى طفولته. والسر فى ذلك أن الشخص إذا واجه مشكلة ولم يتمكن فى التغلب عليها، فإنه يفقد اطمئنانه أو اتزانه، فيرجع إلى أسلوب قديم كان قد اعتاد أن يسلكه فيحصل على الطمأنينة. فالذين يفشلون فى الحب، تجدهم عادة يضربون عن الزواج، ويقنع الواحد منهم نفسه بأنه يفضل أن يعيش فى كنف أمه أو إحدى قريباته أو سيدة عجوز تعطف عليه وتقضى له حاجته. فكأن الاصطدام فى أثناء محاولة تحقيق غرض حيوى من أغراض الحياة، قد أدى إلى رجوع الشخص بنفسه إلى حالة الطفولة التى يكون الإنسان فيها فى حماية أمه أو من يقوم مقامها. وبعض الناس إذا اصطدم بعائق لا حيلة له فى التغلب عليه، فإنه قد يبكى. والبكاء فى حياة الأطفال أكثر منه فى حياة الكبار، وهو أسلوب يساعد فى اجتذاب معونة المحيطين به وعطفهم.

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص٣٢١.

ومن أساليب النكوص:

{ أ } الإغراق فى أحلام اليقظة فهذا أسلوب يغلب على حياة الأطفال أكثر مما يغلب على حياة الكبار.

{ب} إغراق المرء إذا فشل فى حياته الحالية فى التحدث عن الماضى المجيد الذى عاش هو فيه، أو عاش فيه آباؤه وأجداده.

{ج} ما نشاهده فى الفتى الذى يتطلع فى اختياره زوجته إلى صفات الأم الحنون[1].

ويعتبر «يونج» أن النكوص هو الأسلوب العام الوحيد الذى ينشأ عندما يقابل المرء صعوبات يعجز عن التغلب عليها. ويعزو «يونج» الظواهر النفسية المرضية وشبه المرضية إلى أنها ألوان من الارتداد إلى أسلوب ينتمى إلى الطفولة. ولهذا ترى أن حدوث الأحلام بأنواعها العرضية منها والمرضية، وكذلك الظواهر الهستيرية والعصبية بمختلف أنواعها، يمكن تفسيره على أساس الارتداد إلى حالات الطفولة [2].

**{٢} حيل دفاعية:**

توجد أساليب دفاعية لهروب «الأنا» من التألم وذلك بعدم الاعتراف بالحقيقة المرة. وهذا يحقق لـ« الأنا» الكثير من الراحة. وأهم هذه الحيل:

**{أ} الإسقاط:** وهو أن الصفة الممقوتة التى يتصف بها شخص، لا يعترف بأنها فى نفسه، وإنما يراها منعكسة فى الآخرين، فتجده يصف الآخرين بما فى نفسه. فكثيراً ما تجد البخيل يصف أغلب الناس بأنهم بخلاء، وهكذا تجد المنافقين والمتقلبين فى آرائهم وغيرهم. ونلاحظ أحياناً مناقشة تجرى بين اثنين، فيدعى أحدهما على الآخر أنه غاضب، وإذا تأملت قليلاً تجد أن المدعى هو الغاضب. ويحدث أحياناً أن تجد سيدة دميمة الخلقة تدعى أن الرجال يتبعونها ويخطبون صداقتها، وإذا بحثت الأمر تجد أن شيئاً من هذا لم يحدث، وإنما هى رغبة كامنة فى نفسها تراها منعكسة فى الخارج، فتتوهم فى الرجال اتجاهات تطابق ما فى نفسها من ميول واتجاهات.

ولهذا الإسقاط ـ كما يقول د/ القوصى ـ وظيفتان

{١} أنه يدفع عن الإنسان تهمة الاتصاف بصفة معينة.

(١) انظر: المرجع السابق. ص٣٢٢، ٢٢٣.
(٢) انظر: المرجع السابق. ص٣٢٣.

[٢] أنه فى حالة عجزه عن دفع التهمة يشعر بأنه يشبه الآخرين فى هذه الصفة فعندما تتحقق الوظيفة الأولى، تشعر «الأنا» بكثير من الراحة لأنها تشعر أنها أرقى ممن حولها. وعندما تتحقق الوظيفة الثانية تشعر «الأنا» بالراحة أيضًا لأنها تشعر أنها لا تقل عن الآخرين [١].

[ب] التبرير: وهو عبارة عن تقديم التعليلات التى تبدو للعقل منطقية ومقبولة لأمور أسبابها الحقيقية انفعالية.

هذا التبرير عملية يقوم بها العقل فى أغلب جوانب الحياة اليومية. وهو مصدر الراحة والاتزان لـ «الأنا»، لان «الأنا» تميل إلى أن تكون منطقية معقولة. [٢] فإذا وقعت إهانة من تلميذ لمدرسة، فقد يغضب المدرس فيوقع على التلميذ عقوبة شديدة جداً. فإذا ناقشت المدرس قال لك إنه لا يقصد من هذا إلا صالح التلميذ. والواقع أن جزءاً من التشديد يرجع إلى الغضب والانتقام، ولا يرجع إلى مجرد الرغبة فى الإصلاح. ونعلم أننا نرى فى الذين نحبهم صفات حسنة، ونبرهن على وجودها عادة بأدلة تبدو منطقية معقولة. ونرى فى نفس الوقت فى الذين نكرههم صفات كثيرة سيئة، ونبرهن على ذلك بأدلة تبدو منطقية معقولة. ولكن السر فى الحالة الأولى يرجع غالباً إلى المحبة، وفى الحالة الثانية يرجع غالبا إلى الكراهية...

ونظراً لا ن الدوافع الأساسية التى تدفع الإنسان للقيام بالسلوك ليست دوافع منطقية، وإنما هى دوافع «غريزية» انفعالية. لهذا كانت «الأنا» فى حاجة إلى التبرير وإلى الخداع الذاتى بأن السلوك قائم على المنطق والمعقولية، وليس قائماً على مجرد الدوافع الانفعالية.

* فالتبرير فيه دفاع عن الذات وهرب من اللوم.

هذا ويرى أصحاب التحليل النفسى أن الحيل النفسية تكون فى أغلب الأحيان هروبية دفاعية فى نفس الوقت. ففى النسيان هرب من الواقع وحماية للنفس من آلامه. وفى التعويض هرب من الشعور بالنقص واتجاه إيجابى لإثبات الذات. ولذا يستحسن عدم فصلها إلى أنواع بعضها هروبى صرف، وبعضها دفاعى صرف. فالنوعان يوجدان عادة مختلطين إلا فى القليل النادر [٣].

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص٣٢٣، ٣٢٤.
(٢) انظر: المرجع السابق.
(٣) انظر: المرجع السابق. ص٣٢٤، ٣٢٥.

# الأنا الأعلى

## نشأة الأنا الأعلى:

يقول «فرويد»: «تنشأ الأنا الأعلى» نتيجة الفترة الطويلة التى يقضيها الإنسان فى حالة ضعف واعتماده على الغير أثناء طفولته» [(١)]. فهى تنشأ كجزء من «الأنا» لتستقل عنه فيما بعد، نتيجة لما يقوم به الطفل من تمثل لمعايير والديه التى تميز الطيب من الخبيث. والطفل حين يمتص ويتمثل ما لوالديه من سلطان خلقى إنما يضع سلطانه الداخلى مقام سلطانهما. وهو حين يمتص هذا السلطان الأبوى يصبح قادراً على أن يسيطر على سلوكه فيجعله مطابقاً متمشيًا لرغبات والديه، وبذلك ينال رضاهم وتأييدهم ويتجنب سخطهم [(٢)].

و«الأنا الأعلى» تقوم عند الشخصية مقام قيم المجتمع التقليدية ومعاييره، تلك القيم والمعايير التى يسلمها الآباء للأبناء. ولهذا كان من اللازم ـ كما يقول «كالفن س ـ هول» ـ أن نلتفت هنا إلى الأنا العليا عند الطفل لا تعكس سلوك الأبوين، وإنما تعكس «الأنا العليا» عندهما. ذلك أن الشخص الراشد قد يقول ما لا يفعل ويفعل مالا يقول، دون أن تؤثر فى تشكيل معايير الطفل الخلقية إلا أفعاله فقط. على أن هناك هيئات اجتماعية أخرى بالإضافة إلى الوالدين ـ تشارك فى تشكيل «الأنا العليا» عند الطفل. ومن هذه المدرسون ورجال الدين ورجال الشرطة، بل إن كل من يكون له سلطان على الطفل بحكم منصبه قد يؤدى عمل الأبوين من هذه الناحية، لكننا نقول: إن كل استجابة الطفل لأصحاب السلطان هؤلاء إنما تتحدد إلى حد كبير بما يمثله وامتصه عن أبويه من قبل[(٣)].

ويلخص علماء النفس عملية «الأنا الأعلى» بأنها عملية امتصاص وإسقاط أى امتصاص الطفل لخصائص السلطة وإسقاطها على الخارج. وعمليتا الامتصاص والإسقاط مهمتان لتكوين هذه الذات العليا. ثم يقوم الطفل بعد ذلك ـ دون أن يشعر ـ بتحكيم هذه السلطة فى سلوكه الخاص به [(٤)].

---

(١) الأنا والهو. سيجمند فرويد. ترجمة: د/ محمد عثمان نجاتى . ص٥٨.
(٢) انظر: علم النفس عند فرويد. د/ كالفدرس. هولاحمد عبد العزيز سلامه. ص٣٠ ، ٣١.
(٣) انظر: نفس المصدر . ص٣٤.
(٤) انظر: أسس الصحة النفسية. د/ عبد العزيز القوصى. ص١١٠ .

وعلى ذلك فـ«الأنا الأعلى» هو ذلك الأثر الذى يبقى فى النفس من فترة الطفولة الطويلة التى يعيش فيها الطفل معتمداً على والديه وخاضعاً لأوامرهما ونواهيهما ويقوم «الأنا» عادة بتقمص شخصية الوالدين ومن يشبههما من المدرسين والمربين، وبذلك تتحول سلطة هؤلاء الأشخاص الخارجية إلى سلطة نفسية داخلية فى نفس الطفل تأخذ تراقبه، وتصدر إليه الأوامر، وتنقده، وتهدده بالعقاب. ويطلق «فرويد» على هذه القوة النفسية «الأنا الأعلى» Super - Ego، أو الأنا المثالى- The Ego Ideal، وهو ما يعرف عادة بالضمير [١].

**خصائص الأنا الأعلى:**

**يوجد للأنا الأعلى عند «فرويد» خصائص تتمثل فيما يلى:**

**{١} تنظيم الصلة بين الغرائز من ناحية و«الأنا» من ناحية أخرى. فمثلاً إذا فرضنا أن فرداً اشتاقت نفسه لإشباع غريزة من الغرائز بطريقة لا يقرها العرف، فقد تقوم الذات العليا بعملية المنع أو بعملية السماح للـ«أنا» بالتمتع بإشباع هذه الغريزة بطريقة أخرى يقرها العرف [٢].**

**{٢} أنها لا شعورية. والسبب فى ذلك.**

**{أ} أنها تمثل سلطة الأب نفسها مكروهة لوقوفها فى سبيل التعبير عن الغرائز بصورها الفطرية، ولكنها فى نفس الوقت مقبولة لأنها سلطة الأب الذى يعطى ويحمى. ويشبع الكثير من الحاجات الأولية. فالذات العليا تمثل السلطة التى تعطى وتمنع، وتثيب وتعاقب، وتحمى وتؤذى إلى غير ذلك من الأفعال التى يجلب بعضها المحبة، ويجلب بعضها الآخر الكراهية. ونتيجة هذا التناقض الوجدانى إبعادها من الشعور. ولكنها مع ذلك تظل فى غاية القوة.**

**{ب} أنها سلطة غير منطقية على عكس الخصائص التى تتطلبها النفس الشعورية فهى تنزع لأن تبدو للعالم الخارجى بأن لها كيانًا منطقيًا. وهذا سبب آخر من أسباب فصلها وإبعادها عن الشعور [٣].**

---

(١) انظر الأنا والهو سيجمند فرويد. ترجمة: د/ محمد عثمان نجاتى. ص١٧.
(٢) انظر أسس الصحة النفسية. د/ عبد العزيز القوصى. ص١١٠.
(٣) انظر: نفس المصدر. ص١١١.

[٣] أنها مصدر التحكم الخلقى. فتنتقد «الأنا» وتؤنبها إذا ما خضعت لسلطان النفس ذات الشهوة، ولبت داعى رغباتها المكبوتة [١].

يقول «فرويد»: « الأنا الأعلى»، وهو ما نعتبره «الضمير» الذى يصدر الأحكام. ومن الملاحظ أن« الأنا الأعلى» غالباً ما يبدى من القسوة ما لم يشاهد مثله عند الوالدين الحقيقيين. وفضلاً من ذلك فهو يؤنب «الأنا» لا على ما يقوم به من الأعمال فقط، بل أيضًا على أفكاره ونواياه التى لم تنفذ، والتى يكون « الأنا الأعلى» على علم بها فيما يبدو» [٢].

فهى الناقد الخلقى الأعلى «أنا» وهى التى تشعرها بالذنب شعوراً شديداً إن صدر منها ما لا يروقها. وقد لخص «براون» نفس الوظيفة بقوله: إنها الناقد اللاشعورى الأعلى لعقل الإنسان [٣].

وفى إيجاز يمكن القول: أن «الأنا الأعلى» تعديل يطرأ على «الأنا» فى لحظة معينة يكون فيها هذا «الأنا» ضعيف بحيث لا يقدر بمفرده على مواجهة المشاكل وإلحاحات «الهو» من ناحية، والواقع الخارجى من ناحية أخرى. ويعد هذا نوعاً من تصور الأبوين والأشخاص الآخرين داخل العقل، تصويراً يجد نفسه مزوداً بصفات مبالغ فى أهميتها، حتى إن الوالدين يظهران فى أعين الطفل متمتعين بصفات القدرة والقسوة، أى الصفات اللصيقة بأى سلطة لا منازع لها [٤].

## الخلاصة:

لقد طلع «فرويد» على العالم بتقسيم جديد للشخصية ثلاثى المظهر، فقسمه إلى ثلاثة أقسام كل منها يختلف عما عداه اختلافاً جوهرياً من حيث طبيعة العناصر التى تتألف منها، أحدهما: يمثل الجانب الشهوانى أو الحيوانى من الطبيعة البشرية. [٥] وهو «الهو» الذى يعد نتيجة للنشوء والتطور، والممثل السيكلوجى لما لدى الفرد من

---

(١) انظر: مشكلة التحليل النفسى فى مصر. محمد فتحى بك. ص١٠٧.
(٢) معالم التحليل النفسانى. فرويد. ص١٧٩.
(٣) انظر: أسس الصحة النفسية. د/ عبد العزيز القوصى. ص١١٠،١١١.
(٤) انظر: الماركسية والتحليل النفسى. د / روبن أوسبورن. ترجمة : د/ سعاد الشرقاوى. ص٢٣.
(٥) انظر: مشكلة التحليل النفسى فى مصر. محمد فتحى بك. ص١٠٣.

فطرة بيولوجية [1].

الثانى: يمثل الجانب العملى أو الدنيوى وهو «الأنا» الذى يعد نتيجة لما يحدث بين الفرد والواقع الموضوعى من تفاعل والمسرح الذى تقوم عليه العمليات العقلية العليا.

الثالث: ويمثل الجانب الروحى أو المعنوى وهو «الأنا العليا» وهو الذى يمكن أن يعد نتيجة لعملية التطبيع والتنشئة الاجتماعية ووعاء للتقاليد والأصول الحضارية[2].

●●●●●

(١) انظر: علم النفس عند فرويد. د/ كالفن.س. هول. ص٣٥.
(٢) انظر: نفس المصدر . ص٣٥.

## ٣- الغريزة الجنسية وتطورها

سوف تتضح لنا نظرية التحليل النفسى عند «فرويد» من خلال موقفه من نظرية الجنس، فهى لب التحليل النفسى وعماده، وإليها وبها يفسر كل الأشياء. ولذلك سوف أذكر مفهومها، ونشأتها، ومراحلها، وأدلتها.

**مفهومها:**

لفظ جنسى sexuel عند «فرويد» يعنى «طاقة الغرائز المعروفة باسم «حب» Amour. من ناحية حب الذات ومن ناحية أخرى الحب الذى نكنه للوالدين وللأطفال وللإنسانية بوجه عام وكذلك التعلق بموضوعات عيانية أو بأفكار مجردة»[1].

فالمعنى الذى يعطيه لهذه الكلمة يتعدى بكثير الاستعمال الدارج لها والذى لا يستخدمها إلا لوصف علاقات البالغين والتى تجد ختامها فى العمل الجنسى، أما التعبيرات الأخرى التى وصفها «فرويد» فيمكن أن تأتى من أى غريزة أخرى [٢].

هذا ويرى «فرويد» أن الغريزة الجنسية مصدر جميع الغرائز، بل جميع الدوافع التى تحمل الإنسان على العمل. ولذلك فهو يفسر جميع الأحلام، وجميع الأمراض العقلية، والعلل العصبية ـ مهما كان نوعها ـ إلى عدم إرضاء هذه الغريزة.

بل إنه يقول: إن جميع الأعمال العقلية مرتبطة بالغريزة الجنسية، وإن خفيت علينا العلاقة بينهما. ويقول فوق ذلك: إن جميع الرغبات الظاهرة والمكبوتة التى تشغل ناحيتى العقل الظاهرة والباطنة، وجميع أنواع المحبة، سواء أكانت للأم أم للزوجة أم للزوج ترجع إلى الغريزة الجنسية.

والخلاصة: أن الغريزة الجنسية فى رأى «فرويد» هى الباعث الحيوى الوحيد الذى تنشأ عنه جميع البواعث التى تدفع الإنسان إلى العمل[٣]. والعملية الجنسية ـ كما يقول: عبارة عن فعل عدوانى الغرض منه الوصول إلى أوثق أنواع الاتحاد»[٤].

---

(١) انظر: الماركسية والتحليل النفسى د/ أسبورن. ص٢٨.

(٢) انظر: نفس المصدر.

(٢) انظر: فى علم النفس حامد عبد القادر وآخرون. جـ١ ص ١٣٨.

(٤) معالم التحليل النفسانى سيجمند فرويد. ص٥٤.

**نشأتها:**

المشهور أن الجنس عبارة عن نشاط يمارسه الرجل والمرأة معاً، من خلال أعضاء بعينها من أجسادهم، وذلك بغرض التناسل. وبهذا المعنى فهو بعيد عن الأطفال ولا يقوم بين فردين من نفس الجنس، ولا يتأتى إلا بوساطة هذه الأعضاء بالذات بل لايرتبط بالدافع إليه وهو طلب اللذة، وإن كان يرتبط بالهدف منه وهو التناسل. لذلك أصبح كلمة مرادفة للتناسل[1].

ولقد كشف «فرويد» أن مرادفة الجنس بالتناسل، يضيق من مجال الدراسة دون مبرر أو دليل على الصحة. ولذلك ذهب إلى أن فى الإنسان نزوعًا أصيلاً إلى اللذة والبعد عن الألم، حيث يتركز هذا النزوع libido فى مناطق معينة فى جسده تسمى بالمناطق الشهوية Erotic zones ويقبل الانتقال منها والانسحاب عنها إلى غيرها لينتهى به المطاف إلى التركيز فى الأعضاء التناسلية[2]. وذهب إلى أن السلوك الجنسى السوى نهاية لعديد من الأنشطة التمهيدية الضرورية لحدوث وإتمام التناسل. ورغم ذلك فإنها ليست أنشطة تناسلية. فرأى أننا فى حدود معينة قد نجد أن بعض هذه الخطوات التمهيدية تغلب على غيرها(كالقبلة أو الملامسة مثلاً) فى قدرتها على إثارة الرغبة فى التناسل، وقد يصل بها الأمر أحيانًا أن تعطى اللذة الجنسية فجأة.

تنبه«فرويد» من هذه الملاحظة إلى الدور الذى تلعبه الطفولة فى الحياة الجنسية للبالغ. فأعلن أن الجنس.. إمكانية عامة لدى الإنسان يولد بها ولا تطرأ عليه بعد ميلاده. فالنزوع إلى اللذة والعزوف عن الألم من الأمور الواضحة لدى الكائنات الحية جميعها. ومصدر الألم هو ازدياد التوترات فى الجسم، إلا أن طبيعة هذا القانون فى الإنسان تتخذ شكلاً مميزاً[3].

يقول«فرويد» : «تتكون حياة الإنسان الجنسية فى الأصل، من الرغبة فى إلصاق أعضائه التناسلية بالأعضاء التناسلية لشخص آخر من الجنس المقابل. وتتضمن هذه العملية أيضاً بعض الظواهر الإضافية، والأعمال التمهيدية، كتقبيل الشخص الآخر والنظر إليه ولمسه».

---

(١) انظر: التحليل النفسى بين العلم والفلسفة. د/ أحمد فائق. ص ٥٢.
(٢) انظر: نفس المصدر. ص ٥٤.
(٣) انظر: نفس المصدر. ص ٥٥.

ثم يقول: «إن الحياة الجنسية لا تبدأ أثناء المراهقة فقط، بل هى تبدأ عقب الولادة مباشرة فى شكل واضح»[1].

ويستدل على ذلك بميل الطفل إلى أمه أو حاضنته دون أبيه، وبالغبطة والسرور اللذين يظهران على وجهه عند التقام ثدى أمه، أو امتصاص أصبعه أو إصبع أمه حتى فى غير أوقات الجوع، وبغير ذلك من الأعمال التى قد تكون من آثار هذه الغريزة[2].

ومن ذلك يتضح أن الحياة الجنسية عند «فرويد» تنشأ فى الطفولة المبكرة أولاً لأنه اعتبر ظواهرها واضحة فى هذه المرحلة كالغيرة والتعلق بموضوع حب معين.. وغير ذلك. ثم يرى أنها تأخذ فى الازدياد تدريجيًا حتى تصل إلى الذروة قريباً من نهاية العام الخامس. ثم تتبع ذلك فترة سكون يقف فيها النمو، وينسى فيها الطفل كثيراً ما سبق أن تعلمه. وفى نهاية الفترة التى تسمى عادة بالكمون تبدأ الحياة الجنسية تستأنف نشاطها من جديد فى سن المراهقة. وبمعنى آخر تبدأ الحياة الجنسية تزدهر مرة ثانية. ومن ذلك يتضح لنا أن لظهور الحياة الجنسية مرحلتين، أى أنها تحدث على دفعتين. ولا وجود لهذه الحالة إلا عند الإنسان[3].

**مراحل الغريزة الجنسية:**

تمر الغريزة الجنسية بحسب رأى «فرويد» فى مراحل ثلاث هى:

**[1] مرحلة ماقبل التناسلية:**

وهذه المرحلة عند «فرويد» تشتمل على ما يلى:

أ ـ المرحلة الفمية (اللذة الحسية الذاتية):

**يذهب «فرويد» إلى أن الطفل بعد الميلاد مباشرة يحس بلذة أو ألم من الإحساسات الجسمية المختلفة، فيشتق فى سنواته الأولى لذة من الامتصاص بالفم ومن التبول والتبرز، كما يشتق لذة من أجزاء جسمه المختلفة. وهذه اللذة فى نظره لذة جنسية ذاتية (Auto - erotism)[4].**

**فالغريزة الجنسية فى هذه المرحلة لا تكون موجهة نحو التناسل أو التكاثر. فأنت**

(١) معالم التحليل النفسانى. فرويد. ص ٦٠، ٦١.
(٢) انظر: فى علم النفس. حـ١. حامد عبد القادر. ص ١٤١.
(٣) انظر: معالم التحليل النفسانى. فرويد. ص ٦٢, ٦٣.
(٤) انظر: أسس الصحة النفسية. د/ عبد العزيز القوصى. ص ٤٣٤.

تجد الطفل يوجه شحنة انجذابه الموجبة إلى جسده هو، لأن جسده هو مصدر اللذة الظاهرة. وهو كذلك قد يوجه شحنة انجذابه إلى أبويه، ولكن شحنات الانجذاب هذه إنما تنشأ لأن أبويه وخصوصاً الأم يعينانه على تحصيل اللذة الجسمية. فثدى الأم هو المصدر الرئيسى للذة الفمية، كما أن ما يقوم به الوالدان من معانقة وتقبيل للطفل يمده باللذة والمتعة الحسية[1].

ثم يقول «فرويد»: «ولا شك أن الوظيفة الأولى لهذه المرحلة هى حفظ الذات بالتغذية. ولكن لا يجب أن نخلط بين الناحية الفسيولوجية والناحية السيكولوجية. فإن إصرار الطفل بعناد على الرضاعة ليدل دلالة واضحة فى هذه المرحلة المبكرة على وجود رغبة فى الحصول على اللذة. ومع أن هذه الرغبة تنشأ فى الأصل وتستمد قوتها من تناول الغذاء إلا أنها مع ذلك تسعى وراء اللذة بصرف النظر عن تناول الغذا. ولهذاالسبب فمن الممكن، بل من الواجب، أن نصف هذه الرغبة بأنها جنسية»[2].

ب ـ المرحلة السادية[3] (الشرجية):

وفى هذه المرحلة كما يقول «فرويد»: «تأخذ الرغبات السادية فى الظهور بطريقة غير منتظمة أثناء المرحلة الفمية عندما تبدأ الأسنان فى الظهور. وتزداد هذه الرغبات بدرجة كبيرة أثناء المرحلة الثانية التى نسميها بالمرحلة الإستية السادية، لأن الطفل فى هذه المرحلة يسعى فى الحصول على اللذة من وراء العدوان وعن طريق وظيفة التبرز»[4].

ففى هذه المرحلة يتحول موضوع اللذة عن الطفل من الفم إلى الشرج الذى يقع عند الطرف الآخر من القناة الهضمية وتمر من خلاله الفضلات المتخلفة عن الهضم إلى خارج الجسم. والتوتر ينشأ فى هذه المنطقة نتيجة تراكم المواد الزائدة عن حاجة الجسم. وهذه المواد تحدث ضغطاً على جدران القولون الذى هو ذلك الجزء من القناة المعوية الذى يقع خلف الشرج مباشرة، وكذلك على العضلات القابضة فى الشرج

---

(١) انظر: علم النفس عند فرويد. د/ كالفن س. هول. ص ١٣٩.
(٢) معالم التحليل النفسانى. سيجموند فرويد. ص ٦٤.
(٣) كلمة سادية مشتقة من اسم الماركيزدى سادMarquis De sade احد الكتاب الفرنسيين. وقد اشتهر بتصويره لشخصيات منحرفة تميل إلى الحصول على اللذة الجنسية من وراء تعذيب الناس وإيلامهم. والسادية sadismنوع من الانحراف الجنسى يتميز بالحصول على اللذة الجنسية من القسوة على الناس وتعذيبهم وإيلامهم. [ النفسانى. سيجموند فرويد. ص ٦٤].
(٤) معالم التحليل النفسانى. ص ٦٤، ٦٥.

التى هى أشبه بالصمامات. على أن هذه الصمامات تنفتح إذا ازداد الضغط الواقع عليها عن مستوى معين، لتطرد بذلك المواد العادمة فى عملية التبرز، حيث يشعر الطفل بلذة جنسية أثناء عملية التبرز، لأن اطراد المواد يحدث شيئًا من الراحة له لما ينطوى عليه ذلك من استبعاد مصدر التوتر.

ولما كان الإنسان يحس بشىء من اللذة الناجمة عن التخفف من التوتر والتى تترتب على التخلص من الفضلات، تراه قد يستخدم هذا الأسلوب من أساليب النشاط من أجل التخلص من أنواع أخرى من التوتر تنشأ فى أجزاء أخرى من الجسم.

وهكذا يجد« فرويد» أن الاطراد الانفجارى بمثابة النمط البدائى للانفجارات الانفعالية، ونوبات الغضب الحادة، وسورة الغيظ وما إلى ذلك من سائر الاستجابات البدائية التى يُلتجأ إليها للتفريغ[١].

جـ ـ المرحلة القضيبية:

وفى هذه المرحلة كما يقول«فرويد» تبلغ الحياة قمتها عند الطفل فيتحول حب الصبى لأمه، لتزداد فيه صفة التعلق بالمحارم، الأمر الذى يترتب عليه أنه يصبح غيوراً من أبيه. وتُعرف هذه الحالة التى يتوق فيها الصبى إلى الاستئثار الجنسى بالأم والتى يشعر فيعا بالعداوة تجاه والده بعقدة أو ديب[٢].

يقول «فرويد»: « وبحلول المرحلة القضيبية وفى أثنائها تبلغ الحياة الجنسية للطفل ذروتها ثم تقرب من نهايتها. ومن بعد ذلك يبدأ كل من الصبيان والبنات تاريخاً مختلفاً. ففى أول الأمر كان كلا الجنسين يوجه نشاطه العقلى إلى الناحية الجنسية. وكان كلاهما يفترض وجود القضيب عند الجنسين. أما الآن فكلا الجنسين يشق سبيلاً مختلفًا. فيدخل الصبى فى المرحلة الأوديبية[٣]، ويبدأ فى اللعب بقضيبه، ويأخذ فى نفس الوقت يتخيل أنه يقوم مع والدته ببعض الأفعال التى يستخدم فيها

(١) انظر: علم النفس عند فرويد. ص ١٣٠، ١٣١.

(٢) انظر: نفس المصدر. ص ١٣٤.

(٣) وهى المرحلة التي تتكون فيها عند الطفل أخطر عقدة نفسية يقابلها فى طفولته، ويسميها فرويد «عقدة أوديب» وتتلخص هذه العقدة في الميل الجنسى نحو الأم مع كره الأب والغيرة منه فى نفس الوقت [معالم التحليل النفساني . فرويد . ص٦٦].

قضيبه ولكنه فى آخر الأمر يشعر بأعظم صدمة فى حياته نتيجة لما يصيبه من تهديد بالخصاء[1]».

من هذا النص تجد أن للقضيب عند الولد وما يناظره عند البنت أهمية كبرى ليس هذا فقط بل تجد مصدر اللذة عند الطفل فى هذه المرحلة هو لمس أعضائه التناسلية.

ولم يقف الأمر عند «فرويد» إلى هذا الحد، بل زعم أن الطفل يمارس العادة السرية، وذلك عندما قال «ويبدأ فى اللعب بقضيبه». وهذا ما أكده مرة أخرى بقوله:

«إن العادة السرية هى الأداة التنفيذية للجنسية الطفلية، تلك الجنسية التى يتعذب هؤلاء من جراء نموها المعيب، والفارق أن العصابيين (مرضى العصاب) ينحون باللوم على الاستمناء فى مرحلة البلوغ، أما العادة السرية فى مرحلة الطفولة - وهى وحدها المسئولة فى الواقع - فقد طوى النسيان أكبر شطر منها فى أعماق نفوسهم، وأرجو أن تتاح لى فرصة أبين لكم فيها خطورة جميع التفاصيل الواقعية للعادة السرية فى عهد الطفولة[2]».

وفى هذه المرحلة أيضاً تنشأ عند الطفل الذكر عقدة أوديب، وعند البنت عقدة إليكترا. وسوف أتحدث عنهما فيما بعد.

وفى هذه المرحلة إذا ظل الجسم على تعلقه الجنسى بأمه، صار فى خطر للتعرض بالأذى البدنى على يدى الأب.. والخوف الذى يعانيه الصبى عندئذ هو على وجه التحديد خوف من أن يقوم أبوه بقطع ذلك العضو الجنسى الذى يعد مصدراً للإبانة وهو خوف يعرف بقلق الخصاء[3]. والذى يترتب على قلق الخصاء هذا أن يكبت الصبى رغبته المحرمة فى أمه وعداوته لأبيه وأن يختفى عقدة أوديب.

والصبى حين ينصرف عن أمه إما أن يتقمص الشىء الذى فقده وهو الأم وإما أن يشتد تقمصه لأبيه بحسب درجة القوة التى تكون عليها المكونات المذكّرة والمكونات المؤنثة فى تكوينه وتركيبه.

ولذلك ذهب «فرويد» إلى أن الإنسان ثنائى الجنس بتكوينه، أعنى أنه يرث

(١) معالم المرجع السابق. ص ٦٦

(٢) انظر: التحليل النفسى. فرويد. ص ٨٩.

(٣) وهو تهديد الوالدين له ببتر قضيبه إذا ما تمادى فى ميله الجنسى نحو امه .

نزعات الجنس الآخر كما يرث استعدادات جنسية. فإذا كانت النزعات المؤنثة عند الصبى ظاهرة القوة وكان لها اليد العليا، جنح الصبى إلى أن يتقمص أمه بعد اختفاء عقدة أوديب. أما إذا كانت النزعات المذكرة هى الأقوى، تأكد عند الصبى تقمصه لأبيه[1] . والذى يحدد مصير شخصية الصبى وتعلقاته وعداوته ودرجة ذكورته وأنوثته بعد ذلك فى الحياة هو درجة القوة لكل واحدة من هذه التقمصات بالنسبة لبعضها ومقدار ما يحرزه كل واحد منها من نجاح .

وهذه التقمصات هى التى تؤدى بعد ذلك إلى تكوين «الأنا العليا». ولهذا قيل إن«الأنا العليا» وريثة مركب أوديب على أساس أنها تحل محله وتأخذ مكانه[2].

{٢} مرحلة الكمون:

هى المرحلة التى تكمن فيها النزعات الجنسية تحت ضغط الروادع الادبية، حيث فى مرحلة الكمون هذه تقوى النزعة الأدبية ويقوى الشعور بالحياء والخجل والنفور والاشمئزاز من جانب النزعات الجنسية الاولى[3]. هذه المرحلة تنشأ بين سن الخامسة وسن الثانية عشرة، وتتسم بعدم ظهورها الاهتمامات الجنسية وينمو الـ«أنا» منسجم مع الواقع المحيط[4].

يقول «إدغاربيش»: هذا الكمون الذى يتخلل هذه المرحلة قد يتخلله دفعات جنسية فجائية، ولكنها قصيرة المدى. وتصبح هذه الدفعات قريبة من بعضها البعض كلما اقترب الطفل من المراهقة التى تشير أساساً إلى الانتقال من مرحلة ما قبل التناسلية إلى المرحلة التناسلية، وذلك على المستوى الوظائفى العضوى، وعلى المستوى النفسى معا[5].

{٣}المرحلة التناسلية (المراهقة):

تبدأ هذه المرحلة عندما تظهر نزعة الاختلاط بين البنين بعضهم وبعض، والبنات بعضهن وبعض، ويحتقر البنون البنات لضعفهن، وتحتقر البنات البنين لخشونتهم.

---

(١) انظر: علم النفس عند فرويد. كالفن . س هول. ص ١٣٥ .
(٢) انظر: نفس المصدر. ص ١٣٦ .
(٣) انظر: مشكلة التحليل النفسى فى مصر. محمد فتحي. ص ١٥١ .
(٤) انظر: الماركسية والتحليل النفسى. ص ٣٤.
(٥) انظر: فكر فرويد . تأليف: إدغاربيش. ترجمة : جورف عبد الله. ص ٦٠، ٦١ .

وربما كان سبب هذا الانفصال حداثة الإحساس الجنسى، وبدء النظر إلى الجنس الآخر نظرة جديدة تجعل كلاً منهما حذراً من الآخر[١].

ففى هذه المرحلة تبدأ الغريزة الجنسية تنمو فى اتجاه الهدف البيولوجى وهذا التكاثر. واذًا يبدأ كل من الجنسين(المراهق) فى الانجذاب نحو أفراد الجنس الآخر انجذاباً يؤدى فى النهاية إلى الاتحاد الجنسى. وهذه المرحلة تتميز بأن شحنة الانجذاب الموجب فيها تكون موجهة إلى التطبيع الاجتماعى وألوان النشاط الجمعى والزواج وإنشاء البيت ورعاية الأسرة ونشأة الميل الجاد إلى التقدم والرقى المهنى وسائر مسئوليات الراشدين. كذلك تجد أن هذه المرحلة أطول المراحل الأربعة؛ إذ هى تمتد فى نهاية الفترة التى تقع فيما بين سن الثالثة عشرة والتاسعة عشرة إلى بداية مرحلة الشيخوخة التى يميل الفرد عندها إلى الارتداد والنكوص إلى المراحل السابقة عليها[٢].

ولذلك يحدث فيها عدة أمور كما يقول«فرويد» وهى:

١ـ تعيد للنفس كثيراً من الشحنات النفسية اللبيدية السابقة.

٢ـ تنضم بعض الشحنات النفسية اللبيدية الأخرى إلى الوظيفة الجنسية فى صورة أعمال تمهيدية أو مساعدة، وتنشأ عن إشباعها حالة النشوة التى تسبق اللذة.

٣ـ تطرد بعض النزعات الأخرى من المنظمة النفسية، إما بأن تقمع(أو تكبت؟ نهائياً، وإما أن يستخدمها «الأنا» على نحو ما فتنشأ من ذلك سمات الفرد الخلقية، وإما أن يعمل الفرد على إعلائها وتبديل أهدافها[٣].

**خلاصة:**

يمكن تلخيص مراحل نظرية «فرويد» فى الجنس فى عدة أمور ـ كما يرى هو ـ كمايلى:

١ـ أن الحياة الجنسية لا تبدأ فى سن البلوغ بل تبدأ ـ وبمظاهر واضحة ـ بعد

---

(١) انظر: نظرية التحلل النفسى عند فرويد فى ميزان الإسلام د/ سعد الدين السيد صالح .. ص ٤٩ دار نوبار للطباعة. الطبعة الأولى سنة ١٤١٤هـ سنة ١٩٩٣م.
(٢) انظر: علم النفس عند فرويد. د/ كالفن س. هول. ص١٣٩
(٣) معالم التحليل النفسانى . فرويد. ص ٦٨.

الولادة مباشرة[1].

٢- تمر الحياة الجنسية بالأدوار التالية :

أ- المرحلة الفمية تبدأ من الميلاد حتى السنة الأولى من عمر الطفل. ويعتبر الفم أول منطقة فى البدن يحصل فيها الطفل على اللذة. وتصبح الشفتان من الآن فصاعداً مصدراً للحصول على اللذة.

ب - المرحلة الشرجية تستمر حتى السنة الثالثة من عمر الطفل. وفيها يتركز الانتباه على الإفرازات. ويجد الطفل لذة فى إثارة هذه المنطقة أو فى التخلص من الإفرازات أو الاحتفاظ بها.

ج - المرحلة القضيبية: تبدأ بحوالى السنة الرابعة أو بين الثالثة والخامسة من عمر الطفل. وفيها يتركز اهتمام الطفل على اكتشاف الفروق الجنسية، وبالذات العضو الذكرى. وفى هذه الفترة تكون علاقات الطفل العاطفية الاجتماعية بوالديه، قد «أخذت تنمو وتتعقد وتهيء السبيل لظهور عقدة أوديب».

د - مرحلة الكمون وتقع بين الخامسة والثانية عشرة، وفيها تكون النزعات الجنسية فى حالة ضعف .

هـ - المرحلة التناسلية: والتى تبدأ بعد البلوغ فى حوالى الثانية عشر من عمر الطفل، حيث تبدأ الغريزة الجنسية باتجاه هدفها البايولوجى. وتحدث فيها أمور أساسية منها: أن النفس تعيد كثيراً من الشحنات النفسية اللبيدية السابقة. وتنظم بعض الشحنات النفسية اللبيدية الأخرى إلى الوظيفة الجنسية فى صورة أعمال تمهيدية أو مساعدة، وتنشأ عن إشباعها حالة النشوة التى تسبق اللذة. وتطرد بعض النزعات الأخرى من المنظمة النفسية إما بالقمع أو بالكبت أو تستخدمها الذات على نحو ما فتنشأ عن ذلك سمات الفرد الخلقية، أو يعمل الفرد على إعلائها وتبديل أهدافها[2].

٣- أن سمات الشخصية تشتق من المراحل الثلاث الأولى أعلاه للنمو الجنسى ، وأن شخصية الإنسان الراشد ترتبط بالنمو الجنسى لديه حين كان فى مرحلة الرضاعة. وأن أسباب الاضطرابات فى الشخصية ترجع إلى الفترة الأولى من حياة الفرد.

---

(١) انظر: الإنسان من هو. قاسم حسين صالح. ص ٧٣.
(٢) نفس المصدر. ص ٧٤.

٤- تشتمل الحياة الجنسية على الوظيفة الخاصة بالحصول على اللذة من بعض مناطق البدن. وتدخل هذه الوظيفة فيما بعد فى خدمة الوظيفة التناسلية. وهذا يعنى وجود معنيين للجنس(تناسلى) و(جنسى) حيث يتضمن المعنى الجنسى أعمالاً كثيرة ليست لها أية صلة بالأعضاء التناسلية[1].

٥- يرى «فرويد» أنه ما دامت الغريزة الجنسية هى المحرك الأساسى للطفل منذ ولادته، فلابد من إشباعها حتى ينشأ الطفل سليماً من الناحية النفسية، حيث إن عدم الإشباع يكون سبباً فى الصراع النفسى ، والتوتر، كما أن وضع القيود أمام هذا الإشباع يصيب الطفل بحالة عدم التوافق الجنسى يصيبه بأمراض كثيرة .

وهذا ما يشير إليه «فرويد» بقوله:(إن الحصر«القلق والمرض العصبى» ينشأ من«الطاقة الجنسية» حين تتعطل ولا تستعمل لسبب من الأسباب من بينها عملية الكبت)[2].

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد بل يعمم أهمية الغريزة الجنسية عموماً، فهى ليست فى مرحلة الطفولة فقط، بل يرى أنها السيد المطاع الذى يسيطر على الأفراد والأمم. وكثيراً ما يتوقف تاريخ الشعوب على الأهواء التناسلية لرؤسائها[3].

**أدلتهـــا:**

لقد ذكر«فرويد» عدة أدلة على نظريته، قبلها أتباعه، ورفضها معارضوه. ومن أهم هذه الأدلة ما يلى:

١- ميل الطفل إلى امتصاص أصابعه، وتعلقه بأمه، أو حاضنته، أكثر من تعلقه بأبيه وغيرته على أمه من أبيه، وميله للاستئثار بها.

٢- أن الأطفال يحبون الاختلاط بالنبات،وتمثيل الحياة الزوجية فى عهد الطفولة.

٣- أن معظم الفنون الجميلة تدور حول المسائل الجنسية؛ فالأغانى معظمها مجونية، وجميع الآداب مفعمة بالقصص الجنسى، وأغلب الروايات غرامية وللرسم والتصوير اتجاه كبير نحو الأمور الجنسية.

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص ٧٥.

(٢) انظر: نظرية التحليل النفسى عند فرويد فى ميزان الإسلام. د/ سعد الدين صالح. ص ٥١.

(٣) انظر: الإنسان من هو؟. قاسم حسين صالح. ص ٧٥.

٤ـ يذكر ما هو شائع بين الناس من أن جرى الرجل وراء المرأة أو العكس ـ كان ولا يزال ـ مصدر كثير من الأخطار الاجتماعية. ولذا يقولون إذا حدث حادث جلل: «ابحث عن المرأة».

٥ـ يرى أن الغرض من أكثر القوانين الشرعية والوضعية ـ كما هو معروف ـ هو تنظيم الحياة الزوجية، وإيقاف الغريزة الجنسية عند حد معقول.

٦ـ يقول لقد ثبت بالتجارب من إمكان مداواة جميع الأمراض العقلية والنزلات العصبية بعلاج جنسي[١].

**أهميتهـــا:**

يرى أصحاب التحليل النفسي أن نظرية الجنس عند «فرويد» تهدف إلى ما يلي:

١ـ معرفة سيكولوجية الشخصية. واقتراحات ضمنية في كيفية الحصول على أنماط من السلوك المرغوب فيها.

٢ـ طرح إمكانية التخفيف من الاضطرابات الناتجه بسبب التثبيت الذي يعني التشبث والتعلق بموضوع حب معين ـ وذلك بطريقة العلاج بالتحليل النفسي.

٣ـ أن سنوات الطفولة الخمس الأولى، هي المرحلة الحاسمة التي تقرر سلوك الفرد حتى يصبح كبيراً.

٤ـ أن الاختلاف في الشخصيات السوية ـ الاختلافات الثقافية، والشذوذ الجنسي ـ ترجع كلها إلى تطور الحياة الجنسية في السنوات الأولى من عمر الإنسان[٢].

٥ـ أن الجنس هو القوة الدافعة للإنسان، فيقول «فرويد»: «أن الحب الجنسي قد أعطانا أعمق ما خبرناه من إحساس بالمتعة يطغى على ما سواه، وبذلك زودنا بنمط للبحث عن سعادتنا»[٣].

---

(١) انظر: في علم النفس. د/ حامد عبد القادر جـ١. ص ١٣٨، ٣٩

(٢) انظر الإنسان.. من هو؟ قاسم حسين صالح. ص ٧٥، ٧٦.

(٣) انظر: العلم في منظورة الجديد. تاليف: روبوت م. اغروس، جورج ن. ستانسير. ترجمة: د/ كمال خلايلي. ص ٨١ مطابع الرسالة الكويت سنة ١٤٠٩هـ سنة ١٩٨٩م.

## ٤ـ عقدة أوديب واليكترا

**(أ) عقدة أوديب.**

**نشأتها:**

تعود نشأة هذه العقدة كما يرى« فرويد» إلى أن الإنسان كان يعيش فى الماضى السحيق فى قبيلة بدائية يتزعمها أب قوى وغيور. وقد استحوذ هذا الأب القوى على جميع نساء القبيلة وأبعد أبناءه الناشئين الذين كانوا يحبونه ويعجبون به، كما كانوا فى نفس الوقت يخشونه ويبغضونه لأنه كان يقف عقبة فى سبيل إشباع رغباتهم الجنسية. ومن هذا الموقف المشبع بالتناقص الوجدانى **ambivalence** نشأت «عقدة الأب» **Father complex** عند الأبناء، وهى عقدة أوديب الأصلية التى تكونت فى بداية نشوء النوع الإنسانى. وقد تجمع هؤلاء الأبناء المبعدون فيما بعد وقتلوا أباهم وأكلوه. وقد حققوا بأكلهم لأبيهم رغبة كان يشعر بها كل منهم وهى الرغبة فى «تقمص شخصية الأب». ثم أخذت دوافع الحب نحو الأب المقتول تظهر بعد ذلك بوضوح، وأخذ الأبناء يندمون على الذنب الذى اقترفوه. وقد دفعهم «الإحساس بالذنب» إلى وضع قواعد وقوانين فيما بينهم تحرم عليهم ما سبق أن حرمه عليهم الأب المقتول. وهذا هو منشأ «تحريم زواج المحارم» **incest taboo** الذى يقول به المحللون النفسيون[1]. وقد اكتشف أصحاب التحليل النفسى أن فى هذا المنشأ كبتْ للميل الجنسى الموجود عند أبناء القبيلة رغبة فى الزواج من نسائها، وخوفاً من وقوع القصاص الذى يحل بهم إذا انتهكوا هذه الحرمة. كما وجدوا فى ذلك مشابهة من وجود الميل الجنسى عند الأطفال الذكور نحو أمهاتهم، وعند الأطفال البنات نحو أبائهن، وبين الأخ والأخت. ويلجأ الأطفال عادة إلى كبت ميولهم الجنسية خوفاً من عقاب الوالدين، وهذا هو ما يعرف عادة «بعقدة أوديب»[2].

فهذه العقدة تنشأ عن موقف الطفل من والديه بين الحب الجنسى أو العشق من جانب، والكراهية أو الغيرة من الجانب الآخر[3].

فالولد الصغير يحب أمه ويحس بالغيرة من أبيه ويعتبره فى لا وعيه كمنافس له ولكن يشعر فى نفس الوقت بإعجاب بقوة وحكمة الأب؛ وما أن يتكون وعيه

---

(١) انظر: الأنا والهو. فرويد. صـ٦١، ٦٢.   (٢) انظر: نفس المصدر. صـ٦٢.

(٣) انظر: فلسفة النفس والشذوذ. د/ عبد الله حسين ص٥٣. مطبعة الشباب الحديثة سنة١٩٤٨ ـ ١٩٤٩م.

الأخلاقى حتى يوجه إلى نفسه انتقدات حادة لشعوره بمشاعر الكره والعداوة(١).

**سبب تسميتها:**

سميت بهذا الإسم نسبة إلى الأسطورة اليونانية المعروفة عن أوديب الملك الذى قتل أباه وتزوج بأمه، ولم يكن بالطبع يعلم أن هذا أبوه أو تلك أمه، وقد انجب من أمه أطفالاً، ولكن لما انكشف له أمر نفسه فقأ عينيه عقاباً لنفسه(٢).

**أساسها:**

وأساس هذه العقدة فى نظر «فرويد» هو حب الطفل لأمه، ورغبته فى الاستئثار بها، وغيرته الشديدة من موقف أبيه منها، مما يؤدى إلى كراهية الوالد، والرغبة اللاشعورية فى القضاء عليه(٣).

**أثرها:**

يرى «فرويد» أن «عقدة أوديب» تمثل القمة التى يصل إليها النشاط الجنسى الطفلى والتى تؤثر فى نتائجها تأثيراً حاسماً على النشاط الجنسى للراشدين. وأن كل شخص يصل لأول مرة إلى هذا يجابه مهمة التغلب على عقدة أوديب، التى هو جوهر العصاب ولبه. وكل فرد يفشل فى ذلك يقع فريسة العصاب(٤).

ومن أهم آثارها أنها تعبر عن أحداث النمو ومشكلاته، لأن الطفل من بين سن (٢ ـ ٦) سنوات يبدأ بتمييز العالم الخارجى، ونظراً لأنه يعيش مع أفراد آخرين معه فتصل رغبات (الهو) للجنس بصورة غير مستقرة وتقع على أول شىء فى يده وهو أمه وهنا نجد الطفل كما يرى «فرويد» يرغب فى (امتلاك أمه) كلية، ويكون هذا الحب بلا حدود. أما الأب فيكون فى نظره (موضع الكراهية) لأنه المنافس والغريم له على أمه. ومما يزيد من مخاوفه شعوره بأن الأب يعمل على (الانتقام) منه. ومما يزيد الموقف حدة وتعقيداً أن طلباته من أمه لا تتحقق ولا يجد لها قبولاً، ويتحول حبه الشديد لأمه إلى كراهية شديدة، وينتقل مركز الحب إلى والده من جديد بدافع الخوف الذى يولد تلقائيًا (عقدة أوديب) كمؤشر لهذا الميل الجنسى الذى تعصف به عاطفة الكراهيه

---

(١) انظر: فكر فرويد. ترجمة: جورزف عبد الله. صـ٦٥.

(٢) انظر: علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية. د/ عبد العزيز القوصى. ص:٣٣٢.

(٣) انظر: نفس المصدر. ص:٣٣٢.

(٤) انظر: الإنسان.. من هو؟ قاسم حسين صالح. ص:٤٣.

والحب معاً[1].

كما يرى «فرويد» أن «عقدة أوديب» لها أهمية اجتماعية كبيرة، فهو يعتبر أن عقدة أوديب هى الأساس الذى قامت عليه الأنظمة الاجتماعية والدين والأخلاق. فنشأت الأنظمة والنواهى وما تتضمنه من شعور اجتماعى للقضاء على المنافسة بين الأبناء بعد قتل الأب. ولولا وضعهم لهذه الأنظمة والنواهى لتقاتل الأبناء فيما بينهم، ولأدى ذلك إلى انقراض المجتمع الإنسانى.

ونشأ الدين عن الشعور بالذنب وتأنيب الضمير. كما نشأت الأخلاق عن الرغبة فى التفكير والاستغفار عن هذا الذنب المشترك[2]. ومن الواضح أن رأى «فرويد» فى نشأة الدين والأخلاق غير مقبول. وهو ليس إلا افتراضا خالياً لا يستند إلى أية أدلة تاريخية أو علمية أو منطقية.

ومن أثر هذه العقدة أنها إذا لم تحل حلاً موفقاً فى مرحلة تربيته وتنشئته، فقد تدفعه إلى التورط فى بعض الجرائم، ومن بينها جرائم القتل[3].

●●●●●

---

(1) انظر: قضايا نقدية فى علم النفس المعاصر. د/عطوف محمد يس. ص:٦١، ٦٢. مؤسسة نوفل. بيروت ـ لبنان ـ ١٩٨١

(2) انظر: الأنا والهو. سيجمند فرويد. تذييل. ص:٦٢.

(3) انظر: فلسفة النفس والشذوذ. د/ عبد الله حسين. ص:٥٣. مطبعة الشباب الحديثة. ١٩٤٨م.

## (ب) عقدة إليكترا

**سبب تسميتها:**

يقابل «عقدة أوديب» فى الذكر «عقدة إليكترا» فى الإناث، يقول «فرويد»: «وقد أطلق على عقدة أوديب عند المرأة اسم «عقدة إليكترا»»[1].

تروى الأسطورة اليونانية أن إليكترا **Electra** أجاميمنون **Agamemnon** ملك مسينا، قد أغرت أخاها أوريستس **orestes** على الانتقام من أمها وعشيق أمها، لأنهما قتلا أباها أجاميمنون. وقد حزنت «إليكترا» على موت أبيها حزناً شديداً لازمها حتى الموت[2].

**أساسها:**

وأساس هذه العقدة هو حب البنت لأبيها وكراهيتها لأمها التى تنافسها على أبيها. وحين لا تجد تجاوباً من أبيها تتحول محبتها الشديدة إليه إلى كراهية شديدة وهو ما يكون لدى الفتاة ما يطلق عليه علماء التحليل النفسى (عقدة إليكترا)[3].

**أثرها:**

إن آثار «عقدة إليكترا» هى نفس آثار «عقدة أوديب». ويضاف إليها كما يقول «فرويد»: «وإذا استمرت عقدة أوديب عند المرأة، فإنها تقوم باختيار زوجها على أساس ما عنده من صفات الأب، وتصبح على استعداد للخضوع لسلطته»[4].

وبناء على ما سبق:

تجد أن «عقدة أوديب» تتميز بعنصرين: حب الولد لأمه؛ وكراهيته لأبيه. أما ««عقدة إليكترا» (**Electra**) فإنها تتميز بحب البنت لأبيها وكراهيتها لأمها. وهاتان العقدتان إحداهما أو كلتاهما ضروريتان ـ كما يرى «فرويد» ـ لتكوين ما يسميه بالذات العليا[5].

ولذا يقول «فرويد»: «أن الأنا الأعلى وريث عقدة أوديب»[6].

---

(١، ٢) معالم التحليل النفسانى. فرويد. ص: ١٥١.

(٣) انظر: قضايا نقدية فى علم النفس المعاصر. د/ عطوف محمد يس. ص: ٦٢.

(٤) معالم التحليل النفسانى فرويد. ص: ١٥١، ١٥٢.

(٥) انظر: أسس الصحة النفسية. د/ عبد العزيز القوصى. ص: ١١٩.

(٦) انظر: الأنا والهو. فرويد. ص: ١١٩.

## (٥) الكبت

**مفهومه:**

يقول «فرويد»: «... إن جوهر الكبت **Repression** يكمن ببساطه فى وظيفة رفض واستبعاد شىء من الشعور»[١].

ونظراً لأن الشعور عند «فرويد» لا يتضمن أكثر من مضمون واحد فى نفس الوقت، فإن ذلك يعنى أن الكبت عملية تستبعد من الشعور إما الغريزة أو الواقع[٢].

هذا الكبت يكون للخبرات المؤلمة حتى لا تحدث ألماً للشعور.

ويعبر «فرويد» بطريقة أكثر وضوحاً، فيرى أن فكرة الكبت هو رد فعل ضد صعوبات اجتماعية واقتصادية فى قوله: «إن الأساس الذى يرتكز عليه المجتمع الإنسانى هو فى النهاية فى طبيعة اقتصادية: ذلك أن المجتمع أمام عجزه عن تقديم وسائل العيش لأعضائه دون عمل، يجد نفسه ملزماً بالحد من عدد أعضائه وتحويل طاقتهم من النشاط الجنسى إلى العمل. ونحن هنا أمام الحاجة الحيوية الأبدية، التى ولدت مع الإنسان وما زالت مستمرة حتى أيامنا هذه»[٣].

**نشأته:**

يرى أصحاب التحليل النفسى أن الطفل يتحرك بفعل الغريزة، ولكنه سرعان مايدخل فى تناقض مع متطلبات الحياة الاجتماعية، وتُقمع ميوله العدوانية والجنسية أولاً، بواسطة العائلة التى تمثل متطلبات المجتمع ونواهيه.

ونظراً لأن الطفل يحب إشباع رغباته الطبيعية وفق إرادته؛ ثم يجبر على الانضباط والنظافة. فيمنع الطفل من ضرب رفاقه الصغار وعض أمه وتحطيم ألعابه. ونحرمه فيما بعد، من إشباع ملذاته الجنسية - الذاتية - بهذا تصطدم إرادة الطفل فى كل لحظة، وأمام كل غرض، بإرادة أقوى منها تستعمل قوة أهله ومربيه. وبهذه الطريقة لا تعرف الميول الغرائزية إشباعها الحر. وبما أن كل ميل يظهر لهدف محدد

---

(١) انظر: التحليل النفسى بين العلم والفلسفة. د/ أحمد فائق. ص:٣٧.
(٢) انظر: نفس المصدر.
(٣) الماركسية والتحليل والنفسى. د/ أوسبورن. ص: ٧٨، ٧٩.

فينجم عن ذلك امتناع الطفل عن هذا الهدف[1].

نظراً لأن يجد نفسه أمام وضع لا يمكنه السيطرة عليه، أو أمام عقبة لا يمكنه الالتفات حولها، بل يجب عليه الخضوع وكبح غرائزه.

هذا الكبح يأخذ لغياب كل عملية فكرية وكل وعى ـ مظهر فعل آلى، يعرف «الكبت»[2].

يقول «فرويد»: لقد اضطررنا لأن نفترض وجود عمليات عقلية أو أفكار قوية جداً تستطيع أن تحدث فى العقل جميع الآثار التى تحدثها الأفكار العادية بالرغم من أنها لا تصبح هى نفسها شعورية. والسبب فى أن مثل هذه الأفكار لا يمكنها أن تصبح شعورية هو أن هناك قوى معينة تقاومها، ولولا ذلك لكان فى إمكانها أن تصبح شعورية. وهذه النظرية غير قابلة للرفض لأننا وجدنا فى التحليل النفسى وسيلة يمكن بها إزالة القوة المقاومة وجعل الأفكار المقاومة شعورية.

ونحن نسمى الحالة التى تكون فيها الأفكار قبل أن تصبح شعورية «بالكبت»[3].

بهذا ذهب «فرويد» إلى أن «الكبت» يحدث فى الأصل عن الصراع conflict بين رغبتين متضادتين. وذكر نوعين من الصراع بين الرغبات، يحدث أحدهما فى دائرة الشعور، وينتهى بحكم النفس فى صالح إحدى الرغبتين والتخلى عن الأخرى، وهذا هو الحل السليم للصراع الذى يقع بين الرغبات المتضادة، ولا ينتج عنه ضرر للنفس. وإنما يقع الضرر من النوع الثانى من الصراع الذى تلجأ فيه النفس بمجرد حدوث الصراع إلى صد إحدى الرغبتين عن الشعور وكبتها دون إعمال الفكر فى هذا الصراع وإصدار حكمها فيه. وينتج عن ذلك أن تبدأ الرغبة المكبوته حياة جديدة شاذة فى «اللاشعور» The unconscions، وتبقى هناك محتفظة بطاقتها الحيوية، وتظل تبحث عن مخرج لانطلاق طاقتها المحبوسة، فتجده فى الأعراض المرضية التى تنتاب العصابيين Neurotics[4].

---

(١) انظر: فكر فرويد. إدغاريش ص: ٤٧، ٤٨.
(٢) انظر: نفس المصدر. ص: ٤٨.
(٣) انظر: الأنا والهو. فرويد. ص: ٢٧.
(٤) معالم التحليل النفسانى. فرويد. ص: ٢٨.

أنواعه:

يوجد للكبت عند «فرويد» نوعان:

(١) **الكبت البدائي**: وهو الذى يمنع الاختيار الغريزى للأشياء، الذى لم يحدث مطلقاً أن خرج إلى حيز الشعور، من أن يخرج إلى حيز الشعور. فهذا الكبت عبارة عن موانع وسدود فرضتها الفطرة، موانع وسدود وظيفتها أن تجعل قدراً كبيراً من محتويات «الهو» بحيث تظل لاشعورية على الدوام. كما أن الفرد يولد مزوداً بهذا النوع من الكبت البدائى نتيجة ما سبق للجنس أن خبّره وعاينه من المواقف الأليمة. مثال ذلك: أن التحريم (أو الطبو) المفروض على الاتصال الجنسى بالمحارم إنما يقوم على رغبة قوية عند الفرد فى أن يتصل بوالده أو والدته اتصالاً جنسياً. لكن الأبوين يعاقبان كل تعبير عن هذه الرغبة. ويتكرر هذا المرة بعد المرة فى تاريخ الجنس البشرى، إلى أن ينغرس فى الإنسان ويرسخ كبت هذه الرغبة المحرمة ويصير كبتاً بدائياً. أعنى أن الأجيال الناشئة المتتالية لا تكون مطالبة بأن تتعلم كبت هذه الرغبة بعد أن صار هذا النوع بالذات من الكبت أمراً متوارثاً فطرياً.

والاختيارات الغريزية الخطرة فى هذا النوع من الكبت قد تؤثر فى السلوك بعدة أساليب غير مباشرة، كما أنها قد ترتبط بأمور أخرى تتمكن من الخروج إلى حيز الشعور، وبذلك تستثير القلق[1]. فهذا النوع من الكبت يقوم على الإدراكات الحسية.

(٢) **الكبت العادي**: وهو الذى يطرد الخطر من الذكريات أو الأفكار أو الإدراكات الحسية من حيز الشعور، ويقيم فى وجهها السدود كما يحول بينها وبين أن تنصرف فى سلوك حركى.

مثال ذلك: أن الكبت قد يمنع المرء من أن يدرك شيئاً واضحاً، وقد يشوه مايراه أو يزيف ما يصل إليه عن طريق الحواس من بيانات، وذلك لكى يحمى «الأنا» من أن تدرك شيئاً خطراً، أو شيئاً مرتبطاً بالخطر الذى قد يستثير القلق. كذلك قد يفعل الكبت فعله فى الذكريات التى هى بمثابة صدمات أليمة أو فى الذكريات التى ارتبطت بصدمات أليمة. والذكريات ذات الارتباط بالصدمات الأليمة قد تكون غير ذات ضرر، لكن تذكر المرء لها قد يجر عليه تذكر خبرات صادمة أليمة كذلك. عندئذ تجد

(١) انظر: علم النفس عند فرويد. تاليف: د/ كالفن س. هول .ص:٩٩، ١٠٠.

مجموعة مركبة من الذكريات قد وقعت تحت سلطان الكبت وتأثيره ـ كذلك قد ينصب الكبت على الأفكار الخطرة[1].

**وظيفتة:**

هو القضاء على ما يحدث فى النفس من قلق عن طريق إنكار أو تزييف خطر داخلى أو خارجى يهدد سلامة «الأنا»[2].

**فيزعم «فرويد» أن الطفل فى المرحلة القضيبية من الغريزة الجنسية يتجه بنزعاته الجنسية نحو أمه، وحين يجد الأب عائقاً أمام هذا الاتجاه يشعر بالكراهية نحو أبيه ويكبت مشاعره نحو أمه خوفاً مما سماه «فرويد» بالخصاء. ثم يشعر بضعف هذا الرأى فيقول: «نحن نعرف إلى أى حد يبتعد رأينا هذا عن وجهة نظر العامة لكننا نتمسك بموقفنا وهو أن الخوف من الخصاء من أقوى الدوافع إلى الكبت»[3].**

**كما أن «فرويد» يرى أن الكبت يقوم بخلق الشعور من اللاشعور.**

●●●●●

(١) انظر: المرجع السابق. ص: ١٠٠، ١٠١.
(٢) انظر: المرجع السابق .
(٣) انظر: فرويد فى التحليل النفسى. ترجمة: د/ أحمد عزت راجح. ص: ٧٩.

## (٦) الأحـــلام

### {١} مفهومها:

يقول «فرويد»: أن الحلم هو التحقيق المتنكر لأمنية مكبوتة، وهو التوفيق بين متطلبات ميل ممنوع والمقاومة التى تثيرها الرقابة النابعة من«الأنا»(١).

من هذا النص نجد أن الأحلام عند «فرويد» عبارة عن عمليات لتحقيق الرغبات أو لمحاولة تحقيقها، أى أننا نحلم بما نريد.

والحلم نتاج نفسى داخلى، ينبع من الشخص النائم، وليس رسالة سماوية. بل هو إشباع تخيلى لرغبة غير مشبعة. هذا الحلم لا يرجع إلى الاضطراب فى العلاقات، بل هو ينطبق مع وظيفة تحددها الحياة النفسية.

ولذا يرى «فرويد» أن تفسير الحلم ينزع عنه صفة العبث وعدم الانسجام التى يظهر فيها فى غالب الأحيان. وبدل أن يكون غريباً وخارقاً فإنه يندمج، بشكل عادى فى نفسية الفرد العميقة(٢). واعتبر الأحلام هى الطريق لبلوغ أعماق اللاشعور.

وبهذا أعاد «فرويد» ـ من وجهة نظر علماء النفس ـ للحلم طابعه النفسى ووضع الحلم على قاعدة مادية، وسعى إلى إدراك أولياته بدل أن يعيده إلى التفسيرات الخرافية(٣).

### {٢} عملها:

هو عبارة ـ كما يقول «فرويد» ـ عن «العملية التى تخرج مادة الحلم الظاهرة من أفكار الحلم الكامنة»(٤). ومادة الحلم الكامنة هى المادة اللاشعورية التى وجدت فى النوم فرصة للوصول إلى الشعور.

---

(١) الماركسية والتحليل النفسى. د/ أوسبورن. ص:٤٣.
(٢) انظر: فكر فرويد. إدغاربيش. ص:٥٣.
(٣) انظر: نفس المصدر. ص:٥٣.
(٤) معالم التحليل النفسانى. فرويد .ص:٩١.

أما مادة الحلم الظاهرة هى ما يقوم به «الأنا» من التحريف والتغيير والتبديل فى المادة اللاشعورية بقصد وقاية النفس مما تثيره هذه المادة من قلق وألم[1].

وبذلك يكون عمل الحلم عند «فرويد» هو عبارة عن الطريق الذى يؤدى إلى ظهور المادة اللاشعورية من «الهو» (سواء كانت هذه المادة فى الأصل لاشعورية أو أصبحت لاشعورية بالكبت) نحو «الأنا» وتصبح قبل الشعور، ثم تحدث فيها بفعل «الأنا» تلك التعديلات التى يطلق عليها «تحريف الحلم». وعلى هذا الأساس يمكن تفسير جميع التفاصيل التى تظهر فى الأحلام[2].

**[٣] نشأتها:**

يقول «فرويد» أن الأحلام قد تنشأ إما من «الهو»، وإما من «الأنا»[3]. وهذا يعنى أن الأحلام تنشأ عنده بطريقتين مختلفتين هما:

**الأولى: نشأة الأحلام من «الهو»:**

يقول: «فرويد»: «أن أحد الدوافع الغريزية التى تكون عادة مقموعة (أى إحدى الرغبات اللاشعورية) تجد قوة كافية أثناء النوم تجعلها تؤثر فى «الأنا»[4].

وهناك أدلة كثيرة لدى «فرويد» مقنعة على الدور الذى يلعبه «الهو» اللاشعورى فى تكوين الأحلام أهمها كما يقول «فرويد» ما يلى:

( أ ) إن عدد الذكريات التى تظهر أثناء الحلم يفوق كثيراً عدد الذكريات التى تظهر أثناء اليقظة، وهذا يعنى أن الأحلام تعيد ذكريات كان الشخص قد نسيها ولا يستطيع أن يتذكرها أثناء اليقظة.

(ب) أن الأحلام تستخدم رموزاً لفظية بصورة لا حد لها. ويكون معنى هذه الرموز فى معظم الأوقات غير معروف للحالم. غير أننا نستطيع بما لنا من خبرة أن نعرف معناها. ومن المحتمل أنها تنشأ من المراحل الأولى لنشوء الكلام.

(ج) أن الذاكرة أثناء الأحلام تستعيد ذكريات من أيام الطفولة الأولى للشخص الحالم، نستطيع منها أن نؤكد فى يقين أنها ليست فقط منسية، بل إنها قد أصبحت لاشعورية نتيجة لما عانت من كبت[5].

---

(١) المرجع السابق. ص: ٩٠.

(٢، ٣، ٤) المرجع السابق. ص: ٩١.

(٥) المرجع السابق. ص: ٩٢، ٩٣.

(د) أن الأحلام تمدنا بجزء من الميراث الفطرى الذى يحضره الطفل معه إلى هذا العالم نتيجة لخبرات أسلافه، وذلك قبل أن تحدث له أية خبرة خاصة. ونجد فى أساطير الناس القديمة، وفى التقاليد الباقية عناصر تماثل هذه المادة المتعلقة بنشوء الجنس. وهكذا نرى أن الأحلام تمدنا بمصدر لتاريخ الإنسان القديم لا يجب التقليل من شأنه.

ثم يقول «فرويد»: وترجع الاهمية الكبيرة التى للأحلام فى مدنا بالمعلومات إلى هذه الحقيقة وهى: أن الافكار الموجودة قبل الشعور التى تجد فيها المادة اللاشعورية مجالاً للظهور إنما تعتبر أثناء عمل الحلم كأنما هى أجزاء لا شعورية من «الهو»[1].

**الثانية: نشأة الاحلام من «الأنا»:**

ويعبر عنها «فرويد» بقوله: «أن رغبة متخلفة من حياة اليقظة - أى سلسلة من الأفكار الموجودة قبل الشعور بكل ما تضمنه من الدوافع المتصارعة - تلقى تدعيماً أثناء النوم من أحد العناصر اللاشعورية»[2].

فهذه الطريقة تتلخص فى ارتداد الأفكار الموجودة قبل الشعور التى تتدعم بدافع غريزى لا شعورى إلى حالة اللاشعور. ويرى «فرويد» أنه من خلال هذه الطريقة وحدها يستطيع أن يكتشف القوانين التى تسود العمليات اللاشعورية، وأن نعرف النواحى التى تختلف فيها هذه القوانين عن القوانين المألوفة فى التفكير أثناء اليقظة وعلى ذلك (فعمل الحلم هو فى جوهره صياغة للعمليات الفكرية الموجودة قبل الشعور صياغة لاشعورية). ولكن ليس من الممكن أن ننكر أن الحلم حل وسط. فمنظمة «الأنا» لم تتعطل بعد تعطيلاً تاماً. ويظهر نفوذها فى التحريف الذى تدخله على المادة اللاشعورية، وفى محاولتها الفاشلة فى معظم الأحيان لإعطاء النتيجة النهائية للحلم شكلاً يكون مقبولاً من «الأنا» ،وذلك بإضافة بعض التفصيلات الثانوية أو التحسينات الثانوية[3].

---

(١) المرجع السابق. ص: ٩٤، ٩٥.
(٢) المرجع السابق. ص: ٩١.
(٣) المرجع السابق. ص: ٩١، ٩٥.

صياغة الحلم:

هى عبارة عن اكتشاف المحلل النفسانى الميكانيكيات النفسية اللاشعورية التى عن طريقها تعبر المادة المكبوتة إلى الشعور. والتى تتحول الإثارات التى تقلق النوم إلى «حلم» وتولد صوراً تفصح بها المادة المكبوتة عن نفسها.

وقد ذكر «فرويد» بعض الوسائل التى تنشط فى أثناء صياغة الحلم لتحويل المضمون الكامن إلى مضمون ظاهر. وأهمها ما يلى[١]:

[١] التكثيف:

هو عبارة عن ميل نحو تكوين وحدات جديدة من عناصر هى بالضرورة منفصلة بعضها عن بعض فى أفكارنا أثناء اليقظة. وينتج عن ذلك أنه غالباً ما يرمز عنصر واحد فى الحلم لعدد كبير من أفكار الحلم الكامنة، كأنما هو إشارة مركبة تشير إليها جميعاً. وعلى العموم فإن حجم الحلم الظاهر صغير جداً بالنسبة إلى ثروة المادة التى نشأ عنها[٢].

(٢) النقل (الإبدال):

يقول «فرويد» إن «النقل» **Ledeplacement** هو الطريقة المستعملة أساساً فى أثناء تشويه الحلم والتى تتدخل تحت تأثير الرقابة.

فـ «النقل» هو المسئول الأساسى عن الطبيعة غير المفهومة للحلم.

فالاهتمام العاطفى بعنصر هام فى المضمون يمكن أن «ينقل» إلى عنصر أقل أهمية حتى إن الحلم الظاهر يكون مركزاً على عناصر ثانوية أو قليلة الأهمية. وهكذا فإن مايبدو موضوعًا أساسيا للحلم قد لا يكون له فى الواقع سوى عامل لا معنى له ويكون المعنى الحقيقى مرتبطاً بعنصر مختلف[٣].

ثم يقول «فرويد»: ومن السهل أن نتصور كيف يمكن أن تزداد صعوبة تفسير الحلم، وتوضيح العلاقات بين الحلم الظاهر وبين أفكار الحلم الكامنة بفضل هاتين العمليتين: «التكثيف» و «الإبدال». وتستنتج نظريتنا من وجود هاتين النزعتين نحو

---

(١) انظر: الماركسية والتحليل النفسى. د / روبن أوسبورن. ص: ٤٣.
(٢) انظر: معالم التحليل النفسانى. سيجمند فرويد. ص: ٩٦.
(٣) انظر: الماركسية والتحليل النفسى. د / روبن أوسبورن. ص: ٤٤.

التكثيف والإبدال أن الطاقة توجد فى «الهو» اللاشعورى فى حالة حركة مطلقة. وأن «الهو» يهتم اهتماماً فائقاً باقتناص الفرص التى تسنح له لإطلاق كميات من طاقته.

ومثال ذلك: الضابط الصغير الذى يتقبل التوبيخ من رئيسه فى هدوء ثم يصب كل غضبه على أول جندى بسيط يصادف أن يقابله[1].

(٣) المسرحة:

هى وسيلة تتحول بواسطتها أفكار الحلم إلى صورة مرئية، والأفكار المجردة إلى أشياء ثابته. وترتبط ميكانيكية المسرحة ارتباطاً وثيقاً بمكانيكية النقل، لأن اختيار الفكرة التى سيتم التركيز عليها بالاشتراك مع العنصر الهام تعتمد على إمكان تصوير هذا العنصر تصويراً مرئياً. يقول «فرويد»: «فنشاط الحلم لا يتردد فى إعادة تأسيس فكرة صلبة بسرعة وإعطائها شكلاً آخر حتى ولو كان هذا الشكل أكثر غرابة، ما دام هذا الشكل الجديد ييسر تحويل هذه الأفكار إلى صور مرئية، واضعاً بذلك نهاية للقلق الذى تثيره فكرة متسلطة»[2].

وبهذا يأخذ الحلم شكل حركة أو نشاط مسرحى. أما معطيات الزمن والمكان فلا تتدخل فى لعبة الأفكار الظاهرة.

(٤) ميكانيكية الصياغة الثانوية:

يقول «فرويد»: تتدخل ميكانيكية الصياغة الثانوية فى لحظة الاستيقاظ ولا تتوقف عند هذا الحد. وتتم صياغة الحلم بواسطة الرقيب المتيقظ الذى يجعله أكثر اتساقاً وأقرب للمنطق. ويتم إخفاء بعض العناصر بصورة أفضل حتى لا تزعج الشعور. وتربط العناصر المختلفة للحلم الظاهر ببعضها حتى يكون الحلم كلاً، ولكن يجب الاحتراس، بصفة عامة من الرغبة فى تفسير جزء من الحلم الظاهر بواسطة جزء آخر كما لو كان الحلم فكرة واحدة متسقة أو كما لو كان يشكل تمثيلاً عملياً»[3].

ولذا فإن نتيجة الصياغة الثانوية هى إعطاء الحلم شكلاً جديداً كلية وزيادة صعوبة تفسيره.

---

(١) انظر: معلم التحليل النفسانى. فرويد. ص:٩٧.
(٢) انظر: الماركسية والتحليل النفسى. د/ روبن أوسبورن. ص:٤٤، ٤٥.
(٣) انظر: نفس المصدر. ص:٤٥.

[٤] أنواعها:

الأحلام نوعان: أحلام النوم، وأحلام اليقظة.

[١] أحلام النوم. وهى التى سبق الحديث عنها.

[٢] أحلام اليقظة: وهى التى تشبه أحلام النوم فى كثير من الوجوه أهمها: أنها مجال للتعبير عن النزعات التى لا يمكن تحقيقها فى حياة الواقع.

مثل: الشخص الذى يسعى إلى الطموح ويجد السبل أمامه غير ميسرة، يشرد ذهنه[١] . ويسبح فى عالم الخيال، وهى الحالة التى يطلق عليها العامة لفظ (السرحان). هذا الشخص الذى يفقد صلته بالعالم الخارجى، يعيش بينه وبين نفسه، فهو كالنائم ولكنه ليس بنائم، إنها حالة بين اليقظة والنوم. فهذا الشخص تجول فى ذهنه خواطر، كل منا تمر به هذه الحالة. فهى أمر طبيعى، ولا يعد ذلك مرضاً إلا إذا كثر شرود الشخص إلى درجة تؤرق منامه وتعطل أحواله. وكل منا يتجه فى أوهامه حسب ميوله ورغباته وظروفه وفى المثل: (كل يغنى على ليلاه)، فالطالب يذهب به الخيال إلى مرحلة الامتحان ثم يتصور بعد ذلك أنه جاز الامتحان بنجاح عظيم ثم هيأت له الظروف عملاً عظيماً فى إحدى الشركات يدر عليه الربح الوفير، فلبس فاخر الثياب، ويقتنى السيارات الحديثة. . . وهذا تاجر كاسد الحال يتصور أن الصفقة المقبلة ستكون خيراً وبركة، ثم يمتلئ بالمال، فيقضى ما عليه من دين، ويوسع تجارته[٢].

وتكثر أحلام اليقظة عند الأطفال والمراهقين، فنجدها فى الأطفال عادة قبل سن الثامنة كما نجدها فى أوائل المراهقة. فتجد الطفل يحلم بما يشعر أنه محروم منه. فالمحروم من اللعب يحلم به والمحروم من الزملاء يحرم بهم. وكثير من الأطفال يتصورون الصنبور إذا فتح فقد يصب أقراصاً من «الشيكولاته» يتبع بعضها بعضًا دون انقطاع، أو يتصور نفسه وقد أصبح رجل البيت يحكم ويأمر وينهى ويمنح ويمنع كما يفعل والده. . . وهكذا[٣].

فما لا يستطيع الإنسان أن يحققه فى عالم الواقع، لا يجد سبيلاً إلى تحقيقه إلا فى عالم الخيال، والدافع إلى ذلك أن الإنسان يحب دائما تحقيق رغباته، كالحصول

---

(١) انظر: علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية. د/ عبد العزيز القوصى. ص: ٣٣٧.

(٢) انظر: خلاصة علم النفس. د/ أحمد فؤاد الأهوانى. ص: ١٠٦، ١٠٧. وزارة المعارف مطابع ١٩٥٤ مذكور.

(٣) انظر: علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية. د/ عبد العزيز القوصى. ص: ٣٣٧.

على المال والمركز والزواج والأولاد والأسفار إلى غير ذلك، وكثيراً ما تقوم عقبات كثيرة فى طريق هذه الرغبات تحول دون تحقيقها، فيعمد صاحبها إلى أحلام اليقظة يسرى فيها عن نفسه، ويحقق رغباته المختلفة[1].

**٥) أسبابها:**

سبب الأحلام عند «فرويد» هو الرغبات الكامنة والدوافع. وفى بحث حديث أثبت العالم البريطانى «مارك سولم» أخصائى الأعصاب بمستشفى سانت بارتولوميو فى لندن أن مركز الأحلام يوجد فى جزء من المخ يطلق مادة «الدوبامين» وهو ما يثبت أن الأحلام مرتبطة بالتفكير. وقال إنه أجرى دراسة على ٣٥٠ مريضاً مصابين بعيوب فى مركز الأحلام، وهو عبارة عن شبكة من الألياف فى الفص الأمامى للمخ، وتبين أنهم لم يعودوا يحملون بعد الإصابة. وأوضح أيضاً أن هذا الجزء من المخ يتحكم فى الرغبات والدوافع[2].

**٦) خصائصها:**

يوجد للأحلام عند «فرويد» خاصيتين مشتركتين وهما:

**الأولى:** أن الأحلام ظواهر تحدث ونحن نيام وكون الحلم ممكنًا أثناء النوم يعنى أن قانون الحياة النفسية أثناء اليقظة يختلف عن قانونها أثناء النوم. ففى أثناء اليقظة يصبح الإنسان مجبرًا على الانصراف عن نفسه والانشغال بالعالم. لذلك يخضع فى نشاطه لقواعد الواقع، ويلتزم فى مطالبه بالتزامات المجتمع وقيوده، بقدر ما تمكنه نفسه من ذلك وبقدر ما يتطلبه الواقع. أما إذا نام فإنه يسحب اهتمامه من العالم ليتجه به إلى نفسه، فيسير نشاطه وفق ما يرتئيه من متعة، وحسب ما يجد من لذة، لا يمكنه أن يباشرهما مع الناس. وقد عبر «فرويد» عن ذلك بقوله: إن النوم هو انسحابه طاقة الغريزة من موضوعاته الخارجية، وارتداده إلى منبعه الأصلى، وهو الشخص نفسه حيث يعود إلى عشق ذاته. ولا يختلف النائم فى ذلك عن الوليد الجديد الذى لم يستثمر طاقة غريزته فى موضوعات خارجية بعد. إن الحلم إذا رده إلى حال سابق كان الإنسان فيها ضنينا باهتمامه يستأثر به لنفسه.. إن الحلم رده إلى الطفولة[3].

---

(١) انظر: خلاصة علم النفس. د/ أحمد فؤاد الأهوانى. ص:١٠٧.
(٢) انظر: جريدة الأهرام - الأربعاء الموافق ١٠ شوال سنة ١٤١٩هـ، ٢٧ يناير سنة١٩٩٩م.
(٣) انظر: التحليل النفسى بين العلم والفلسفة. د/أحمد فائق. ص:٤٧، ٤٨.

بهذا انتهى «فرويد» فى نظريته للأحلام إلى أنها النشاط النفسى للنائم الذى يعود به إلى مشاعر طفولته المكبوتة. لأن النائم كالطفل فى حياته النفسية فكل منهما منشغل عن الواقع بذاته. والمنحرف كالطفل فى إشباعهما للذاتهما فكل يسعى إليها غير مكترث بأهداف واقعية أو موضوعات خارجية.

إن الحلم والجنس يكشفان لنا مدى عشق الشخص لذاته إذا ما تعرض لأفكار من الواقع لمطالب صاحبهما.

ويتضح مما سبق أن وصول «فرويد» لتأويل الحلم كان شرطاً لكشف طبيعة الجنس وطفليته.

فالجنسية الطفلية فى وضعها الجديد تحقيق للرغبة فى مستوى تحقيق الرغبات فى الأحلام لأنها تحقيق وهمى مهتلس ولا تشكل شعوراً واضحاً بالتحقيق فى نفس الطفل[1].

**الثانية**: أن الأحلام صورة بصرية لا دخل للكلمة فيها إلا فى حدود لفظ أو عبارة قصيرة لفظناها أو سمعناها أثناء النهار. ثم لاحظ أن العالم لابد وأن يكون عنصراً من عناصر حلمه،وأن الانطباعات القديمة تشكل اكبر جانب من عناصر الحلم.

فهذه الخاصية تفسر لنا ارتباط الحلم بانطباعات قديمة. فإن ما يمر به الإنسان من أحداث يتحول إلى ذكريات. ومن طبيعة الذكريات سهولة تحولها إلى انطباعات حسية، ويكون الانطباع البصرى هو الغالب عليها.

إلا أن هذه الحقيقة التجريبية لا تكفى لتفسير اقتصار الأحلام على الصور البصرية وحدها، ولكن أهم ما فى هذا الأمر ـ وهو لب اهتمام «فرويد» ـ أن استعادة الذكرى فى صيغة الإحساس البصرى ينفى عنها ماضيها ويحيلها إلى حاضر معاش. فرؤية شخص أو منظر قبل النوم، ثم استعادته أثناء الحلم، يجعلنا أثناء الحلم نعيش فى الماضى مرة أخرى فى صيغة الحاضر. بعبارة ثانية إن الحلم ظاهرة تحيل الماضى إلى حاضر، حيث يكون الحالم هو موضوع الحاضر بفعل النوم ذاته[2].

فكون الحلم صُوراً بصرية، يعنى أن الإنسان يقوم فى ذهنه بترجمة مستمرة.

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص:٥٨.

(٢) انظر: المرجع السابق. ص:٤٧.

فالأحداث المرئية تترجم إلى صيغ لغوية، تماماً كما يحدث عندما تترجم الصيغ اللغوية إلى صور مرئية. فاللغات البدائية تعبر عن الأفكار بالصور، فى الوقت الذى تقوم فيه اللغات الحديثة بترجمة الصور إلى كلمات. تلك الخاصية الإنسانية تلتقى مع ما سبق «فرويد» استخلاصه بصدد رده الحلم إلى الطفولة. إن لغة الطفل لغة بدائية. فإذا كنا نرتد أثناء النوم إلى طفولتنا فستكون وسيلة التعبير عن أفكارنا هى الصورة[1].

**٧) وظائفها:**

**يوجد للأحلام عند «فرويد» عدة وظائف، أهمها:**

**(١) حماية النوم من العوامل المقلقة والعمل على استمراره.. فحينما تكون نائماً وتسمع جرس الباب يدق فإنك تحلم بأنك قد فتحت الباب للطارق وذلك كى تستمر فى نومك الهانىء.. وحينما تجوع فإنك تحلم بأنك تأكل فى وليمة، وهذا الإشباع الخيالى للجوع يعمل على استمرار النوم بلا انقطاع لأن الجوع قد يهددك باليقظه..**

**وهكذا يستمر النوم بأن تندمج المثيرات المقلقة فى أحد الأحلام.[2].**

**ثم يقول «فرويد» أيضاً: «أن الحلم هو حارس النوم، وأن وظيفة الحلم هو أن يساعد على استمرار النوم لا أن يقلقه، كما أن الحلم يخلصنا من التوتر الذى تسببه الرغبات التى لم نستطع الحصول عليها»[3].**

**٢) إشباع الرغبات المكبوتة وهى غالباً ذات طبيعة جنسية لأن هذه الرغبات تترسب فى اللاشعور ثم تسنح لها الفرصة أثناء النوم فتطفو..**

**ولذلك فإن وظيفة المحلل النفسانى هى أن يحاول اكتشاف تلك الرغبات المكبوتة من خلال تفسيره للأحلام[4].**

**وكان «فرويد» يستعمل الاحلام فى الكشف عن عالم اللاشعور عند المريض، لأن المرضى عن طريق التداعى الحر كانوا يذكرون أحلاماً معينة خلال حديثهم عن الأعراض التى يشكون منها مما جعل «فرويد» يتساءل عن دلالة الأحلام، وهكذا دخلت الأحلام فى مجال بحث علم النفس التحليلى[5].**

---

(١) انظر: التحليل النفسى بين العلم والفلسفة. د/ احمد فائق. ص:٤٨.
(٢) انظر: ملامح الفكر الأوربى المعاصر. د/ صلاح عدس. ص:٦٤. دار الهلال . عدد ٣٠٤.
(٣) انظر: نفس المصدر. ص:٦٣.
(٤) انظر: نفس المصدر. ص:٦٤
(٥) انظر: نفس المصدر.. ص:٦٣.

## (٧) مصادر التحليل النفسى

ستجد أن مصادر التحليل النفسى ترجع إلى ثلاثة مصادر هى: الأساطير اليونانية، والعقائد اليهودية، والثقافة الغربية. وسنتكلم عن كل واحد منها قدر الاستطاعة.

### [١] الأساطير اليونانية:

يقول «دافيد باكان»: عندما يعرض لنا أحد الكتاب شروط الحياة السياسية والاجتماعية لليهود فإنه يستند فى دراسته على الأساطير لا على المعطيات التاريخية. ومحصول الأساطير الذى ينقل القسم الأكبر من التراث المكتوب، لا حصر له[١].

وهذا يعنى أن «فرويد» تأثر بالتراث الصوفى اليهودى - كما سيأتى بعد - الذى يعتمد على الأساطير والرموز... إلخ.

فلقد اعتمد «فرويد» على الأساطير اليونانية القديمة، كأسطورة «أوديب» الملك الذى قتل أباه وتزوج بأمه، وأنجب منها أطفالا ولكن لعدم معرفته بأن هذا أبوه أو تلك أمه، وانكشف له هذا الأمر ففقأ عينيه عقاباً لنفسه. وقد أرجع «فرويد» الأخلاق والدين والنظم الاجتماعية إلى هذه العقدة.

كما اعتمد على الأسطورة اليونانية التى تروى أن «إليكترا» بنت أجاميمنون ملك مسينا فقد أغرت أخاها أوريستس على الانتقام من أمها وعشيق أمها لأنهما قتلا أباها، وقد حزنت على أبيها حزنًا لازمها حتى الموت[٢].

- وحين ترجع إلى الفلسفة اليونانية القديمة تجد أن (بارمنيدس) قد زعم بأن العلاقة الجنسية هى النقطة المركزية غير المنظورة لكل فعل وسلوك، وهى تطل برأسها فى كل مكان بالرغم من جميع الأقنعة التى يغلفونها بها، وهى سبب الحرب، ونهاية السلام[٣].

---

(١) انظر: فرويد والتراث الصوفى اليهودى. دافيدباكان. ترجمة وتقديم: د/ طلال عتريسى. ص:١٢.

(٢) معالم التحليل النفسانى. فرويد. ص:١٥١.

(٣) انظر قصة الفلسفة. ول ديورانت. ترجمة: د/ فتح الله محمد المشعشع. ص:٥٤٢. مكتبة المعارف - بيروت. الطبعة الخامسة ١٩٨٥م.

{٢} العقائد اليهودية:

لقد تحدث «تيوبريمير» Theopfrimmer فى كتابه «فرويد قارىء التوراة» عن أربعمائة نص توراتى اكتشفها فى كتابات «فرويد» ومراسلاته. وبحث عن علاقته بالكتابات المقدسة وتماهيه ببعض الشخصيات التوراتية وأهمها: موسى ويوسف، الأول كمخلص لشعبه، والثانى كمفسر الاحلام.

كما ذكر «أرنست سيمون» فى The Jew sigmund freud عدة نصوص توراتية فى مراسلات هذا الأخير مع «مارتا وفليس»، تشير إلى معرفة جيدة بالتوراة. أماEva M.Rosenfeidفى مقالها: Eva (1956) "Dream and vision. some remarks: M.Rosenfeld on Freud's egyptian birddram" بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد «فرويد»، فتحدثت عن العلاقة بين حلم رواه «فرويد» وبين بعض نظرياته ودراساته، وكذلك عن التقارب بين «فرويد» وقصة موسى.

وأشار Alexandre Grinstein فى " Sigmund freud's Dreams(1968) إلى تأثيرات قراءات «فرويـد»، ومن بينها التوراة، على أحـلامه. وكـذلك فعل Joachim scharfenberg Dider annien. أما الأصول التلمودية للفكر التحليلى فقد أفرد لها Gerard Haddad كتاب: «الطفل غير الشرعى. المصادر التلمودية للتحليل النفسى».

L'enfantillegitime .sources talmudiques de Lapsychanalyse 1981" وكان Rieoeurpaut قد تناول هذه الفكرة أيضا، فى كتابه. "de I'interpretation essai sur Freud حيث ربط بين الشك soupcon عند «فرويد» وطريقة التفكير التلمودية والمأثور الشفوى[1].

ومن عناوين هذه المؤلفات والمقالات يتضح أن للعقائد اليهودية أثر كبير على فكر «فرويد».وهذا ما أحسه، وجزم به، وتعداه إلى أحداث ووقائع تاريخية. ثم تسربت إلى نظرياته وفرضياته.

لقد أحس «فرويد» بيهوديته فى كتابه «حياتى والتحليل النفسى» فيقول:

---

(١) انظر: فرويد والتراث الصوفى اليهودى. دافيد باكان.ص:٧، ٨.

«ولدت في السادس من أيار ـ مايو ـ ١٨٥٦، في فرايبورغ بمورافيا، كان والدىّ يهوديين وبقيت أنا كذلك».

ويتكرر هذا التوكيد حين دخوله إلى الجامعة فيقول:

«عند التحاقى بالجامعة عام ١٨٧٣ عانيت من خيبة الأمل الشىء الكثير. فقد واجهت التزامًا غريباً: كان علىّ أن أشعر أننى دون غيرى من الناس وأننى غريب عنهم لأننى كنت يهودياً..

ثم يجزم بفعالية تأثير التوراة عليه فيقول:

«إن استغراقى المبكر فى التاريخ التوراتى (منذ تعلمت القراءة تقريباً) كان له، كما اكتشفت ذلك فيما بعد، تأثيراً ثابتاً على وجهة اهتمامى.

ولا يقف الأمر عنده على مجرد أحاسيس واستنتاجات خاصة، بل يتعداه إلى وقائع وأحداث تاريخية. فقد أرسل والده إليه عام ١٨٩١ نسخة التوراة القديمة التى كان يقرأ فيها وهو طفل وذلك بمناسبة بلوغه الخامسة والثلاثين من العمر. كتب الوالد الإهداء باللغة العبرية بعد أن ذكر اسم سيجموند باللغة نفسها: «ولدى العزيز شلومو» مستعيداً بعض فقرات العهد القديم» دلالة على معرفة «فرويد» بالتوراة وباللغة العبرية»[1].

وسوف تجد تأكيد «فرويد» المتكرر لانتمائه للعرق اليهودى، له دلالة كبيرة فى تاريخ التحليل النفسى أكثر مما يُظن الآن[2]. وخاصة التصوف اليهودى، الذى لعب دوراً هاماً فى الصلة بين اليهودية والعالم الغربى، هذا التصوف الذى لا يقدم غالباً أبحاث لاهوتية، بل «رموز، وأساطير، وخرافات، وأمثال، ونكات، ومحاولات تفسير المعلمين الهاسيديين ولتلاميذهم؛ ولتراثهم وحكمتهم».

هذا التصوف كان عاملاً هاماً عند «فرويد» ويبدو أنه أثر بأن نَمّى عنده نوعاً من قابلية التأثر الإدراكية والانفعالية وحدد بعض ردود الفعل المرتبطة بالمشاكل التى واجهها[3].

وفيما يلى نحاول أن نذكر بعض أوجه الشبه بين التراث اليهودى الصوفى

---

(١) المرجع السابق. ص: ٩، ١٠.
(٢) انظر: المرجع السابق. ص: ١٥، ١٦.
(٣) انظر: المرجع السابق. ص: ١٧.

وعناصر التحليل النفسى عند «فرويد» لنعرف من خلالها إلى أى مدى كان «فرويد» متأثراً به.

والتراث الصوفى لليهودية يمثله «الكابال» وإليك هذه الأوجه.

**التشابه بين «الكابال» والتحليل النفسى عند «فرويد»:**

**(١) طريقة التداعى الحر عند «أبولافيا»**

يعتبر «أبولافيا» المولود سنة (١٢٤٠م) فى أسبانيا من الشخصيات الكابالية الهامة، وأهميته هنا تكمن فى الطريقة التى استخدمها والتى تشبه بشكل كبير طريقة التحليل النفسى فى «التداعى الحر»،لقد وضع «أبولافيا» طريقتين أساسيتين فى التأمل لـ «راحة النفوس، ونزع العقد التى تكبلها»، لأنه يعتقد أن قوى الإنسان الداخلية تعيق نشاطاته اليومية. وبهاتين الطريقتين التاليتين تجده وكأنه أمام نظرية الكبت، وعن دور «الأنا» فيها، لكى يتم تحرير النفس ويمنعها من الغرق فى السيل الكونى، ولكن الاتصال بالمد الإلهى يتطلب التخلص منها.

**الطريقة الأولى:** وهى الطريقة التفسيرية. وتعتمد على التلاعب بأحرف الألف ـ باء: فيتم أثناء التأمل فصل الأحرف وإعادة مزجها إلى أن يستحدث منها موضوعات جديدة فترتيب الأحرف ليس اعتباطياً وإنما يتوافق مع مبدأ فوقى؛ ونتائج حركات الأحرف تعطى لمحة أكثر عمقاً لطبيعة الإلهى[١].

وهكذا نرى لدى «أبولافيا» اقتناعاً بأن هذا النوع الجديد من اللغة ليس نزوة بحتة بل يخضع «لمنطق» آخر. منطق عالم الله الحقيقى، الذى سيصبح عند «فرويد» «منطق اللاوعى».

**الطريقة الثانية:** هى طريقة «القفز والوثب».

وطريقة القفز والوثب من فكرة إلى فكرة، ليست فى الحقيقة إلا طريقة مميزة لاستخدام التداعيات كوسيلة للتأمل، إلا أنه ليس تماماً «التداعى الحر» المعروف فى التحليل النفسى، بل هو طريقة فى الانتقال من تداع إلى آخر وفقاً لقواعد معينة ـ علماً بأن «فرويد» لا يوافق على أن التداعى الحر لا يخضع لأية قواعد ـ فكل «قفزة» تفتح مجالاً جديداً له خصائص شكلية ولكن غير مادية. داخل هذا المجال يمكن للفكر أن يتداعى بحرية. تجمع «القفزة» عناصر من تحليل حر موجة، وتؤدى إلى

---

(١) انظر: فرويد والتراث الصوفى اليهودى. دافيد باكان. ص: ٧٢.

نتائج فائقة إلى أن يُمس كامل «حقل الوعى» للمريد. تسمح «القفزة» بكشف خبايا الفكر، و «تحررنا من سجن الدائرة الطبيعية، وتقودنا إلى حدود الدائرة الإلهية». كل طرائق التأمل البسيطة الأخرى ما هى إلا تمهيد لهذه الدرجة العالية التى تحتوى وتتجاوز كل ما عداها»[1].

وسوف تجد لدى «أبولافيا» نشوة فكرية هى هدف تأملاته، ويمكن مماثلتها بالمعرفة التحليلية النفسية، كما يعتبر «أبولافيا» أيضاً أن «المعلم الكابالى» مهم جداً، لأنه رائد مفهوم التحويل، إذ ينبغى وجود محركين فى آن معاً خارجى وداخلى، يلعب المعلم دور المحرك الأول ويعطى الدافع الخارجى فى حالة النشوة، يحصل نوع من التماهى مع المعلم، يصبح تماهياً مع الرب، ثم ينتهى إلى تماهى ذاتى استعلائى؛ وهناك أيضاً تماهى للإنسان وللتوراة.

لهذا النمط من التفكير ميل (مكبوت بقوة) لتحليل ذاتى واستبطانى. ويوجد تقرير لأحد تلامذة «أبولافيا»، قام «شولم» بترجمة أحد عناصره الهامة، ووصف العلاقة بين الكابال والعلوم الطبيعية.

يقول التلميذ: أنه من الضرورى فى الصعود الكابالى أن نتطهر من آثار العلوم الطبيعية لأنها تمنع السيل الإلهى من اختراق النفس.

بهذا تجد أن التشابه بين هذه الطريقة فى التفكير وبين طريقة التداعى الحر، تشابه كبير[2].

**(٢) ارتباط تحليل الفكر الإنسانى عند «فرويد» بالتوراة:**

يعلن «فرويد» عملياً، أنه يحلل نتاج الفكر الإنسانى كما لو أنه يحلل التوراة فيقول:

«فى تفسيرنا للأحلام لم نتوان عن الاهتمام بأى التباس فى شكل الكلمات كما كانت تنطق أمامنا، حتى ولو كان نص الأحلام الذى نحصل عليه، دون معنى وصعب الفهم ـ أى كما لو كان الجهد المبذول لتقييم سليم هو جهد ضائع ـ لقد أخذنا هذا الأمر أيضًا بعين الاعتبار. باختصار تعاملنا مع الأحلام وكأنها الكتابات المقدسة

(١) انظر: نماذج من تعاليم أبو لافيا فى طريقة القفز والوثب فى (فرويد والتراث الصوفى اليهودى. ص: ٧٢، ٧٣).
(٢) انظر: فرويد والتراث الصوفى اليهودى. دافيد باكان. ص: ٧٣، ٧٤.

التى اعتبرها الكتّاب القدماء ارتجال اعتباطى...».

إلا أن «فرويد» يشير إلى «اللاوعى، المركز الحقيقى لحياتنا العقلية» بطريقة تذكرنا بأبولافيا «كجزء من ذاتنا أكثر قرباً من المقدس من وعينا المسكين».

هذا التفسير للإنسان على غرار تفسير الكتابات المقدسة يقع دون شك، ضمن الخط العام لليهود الذين انصرفوا خلال قرون عدة، لفحص أفكارهم وسلوكهم وأفكار وسلوك الآخرين[1].

**(٣) تفسير الأحلام:**

يحتل تفسير الأحلام فى الاعتقادات الدينية الشعبية اليهودية مكاناً مرموقاً. وقد اتبع «فرويد» فى تفسيره للأحلام ما هو متبع عندهم من التفسير - المتعددة، والتلاعب بالألفاظ، واستخدام الأرقام.

ونجد هذا واضحاً فيما يلى:

يقول: «دافيدباكان» نجد المبادىء الأساسية لتفسير الأحلام كماطبقها «فرويد»، فى التلمود.

كما يتضمن بحث «براكوث»، أوسع العروض عن الأحلام وتفسيرها فى الأدب الحاخامى. وقد استخدم خلال العصور كدليل لتفسير الأحلام. التشابه الأساسى بين طرائقه وتلك المستخدمة فى التحليل النفسى معترف به فى الأدب التحليلى ورغم احتواء نقاشات «براكوث» عن الأحلام على مفاهيم بدائية انتقدها «فرويد» فى الفصل الأول من «علم الأحلام»، فإننا نجد فيه خصائص شديدة الاقتراب من النظرية التحليلية.

وهكذا نقرأ لدى براكوث:

«يقول ر. صاموئيل برناهمنى باسم ر. جوناثان: «لا يرى الإنسان فى الحلم إلا أفكار قلبه...».

وحول استخدام الأشكال الجنسية نقرأ ما يلى:

«... بدا لى فى الحلم أننى أرش الزيت على الزيتون. المقصود أن شخصاً ما عاشر أمه...

(١) انظر: المرجع السابق. ص:٢٠٨، ٢٠٩.

... رأيت عيناى تتعانقان. يقول له (المفسر) أنه ساكن أخته....

... رأيت أننى أعانق القمر. يقول له أنه ارتكب فاحشة.

... رأيت أننى اسحق باقة ريحان. هذا يعنى أنك دنست سمعة فتاة مخطوبة.

... رأيت باقة تحتى وباقة فوقى. هذا يعنى أنك قلبت مضاجعتك (خلافاً للطبيعة)...[1]»

نجد بوضوح فى «براكوث» أن الاحلام هى تحقيق رغبة، وأن بالإمكان تفسيرها بواسطة التلاعب بالألفاظ، وأن لها معنى جنسيًا، وأنها رمزية أساساً، وتفترض صراعاً بين الدوافع «الخيرة» والدوافع «السيئة».

حتى الطبيعة النبوية الصافية للحلم مرفوضة:

«... يقول، لا يتحقق بشكل كامل لا ملاك طاهر ولا ملاك شرير...» و «... حتى لو تحقق قسم من الحلم، فإن الباقى لن يتحقق...».

إن استخدام «براكوث» للمرسمة الجنسية لكى يرمز إلى المعرفة له أهمية رئيسية. وهكذا نقرأ:

«من يرى أمه فى المنام يمكنه أن يتأمل بلوغ الذكاء... كما يقال: «الذكاء أم...».

«... معاشرة فتاة مخطوبة يدل على حب الشريعة... معاشرة الأخت فى الحلم إشارة إلى الحكمة... معاشرة المرأة المتزوجة تأكيد على المشاركة فى حياة المستقبل، شرط عدم معرفتها وعدم التفكير فيها مسبقاً».

**لقد وضع براكوث مبدأين أساسيين لتفسير الأحلام يتكاملان:**

الأول: أن جميع الأحلام لها معنى[2].

الثانى: أن كل الأحلام تنطلق من خلال الشرح.

لقد شكلت هذه القاعدة مرتكزاً لتفسير الأحلام لدى اليهود من خلال قرون عدة. ووفقاً لهذا المبدأ يتغلب تفسير الحلم على الحلم ذاته.

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص:٢١٥، ٢١٦.

(٢) انظر: المرجع السابق. ص:٢١٦، ٢١٧.

هذا المبدأ فى الواقع ليس سوى امتداد للرأى التقليدى القائل بأن تفسير التوراة يفوق التوراة نفسها بالنسبة لسلوك اليهود. ولهذا تضاعفت أهمية ما ينطقه «الشرح» لأول وهلة، مما شجع تبنى نوع من التداعى الحر كتقنية للتأكد من المعنى. وقد أدى هذا إلى وجود التفسيرات المتعددة.

وهذا ما تجده واضحاً فى «براكوث» الذى يقول:

«كان فى القدس أربعة وعشرون مفسراً للأحلام، طلبت منهم جميعاً أن يفسروا لى حلماً رأيته، فأكدوا لى، رغم تفسيراتهم المتباينة، على هذه الكلمات: كل الأحلام تتجه من خلال الفم (الشرح)[1]» .

وكانت لهذه التفسيرات المتعددة ميزة أثرت فى اقتناع «فرويد» بتفسيراته، فلم تقلقه التفسيرات المختلفة أبداً إلى أن تجاوز هذا الأمر فى تفسير الأحلام فمن وجهة نظره، يمكن دعم التفسيرات المختلفة والمتناقضة فى آن معاً[2].

إلى جانب التفسيرات المتعددة فى «براكوث» والتى أخذ بها «فرويد»، يستخدم براكوث، «التلاعب بالألفاظ» لكشف المعنى المستتر للأحلام بشكل التلاعب بالألفاظ لدى اليهود قسماً أساسياً من البحث عن المعنى المستتر للتوراة. فيما يتعلق بهذا المعنى الخفى، يكون لكل كلمة ظاهرة معنى كامن. نجد فى «الزوهار»:

«تستحق هذه الآية أن نتفحصها لأنه لا توجد كلمة واحدة فى الكتابات لا يتضمنها الاسم المقدس ولا تخفى أسراراً ومعانى عديدة».

وبالنسبة للنص:

«أصابهم الجزع والقلق. لماذا ذكرت الكتابات تعبير «ematah» بدل «emath»؟ لماذا هذا الـ «he» الزائده مع العلم أنه لا يوجد حرف واحد فى الكتابات لا يخفى أسراراً. يتابع R.simeon قائلاً: «أرادت الكتابات بهذه الكلمات أن تقول أن المصريين أصابهم الخوف من الشكيناه «Lasch·khina» (He= schekhina)»[3].

واستخدام «فرويد» للتلاعب بالألفاظ كوسيلة لتحديد مادة لا واعية مكبوته أمر معروف جيداً. يقول فى «علم الأحلام» مثلاً: «أن تحليلاً أكثر عمقاً أيضاً يرينا أفكاراً

(١، ٢) انظر: المرجع السابق. ص:٢١٨.
(٣) انظر: المرجع السابق. ص:٢١٩.

جنسية، فالمريضة التى ذكرت إيطاليا فى حلمها (gen italien) نحو إيطاليا، ذلك البلد الجميل الذى لم تذهب إليه أبدًا. له دلالة جنسية. (لأن كلمة Gen italien تعنى: أعضاء جنسية)»[1]. إلى غير ذلك من الأمثلة العديدة.

أما بالنسبة إلى استخدام «فرويد» لعلم الأرقام، فأفضل مثل عليه ما يرويه فى «علم النفس المرضى فى الحياة اليومية»:

«كتبت إلى أحد الأصدقاء أننى أنهيت تصحيح كتابى «علم الأحلام» وأننى قررت ألا أغير شيئاً فى هذا العمل الذى «تضمن ٢٤٦٧» غلطة. أبحث الآن عن مصدر هذا الرقم وسأرفق تحليلى مع رسالتى الموجهة إلى صديقى.

أننى أذكر الرسالة كما دونتها آنذاك.

«أرسل إليك وعلى عجل، مساهمة فى علم النفس المرضى فى الحياة اليومية. ستجد فى الرسالة رقماً هو (٢٤٦٧)، يدل على تقدير اعتباطى للأغلاط التى تركتها فى كتابى عن الأحلام. ولكن لا شىء اعتباطى وغير محدد فى الحياة النفسيه. هل سنفترض أن اللاوعى هو الذى حدد الرقم الذى أطلقة الوعى. إلا أننى قرأت مؤخراً فى الجريدة، أن الجنرال أ. . . م. . . قد تقاعد وهو برتبه ماريشال. علىّ أن أقول لك أن هذا الرجل يهمنى. أثناء خدمتى كطبيب مساعد أتى هذا الشخص (كان يومها كولونيلا) وقال للطبيب: «عليك مداواتى خلال ثمانيه أيام لأن الجنرال ينتظرنى» بمتابعتى الذهنية لمراحل المهنة التى قطعها هذا الرجل، ألا حظ اليوم (فى ١٨٩٩) أن هذه المهنة انتهت، وأن الكولونيل أصبح ماريشالاً وتقاعد. تذكرت أنى رأيته فى ١٨٨٢ في المستشفى. إذن لقد استمر ١٧ عاماً حتى اجتياز هذه المرحلة. تحدثت عنه إلى زوجتى التى قالت لى: «أنت أيضاً عليك أن تكون متقاعداً؟لكنى احتجيت وقلت «ليحفظنى الله من ذلك».

بعد هذه المحادثه جلست إلى الطاولة لأكتب إليك. إلا أننى استرسلت فى أفكارى بشكل منطقى. لقد أخطأت الحساب. أعرف ذلك انطلاقاً من نقطة ثابتة من بين ذكرياتى. فقد احتفلت بعيد ميلادى الرابع والعشرين أثناء خدمتى العسكرية (تغيبت ذلك اليوم دون مأذونية).

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص: ٢٢٠.

كان ذلك إذن في ١٨٨٠، أى منذ تسعة عشر عاماً وهكذا نجد فى الرقم ٢٤٦٧، رقم الـ٢٤ أضف إلى عمرى الرقم ٢٤ يصبح ٣٤ + ٢٤ = ٦٧

هذا يعنى أننى أجبت على سؤال زوجتى، بأن منحت نفسى ٢٤ سنة أخرى حتى أتقاعد فيما بعد. من البديهى أننى أشعر بضيق داخلى لأننى لم أقدم فى فترة سبعة عشر عاماً ما قدمه الكولونيل م... كى يصبح ماريشالاً ويتقاعد إلا أن هذا الضيق يتبدد حين أشعر بأنه ما زال لدى متسع من الوقت؛ بينما انتهت مهنة الماريشال لدى الحق إذن فى أن أقول بأن رقم الـ٢٤٦٧ الذى أطلقته دون أى انتباه، قد حددته أسباب قادمة من اللاوعى.

بعد المثل الأول عن دافع هذا الرقم الاعتباطى ظاهرياً، أعدت التجربة مرات عديدة بأعداد مختلفة، ودائما بنفس النجاح؛ إلا أن أغلب الحالات ذات طابع حميم جداً ولا يمكن نشره»[1].

- كما أن الرمزية فى الأحلام على أساس الجنس استمدها «فرويد» من «التلمود»، فقد جاء فيها مثلاً: «من حلم من اليهود أنه جامع والدته أنه يؤتى الحكمة، ومن جامع خطيبته أنه يحافظ على الشريعة، ومن رأى أنه جامع أخته فمن نصيبه نور العقل، ومن رأى أنه جامع امرأة قريبة فله الحياة الأبدية»[2].

**٤) الغريزة الجنسية:**

تظهر الغريزة الجنسية فى «الكابال» بنظرته إلى «الشكيناه» على أنها القسم الأنثوى من الرب، وهى جزء من الرب نفسه. بل يبدو أن نظام «الكابال» يكمن فى هذا المفهوم، فتترابط الجنسية فيه دائماً مع هذه الصورة الأمومية[3].

ونظرة «فرويد» إلى الطبيعة الجنسية لا تختلف عن هذا، لأن الغريزة الجنسية عند «فرويد» لا تقتصر على الجماع الجسدى، بل هى صورة معقدة تمتزج فيها جميع الأهداف الإنسانية.

يوجد فى «الكابال» مفهوماً عن الجنسية قريب الشبه بمفهوم «فرويد» إلى حد كبير، يتخلله العديد من اعتبارات ما فوق الطبيعة.

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص: ٢٢٢، ٢٢٣.
(٢) انظر: جذور البلاء. عبد الله التل. ص: ٨٢. المكتب الإسلامى - بيروت. الطبعة الثانية سنة ١٩٧٨
(٣) انظر: فرويد والتراث الصوفى اليهودى. دافيد باكان. ص٢٢٦

يرى «الكابالي» اليهودي في العلاقات الجنسية بين الرجل وامرأته تحقيقاً رمزياً للعلاقة بين الله و«الشكيناه» shekinah ويحتج لأن التوراة تستخدم الكلمة نفسها للدلالة على المعرفة وعلى العلاقات الجنسيه في الوقت نفسه. حيث تعتبر المعرفة ذات طابع شهواني بحت

* وهكذا، إن استخدام «فرويد» للكلام الجنسي للدلالة على أعمق مشاكل الإنسانية وأكبرها يقع تماماً ضمن الفكر «الكابالي». فمفهوم «فرويد» عن الجنسية قد اتخذ معياراً هو الشكل «التناسلي» للجنسية الذي يعبر عنه بأتم صيغة في الزواج. رفع «التلمود» وكافة التراث الأرثوذكسي صيغة الزواج إلى وضع معياري: وقد قابل «الكابال» هذا الشكل المعياري إلا أنه حوله إلى لغة أساسية وكونية. وفقًا للزوهار. تنزع النفس بقوة إلى الاتحاد بمصدرها في الله. من المميز هنا، اللجوء إلى استعارات جنسية للتحدث عن هذا الاتحاد. بشكل عام يعتبر اتحاد الذكر والأنثى شكل الوجود المثالي، وهكذا تصبح العلاقات الجنسية الإنسانية تعبيراً رمزياً عن القدرات الإلهية كما تفسر القوة الخلاقة الإلهية نفسها بطريقة شهوانية عميقة [1].

تتماهى الشاكيناه أيضًا مع مجمع إسرائيل، على أنه زوجة الرب.

«قيل في كتاب «ر. هامونونا المسن»: إنه طالما ارتبط مجمع إسرائيل بالمقدس تعالى: فإن هذا الأخير سيرضع العالم حليب الأم الأسمى، وقد رضع هو نفسه هذا الحليب وأرضعه للآخرين.

ولكن عندما لا يتحد مجمع إسرائيل بالمقدس تعالى، فإن البركات تشح في العالم؛ لأن البركة لا تحل حيث لا يتحد الذكر والأنثى. يقول مجمع إسرائيل للرب: «قال لي يا محبوبي أين سترعى، أي هل سترضع حليب الأم الأسمى وإذا كنت تسمح بأن يرضع قطيعك الحليب نفسه».

خلق الإنسان بناء على إلحاح الشاكيناه وهي التي تتحمل عبء خطيئته.

«أجابت: « بما أن الخطيئة تنسب إلى الأم وليس إلى الأب، فأنا أرغب في خلقه على صورتي»

---

(١) انظر المرجع السابق ص٢٢٥، ٢٢٦

« بسبب الظلام المصاحب للخطيئة ضد النور، لم يشأ الأب المشاركة في خلق الإنسان، : لذا قالت الأم «لنجعل الإنسان على صورتنا» [١].

يظهر عمق الحكمة الكابالية أيضاً فيما يتعلق بالجنسية، فى مفهوم الـ Sephira التاسع. وفقا للتراث هناك عشر sephirolh وهى تعبيرات صوفية وممالك لله. يرتبط كل واحد منها بجزء من الله؛ الـ sephira التاسع يسمى Yesod ويعنى الأساس وهو موجود فى الأعضاء الجنسية لله. هذه الكلمة Yesod لا تعنى فقط الأساس، بل تضم أيضا كلمة sod التى تعنى سر. [٢].

الجنسية هى الأساس السرى لكل الأشياء Malkath المملكة تنبثق من الـ Yeso حيث تصب فيه الـ sephiroth الأرقى. وهكذا، فإن الـ Yesod هو مكان ومنبع كل حياة ومنه يستمد العالم غذاء».

يتحدث الزوهار فى مواضع عدة عن اتحاد الله مع «الشاكيناه» الخاصة به، «الام السماوية» تجرى قوى الحياة الأساسية من الـ Yesod إلى «الشاكيناه». وفقاً «لشولم كان» مؤلف من الزوهار معجباً بالـ Yesod، وإذا تنبهنا إلى التقوى الواردة فى الزوهار، يصبح الرمز القضيبى المستخدم لمناقشة الـ Yesod يفترض مشكلة نفسية عند المؤلف.

يلف مفهوم الجنسية كمصدر لكل طاقة، الزوهار، ويجد موازياً له في الفكرة الفرويدية عن الليبيدو، هذا بالإضافة إلى أن ما يعتبر «تميزاً» فى فكر« فرويد» بشأن الليبيدو تجده أيضاً فى الكابال؛ هذا التميز هو تذكير الليبيدو.

يقول فى «ثلاث محاولات عن النظرية الجنسية»:

«إن الليبيدو ذو أصل مذكر بشكل ثابت ومنظم، سواء ظهر لدى الرجل أو لدى المرأة..».

لترى الآن مقطعاً من الزوهار حول الجنسية:

«تحبل المرأة من الرجل نتيجة للرغبة المتبادلة. أى عندما تحرك رغبة الرجل، رغبة النفس الذكرية نحو النفس الأنثوية، والطفل الذى يولد من هذا الاتحاد تتفوق نفسه على نفوس باقى الناس لأن ولادته كانت نتيجة لرغبة شجرة الحياة».

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص٢٢٦، ٢٢٧.

(٢) انظر: المرجع السابق. ص٢٢٩.

وهكذا، تنسب الحياة إلى العنصر المذكر[1].

**[٥] عقدة «أوديب» و «إليكترا»:**

سوف نجد السمة الأساسية لعقدة «أوديب» عند «فرويد» في هذا النص:

«. . . التوراة هي ثوب «الشاكيناه» ولو لم يُخلق الإنسان لكانت «الشاكيناه» دون ثوب كالفقير. إذن، عندما يخطىء الإنسان يكون كمن ينزع عن الشاكيناه ثيابها ولهذا يعاقب؛ ومن يتبع وصايا الكتابات له من التقدير كمن يغطي «الشاكيناه» بثيابها».

وفي «الزوهار»:

«ساكن موسى الشاكيناه، التي يُرمز إليها بالقمر، . . . وإخضاعها لرغباته»[2].

يذكرنا هذا بنظرة «فرويد» إلى «أوديب» «كمجرم أسطوري». واعتبر عقدة «أوديب» عالمية. وهذا أثار العديد من الاعتراضات عليه، ولكنه رغم ذلك بقي تخلى موقفه.

والحقيقة الأساسية في فكر «فرويد» تكمن في الحشرية التي يعبر عنها الأطفال حول وجودهم. يعي الطفل ذاته شيئاً فشيئاً، ثم يبدأ بطرح الأسئلة باحثاً عن إجابات حول أصل الأشياء، كما يستفسر عن أصله هو. قد يكون هذا الموضوع أكثر عالمية من عقدة «أوديب» كما عبر عنها «فرويد»، إلا أن استعارة عقدة «أوديب» سمح له بالاقتراب من موضع أكثر أهمية يطال حياة كل واحد منا: « من أين أتيت؟»

إذا كانت عقدة أوديب» غير موجودة في جميع المجتمعات بشكلها المحدد، فإنها توجد بشكلها العام كإحساس بالدهشة أمام وجودنا الخاص. عقدة «أوديب» هي استعارة للمعنى العميق الذي يلامس السر الكبير حول وجود الإنسان. أن يكون مصدر هذا السر في الجنسية، فهنا إحدى أهم اهتمامات «فرويد». ولكن هذا الاهتمام حول أصول الإنسان في الجنسية، يعني إذن أن الجنسية، ليست سوى شيء واحد هي والميتافيزيقيا واللاهوت وهي فكرة أساسية في الكابال.

إن سر عقدة «أوديب » هو سر التكوين والخلق. يشرح «فرويد» حول تطور الوعي

(١) انظر: المرجع السابق. ص ٢٣٠.
(٢) انظر: المرجع السابق. ص ٢٢٧.

الجنسى عند الطفل فيقول: «أول موضوع يشغله قياساً إلى نموه، ليس معرفة الفرق بين الجنسين، بل السر الكبير: من أين يأتى الأطفال. ومن خلال تنكر يسهل اختراقه بسهولة يتبين أن هذا السر هو ذاته سر **Sphinx de thebes**»[1].

فى رواية «فرويد» للتاريخ، إن سر أصل الأشياء هو سر خلق الفرد. ما يريد أن يعرفه الطفل كيف خلق، ثم ويكتشف أن لحظة ولادته هى اللحظة التى مارس فيها والده ووالدته علاقة جنسية بمعنى ما، أن السمة الأساسية للرغبة الأوديبية هى الرغبة فى حضور هذا الخلق. هذه الرغبة تريد أن تتحول، فترغب فى الحلول محل الأب فى فعل الخلق.

وقد برهن على ذلك «جونز وآخرون» بأن عقدة «أوديب» إحدى أهم اهتمامات «فرويد».

وفقاً للكابال، نتلقى المعرفة الكبيرة فى اللحظة التى يُرى فيها الأب (كابال تعنى تقبل)[2].

وإلى جانب هذا الصق محرفوا التوراة جريمة الزنا مع سرية الأب أم إخوانه بأحد الأسباط، وهو الابن البكر ليعقوب كما ورد فى (سفر التكوين): أن «رأوبين» ذهب واضطجع مع بِلْهَةَ سُرِّيَّة أبيه، وأم أخوته، وسمع يعقوب بذلك، ولم ينزعج، بل بارك «رأوبين»[3]. وجاء فى «سفر التكوين». أيضًا: «ودعا يعقوب بنيه، وقال. . . . أنت بكرى قوتى. . . فائراً كالماء . . . لأنك صعدت على مضطجع أبيك. حينئذ دنسته، على فراشى صعد»[4]. وهكذا تفشت هذه الفرية عند الملوك عن دين الله القويم وعند أبناء ملوكهم كما جاء فى «سفر صموئيل»:

«. . . فنصبوا لـ «أبشا لوم» الخيمة على السطح ودخل «أبشالوم» إلى سرارى أبيه أمام جميع إسرائيل»[5].

كما جاء فى التوراة: للإبن أن يحتال بكل الوسائل التى يمكنه استخدامها للوصول إلى أخته واغتصابها قهراً عنها. هذه الفرية قد ألصقت بابن داود وأخته لتكتسب صفة القداسة.

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص٢٢٨.

(٢) انظر: المرجع السابق. ص٢٢٩.

(٣) سفر التكوين. الإصحاح الخامس والثلاثون. (٣٠ ـ ٣٩).

(٤) سفر التكوين. الإصحاح التاسع. (٢٠ ـ ٢٨).

(٥) سفر صموئيل الثانى. الإصحاح الأول. (١ـ٤).

جاء فى (سفر صموئيل الثانى). «كان لـ «أبشالوم» بن داود أخت جميلة اسمها «ثامار»، فأحبها «أمنون بن داود»، ولم يستطع الوصول إليها، فعلم بأمره ابن عمه «يوناداب» الذى كان يعتبر حكيماً، فوضع له خطة تُمكنه من الاختلاء بها واغتصابها، فقال له «يوناداب»: اضطجع فى سريرك وتمارض وإذا جاء أبوك ليراك فقل له دع «ثامار» أختى فتأتى، وتطعمنى خبزاً، وتعمل أمامى الطعام، لأرى فآكل من يدها. . .، فذهبت «ثامار» إلى بيت أخيها وهو مضطجع، وعملت كعكاً أمامه، . . . . وقال «أمنون»: أخرجوا كل إنسان عنى، ثم قال: أمنون» لـ «ثامار»: إئتى بالطعام إلى المخدع، . . . وقدمت له ليأكل، فأمسكها، وقال لها: تعالى اضطجعى معى يا أختى. . . تَمكَّن منها وقهرها. واضطجع معها. . . »[1].

ـ فمن زنا ابن يعقوب البكر (أحد الأسباط) بامرأة أبيه التى هى بمثابة أمه إن لم تكن أمه الحقيقية، ومن زنا ابن داود استمد «فرويد» ميل الإبن لامتلاك أمه جنسياً ومنافسته لأبيه على امتلاكها جنسياً، وبسبب اصطدامه مع مُثُل المجتمع وقيمه العليا التى تحترم هذه الصلة الجنسية بين الطفل وأمه تنشأ عنده (عقدة أوديب) التى استعارها من الأدب الأغريقى [2].

وقد جاء فى التوراة أن للبنت إن أرادت أن تُشْبع شهوتها الجنسية، أن تُضاجع أباها إن لم تجد من يضاجعها فتحمل منه، وتحيى منه نسلاً، وأن تستخدم من أجل تحقيق هذا الغرض كل وسيلة يمكنها استخدامها، حتى تستطيع الاضطجاع معه وتُمكنه من نفهسا، ويُمكنها من نفسه، وحتى لو سقته خمراً، واضطجعت معه وهو سكران. ولا يكون عليها أى جناح بعد ذلك إن عرف أبوها أنها حملت منه سفاحاً، وأنجبت منه أطفالاً.

وحتى يكتسب هذا الأمر القداسة، ألصقت التوراة المحرفة هذه الفرية بـ «لوط» وابنتيه فتذكر التوراة المحرفة أن ابنتى لوط سقتا أباهما خمراً فى الليل، وضاجعته كبراهما فى ليلة، ثم ضاجعته الصغرى فى ليلة أخرى وهو سكران، وجاء هذا التحريف فى سفر التكوين: «وصعد لوط فى صوغر وسكن فى الجبل وابنتاه معه. . . فسكن فى المغارة وابنتاه.

---

(١) انظر: المرجع السابق. الإصحاح الثالث عشر. (١ ـ ٢٠). .

( ) انظر: عوامل الانحراف الجنسى ومنهج الإسلام فى الوقاية منها. ص٥٣.

قالت البكر للصغيرة... هلم نسقى أبانا خمراً ونضطجع معه... فسقتا أبيهما خمراً فى تلك الليلة. ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضجاعها ولا بقيامها، وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة: أن قد اضطجعت البارحة مع أبى نسقيه خمراً الليلة أيضاً، فادخلى اضطجعى معه... وقالت الصغيرة فاضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما فولدت البكر ابناً ودعت اسمه «موآب»، والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بن عمى» (١).

- ومن مؤامرة ابنتى لوط على أبيهما للتمكن منه، ومضاجعته، حتى حملتا منه سفاحاً استمد «فرويد» ميل البنت إلى عشق أبيها جنسياً، ومنافستها لأمها على امتلاكه، و بسبب اصطدام البنت مع مُثُل المجتمع التى تحرم عليها إقامة صلة جنسية مع أبيها تنشأ عندها «عقدة إليكترا» (٢).

وبناء على ما سبق نجد أن السمة الأساسية لـ «عقدة أوديب» توجد فى التوراة والزوهار. وقد تأثر «فرويد» بهذا لأنه أشار إلى أن «أوديب» مجرم أسطورى، كما أشار إلى عالمية «أوديب» والتى أثارت اعتراضات عديدة، إلا أنه بقى على موقفه.

وبهذا يتضح لنا أن «نظرية فرويد» فى التحليل النفسى انعكاس للتراث اليهودى المحرف.

### {٣} الثقافة الغربية:

لقد عاش «فرويد» فيما بين عامى (١٨٥٦، ١٩٣٩)، وهى فترة من أخصب الفترات فى تاريخ العلم وأحفلها بالإبداع والابتكارات. ففى هذه الفترة جاءت نظرية التطور التى جعلت الإنسان جزءاً من الطبيعة وعدَّته حيواناً كسائر الحيوانات.

وقد أدت وجهة النظر هذه إلى أنه من الممكن أن يستخدم المنهج الطبيعى فى دراسة الإنسان بحيث يمكن أن يصبح الإنسان موضوعاً للدراسة العلمية لا يختلف عن سائر صور الحياة (٣).

هذه النظرية كانت نقطة تحول فى تاريخ العلوم، وإنها أثرت فى اتجاه التفكير

---

(١) انظر: سفر التكوين. الإصحاح التاسع عشر (٣٠ ـ ٣٨).
(٢) انظر: المرجع السابق. ص:ـ٥٢، ٥٣.
(٣) انظر: علم النفس عند فرويد. د/ كالفن س. هُول. ص٥.

البشرى بحيث يمكن تتبع آثارها فى كل ما أنتجه العلماء فى العهد الأخير . . .

وقد تأثر بها «فرويد». وأول ما يبدو من هذا التأثر ما يلى:

[١] نظرته إلى الإنسان على أنه مخلوق أرضى، عالمه كله محصور فى هذا النطاق الضيق القريب.

[٢]لقد أزال عن الإنسان ما كان يحوطه من «كرامة» إنسانية، ومن رفعة وشفافية وروحانيه. وذلك على اعتبار أن «رعاية الله» لهذا المخلوق، وتكريمه له خرافة كبيرة، نتجت من الخرافة الكبرى المتصلة بخلق آدم.

[٣] لقد تابع داروين فى القول بأن «غرائز» الإنسان هى الامتداد الطبيعى لغرائز الحيوانات السابقة له فى سلم الصعود، مضافاً إليها قدر من التطور، هو القدر الذى نتج من الظروف التى صادفت الجد الأعلى للإنسان، فأثرت فيه، وأنتجت منه الكائن البشرى على مر الأيام.

ومن هذا نجد أن نظريات «فرويد» هى الامتداد الطبيعى لنظرية «داروين»، أو هى تخصيص لها فى ميدان «الإنسان» [١].

وذلك لأنه بدأ من حيث انتهى «داروين».

فـ « داروين» حين بدأ فى سلسلة التطور من الخلية الأولى «البروتوبلازم» انتهى في سلم التطور بالبشريات، ومنها ـ عنده ـ الإنسان. وهو آخر نقطة فى رحلة التطور.

ثم جاء «فرويد» وبدأ بالإنسان من حيث انتهى إليه «داروين»، وقاده فى مرحلة لاحقة، حيث أخذ يقنن سلوكيات الإنسان، ويفلسف تصرفاته على نحو مادى صرف[٢].

ثم أرسى جوستاف فخنر (Gustav Fechner) قواعد الدراسة العلمية لعلم النفس. فأوضح فى عام ١٨٦٠ أن من الميسور دراسة العقل (Mind) دراسة علمية أى

(١) انظر: الإنسان بين المادية والإسلام. محمد قطب. ص٢٤. دار الشروق ـ بيروت ـ الطبعة العاشرة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م .

(٢) انظر: الإسلام في مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة. د/ عبد العظيم المطعنى. ص١٤٥ مطبعة السعادة. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

دراسته في المعمل وكذلك قياسه قياساً كمياً. وبذلك تبوأ علم النفس مكانه بين سائر العلوم الطبيعية.

لقد كان لهذين الرجلين، «داروين» و«فخنر»، أثر عظيم في التطور الفكري عند «فرويد» كما كان لهما أثرهما في سائر شباب ذلك العصر. على أنه كانت هناك عوامل أخرى أثرت في «فرويد» تأثيراً أعمق من ذاك، عوامل أتت من ميدان علم الطبيعة أو (الفيزياء) [1].

الذي يسَّر سبيل قيام نظرة إلى الإنسان هي أكثر تجديداً وأصالة من ذلك، هذه النظرة تذهب إلى أن الإنسان جهازاً أو تنظيم مركب من الطاقة، وأن هذا الجهاز يخضع لنفس القوانين الطبيعية التي تحكم فقاعة الصابون وحركة الأفلاك على حد سواء [2].

ففي منتصف القرن وضع «هرمان فون هلمهولتز (Helmpoltz Hermann von) مبدأ أن «الطاقة لا تفنى». ومؤدى هذا المبدأ في الواقع أن الطاقة كم، كما أن الكتلة أيضاً، وأن الطاقة قد تتحول من صورة إلى صورة، لكنها لا يمكن أن تفنى، وأنها إذا اختفت من جزء من الجهاز (System) فلابد أن تظهر في مكان آخر منه. ومثال ذلك أنه إذا فقد جسم ما جزءاً من حرارته فإن جسماً آخر مجاوراً له ترتفع درجة حرارته.

لقد أدت دراسة التغيرات في الطاقة التي تطرأ على الأجهزة الطبيعية إلى اكتشافات خطيرة متتالية في ميدان الديناميكا [3]. ولم يكن في وسع «فرويد»، وهو عندئذ شاب يشتغل بالبحوث البيولوجية خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر أن يتحاشى التأثر بعلم الطبيعة هذا - فإن الطاقة والديناميكا كانتا تتسربان إلى كل معمل وتنفذان إلي عقول العلماء. وكان من حسن حظ «فرويد» أن تعرض وهو طالب يدرس الطب لتأثير « إرنست بروكه» ( Ernest Bruke) الذي كان مديراً لمعمل الفيزيولوجيا في جامعة فيينا وأحد علماء الفيزيولوجيا الكبار في هذا القرن. وقد نشر كتاب بروكة «محاضرت في الفيزيولوجيا» سنة ١٨٧٤ بعد أن التحق «فرويد» بمدرسة

---

(١) انظر: علم النفس عند فرويد. د/كالفن س. هول. ص٦.
(٢) انظر: نفس المصدر. ص٨.
(٣) انظر: نفس المصدر. ص٦، ٧.

الطب بسنة واحدة، فأبرز الرأى القائل بأن الكائن الحي نظام ديناميكي تنطبق عليه قوانين الكيمياء والفيزياء. وأعجب «فرويد» بـ «بروكة» أكبر الإعجاب، وأصبح شديد الإيمان بعلم الفيزيولوجيا الديناميكية الحديث. وتوصل إلى أن قوانين الديناميكا يمكن أن تنطبق على شخصية الإنسان كما تنطبق على جسمه، وعند ئذ أخذ يبتدع «علم نفس ديناميكي». وعلم النفس الديناميكي هو ذلك العلم الذى يدرس ما يطرأ على الطاقة من ألوان التحول والتبدل فى داخل الشخصية [1].

لقد طبق «فرويد» على العقل البشرى مبدأ بقاء الطاقة، الذى يقول باستحالة إبادة أى مقدار من الطاقة ضمن نظام منفرد، وإذن فمصيره حافز غير مقبول هو التحول لا الفناء. وبهذا تكون السيكولوجيا تحت تأثير «فرويد»، قد غدت دراسة للديناميات[2].

وكان هذا بمثابة أعظم الإنجازات التى حققها «فرويد»، وواحداً من أعظم الإنجازات فى تاريخ العلم الحديث. بل إن علم النفس الديناميكي هذا لهو بمثابة الواقعة الحاسمة فى تاريخ علم النفس [3].

إلا أن رغبته فى تأسيس دين جديد فلسفى ـ علمى، كانت مكبوتة، أى لا واعية.

ومع ذلك، فإن «فرويد» نفسه، كتب في رسالة مؤثرة إلى «فرنزى»، فى (٨ أيار ـ مايو ـ ١٩١٣):

«من المحتمل جداً هذه المرة، أن نُدفن حقاً، بعد أن تتلى علينا معزوفة جنائزية. إن ذلك سيغير كثيراً من مصيرنا الشخصى، لكنه لن يبدل مطلقاً مصير العلم. إننا نمتلك الحقيقة؛ إننى متأكد من ذلك منذ خمسة عشر سنة» [4]. ثم يقول «أريك فروم»: ماذا كانت تلك الحقيقة؟ وماذا كانت نواة ذلك الدين التحليلى النفسى، وماذا كانت تلك العقيدة التى انبثقت منها الطاقات الخاصة لتأسيس الحركة ونشرها؟

يقول «أريك فروم»: أعتقد أن «فرويد» يعبر بوضوح تام عن هذه العقيدة المركزية

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص:٨، ٩.

(٢) انظر: هؤلاء درسوا الإنسان تأليف: أ. كاردينر ـ أ ـ بريبل. ترجمة: د/ امين الشريف ص:٣٣٤ دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر. بيروت ـ نيويورك سنة ١٩٦٤ م .

(٣) انظر: علم النفس عند فرويد. د/ كالفن س. هول. ص:٩.

(٤) انظر: مهمة فرويد. أريك فروم. ص:٩١.

فى «الأنا والهو» بقوله: إن تطور الأنا يتقدم، من معرفة الغرائز إلى السيطرة عليها ومن الخضوع لها إلى ضدها. إن «الأنا الأعلى» يتشكل جزئيا من رد الفعل ضد السيرورات الغرائزية الموجودة فى «الهو»، يشارك فى حصة كبيرة فى هذا الإنجاز. إن التحليل النفسى هو الوسيلة التدريجية لاقتحام الهو».

يقول «أريك فروم»: يعبر «فرويد» هنا عن هدف أخلاقى - دينى، هو اقتحام الرغبة بواسطة العقل. فلقد استمرت المحاولات حتى «فرويد»، للسيطرة على الآثار اللاعقلانية للإنسان بواسطة العقل دون معرفتها، أو حتى دون معرفة مصادرها العميقة. إن «فرويد» الذى يعتقد أنه اكتشف هذه المصادر فى الدوافع الليبيدية وآلياتها المعقدة من الكبت، والتسامى، وتكوين الأعراض، . . . سيتخيل حتماً، أنه لأول مرة سيتحقق الحلم القديم فى السيطرة على الذات والعقلانية التى كانت تداعب الإنسان منذ زمن طويل جداً[1].

وإلى جانب هذا ذكرت أثناء حديثى عن فلسفة «فرويد» أنه تأثر بالفلسفات السائدة فى نهاية القرن التاسع عشر، وهما: «الفلسفة الوضعية» فى فرنسا، «ومدرسة المنفعة» فى انجلترا[2].

فالطريقه الشمولية التى نظر بها «فرويد» إلى الإنسان تعتبر جزءاً من أهم تيارات الفكر الغربى منذ القرن السابع عشر. وهى محاولة الاستحواذ على الحقيقة والاتصال بها، وتخليص الإنسان من الأوهام التى تخفيها وتشوهها. لقد وضع «اسبينوزا» أسس هذا الاتجاه فى مفهومه النفسى الجديد، الذى يعتبر الفكر الإنسانى عنصراً من عناصر الطبيعة يعمل وفقاً لقوانينها. كما أن العلوم الطبيعية، التى توجت برؤى جديدة عن طبيعة المادة، شكلت أيضاً جهداً جديداً فى الاتجاه نفسه. إن «كانط»، «نيتشه»، «ماركس»، «داروين»، «كيركجارد»، «برجسون»، «جويس»؛ و «بيكاسو»، كل هؤلاء، حاولوا أيضاً الاقتراب من الحقيقة، والإمساك بها، مباشرة ودون أى التواء.

وبرغم الاختلاف فيما بينهم، فإنهم يعبّرون جميعاً عن الرغبة المحمومة لإنسان الغرب فى رفض القداسيات المزيفة، فى إلغاء الأوهام، وفى إدراك الذات والعالم كجزء من الحقيقة الشاملة. هذا هو هدف العلم علـى المستوى الفكـرى، وهـذا هو

---

(1) انظر: المرجع السابق ص: ٩٢.

(2) راجع ماكتب حول فلسفته.

ـ على مستوى التجربة ـ هدف الإشكال الأكثر صفاءً والأكثر عقلانية. وآراء «فرويد» تعتبر جزءاً لا يتجزأ من حركة التحرر هذه[1].

وبناء على ما سبق يتضح لنا مدى تأثر «فرويد» بالثقافة الغربية.

والخلاصة:

أن عناصر التحليل النفسى مأخوذة من العقائد اليهودية والأساطير..

ومفهومه عن الدين والأخلاق والنظم الإجتماعية مأخوذة من الأساطير.

ومعرفته وفلسفته مأخوذة من الثقافة الغربية.

●●●●●

(١) انظر: مهمة فرويد. اريك فروم. ص: ١١٤، ١١٥.

## [٤] التحليل النفسى تجربة خاصة لحياة «فرويد»

يعتبر التحليل النفسى عند «فرويد» وجهة نظر لحياته الخاصة. فهو مرتبط بشخصه ولوصف عمله الخاص، وسترى أن عناصر التحليل واضحة جلية فى شخصه كما يلى:

**(١) عقدة أوديب:**

كان «فرويد» شديد الارتباط بأمه، فلم يتزوج إلا فى سن الأربعين تقريباً، بعد موت والدته، وهذا يدل على قوة ارتباطه العاطفى. ولم يقلل من شأن هذا الأمر، بل على العكس، فقد أظهر دلالته فى نظريته عن الأمومة. هذا الارتباط القوى بأمه والذى أخفى جزء كبير منه عن الآخرين وعن نفسه، يدل على الأهمية الكبيرة التى لاتلقى ضوءاً على طباعه فقط، بل تسمح بفهم أحد أهم اكتشافاته الأساسية، أى «عقدة أوديب».

يشرح «فرويد» الارتباط بالأم من خلال انجذاب الطفل الصغير جنسياً نحو المرأة الأكثر حميمية بالنسبة إليه. ولكن إذا أخذنا بعين الاعتبار قوة ارتباطه هو نفسه بأمه وميله لكبت هذا الأمر، فإننا نستطيع أن نفهم تفسيره لإحدى أقوى الميول لدى الإنسان، الرغبة فى العناية، والحماية من خلال حب الأم وإعجابها، على غرار رغبة الطفل الصغير المحدودة فى إشباع حاجاته الغرائزية من خلال أمه أيضاً. لقد توصل «فرويد» إلى إحدى تطلعات الإنسان الأساسية وهى: أمنية البقاء إلى جانب الأم، **Matrice** إلى جانب الطبيعة، إلى الوجود ما قبل الفردى وما قبل الواعى: لكنه نفى فى نفس الوقت رأيه الخاص عندما حصر الأمر فى قطاع الرغبات الغرائزية.

إن ارتباطه الخاص بأمه يكمن فى أصل اكتشافه، لكن مقاومته لهذا الارتباط هى التى حددت هذا الإكتشاف . وحرفته[١].

وكانت علاقات «فرويد» مع والده نقيض علاقته مع أمه. فكان متمرداً على أبيه، ففى السابعة أو الثامنة من عمره، قام بالتبول إرادياً فى غرفة نوم والديه. فهذا الفعل

(١) انظر: المرجع السابق. ص١٩، ٢٠.

يرتبط بميل عدوانى موجه حتماً نحو الأب. ويرد هذا الأخير بغضب قائلاً: «لن تفعل شيئاً بهذا الولد». وفى تعليقه على هذا الحادث كتب «فرويد» قائلاً: لقد أهاننى ذلك كثيراً، لأن أحلامى تتضمن إشارات إلى تلك القصة؛ وهى مصحوبة دائماً بتعداد لأعمالى ولحاجاتى، وكأنى أريد القول: أنك ترى جيداً أننى أصبحت شيئاً ما»[1].

ثم يشير «فرويد» نفسه فى تفسير أحلامه الخاصة إلى إحساسه تجاه فكرة أن والده لم يكن رجلاً مميزاً فيقول:

«إذا كنت قد استبدلت مينار(بروفسور الطب العقلى فى جامعة فيينا) بوالدى، فليس ذلك لتشابههما بالنسبة لى، بل لافتراض مشروط ومكثف، لكن شديد الوضوح فى تفسيره: فلو كنت من الجيل الثانى، ابناً لبروفسور أو لعضو فى مجلس القصر الخاص، لتقدمت، دون شك، بسرعة أكبر ـ لقد جعلت والدى فى الحلم، بروفسوراً وعضواً فى المجلس».

إن تجاذب«فرويد» تجاه شخص الأب ينعكس أيضاً فى إنتاجه النظرى. فتركيبته لبداية التاريخ الإنسانى في الطوطم والحرام، تتضمن قتلاً بدائيا للأب من أبنائه الذين يحسدونه.

فتجد« فرويد» كان شديد الارتباط بأمه، مقتنعا بحبها وإعجابها به، يعتبر نفسه شخصاً متفوقاً، فريداً، محط إعجاب، وملكاً بين أخوته وأخواته جميعاً. لقد بقى متعلقاً بشكل دائم بالمساعدة والإعجاب الأمومى، ،وكان يقلق ، ويضطرب، ويُحبط فى كل مرة لا يتوفر فيها كل ذلك. وفى حين استمرت والدته شخصاً مركزياً فى حياته حتى موتها(كان لها من العمر آنذاك أكثر من ثمانين عاماً)، واضطرت زوجته لممارسة دور أمومى باهتمامها بحاجاته المادية، فقد حول حاجته للإعجاب والحماية، إلى موضوعات جديدة، وبشكل أساسى نحو الرجال، وليس نحو النساء. فأشخاص مثل«بروير»، «فليس»، «يونغ» وأتباعه الأوفياء فيما بعد، كانوا يوفرون من الإعجاب والثقة ما كان يحتاجه «فرويد» ليشعر بالاطمئنان. وكما هى الحالة غالباً لدى الرجال المتعلقين بأمهاتهم، كان والد «فرويد» منافساً له. كان يريد هو، الابن، أن يكون الوالد، والبطل. ولو كان والد« فرويد» رجلاً قوياً، لكان من الممكن أن يخضع له«فرويد» أو أن يكون أقل تمرداً. ولكن بما أنه يتماهى هو نفسه مع الأبطال، كان

(١) انظر: المرجع السابق ص ٥٧، ٥٨.

لزاماً عليه أن يثور ضد أب لا يصلح إلا لابن عادى.

إن موقف «فرويد» المتمرد تجاه والده، يُلامس إحدى أكثر الوجوه أهمية فى شخصيته التى تبرز فى مؤلفاته. يعتبر «فرويد» غالباً متمرداً. لقد تحدى الرأى العام والسلطات الطبية، ولو لم يكن قادراً على ذلك، لما أمكنه مطلقاً أن يعلن آراءه عن اللاوعى، والجنسية الطفلية وغير ذلك.. لكن«فرويد» كان «متمرداً». والمتمرد، تعنى الشخص الذى يواجه السلطات القائمة، لكنه يتمنى أن يصبح هو نفسه سلطة (يخضع لها الآخرون) دون أن يتخلى عن تبعيته للسلطة بحد ذاتها واحترامه لها. إن تمرده يتجه أساساً نحو السلطات التى تقبل به، لكنه إيجابى تجاه تلك التى يختارها بنفسه، خاصة عندما يصبح أحد أعضائها[1].

هذا ويقول«دافيد باكان»: غالباً ما يشير «فرويد» في كتابه«موسى والتوحيد» إلى «عقدة أوديب» الخاصة به. فيتحدث عن قتل موسى وكأنه «قتل الأب» وهذا القتل يثير بالضرورة الذنب المرتبط بالقتل الأوديبى. فى الواقع أن قتل اليهود لـ «موسى»هو وحده الذى يفسر بالنسبة لـ «فرويد»، هذا الشعور بالذنب الأصلى، الذى كان هو نفسه، كيهودى، يعيه تماماً[2].

ثم يقول «دافيد باكان»: إلا أن القول بأن موضوعة قتل موسى ليس إلا تعبيراً عن «عقدة أوديب» الخاصة به [3].

ومن ناحية أخرى، نجد علاقات الطفل مع والديه، العنصر الرئيسى فى تحليل الشخصية. بالإضافة إلى ذلك، نجد الأب فى كتابات يتماثل غالباً مع«الله»، ومع موسى ومع«الأنا الأعلى». أوديب بالنسبة له« المجرم الأسطورى»[4].

وهنا نستطيع أن نربط بين نظرته إلى «أوديب» كمجرم أسطورى وبين تمرده السابق.

## {٢} الكبت :

لقد كان «فرويد» يستخدم الكبت بطريقة أخرى هى «التكتم» دون أن يعترف

(١) انظر: المرجع السابق. ص ٦١. ٦٢.

(٢) انظر: فرويد والتراث الصوفى اليهودى. دافيد باكان. ص ١٤٣.

(٣) انظر: نفس المصدر. ص ١٤٠.

(٤) انظر: نفس المصدر. ص ١٤١.

بذلك. ويوجد مقال لـ Bernfeld يبرهن فيه بطريقة مقنعة أن «فرويد» يناقش مريضاً مزعوماً، ما هو إلا «فرويد» نفسه. يقول: Bernfeld: «هنا يكذب «فرويد» عمداً. فهو يغير هويته تماماً باستخدام التناقض، مؤكداً أن مهنة... M.Y. لا علاقة لها بعلم النفس إطلاقاً..»[1].

ومثال آخر على «التكتم»: الطريقة التى نشر بها بحثه عن «موسى ميكال أنج» « lemoisede Miohel ,Angne x » فى Amago عام ١٩١٤ دون أن يذكر اسمه، مع الملاحظة التالية للناشر:

«لقد قبلنا أن ننشر هذا المقال، مع أنه لا يدخل ضمن برنامجنا، إن مؤلفه الذى نعرفه يقترب من الدوائر التحليلية، وطريقته فى التفكير تتشابه مع طرائق التحليل النفسى»[2].

هذه الملاحظة تبين أن «فرويد» لا يتردد فى أن يتكتم.

ونجد فى كتاب «موسى والتوحيد» لـ «فرويد» برهاناً على أنه لا يتردد فى الصمت أو التكتم بسبب الظروف. فهو يشير إلى أن قراره الأول (قبل أن يرحل إلى انكلترا) كان عدم نشر القسم الأخير فى كتابه وهو الأكثر أهمية. يقول:

«نعيش هنا فى بلد كاثوليكى تحت حماية هذه الكنيسة التى لا نعلم إلى متى تدوم حمايتها. وطالما هي مستمرة فإننا سنتردد طبعاً فى عمل كل مايجر علينا عداءها. هذا ليس جبناً ولكنه حذر، أن العدو الجديد الذى لازلنا نخدم مصالحه أخطر بكثير من العدو القديم الذى اعتدنا العيش معه بسلام. إن الكاثوليك ينظرون فى كل الحالات، إلى الأبحاث التحليلية النفسية بحذر، ولا نؤكد أن هذا الفعل خاطىء. فحين تؤدى بنا أبحاثنا إلى الاستنتاج بأن الدين ليس إلا عصاباً للإنسانية وأن قوته الرهيبة لها نفس أصول الهجاس العصابى عند المريض، فمن المؤكد أننا سنجلب عداء السلطات فى هذا البلد. وليس لدينا ما نضيفه إلى ما قلناه منذ ربع قرن، وإذا كان الأمر قد نسى منذ ذلك الوقت، فلا بأس بتكراره من خلال مثل نموذجى عن كيفية تأسيس الأديان. إلا أننا قد نواجه منع التحليل النفسى. هذه الطرق العنيفة فى القمع ليست غريبة عن الكنيسة. مهما حصل فإن التحليل النفسى الذى رأيته طوال حياتى ينتشر فى كل البلدان لم يجد «مأوى» أكثر أماناً من المدينة التي ولد وترعرع

(١) انظر: المرجع السابق. ص٤٣.

(٢) انظر: المرجع السابق. ص ٤٣، ٤٤.

فيها.

إن الأمر مجرد اعتقاد، فأنا أعرف أن الخطر الخارجى سيمنعنى من نشر القسم الأخير من هذا العمل الذى يتعلق بموسى. حاولت أيضاً أن ألغى هذه الصعوبة بإقناع نفسى أن هذه المخاوف ناتجة عن تقديرى الزائد لنفسى. ولكن هل من المؤكد أن السلطات ستكون لا مبالية حيال كتاباتى عن موسى وعن أصل الأديان التوحيدية؟.. إذن سأكتب هذا العمل دون أن أنشره، ... وهكذا ستبقى دراستى فى الظل بانتظار اللحظة التى ستظهر فيها، هذا إذا لم يأت يوم يقال فيه لشخص توصل إلى نتائجى نفسها«فى أحد الأيام المظلمة، كان هناك رجل يفكر مثلك»[1].

* هذا التصريح من «فرويد» الذى يشبه صفحة يوميات خاصة، يبرهن بوضوح أنه لم يكن ليتردد فى التكتم لأسباب اجتماعية ودينية وسياسية .

ثم يقول «فرويد» فى كتابه «علم الأحلام» إن التكتم سلوك اجتماعى مارسه هو غالباً مشيراً بشكل خاص إلى كتاباته . وفى مناقشته لتشويه الأحلام، يقول:

«نجد فى الحياة الاجتماعية تنكراً مماثلاً. على غرار العلاقات بين رجلين أحدهما يمتلك السلطة والآخر فى خدمته؛ وهذا الأخير يخفى أفكاره. يتكتم عليها.

إن تهذيبنا اليومى شكل من أشكال التكتم. عندما أفسر أحلامى للقارىء أضطر لإفسادها. الشاعر أيضاً يتعرض للضغوط نفسها: «أفضل ما تعرفه، يمكن ألا تقوله للأطفال»[2].

**{٣} المقاومة:**

لقد كان «فرويد» على وعى تام بأن كتاباته سوف تواجه صعوبات لا بسبب محتواها فحسب بل لأنها صادرة عن يهودى أيضاً. هذه المواجهة كانت ستتضاعف لو أشار «فرويد» إلى المصادرة اليهودية لفكره . وهذا ما يستنتجه فى «مقاومة التحليل» ذاكراً عدة مصادر للمقاومة.

يقول: «أخيراً ما يمكننا، وبكل تحفظ، أن نطرح السؤال: هل كانت شخصية هذا الكاتب اليهودى الذى لم يخف يوماً أنه كذلك، هى التى ساهمت فى حملة عداء

(١) انظر: المرجع السابق. ص ٤٤، ٤٥.
(٢) المرجع السابق. ص ٤٥، ٤٦.

المحيطين به للتحليل النفسى حجة من هذا النوع لا يعبر عنها عادة بصوت عال، لكننا أصبحنا حذرين لدرجة لا نستطيع منع أنفسنا من التفكير بقوة تأثير هذا العامل وليس صدفة أن يكون يهودياً أول مدافع عن التحليل النفسى. إن التبشير بهذه النظرية الجديدة يتطلب قدرة على قبول وضعية المعارض المنعزل ـ وضعية ليس أكثر من اليهود، اعتياداً عليها»[1].

هنا يعبر «فرويد» بوضوح عن العلاقة بين يهوديته وبين خلقه للتحليل النفسى، ويضيف توخياً للدقة أو للشرح بأن الميزة اليهودية التى يشير إليها هى القدرة على الوقوف وحيداً بوجه المعارضة[2].

**{٤} الأحلام :**

إن تطور التحليل النفسى عند «فرويد» مرتبط بشخصه، وهذا ما تجده نادراً فى الأبحاث العلمية أى الارتباط المباشر بشخص الباحث. والصور التي يلجأ إليها «فرويد» لوصف عمله الخاص حول تفسير الأحلام بليغة فى هذا الشأن، يقول: « لم يكن أى عمل من أعمالى أكثر التصاقاً بشخصى من هذا، إنه غرستى. . . »[3]. إن الأحلام هى العمل الرئيسى لـ«فرويد» وهو عمل فريد فى تاريخ العلم والطب لأنه يمس مباشرة وبقوة سمات الباحث نفسه.

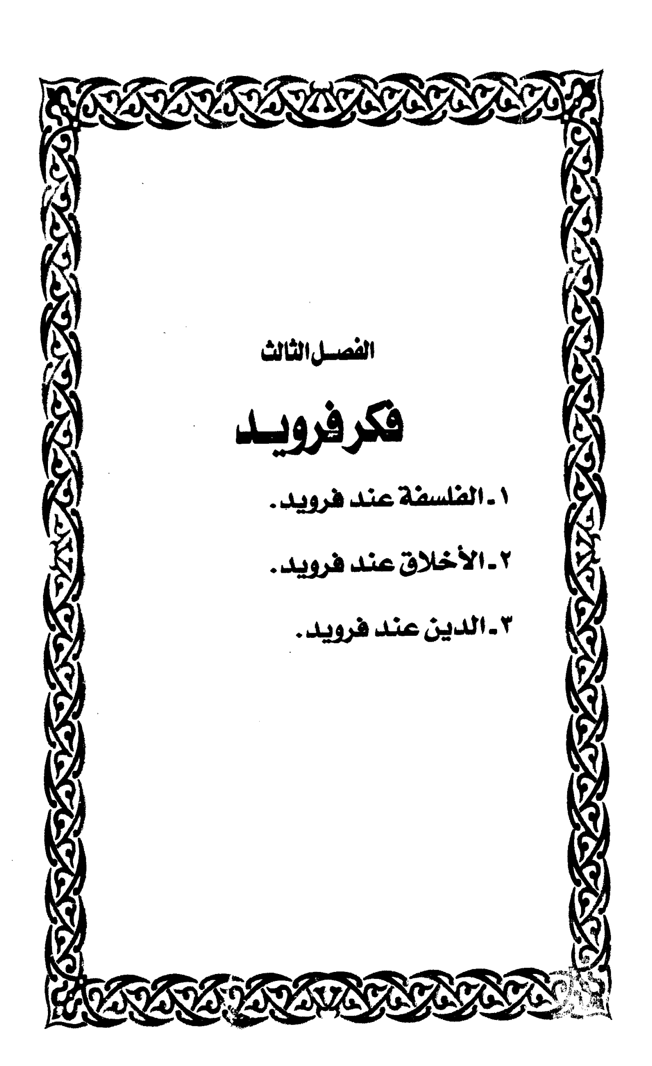
**الخلاصة:**

أن عناصر التحليل النفسى عند «فرويد» هي تعبير عن حياته وفكره ووصف عمله.

●●●●●

(١) المرجع السابق. ص ٤٦ .
(٢) انظر: المرجع السابق. ص ٤٧ .
(٣)المرجع السابق. ص ٤٩ .





الفصـل الثالث

# فكر فرويـد

١ - الفلسفة عند فرويد.

٢ - الأخلاق عند فرويد.

٣ - الدين عند فرويد.



## ١ـ فلسفة فرويد

لقد كان علماء القرن التاسع عشر يشتاقون إلى الفلسفة، بل إن العلم عند الكثير منهم يعتبر ضرباً من ضروب الفلسفة. والفلسفة تعنى «عشق المعرفة» وهل هناك طريقة أفضل لإظهار حب الإنسان للمعرفة أكثر من أن يكون عالماً؟[١].

يقول« أرنست جونز» زميل«فرويد» المقرب جداً: «إن «فرويد» كان يحضر جلسات المناقشة الفلسفية لبرنتانو **franz Berhane** خلال الفترة الدراسية التى قضاها كطالب طب فى فيينا أواخر سبعينات القرن الماضى»[٢].

كما يقول الدكتور «كالفن س. هول»: «لقد كان «فرويد» طبيباً نفسياً، وعالما، وعالما نفسيا، كان هذا كله وزيادة، كان فيلسوفاً. فنحن نلمس هذا فى خطاب كتبه إلى صديق قال فيه: «لم أكن أنزع إلى شىء فى شبابى إلا إلى المعرفة الفلسفية، وأنا الآن فى طريقى إلى تحقيق رغبتى هذه بانتقالى من الطب إلى علم النفس»[٣]. وهذا يعني أن «فرويد» كان فى شوق إلى المعرفة الفلسفية، كما نوهت بأنها سمة لعلماء القرن التاسع عشر الذى كان فى نهاية فلسفتين سائدتين هما: الفلسفة الوضعية في فرنسا، ومدرسة المنفعة فى انجلترا. ويبدو أن لهاتين الفلسفتين تأثير على فكر«فرويد». فقرر الوضعيون أن وظيفة العلم هى الوصف لا التفسير. وأن منهج البحث يعتمد على المعرفة المتأتية من الخبرة. وكانت «حلقة فيينا» هى آخر مرحلة المدرسة الوضعية التى تبلورت فى مطلع العقد الثالث من القرن العشرين، وقدمت لنا الوضعية المنطقية فى مجال الفلسفة، والتحليل النفسى فى مجال علم النفس[٤]. وهذا واضحاً فى الطريقة الوصفية التى يقوم بها المريض فى وصف حالته للمحلل النفسى عن طريق التداعى الحر. كما يقوم مفهوم«فرويد» عن« معرفة الذات» على فكرة القضاء على الأوهام والتبريرات ليصبح الإنسان واعياً بالحقيقة اللاأسطورية. وهذه المعرفة تبدأ بالوعى بمدى خديعة مداركنا وحواسنا إيانا، بمعنى أن الصورة التى لدينا عن الحقيقة المادية لا تتفق تماماً مع الحقيقة الحقيقية. وذلك أن أغلبية الناس من أنصاف أيقاظ ـ

(١) انظر: علم النفس عند فرويد .د/ كالفن س. هول. ص ١٦.
(٢) انظر: الإنسان .. من هو؟. قاسم حسين صالح. ص ٨١.
(٣) علم النفس عند فرويد .د/ كالفن س. هول. ص ١٦.
(٤) انظر: الإنسان .. من هو؟. قاسم حسين صالح ص. ٨٢..

أنصاف حالمين وأنهم على غير وعى بأن ما يرونه حقيقة وأموراً واضحة لا تحتاج لإثبات ليست إلا أوهاماً من صنع إيحاءات البيئة الاجتماعية التى يعيشون فيها. وتبدأ المعرفة - إذاً - بتبديد الوهم. المعرفة تعنى رؤية الحقيقة عارية، تعنى النفاذ تحت السطح والسعى الإيجابى النشيط والنقدى، للاقتراب من الحقيقة دائماً[1].

وفلسفة «فرويد» التى نادى بها تقوم على العلم - كما يقول د/ كالفن س. هول - فقد أحس أن فلسفة الحياة التى تستحق الاتباع هى تلك التى تقوم على معرفة حقيقية بالطبيعة الإنسانية ، أى المعرفة التى تكتسب عن طريق التحرى والبحث العلمى وحدها.

ولم يحس «فرويد» أن من واجب التحليل النفسى أن يقوم بتطوير وجهة النظر إلى العالم. إنما كان من الضرورى أن تتسع وجهة النظر العلمية إلى العالم لدراسة الإنسان. ويمكن تلخيص فلسفة الحياة عند «فرويد» فى هذه الجملة «المعرفة عن طريق العلم» . ومعرفة «فرويد» بالطبيعة الإنسانية جعلته «متشائما وناقداً» فلم تكن فكرته عن الإنسان عامة فكرة عالية، لأنه أحس أن القوى غير العقلية في الطبيعة الإنسانية قوية جداً إلى درجة تجعل فرصة انتصار القوى العقلية عليها جد ضعيفة. وإن الأقلية قد تستطيع أن تحيا حياة حكيمة، ولكن أغلبية الناس يستريحون في عيشهم إلى الأوهام والخرافات أكثر منهم إلى الحقيقة. وقد رأى «فرويد» عدداً كبيراً من المرضى يقاومون مقاومة عاتية للاحتفاظ بأوهامهم بدلاً من أن يثقوا فى القوة الموجهة للمنطق والعقل. فالإنسان يقاوم معرفة الحقيقة عن نفسه. وتظهر نظرة «فرويد» المتشائمة هذه بصورة واضحة جداً فى كتابه «مستقبل وهم» (**The future of anillusion**) كما أنها تمثل المزاج السائد فى كثير من كتاباته.

كذلك كان «فرويد» ناقداً اجتماعياً آمن بأن المجتمع الذى شكله الإنسان، يعكس إلى حد كبير النزعة غير العقلية فى الإنسان. وعلى هذا فإن كل جيل جديد يفسد بسبب ميلاده فى مجتمع غير عقلى. وأن أثر الإنسان فى المجتمع، وأثر المجتمع فى الإنسان إنما هو حلقة مفرغة لا يتحرر منها سوى فئة قليلة من ذوى القلوب الجريئة[2].

---

(١) انظر: الإنسان بين الجوهر والمظهر. تأليف: أريك فروم. ترجمة : سعد زهران. مراجعة وتقديم: لطفى فطيم - ص ٦١ - سلسلة عالم المعرفة - الكويت عدد

(٢) انظر: علم النفس عند فرويد. د/ كالفن س. هول. ص ١٦، ١٧.

لقد رأى «فرويد» أن هذا الموقف يمكن أن يتحسن بتطبيق المبادىء النفسية فى تنشئة الأطفال وتربيتهم، وهذا يعنى بالطبع أن الآباء والمدرسين ينبغى أن تعاد تربيتهم النفسية قبل أن يكونوا أدوات للعقل والحق ودعاة لهما. لم تغب عن «فرويد» ضخامة تلك المهمة، ولكنه لم يعرف وسيلة أخرى لخلق مجتمع أفضل وأناس أفضل. ويتمثل نقد «فرويد» الاجتماعى فى كتابة المدنية ومتاعبها (civilizatio and its discontents)

أما المدرسة النفعية فيمثلها فى إنجلترا «جيرمى بنتام» الذى رأى أن الطبيعة فرضت على البشرية سيدين لهما السطوة والغلبة هما اللذة والألم، لأنهما وحدهما اللذان يشيران على الإنسان بما ينبغى أن يفعله، ويحددان له ماسيفعله[2] ومبدأ اللذة والألم يبدو واضحاً عنده حينما اعتقد لسنوات طويلة وحتى حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ أن جميع العمليات النفسية، على الأقل فى أصلها وبطريقة مباشرة أو غير مباشرة، تخضع لمبدأ اللذة.

ولاحظ أن جميع الناس بلا استثناء يميلون إلى البحث عن المتعة، ابتداء من الأنانى الذى يتجلى هذا الموقف عنده لأنه يستخدم الآخرين لإشباع رغباته، وصولاً إلي الغيرى الذى يجد الارتياح فى إقلاعه عن نزواته لصالح الشخص المحبوب أو باسم مبدأ مجرد مثل الشرف والواجب[3].

وقد تبين على المستوى النفسى أن أقصى حالتين نموذجيتين، حالة الأنانى الذى يستغل أقرانه والغيرى الذى يضحى بنفسه من أجلهم، تبحثان فى النهاية، بطرق مختلفة تماماً عن اللذة الخاصة. ونجد نظيراً لذلك على المستوى الجنسى، عند «السادى» الذى يسىء معاملة من يحب ويذله، و«المازوشى» الذى يسعى إلى تلقى هذا التعامل نفسه: هذان تجليان متعارضان لنفس البحث عن اللذة عند الفرد[4].

وإذا كان صحيحاً أن الإنسان يخضع فوراً إلى مبدأ اللذة، فيجب الاعتراف أنه يصادف فى مساعيه عقبات لا تُحصى، بحيث أنه غالباً ما يضطر من أجل الحفاظ على وجوده الجسدى أو لتحاشى الألم، إلى التخلى عن الجانب الإيجابى من البحث عن اللذة، مكتفياً في حدود الممكن بالتخلص من الألم. وسرعان ما يخضع مبدأ اللذة إلى مبدأ الواقع.

---

(١) انظر: المرجع السابق ص١٦ ـ ١٨..

(٢) انظر: الإنسان .. من هو؟ قاسم حسين صالح. ص٨٢.

(٣) انظر: فكر فرويد. إدغاربيش ص ١٢٩، ١٤٠.

(٤) انظر: نفس المصدر.

إن السعى الإيجابى إلى السعادة بالحصول على اللذة محدود سلفاً بتكوين الفرد البيولوجى وبجهازه النفسى. ينجم ما يُسمى السعادة، بالمعنى الحصرى للكلمة، عن إشباع، مباغت، لحاجات بلغت توتراً عالياً، وهو غير ممكن، بحكم طبيعته، إلا بشكل ظاهرة عرضية، فلا ينجم عن كل استمرار لوضع مرغوب فيه بدافع مبدأ اللذة سوى هناء فاتر، ولقد جبلنا على نحو بحيث أن التناقص وحده قادر على أن يوفر لنا متعة قوية، فى حين أن حالة المتعة بحد ذاتها لا توفر لنا إلا القليل من السعادة.

وإذا كانت السعادة محدودة بالتكوين الداخلى للفرد وبالظروف الخارجية، فإن الألم بالعكس، يهدد الإنسان باستمرار، وهو يأتى من ثلاث مصادر أساسية:

- من الأنا الجسدى نفسه المحكوم عليه بالمرض والانحطاط والموت.
- من العالم الخارجى الذى يجرح الفرد ويقتله ويفنيه.
- من علاقات الفرد مع أمثاله.

هكذا يميل الإنسان تلقائياً أمام وجود هذه الآلام المتعددة إلى الحد من نشدانه السعادة.، وغالباً ما لا يجعل السعادة تمكن فى كسب اللذة الإيجابية، بل فقط فى مجرد تفادى الكدر.[1].

هذه السعادة التى تأتى عن طريق تحصيل اللذة والابتعاد عن الألم، يقول عنها«فرويد»:

«إن السعادة بهذا المعنى النسبى، الذى تبدو فيه وحده فقط، قابلة للتحقيق مسألة إقتصاد ليبيدوى فردى. فلا تصلح هنا أية نصيحة للجميع بل على كل فرد أن يبحث بنفسه عن الطريقة التى يمكنه بها أن يصبح سعيداً، إذ يتعلق كل شىء بكمية الإشباع الحقيقى التى بوسع كل واحد توقعها من العالم الخارجى وبمدى قدرته على الاستقلال عنه، وأخيراً بالقوة المتاحة له كى يبدله وفق رغباته. يكون التكوين النفسى للفرد من الأساس، محدداً بصرف النظر عن الظروف الموضوعية. فالإنسان الذى يغلب عليه المزاج الشهوانى يضع العلاقات العاطفية مع الآخرين فى المقام الأول؛ أما النرجسى الميال إلى الاكتفاء بذاته يسعى إلى المتع الأساسية من بين تلك التى يستمدها من حياته الداخلية، فى حين لا يتخلى الرجل العملى عن عالم يجد فى نفسه الكفاءة

(١) انظر: المرجع السابق. ص ١٤٦، ١٤٧.

لمواجهته»[1].

كما يمثلها «جون ستيوارت مل» ففى عام ١٨٨٩م وخلال فترة أدائه الخدمة العسكرية، حاول «فرويد» أن يكسب قليلاً من المال بترجمته لبعض مقالات «جون ستيوارت مل Gohn stuart mill» إلى الألمانية . ويبدو أن «فرويد» قد تأثر بذلك. حيث تعتبر الفلسفة الاجتماعية لـ« فرويد» هى فلسفة «جون ستيوارت مل»[2].

ويبدو واضحاً أن هناك تماثلاً بين مفاهيم «فرويد» وبين فلسفة «شوبنهور». فمفهوم «فرويد» للاشعور كمستودع للطاقة البدائية اللا معقولة، يوازى نظرية «شوبنهور» من أن الذات الحقة هى الإرادة اللاواعية. وأن فكرة الموت كحل وحيد لمشكلة الوجود الإنسانى من وجهه نظر «شوبنهور»، تجد صداها فى غريزة الموت عند «فرويد» التى جسدها بنظرته التشاؤمية للحضارة فى كتابه (الحضارة ومنغصاتها)[3].

وبهذا يتضح لنا مما سبق ذكره أن فلسفة «فرويد» اجتماعية. وإلى جانب هذا أيضاً نجد أن فلسفته«إنسانية».

فالتحليل النفسى عند«فرويد» هو الاتجاه الوحيد فى علم النفس الذى واجه النفس من زاويتيها معاً: زاوية دراسة الفرد وزاوية دراسة مركباته السلوكية أى ظواهره النفسية. لذلك كان امتزاج منهجه ومضمونه امتزاجاً فريداً فى المعرفة النفسية والإنسانية. ولم تكن لتتاح للتحليل النفسى هذه الخاصية، لو لم يقلب «فرويد» قضايا المعرفة الإنسانية ـ أى تحويل الإنسان إلى ظاهرة إنسانية: لنسأل الحالم عن معنى حلمه، بدلاً من أن نسأل الحلم عن معنى الحالم[4]. . .

وإذا كان الإنسان عند«فرويد» ظاهرة إنسانية ، فإن المعرفة الإنسانية عنده معرفة جدلية، والتعرف عليها لا يأتى إلا بمنهج جدلى، هو التحليل النفسى. فالتحليل النفسى يضم فى طياته التعامل مع الشىء ونقيضه ومجملهما. فالمرض يضم الشعور واللاشعور فى امتزاج، والمريض يقول ويتكلم فيثبت نقيض فعله، والمحلل معترف بالتناقض. إن المريض فى قوله:أنا أريد، إنما يثبت مالا يريده ومالا يستطيع أيضاً

(١) المرجع السابق .ص ١٥٤.
(٢) انظر: الانسان . . من هو؟ . قاسم حسين صالح.ص ٨١ .
(٣) انظر: نفس المصدر .
(٤) انظر: التحليل النفسى بين العلم والفلسفة.د/ احمد فائق. ص ٢٠٢.

ويستحيل على أى منهج غير جدلى أن يسلم بأطراف الواقع الإنسانى وبحقيقته، إن لم يدرك طبيعة النفى فى النفس الإنسانية.

إن التحليل النفسى كمنهج، يؤدى إلى نظرية فى الإنسان، لا ندرك قيمتها الحقة إلا من خلاله [1].

وإذا كان الإنسان عند «فرويد» ظاهرة إنسانية ومعرفته جدلية، فإن هذه المعرفة تظهر من خلال الموقف القائم بين المحلل والمريض، لأن هذا الموقف يشبه موقف الصراع القائم بين الاستقراء والاستنباط. ونستطيع أن نجد هذا واضحاً فى الموقف القائم بين المحلل والمريض، لأنه هو نفسه موقف الصراع القائم بين الاستقراء والاستنباط فى ميدان المباحث النفسية. فالمحلل يعمل مع مركب مجهول العناصر ويحتاج إلى الاستنباط، على حين يعمل المريض مع عناصر مجهولة المركب ويحتاج للاستقراء.

لذلك يقوم التحليل النفسى على مزيج جديد فى المعرفة الإنسانية، فهو ليس بمنهج استقرائى فقط، وليس منهجاً استنباطياً بحتاً، وليس دورة من استقراء تتلوها أخرى من استنباط، بل هو استقراء واستنباط متبادلين متوازيين ممتزجين فى موقف واحد وآن واحد. فالمحلل كطرف يقوم بالبحث بأسلوب ومنهج مخالف للبحث الذى يقوم به المريض كطرف آخر. والذى يجعل ذلك ممكنا، هو اقتسام العمل التحليلى. حيث يصبح على المحلل استنباط جزئيات المركب النفسى، فى الوقت الذى يكون على المريض استقراء مركب هذه الجزئيات من المحلل. وليس مما فيه شك أن عمليه الاكتشاف التحليلية فى هذا الإطار تجعل المعرفة ممكنة، وتسمح للظاهرة النفسية بأن تحصل على أكمل شكل ممكن لها[2].

* كما أن المعرفة عنده تكتمل من خلال عملية الطرح من المريض للمعالج، لان التبادل بين المحلل والمريض عبارة عن عمليات الاستقراء والاستنباط حول الدور الذى يريد المريض القيام به، وهو الذى يسمح لقوى اللاشعور أن تتجلى فى إطار الموقف التحليلى. فالمحلل يعلم أن إلحاح المريض هو وليد طرح، ولكنه لا يعلم عناصر هذا الطرح، فيقوم باستنباط تلك العناصر تدريجيا من معطيات المريض فى سعيه لأداء

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص ٢٥، ٢٦.

(٢) انظر: المرجع السابق. ص ١٤، ١٥.

الدور. أما المريض فإنه يقوم بالدور ويجاهد فى تحقيق موقف يكون المحلل فيه دوراً مقابلاً ، وعليه أن يستقرئ من جزيئات دوره المركب العام لها وهو طرحه على المحلل.

والطرح هنا هو الحاجه لإشباع رغبات لاشعورية لا يحق لها إشباعاً مباشراً. ومن ذلك تجد أن التحليل كتحليل للطرح هو منهج تكتمل فيه المعرفة الإنسانية بالنفس[1] . ويعد الطرح قاعدة المنهج التحليلى.

**إن الذى أوصل «فرويد» إلى هذا النمط من التفكير والمعرفة، ما يلى:**

**١ـ** اهتمامه الزائد بالداروينية والبايولوجى الذى درسه على يد أساتذة مشهورين فى جامعة فيينا. حيث أعطى الوراثة والنضج وزناً أكثر مما يجب، ووزناً أقل مما يجب للسمات الشخصية المكتسبة اجتماعياً. وأنه نسب إلى الطفل رغبات شهوية وتدميرية. كما أنه نسب إلى جميع البشر دفعات نحو المحارم ونمو الجنسية المثلية، وفسر سلوك الإنسان على أساس من دوافع جنسية. فلقد ركز «فرويد» على الجانب البايولوجى، وفسر سلوك الإنسان فى ضوء القوانين البايولوجية، الأمر الذى قاد «فرويد» إلى أن يعتبر الحرب نفسها، فى خطاب وجهه لـ«أينشتاين» ماهى إلا تلهية لغريزة التدمير بتوجيهها نحو العالم الخارجى.

٢ـ أأوصف فى الفلسفة الوضعية المنطقية .

**٣ـ** تأثره بفسلفة «ستيوارت مل» التى تعتبر الوجود الاجتماعى تجميعاً لأفراد مستقلين جاءوا سويًا من أجل منافعهم الخاصة [2].

**والخلاصة: أن اهتمامات «فرويد» الفلسفية لم تكن مماثلة لاهتمامات الفلاسفة المحترفين، بل كانت فلسفته ـ كما سبق ـ اجتماعية وإنسانية، فلسفة اتخذت شكل فلسفة حياة. وعند الألمان كلمة خاصة عنها هى( Weltanschauung ومعناها World View) «وجهة نظر إلى العالم»[3].**

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص ١٨، ١٩.

(٢) انظر: الإنسان ... من هو؟. قاسم حسين صالح. ص ٨٤، ٨٢، ٨٣.

(٣) انظر: علم النفس عند فرويد د/ كالفن س. هول. ترجمة: أحمد عبد العزيز سلامة. ص ١٦.

## ٢ـ الأخلاق عند فرويد

**يقول «فرويد»:**

«إن الدين والأخلاق والشعور الاجتماعى ـ وهى العناصر الأساسية لما هو أسمى ما فى الإنسان ـ إنما كانت فى الأصل شيئاً واحداً. وقد اكتسبت هذه الأشياء، تبعاً للفرض الذى وضعته فى كتاب «الطوطم والمحرم»، عن عقدة الأب أثناء نشوء النوع الإنسانى: فاكتسب الدين والوازع الخلقى عن العملية الحقيقية للتغلب على عقدة أوديب نفسها، واكتسب الشعور الاجتماعى عن ضرورة التغلب عن المنافسة التى ظلت حينذاك باقية بين أعضاء الجيل الناشىء» (١).

ومن هذا النص تجد أن الأخلاق عند «فرويد» مكتسبة وليست دينية، بل هى ذات أصل نفعى وعقلانى فقط. هذه الأخلاق تنحدر من أصل عاطفى، ويمكن اعتبار ذلك بمثابة تأكيد يستند إلى الملاحظات النفسية عند الأطفال. فهى تنبع من «عقدة أوديب» بعد قيام الأخوة بقتل الأب أخذت دوافع الحب نحو الأب المقتول تظهر بعد ذلك بوضوح، وأخذ الأبناء يندمون على الذنب الذى اقترفوه. وقد دفعهم «الإحساس بالذنب» إلى وضع قواعد وقوانين فيما بينهم تحرم عليهم ما سبق أن حرمه عليهم الأب المقتول.

بهذا نشأت الأخلاق عند «فرويد» عن الرغبة فى التكفير والاستغفار عن هذا الذنب المشترك (٢).

فبدل الخصام والعراك بين الأخوة قرروا التعاون، فنشأت القيم.

كما أظهر لنا «فرويد» مصدر الوعى الأخلاقى فى كل فرد، بأنه نتيجة لإدماج الدفاعات الأبوية بتأثير عامل حاد هو الحب الذى ينتظره الطفل من أهله والذى يخشى حرمانه منه إن هو لم يخضع إلى متطلباتهم وتحريماتهم(٣).

كما يرى أن الندم الذى سيطر على الأبناء الذين قتلوا الأب لا يتأتى من أية قاعدة أخلاقية فعلية، ولكن من حقيقة أن عدوانيتهم قد حطمت روابط الإعجاب

---

(١) الأنا والهو. سيجمند فرويد. ص ٦١، ٦٢.
(٢) انظر: نفس المصدر. ص ٦٢.
(٣) انظر: فكر فرويد . إدغاريش. ص ١٣٤.

والعاطفة الإيجابية، ومن جراء أنهم يشعرون بهذه القطيعة بمرارة .

فـ«فرويد» لا يعتقد أكثر من ذلك، بوجود ميل نحو الكمال، ولا بوجود طموح نحو بعض المثل يقول:

« يصعب على كثير منا جحد إيمانه بوجود ميل ملازم للإنسان نفسه، ويدين له الإنسان بالمستوى الراهن لقدراته الفكرية وبتساميه الأخلاقي، هذا الميل الذي ننتظر منه تحويلاً تدريجياً للإنسان الراهن إلى إنسان مثالي. وأجد نفسي ملزماً بالاعتراف أني لا أؤمن بوجود مثل هذا الميل الداخلي، كما أني لا أجد سبباً لمرعاة هذا الوهم النافع. ولا يتطلب برأي، تفسير تطور الإنسان كما جرى حتى الآن، تفسيراً مغايراً لتطور الحيوانات؛ وإذا ما وجدت أقلية من الناس يبدون أن ميلاً لا يقهر يدفعها نحو مستويات من الكمال تزداد رفعة، فإن هذا الأمر يُفسر ببساطة بوصفه نتيجة لقمع الغرائز الذي يستند إليه أغلى ما في الحضارة الإنسانية»[1].

هذه الأخلاق العاطفية عند«فرويد» والتي يبشر بها، معيارها المنفعة الاجتماعية.

يقول«فرويد»: «تثبت الأبحاث النفسية، ولا سيما الملاحظات التحليلية أن القسم الأكثر داخلية وعمقاً في الإنسان يتكون من ميول طبيعتها أولية، وهذه الميول متماثلة عند جميع الأفراد وتميل إلى إشباع بعض الحاجات الأولية . ليست هذه الميول بحد ذاتها لا سيئة ولا جيدة. ولكننا نصنفها، هي وتجلياتها في هاتين الفئتين، تبعاً للعلاقات التي تؤثربها مع حاجات ومتطلبات الجماعة البشرية»[2].

بهذا يكون معيار الأخلاق العاطفية عنده المنفعه الاجتماعية.

أما الميول الغير اجتماعية (السيئة) تتعدل بالحاجة إلى الحب والضغط الاجتماعي فتتحول الميول الأنانية للعناصر الشهوانية، إلى ميول اجتماعية؛ وفي هذه الظاهرة الأخيرة تكمن قابلية الإنسان للحياة المتحضرة.

ولكن المجتمع لا يشجع فقط الحب الاجتماعي للحصول على نتائج أخلاقية. بل يلجأ أيضاً إلى وسائل أخرى، منها الثواب والعقاب، وهذه الوسائل لا تغير الميول الأنانية إلى ميول اجتماعية، ولكنها تؤدي إلى نفس النتائج إذ نظر إليها من زاوية السلوك الخارجي فقط[3].

---

(1) المرجع السابق. ص ١٣٧ . (2) المرجع السابق. ص ١٣٤ .
(3) انظر: المرجع السابق. ص١٣٤، ١٣٥

كما أن«فرويد» يعلق ويربط الأوامر الأخلاقية والتزامات الضمير والأفكار عن الخير والشر بـ «الأنا الأعلى». «فنواهى وأوامر الآباء تبقى مع البالغ وتكون ضميره الأخلاقى». يريد «فرويد» بهذا أن يقول إن اكتساب الأفكار الأخلاقية عند الفرد يتم بواسطة نظام المكافآت والعقوبات . فالطفل يتعلم ربط الخير بالشىء الذى يرتضيه الوالدان، والشر بالشىء الذى يستنكرانه. ويتجسم فى عقل الفرد توجيه الآباء وسلطتهم التى تعمل فى البداية كمؤثرات خارجية على طريقة تصرف الطفل تتجسم لتصيح نوعاً من الرقابة الأخلاقية. والآباء أنفسهم يعكسون فى نواهيهم ضغوط المجتمع فينقلون إلى أبنائهم طرق تفكير مجتمعهم مع ربطها بقيمة عاطفية إلى حد أن ما لا يسمح به المجتمع يرتبط لدى الطفل بالخوف من فقدان حب الأبوين[1].

وبهذا ينسب«فرويد» إلى ضغط«الأنا الأعلى» الأوامر الأخلاقية والإحساس بأن أعمالاً معينة يجب إتيانها وأنها شريفة . ولكن هذا ليس كل شىء - كما يشير إلى هذا« فرويد» - فالنمو النفسى يتطلب إحلال أخلاق«الأنا» محل أخلاق «الأنا الأعلى». وبعبارة أخرى، إن الشخص البالغ الذى تعدى الإلحاحات العاطفية للطفولة والذى أصبحت أحكامه مبنية على ملاحظة للواقع، يتبنى أخلاقاً تتفق مع هذه الملاحظة ، يكف عن الخضوع للمتطلبات الأنوية ويتكيف مع المجتمع ويبدأ فى التفكير بطريقة عالية فى التفكير للآخرين كما يفكر لنفسه، وفى أن يصبح واعياً اجتماعياً. هذا الوصف للتطور النفسى الذى يذهب من الأنانية التى تلازم الطفولة إلى الوعى اجتماعياً لدى البالغ تعتبر المساهمة الأساسية من«فرويد» فى مجال الأخلاق[2].

- وإذا كانت الأخلاق عند«فرويد» عاطفية، ومعيارها المنفعة الاجتماعية، فإنها تخضع لمبدأ «اللذة والألم» لأنهما الأساس والمحرك للسلوك الإنسانى. ويرى أن الغريزة الجنسية هى المحور الأساس الذى ينبع منه السلوك الإنسانى الفردى، والمنبع الأساسى للأنظمة الاجتماعية التى تنظم العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع. ويرى أنه إذا لم تتحقق اللذة الجنسية لدى الفرد، مهما كان سنه، فإنها تكون مؤلمة، وبذلك تتحول إلى سلوك عدوانى.

---

(١) انظر: الماركسية والتحليل النفسى. د/ أوسبورن. ص ٨٥، ٨٦.
(٢)انظر: نفس المصدر. ص ٩١.

وقد يؤجل الفرد لذاته الجنسية العاجلة المباشرة طمعاً في الحصول على لذة آجله أشد لذة من العاجلة ويسميه مبدأ الواقع[1].

ومبدأ اللذة والألم يبدو واضحاً عنده حينما اعتقد لسنوات طويلة وحتى حرب ١٩١٤ـ ١٩١٨ أن جميع العمليات النفسية على الأقل في أصلها وبطريقة مباشرة أو غير مباشرة، تخضع لمبدأ اللذة.

ـ ولاحظ «فرويد» أن جميع الناس بلا استثناء يميلون إلى البحث عن المتعة، ابتداء من الأناني الذي يتجلى هذا الموقف عنده لأنه يستخدم الآخرين لإشباع رغباته، وصولاً إلى الغيري الذي يجد الارتياح في إقلاعه عن نزواته لصالح الشخص المحبوب أو باسم مبدأ مجرد مثل الشرف والواجب.

وتبين على المستوى النفسي أن أقصى حالتين نموذجيتين ، حالة الأناني الذي يستغل أقرانه والغيري الذي يضحي بنفسه من أجلهم، تبحثان في النهاية بطرق مختلفة تماماً عن اللذة الخاصة. ونجد نظيراً لذلك على المستوى الجنسي عند «السادي» الذي يسيء معاملة من يحب ويذله، و«المازوشي» الذي يسعى إلى تلقي هذا التعامل نفسه: هذان تجليان متعارضان لنفس البحث عن اللذة عند الفرد[2].

وإذا كان صحيحاً أن الإنسان يخضع فوراً إلى مبدأ اللذة، فيجب الاعتراف أنه يصادف في مساعيه عقبات لا تُحصى، بحيث أنه غالباً ما يضطر من أجل الحفاظ على وجوده الجسدي أو لتحاشي الألم، إلى التخلي عن الجانب الإيجابي من البحث عن اللذة مكتفيًا في حدود الممكن وبالتخلص من الألم. وسرعان ما يخضع مبدأ اللذة إلى مبدأ الواقع».

إن السعي الإيجابي إلى السعادة بالحصول على اللذة محدود سلفاً بتكوين الفرد البيولوجي وبجهازه النفسي.

«ينجم ما يسمى السعادة، بالمعنى الحصري للكلمة، عن إشباع مباغت لحاجات بلغت توتراً عالياً وهو غير ممكن، بحكم طبيعته، إلا بشكل ظاهرة عرضية. فلا ينجم عن كل استمرار لوضع مرغوب فيه بدافع مبدأ اللذة سوى هناء فاتر، ولقد جبلنا على

(١) انظر: عوامل الانحراف الجنسي ومنهج الإسلام في الوقاية منها وعلاَجُها تأليف: د/ عبد الرحيم صالح عبدالله. ص ٢٩.

(٢) انظر: فكر فرويد . إغاريش ص ١٣٩، ١٤٠.

نحو بحيث أن التناقض وحده قادر على أن يوفر لنا متعة قوية، فى حين أن حالة المتعة بحد ذاتها لا توفر لنا إلا القليل من السعادة»[1].

وإذا كانت السعادة محدودة بالتكوين الداخلى للفرد وبالظروف الخارجية، فإن الألم، بالعكس، يهدد الإنسان باستمرار. وهو يأتى من ثلاثة مصادر أساسية:

- من الأنا الجسدى نفسه المحكوم عليه بالمرض والانحطاط والموت.
- من العالم الخارجى الذى يخرج الفرد ويقتله ويفنيه.
- من علاقات الفرد مع أمثاله.

هكذا يميل الإنسان تلقائياً أمام وجود هذه الآلام المتعددة إلى الحد من نشدانه السعادة، وغالباً مالا يجعل السعادة تكمن فى كسب اللذة الإيجابية، بل فقط فى مجرد تفادى الكدر[2].

إن هذه السعادة التى تأتى عن طريق تحصيل اللذة أو الابتعاد عن الألم. يقول عنها «فرويد»: إن السعادة بهذا المعنى النسبى، الذى تبدو فيه وحده فقط قابلة للتحقيق، مسألة اقتصاد لبيبدوى فردى. فلا تصلح هنا أية نصيحة للجميع، بل على كل فرد أن يبحث بنفسه عن الطريقة التى يمكنه بها أن يصبح سعيداً. إذ يتعلق كل شىء بكمية الإشباع الحقيقى التى بوسع كل واحد توقعها من العالم الخارجى ، وبمدى قدرته على الاستقلال عنه، وأخيراً بالقوة المتاحة له كى يبدله وفق رغباته. يكون التكوين النفسى للفرد، من الأساسى، محدداً بصرف النظر عن الظروف الموضوعية. فالإنسان الذى يغلب عليه المزاج الشهوانى يضع العلاقات العاطفية مع الآخرين فى المقام الأول؛ أما النرجسى الميال إلى الاكتفاء بذاته يسعى إلى المتع الأساسية من بين تلك التى يستمدها من حياته الداخلية، فى حين لا يتخلى الرجل العملى عن عالم يجد فى نفسه الكفاءة لمواجهته»[3].

هذا وقد عبر«فرويد» بشدة عن رأيه فى موضوع الأخلاق والآفاق التى يمكن استخلاصها فى المستقبل القريب أو البعيد[4]، فرد الأفكار التى يعبر عنها بالخير والشر إلى الوسط الاجتماعى، يقول«فرويد»: «إن سلوك الناس ينطوى على فوارق يرجعها

(١) انظر: المرجع السابق .ص ١٤٦، ١٤٧.
(٢) انظر: المرجع السابق .ص ١٤٧.
(٣) انظر: المرجع السابق. ص ١٥٤.
(٤) انظر: المرجع السابق.ص ١٣٦، ١٣٧.

علم الأخلاق، من دون أن يقيم اعتباراً للشروط التى ترتهن بها أو بتعاليه عليها، إلى فئتين اثنتين: فئة «الخير» وفئة«الشر». وهاتان المقولتان لارادّ لهما؛ ولكن مالم تلغيا كلتاهما فإن الامتثال للقوانين الخلقية العليا سيعنى فى مايعنى إنزال الضرر بالحضارة، لأن فى هذا الامتثال تشجيعاً مباشراً على الخبث وسوء النية[1].

* وهنا يتضح وجهة نظره الأخلاقية بصورة أدق إذ يعلن عدم الامتثال للقوانين الخلقية العليا وهذا يعنى أن يفعل الإنسان كل ما يحلو له، فلا يرى أى شىء محرما لا العائلة، ولا الوطن ولا الأخلاق، وكل هذه المفاهيم التى أبدعها الفكر الإنسانى يمكنها، بل يجب، أن تخضع فى كل لحظة لتحليل الإنسان[2].

**والخلاصة:**

إن الأخلاق عند «فرويد» فى مجملها أخلاق عاطفية، معيارها المنفعة، تخضع لمبدأ اللذة والألم، منبعها الغريزة الجنسية، يقول «فرويد»:

[ إن الإنسان لا يحقق ذاته بغير الإشباع الجنسى.. وكل قيد من دين أو أخلاق أو مجتمع أو تقاليد هو قيد باطل ومدمر لطاقة الإنسان. وهو كبت غير مشروع].[3].

والواقع - كما يقول جون كارل فلوجل - «أن التحليل النفسى يعتبر الميول المكبوتة ميولاً منبوذة من الشعور الخلقى حتى لقد شاع وصفه بأنه« متعارض» مع المبادىء الخلقية للمريض».

وما دام الأمر كذلك فقد كان من الطبيعى أن يوصف التحليل النفسى بأنه فى ذاته عملية غير خلقية. وذلك لأنه محاولة للانقضاض على سلطة القوى الخلقية، ولإظهار الميول غير الخليقة التى كان من الخير أن تظل خافية؟ لقد صار المريض يتعرف بهذه الميول ويناقشها مع الطبيب فى غرفة الاستشارة فلم تبق إلا خطوة ثم يطلق العنان لهذه الميول فى الحياة العادية[4].

---

(١) انظر: قلق فى الحضارة. سيجموند فرويد. ترجمة: جورج طرابيشى. ص ٧٢. دار الطليعة. بيروت. الطبعة الثالثه ١٩٨٢.

(٢) انظر: فكر فرويد. إدغاربيش. ص ١٥٥.

(٣) انظر: الحب والجنس من منظور إسلامى. محمد على قطب. ص ١٠٧- مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٤) انظر: الإنسان والأخلاق والمجتمع تاليف: جون كارل فلوجل. ترجمة: عثمان نويه. ص ٥٢. دار الفكر العربى.

هذا التحليل النفسي يشبه من جهة نظام الاعتراف الذي يحث المستغفر على استعادة الأفكار والأعمال غير الخلقية التى اكتنفت ماضيه. ويشبه من جهة أخرى تلك النظريات والتصرفات التى تؤكد مزايا التعبير الحر الطليق عن الانفعالات[1].

●●●●●

(1) انظر: المرجع السابق. ص ٥٠.

## ٢- الدين عند فرويد

نشأة الدين:

يوجز «فرويد» هذه النشأة في قوله:

«لنرجع بسرعة إلى الأسطورة العلمية المتعلقة بأب العشيرة البدائية. رُفع هذا الأب، فيما بعد، إلى مصاف خالق الكون، وكان ذلك بحق، لأنه هو الذى ولد جميع الأبناء الذين تألفت منه الجماعة الأولى. وكان ينظر كل منهم المثال المرهوب والمحبوب فى نفس الوقت، ومصدر فكرة الطوطم اللاحقة. اجتمعت هذه الأغلبية ذات يوم، وقتلت الأب، وقسمته. لم يتمكن أى واحد من الجماعة المنتصرة من احتلال مكانه، أو أنه فى حال توصل أحدهم إلى ذلك وجد نفسه أمام نفس العداوة التى تعقبها الصراعات وعمليات القتل. وأدرك الجميع أخيراً أنه يجب الامتناع عن وراثة الأب. حينئذ شكلوا متحد الأخوة الطوطمى، حيث يتمتع الأفراد بنفس الحقوق لأنهم يرتبطون بنفس النواهى الطوطمية ويلتزمون بحفظ ذكرى عملية القتل والتكفير عن جرائمهم»[1].

ثم يقول «فرويد»:

فى التصور البدائى للكون اكتشفت مبدأ (القدرة المطلقة للأفكار) الذى يوجد بدوره فى أساس السحر. ومضيت فى مقارنته نقطة فنقطة بعصاب الوسواس القهرى، فبينت أن كثيراً من مسلمات الحياة النفسية البدائية لا تزال فعالة فى ذلك الاضطراب الغريب. ولكن كثيراً ما اجتذبتنى فى الطوطمية - أول أساليب النظام الاجتماعى فى القبائل البدائية - أسلوب المحدث فيه بدايات النظام الاجتماعى بدين ساذج، وسيطرة صارمة لعدد ضئيل من نواهى التابو . فى ذلك النظام الكائن المقدس هو دائماً وأبداً حيوان، تدعى القبيلة أنها انحدرت منه. ومن الدلائل الكثيرة ثبت أن كل جنس من الأجناس أياً كانت درجة رقيه قد مر لا محالة بطور الطوطمية. كانت نقطة بدايتى هى ذلك التقابل البارز بين الأمرين اللذين حرمتهما الطوطمية، أعنى (تحريم قتل الطوطم وتحريم الاتصال الجنسى بأية امرأة من عشيرة الطوطم نفسها) وعنصرى عقدة أوديب (قتل الأب واتخاذ الأم زوجاً). ولم يبق إلا القليل كى أقرر أن قتل الأب هو نواة

(١) انظر : فكر فرويد. إدغاريش .ص ١١٤.

الطوطمية ونقطة البداية في نشأة الديانة[1].

ويقول «فرويد» أيضا: «إن الطوطمية بعبادتها لبديل عن الأب، وبالازدواجية نحو الأب التى تتضح فى عيد الطوطم، وبإقامة المهرجانات التى تذكر به، وبفرض قوانين يعاقب على خرقها بالموت. هذه الطوطمية ، كما استنتج، يمكن النظر إليها على أنها أول ظهور للدين فى تاريخ البشرية، وهى تصور الارتباط الوثيق الذى يوجد، منذ فجر الزمن، بين الشرائع الاجتماعية ،والالتزامات الأدبية»[2].

بهذا يذهب «فرويد» إلى أن كل الديانات التى جاءت بعد ذلك هى محاولات لحل المشكلة ذاتها (إحساس الأبناء بالجريمة) وهى تختلف بحسب مستوى الحضارة التى ظهرت فيها والوسائل التى تطبقها ، ولكنها جميعاً تهدف إلى شيء واحد، وهى رد فعل لنفس الحدث العظيم(قتل الأب) الذى نشأت عنه الحضارة، والذى لم يدع للإنسانية منذ حدوثه لحظة واحدة للراحة[3].

فالأبناء بعد قتل أبيهم أحسوا بالندم فأقسموا على تقديس ذكراه فعبدوه. ومن ذلك نشأة عبادة الأب. ثم تحولت إلى عبادة الطوطم لأنه فى النفس البشرية وبهذا يرتبط الأب برمز الحيوان. وفى الوقت ذاته وجد الأبناء أنهم سيتقاتلون بينهم للحصول على الأم فقرروا تحريمها على أنفسهم، فنشأ بذلك أول تحريم [ جنسى] وانصب على الأم.

ومن الكبت الجنسى لعشق الأم ينمو الدين والأخلاق والتقاليد . ونظراً لأن الكبت لم ينته فيتحول إلى قلق نفسى دائم لا يترك الناس فى راحة [4].

وبناء على ذلك يقول« إريك فروم»: «ينشأ الدين عند «فرويد» فى مرحلة مبكرة من التطور الإنسانى عندما لم يكن الإنسان يستطيع أن يستخدم عقله بعد فى مواجهة قوى الطبيعة فى الخارج والقوى الغريزية فى داخل نفسه، ولا يجد مفراً من كبتها، أو التحايل عليها مستعيناً بقوى عاطفيه أخرى. وهكذا بدلاً من التعامل مع هذه القوى عن طريق العقل، يتعامل معها «بعواطف مضادة»، بقوى وجدانية أخرى، تكون وظيفتها هى الكبت أو التحكم فيما يعجز عن التعامل معه عقلانياً[5].

---

(١) انظر: الإنسان من هو؟. قاسم حسين صالح. ص ٥٢، ٥٣.

(٢) موسى والتوحيد. سيجموند فرويد .ص ١٧١، ١٧٢.

(٣) انظر : التطور والثبات فى حياة البشرية. محمد قطب. ص ٤٩ . دار الشروق. الطبعة الخامسة. سنة ١٤٠٣هـ سنة ١٩٨٣م.

(٤) انظر: نفس المصدر. ص ٤٨، ٤٩.

(٥) انظر: الدين والتحليل النفسى. تأليف: اريك فروم. ترجمة : فؤاد كامل .ص ١٦.

ويذهب «فرويد» إلى أن الأفكار الدينية نشأت من ضرورة حماية الإنسان لنفسه من قوة الطبيعة، وذلك لأن الناس يميلون إلى الاعتقاد بوجود الأب وراء هذا الكون، لأنهم بوصفهم أطفالاً، بحاجة ماسة إلى رعاية أب. وهكذا فإن الإنسان هو الذى يخلق الله، لا العكس.

ويتنبأ «فرويد» بأن «هذه الطفولية InFantalism مقدور لها أن تُتجاوز بالتأكيد» ويتحتم على الإنسان أن يتحلى بالشجاعة الكافية للاعتراف بأنه وحيد فى هذا الكون الفسيح واللاشخصى(١).

**وبناء على ما سبق يمكن القول:**

أن الدين عند «فرويد» نشأ كرد فعل لقتل الأب الذى هو نواة الطوطمية، أى عن الشعور بالذنب وتأنيب الضمير.

وكل الأديان جاءت كمحاولة لحل جريمة قتل هذا الأب، الذى نشأت عنه الحضارة. وبسببه لم يترك الإنسانية فى راحة.

يقول «فرويد»: إن الدين والأخلاق والشعور الاجتماعى ـ وهى العناصر الأساسية لما هو أسمى ما فى الإنسان ـ إنما كانت فى الأصل شيئاً واحداً. وقد اكتسبت هذه الأشياء، تُبعاً للفرض الذى وضعته فى كتاب «الطوطم والمحرم»، عن عقدة الأب أثناء نشوء النوع الإنسانى: فاكتسب الدين والوازع الخلقى عن العملية الحقيقية للتغلب على عقدة أوديب نفسها، واكتسب الشعور الاجتماعى عن ضرورة التغلب على المنافسة التى ظلت حينذاك باقية بين أعضاء الجيل الناشىء(٢).

**مصدر الدين:**

يعترف «فرويد» أن الحياة النفسية كثيراً ما تشهد تعايش أنماط تفكير وإدراك قديمة وجديدة، بإمكان وجود إحساس محيطى بالمطلق واللا محدود، هذا الإحساس يمثل انحرافاً وتراجعاً نحو مرحلة بدائية من الإحساس بـ«الأنا». وذلك ـ كما يقول إدغاربيش ـ لأن «الأنا» يتضمن فى البداية كل شىء، ثم يطرد من داخله فيما بعد العالم الخارجى. وبالتالى ليس إحساسنا الراهن بـ «الأنا» سوى بقية إحساس بمجال

(١) انظر: العلم فى منظوره الجديد. روبرت م. أغروس. ص: ٥٨، ٥٩.
(٢) انظر: الأنا والهو. سيجموند فرويد. ص: ٦١، ٦٢.

أوسع لدرجة أنه يضم كل شيء ويشبه اتحاد وثيق «للأنا» مع محيطه. وإذا ما اعترفنا بأنه تم الاحتفاظ بهذا الإحساس الأولى بـ «الأنا» ـ بدرجات متفاوته ـ فى نفس كثير من الأفراد فإنه يتعارض، بمعنى ما، مع الإحساس بـ «الأنا» فى عمر النضوج حيث تكون حدود «الأنا» صارمة وواضحة[1].

ـ ووجود الإحساس المحيطى بالمطلق واللا محدود يشكل عند «فرويد» قاعدة الحاجة الدينية، لأن التحليل النفسى أثبت له أن الإحساس لا يصبح مصدر طاقة ـ إلا بقدر ما يكون تعبيراً عن حاجة.

كما أن الإحساس المحيطى بالمطلق يشكل الجوهر العميق للإحساس الدينى، عند أصحاب الديانات، والذى يتغير لحد ما بتأثير شتى العوامل الملحقة بها.

ولذا يصرح «فرويد» أنه يبقى متردداً أمام هذا الموضوع ويعترف أنه لم يجد أثراً لهذا الإحساس فى داخله عندما أخضع نفسه لعملية تحليل نفسى، ولكنه يسارع مضيفاً بكل أمانة أن ذلك لا يسمح له مطلقا بإنكار وجود هذا الإحساس عند غيره[2].

يقول «إدغاربيش»: «أما بالنسبة للحاجات الدينية وارتباطها بحالة التبعية المطلقة فى الطفولة، وكذلك الحنين إلى الأب الذى تثيره هذه الحالة، فتبدو لى حقيقة لا تقبل الجدل، لا سيما وأن هذا الإحساس المذكور لا يرجع فقط إلى بقايا هذه الحاجات من مرحلة الطفولة، بل لأن القلق الذى يشعر به الإنسان أمام قوة القدر القاهرة يرعاه بطريقة دائمة. لا أعرف العثور على حاجة طفلية أخرى قوية قوة الحاجة إلى حماية الأب. يكفى هذا الاعتبار إلى أن نسحب من الإحساس المحيطى، الذى ينمو بمعنى ما، دوره الأساسى على هذا الصعيد... إنى أرى أن الإحساس المحيطى بالمطلق واللامحدود يلعب دوراً ثانوياً بالنسبة للدين. وتبدو لنا فكرة «فرويد» القائلة بأنه يشكل واحداً مع الكل الكبير بمثابة سعى أولى للمؤاساة الدينية، وبمثابة طريقة أخرى لإنكار الخطر الذى يشعر «الأنا» بأن العالم الخارجى يتهدده به»[3].

---

(1) انظر: فكر فرويد. إدغاربيش. ص:119، 120.
(2) انظر: نفس المصدر. ص:117.
(3) انظر: نفس المصدر. ص: 120، 122.

وبناء على كلام «فرويد» و «إدغاربيش» نجد أن «فرويد» يرفض الفكرة القائلة بأن الدين ينبع من إحساس دينى أولى لا علاقة له بعوامل مسببة نابعة من عقدة أوديب.

كما رفض الإحساس المبهم بالمطلق والإحساس نحو الأبدية بوصفهما المصدر الأول للإحساس الدينى. وتجد هذا الرفض مدعوماً بحقيقة أن التدين يزداد، عند متوسط الناس، متى تعرض الإنسان لضربات المحن فيكون متعطشاً إلى اللا محدود. وعندئذ - كما يقول «فرويد» - تؤخذ هذه الظاهرة بالعكس فتفقد كل قيمتها متى اعترفنا بأن الله أو القدر بديل الأب. وفى هذه الحالة، يرجع الفرد نحو حالة طفلية، ويقترب من الله، كما اقترب سابقاً من الأب وأطاعه ليخفف من الغضب الذى تعرض له من جراء عصيانه لما حرّمه.

وبهذا يكون البؤس والتعاسة عند رجل الدين، تجلياً لتراجع الحب الإلهى الذى يكون فى اللاوعى صدى بعيداً لتراجع حب الابوين[1].

**والخلاصة**: إذا كان «فرويد» رفض وجود الإحساس بالمطلق والإحساس نحو الأبدية باعتبارهما المصدر الأول للإحساس الدينى. فقد ذهب إلى أن هذا الدين له مصادر أخرى، أهما:

١ - قلق الإنسان أمام نزواته الخاصة وغرائزه الداخلية.

٢ - خوفه من قوى الطبيعة المعادية فى الخارج.

٣ - الحنين إلى الأب.

٤ - الندم على عملية القتل الأولية.

فالقلق، والجزع، والحنين إلى الأب، والندم على القتل الأولى هى مصادر الدين عند «فرويد»، وهى كلها نابعة من عقدة أوديب[2].

**مهمة الدين:**

إن مهمة الدين عند «فرويد» تدور حول إشباع رغبات جميع الناس، وهو تعويض عن الحرمان والآلام الذى يعانونه على هذه الأرض من ثقل القوى الطبيعية. وكان الإنسان فى الماضى يعانى من هذا الثقل أكثر مما هو الآن، ولهذا السبب بنى

(١) انظر: المرجع السابق .ص: ١٢١.

(٢) انظر: الدين والتحليل النفسى. إريك فروم .ص: ١٥، ١٦، فكر فرويد. إدغاربيش .ص: ١١٦.

الإنسان الحضارة لتحميه من بعض جوانب هذه القوى. ومع ذلك يوجد جوانب أخرى لهذه القوى، مثل مسألة الموت والكون، ما زالت تقلقه باضطراب على الدوام. وعلاوة على ذلك فإن الحضارة نفسها تخنق الفرد بإجباره على الامتناع عن كثير من نزواته. وعندئذ يتقدم الدين ليحمى الإنسان على المستوى النفسى من أخطار الطبيعة التى لم تتمكن الحضارة لا من إلغائها ولا من التخفيف منها، وذلك بإعطائه جواباً ميتا فيزيقياً وهمياً، جاعلاً فى نفس الوقت متطلبات الحضارة مقبولة[1].

يقول «فرويد»: «تحتفظ الآلهة بمهمتها الثلاثية التى تقوم بها: إبعاد قوى الطبيعة، التوفيق بين البشر وبين وحشية القدر كما تتجلى فى الموت بشكل خاص، وتعويضنا عن الآلام والحرمان التى تفرضها على الإنسان حياة المتحضرين المشتركة... ثمة أصل إلهى منسوب إلى تعليمات الحضارة التى رُفعت إلى مصاف يتجاوز المجتمعات البشرية وطُبقت على مستوى الطبيعة وتطور الكون. هكذا يتكون كنز من الافكار، متولد من الحاجة إلى جعل الضيق البشرى محمولاً، ومبنى من مادة تقدمها ذكريات هذا الضيق الذى يعيش فيه الإنسان فى فترة طفولته الخاصة كما عاشه البشر فى طفولة الجنس البشرى»[2].

وإذا كان الدين عند «فرويد» يحمى الإنسان من أخطار الطبيعة، ويعطيه جواباً وهمياً. فإن نتيجة عجز الإنسان عن مواجهة قوى الطبيعة، هو أن يبحث عن مهرب من الواقع، فيميل الإنسان إلى الاعتقاد بوجود أب وراء هذا الكون، لأن الناس بوصفهم أطفالاً بحاجة ماسة إلى رعاية أب. وهكذا فإن الإنسان هو الذى يخلق الله، لا العكس[3]. وذلك عن طريق تجسيد قوى الطبيعة فى كائنات محدودة.

والدين مع حمايته للإنسان من أخطار الطبيعة، وإعطائه جواباً وهمياً، فإنه يجعل متطلبات الحضارة مقبولة، وذلك بتقديم القوانين الاجتماعية والأخلاقية وكأنها ترجع إلى نظام إلهى لا يمكن إدراكه ومعرفته.

يقول«فرويد»: «تسهر على كل منا عناية إلهية رؤوفة لا تبدو قاسية إلا فى المظهر، إنها عناية لا تسمح بأن تصبح ألعوبة بيد القوة الطبيعية الساحقة والعديمة الشفقة؛ والموت نفسه ليس إفناء، وليس عودة إلى فقدان الحياة، إلى اللاعضوى، إنه

---

(1) انظر: فكر فرويد. إدغاريش.ص: ١٢٢. (2) انظر: نفس المصدر.
(3) انظر: العلم فى منظوره الجديد. روبرت م. اغروس.ص٥٩.

بداية شكل جديد للوجود، بل مرحلة على درب تطور أرقى بكثير. ثم يقول: ونفس القواعد التى نشأت عليها حضارتنا تحكم الكون أيضاً، ولكن هناك محكمة عدالة أرقى بكثير تسهر على التقيد بها بقوة ومنطق أكبر بمالا يقاس. وأخيراً يجد الخير جزاءه دوماً والشر عقابه، وإن لم يكن ذلك فى هذه الحياة، فعلى الأقل فى الآخرة التى تبدأ بعد الموت» [1].

وقد برهن «فرويد» على أن الأساليب التى يدعو إليها الدين لتملق الآلهة أو التأثير عليها هى نفسها التى يتعلمها الطفل لإرضاء أبويه وتأمين اهتمامهما وحمايتهما له بشكل مستمر.

ثم تفحّص الوسائل التى اتبعها الإنسان لضبط الإله أو التحكم فيه أو إرضائه فأدرك أنها مبنية على نموذج من التجربة الحقيقية ـ تجربة الطفل مع أبويه. فاعتبر وظيفة الدين تنظيم العلاقات بين الأفراد فى المجتمع وحمايتهم ضد الأخطار فى العالم الخارجى [2].

وبناء على ما سبق نجد:

أن «فرويد» يعتقد أن مهمة الدين هى أن يقدم إشباعاً وهمياً لحاجات عميقة.

وأنه مواساة لصدمات هذه الحياة، كما أنه يقوم بتنظيم العلاقات بين الأفراد فى المجتمع وحمايتهم من العالم الخارجى. وفكرة «فرويد» عن الله، هى إسقاط **projection** للصورة الأبوية يتوجه نحوها الفرد ليستكمل الانتفاع بالحب والحماية اللذين كان ينتفع بهما عندما كان طفلاً [3].

**الدين مرض:**

يقول «فرويد»: «من المسلم به من زمن طويل أن الخيالات فى المرض النفسى تشتمل على جزء من حقيقة منسية، وأن هذه الحقيقة المنسية تعود فى يوم من الأيام ولكنها تعود مشوهة، وعليها أن تتقبل هذا التشويه وأن يساء فهمها. ومن المسلم به كذلك أن هذا الجزء هو الذى يجعل المريض يعتقد اعتقاداً جازماً فى صدق خيالاته ليس لسبب سوى أنها تغلف هذا الجزء وتنبع من صميمه. هذه النواة من الحقيقة ـ

(١) انظر: فكر فرويد. إدغاربيش. ص: ـ١٢٢، ١٢٣.

(٢) انظر: هؤلاء درسوا الإنسان. تاليف. أ. كاردينر، أ. بريبل. ترجمة: د/ أمين الشريف. ص٣٤٥، ٣٤٦.

(٣) انظر: الماركسية والتحليل النفسى. د/ أوسبورن. ص٦٤، ٦٥.

التى يمكن أن نسميها حقيقة تاريخية ـ ينبغى أن تخول كذلك إلى مذاهب الديانات المختلفة. فالواقع أن الديانات تصطبغ بسمة الأعراض المرضية النفسية. وإذا كان المريض النفسى يفقد صلته بالناس وينعزل لذلك، فإن الديانات رغم ما بها من أعراض مرضية نفسية لم تحل بها لعنة الانعزال لأنها ظواهر جماعية» ـ [1] . وبهذا نجد أن «فرويد» يذهب إلى أن الدين حالة أو ظاهرة مرضية عند الإنسان فيقول:

«إننا إذا حاولنا أن نحدد للدين مكانه فى تاريخ تطور الإنسانية، لم يبد أنه كسب خالد بقدر ما يبدو أنه نظير للمرض النفسى الذى لابد أن يجتازه الإنسان المتحضر وهو يتطور من سن الطفولة إلى سن النضج» [2] . ونظراً لأن «فرويد» طبيباً ممارساً كرس حياته فى مواجهة حالات العصاب وكل الاضطرابات العاطفية التى يعانى منها الناس، فيؤكد بأن كل منا وجب عليه المرور، منذ ولادته وقبل أن يصبح رجلاً بالغاً متحضراً، فى «... مرحلة تتفاوت حدة حالة العصاب فيها، وذلك نظراً لضعفه الفردى إزاء نزواته المفرطة القوة التى يجب عليه كبحها، وغالباً ما يكون الخوف هو محرك هذا الكبح» [3].

ثم يعقد مقارنة بين التطور الذى ينجزه كل فرد وبين التطور الذى يحدث للإنسانية فى الإطار الحضارى، فيقول:

«لا تستطيع الإنسانية، فى عصور الجهل والضعف الفكرى التى اجتازتها فى البداية، تحقيق التخلى عن الغرائز، هذا التخلى الضرورى للحياة المشتركة للناس، إلا بفضل قوى عاطفية خالصة.

إن بقايا هذه المساعى، المشابهة للكبت، والتى حصلت فى أزمنة ما قبل التاريخ، تستمر طويلاً كقسماً متمماً للحضارة. هكذا يكون الدين عصاباً وسواسياً عاماً

---

(١) انظر: موسى والتوحيد. سيجموند فرويد .ص١٧٥.
(٢) انظر: الإسلام فى مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة. د/عبد العظيم المطعنى. ص١٤٧.
(٣) فكر فرويد. إدغاربيش. ص١٢٣.

للبشرية؛ وهو ينجم مثل عصاب الطفل من «عقدة أوديب»، من علاقات الطفل بأبيه. واستناداً إلى هذه التصورات يمكن توقع حصول التخلى عن الدين مع الحتمية المؤ كدة لسياق النمو، وبأننا نعيش اليوم، فى هذه المرحلة من التطور بالتحديد» [1].

ثم يقارن «فرويد» بين الدين وبين عصاب الانحصار **ObsessionaI neuroses** الذى نجده عند الأطفال فينتهى إلى أن الدين عصاب جماعى **Callective neuroSis** تسببه ظروف مماثلة للظروف التى تحدث عصاب الطفولة [2].

وإذا كان الدين مرض، فعلى الإنسان المتحضر أن يجتازه ويبرأ منه عند١٤٦ الاكتمال والنضج، كما يبدأ الطفل حين يكبر من أشياء كان يحترمها فى حال الطفولة، ثم يظهر له بطلانها فى سن الرشد وكمال الوعى [3].

**مستقبل الدين (وهم):**

يعلن «فرويد» أن: «أديان البشر يجب أن تصنف باعتبارها وهماً من أوهام الجماهير» [4].

كما يعترف بأن الإنسان من خلال عجزه لمواجهة قوى الطبيعة وقوى الغريزة فى داخل نفسه، واستبداله هذا العجز بالقوى الوجدانية ينمى الإنسان ما يطلق عليه «فرويد» اسم «الوهم»، وهذا الوهم يأتى من تجربته الفردية الخاصة عندما كان طفلاً. إذ يتذكر الإنسان حين يواجه قوى خطرة لا سبيل إلى السيطرة عليها أو فهما أن أباه كان يحميه، وأنه أوتى حكمة عالية، وقوة. وهو يستطيع أن يكسب حب أبيه وحمايته بإطاعة أوامره، وتجنب نواهيه.

وهكذا يكون الدين - فى رأى «فرويد» - تكرار لتجربة الطفل. ويتعامل الإنسان

---

(١) انظر: نفس المصدر. ص١٢٣، ١٢٤.
(٢) انظر: الدين والتحليل النفسى. إريك فروم .ص١٦.
(٣) انظر: الإسلام فى مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة. د/ عبد العظيم المطعنى .ص١٤٨.
(٤) انظر: العلم فى منظوره الجديد. روبرت م. أغروس.ص٥٨.

مع القوى المهددة له بنفس الطريقة التى تعلم بها وهو طفل أن يتعامل مع شعوره بعدم الأمان، وذلك بالاعتماد على والد يعجب به ويخافه [1].

ثم يقول «فرويد» لقد قدم الدين خدمات جليلة للحضارة، وساهم إلى حد كبير بكبح الغرائز الاجتماعية، ولكنه لم يتمكن من الذهاب بعيداً فى هذا الاتجاه. حكم المجتمعات البشرية طيلة آلاف السنين، وكان عنده ما يكفيه من الوقت ليظهر ما كان قادراً على إنجازه. ولو أنه نجح بجعل غالبية الناس سعداء، وبمؤاساتهم، وبمصالحتهم مع الحياة، وبجعلهم دعائم للحضارة، لما خطر على بال أحد الطموح بتغيير حالة الأمور الراهنة. ولكن ماذا نرى بديلاً عن ذلك؟ ثمة عدد رهيب من الناس المستائين من الحضارة، عدد كبير جعلت الحضارة تعيساً. إنه لمن الشائع أن رجال الدين مااستطاعوا الحفاظ على خضوع الجموع للدين إلا على حساب تنازلات كبيرة أمام غرائز الناس» [2].

بهذا يشير «فرويد» إلى إفلاس الدين ويوصى بأنه من المستحب محاولة تجريب التربية غير الدينية، وتعويد الإنسان على الاستغناء عن هذه المؤاساة، وعلى ترك هذا الملجأ، ليواجه بمفرده مخاطر وقلق العالم الخارجى من أجل أن يصبح إنساناً بالغاً بكل معنى للكلمة. ولا يمكنه القيام بذلك إلا بتجاوز المرحلة الطفلية ليغامر فى العالم المعادى [3].

فـ «فرويد» يعتبر الدين مثل الطفل العاجز عن مواجهة الطبيعة، وإجاباته على المسائل وهمية وعلى الإنسان الناضج ترك مرحلة الطفولة (الدين) ليواجه العالم المادى. بكل ما فيه من مخاطر من أجل أن يصبح إنساناً بالغاً.

---

(١) انظر: الدين والتحليل النفسى. إريك فروم. ص١٦.
(٢) فكر فرويد. إدغاربيش. ص١٢٥.
(٣) انظر: نفس المصدر. ص١٢٥، ١٢٦.

**نقد «فرويد» للدين:**

لم يقف الأمر عند «فرويد» على أن الدين وهم، بل ذهب أبعد من ذلك واعتبره خطراً، وذلك لما يأتى:

(١) أنه يميل إلى تقديس مؤسسات إنسانية سيئة تحالف معها على مر التاريخ.

(٢) أن ما يقوم به الدين من تعاليم الناس الاعتقاد هى وهم، وتحريم التفكير النقدى يجعله مسئولاً عما أصاب العقل من إملاق. بهذا الاتهام يبين أن «فرويد» فى عمله التحليلى - كما يقول «إريك فروم» - أن كبت التفكير النقدى فى نقطة معينة يؤدى إلى إفقار قدرة الشخص النقدية فى مجالات أخرى من الفكر، ومن ثم يعوق قوة العقل.

(٣) أن الدين يضع الأخلاق على أسس مهزوزة أشد الاهتزاز. فإذا كانت صحة المعايير الأخلاقية تستند إلى كونها أوامر الله، فإن مستقبل الأخلاق ينهض أو يتداعى مع الاعتقاد فى الله، ولما كان «فرويد» يفترض أن الاعتقاد الدينى فى سبيله إلى الانحلال، فإنه مرغم على افتراض أن الارتباط المستمر بين الدين والأخلاق سوف يؤدى إلى تحطيم قيمنا الأخلاقية [١].

والأخطار التى يراها «فرويد» فى الدين تجعل من الواضح أن مثله العليا الخاصة وقيمه هى نفسها الأشياء التى يعدها موضع تهديد من الدين: فلقد عبر فى صراحة تامة عن المعايير والمثل العليا التى يؤمن بها وهى: الحب الأخوى(Menchenliebe) والصدق، والحرية. فالعقل والحرية يعتمدان أحدهما على الآخر فى رأى «فرويد» فإذا تخلى الإنسان عن وهمه فى إله أبوى، وإذا واجه وحدته وتفاهته فى الكون فسيكون أشبه بالطفل الذى ترك بيت أبيه. غير أن غاية التطور الإنسانى هى أن يتغلب على هذا التثبيت الطفولى. وعلى الإنسان أن يعلم نفسه لمواجهة الواقع. فإذا علم أنه لا يستطيع الاعتماد على شىء إلا على قواه الخاصة، فسيتعلم كيف يستخدمها استخداماً

(١) انظر: الدين والتحليل النفسى. إريك فروم. ص١٧.

صحيحاً. والإنسان الحر الذى حرر نفسه من السلطة التى تهدد وتحمى هو وحده الذى يستطيع استخدام قوة عقله، وإدراك الكون، ودوره فيه إدراكاً موضوعياً دون وهم، وبقدرة على التطور وعلى استخدام القدرات الكامنة فيه [1].

خلاصة:

أن الدين عند «فرويد»: وهم اجتماعى يستخدم للتغلب على شعور الفرد بالعجز أمام قوى الطبيعة والتى جسدها الإنسان فى كائنات محددة كالآلهة. [2] والعقائد الدينية هى رد فعل لحرمان الأفراد، وهى طريقة لضبط الأفراد.

وهذا الدين نشأ عن الشعور بالذنب وتأنيب الضمير، كرد فعل لقتل الأب الذى هو نواة الطوطمية. وكل الأديان جاءت كمحاولة لحل جريمة القتل الأولى الذى نشأت الحضارة عنه.

ومصدره: القلق، والجزع، والحنين إلى الأب، والندم على عملية القتل الأولى والأساطير.

ومهمته: هى إشباع رغبات الناس، وتنظيم العلاقات بين الأفراد. وهذا الدين يمثل الطفولة المبكرة، ولذا فهو عاجز عن تقديم إجابات سليمة للمسائل. وهذا الدين إجاباته وهمية، فهو مرض يعتمد على الخيالات، مثل الذى توجد فى خيال المريض النفسى. ولم يكتف بهذا بل اعتبره خطراً. فانتقده فى كتابه «مستقبل وهم».

هذا وأشار «فرويد» إلى أن صورة الإله قد رسمت وحددت بعد صورة الأب وعلى ذلك فعلاقتنا بالإله تعتمد على علاقتنا بآبائنا الطبيعيين. والإله فى النهاية ليس إلا أباً يمجد وصاحب مكانة عالية.

واعتبر الإيمان بالله عملية تثبيت للحنين لشخص الأب، وتعبيراً عن الرغبة فى

---

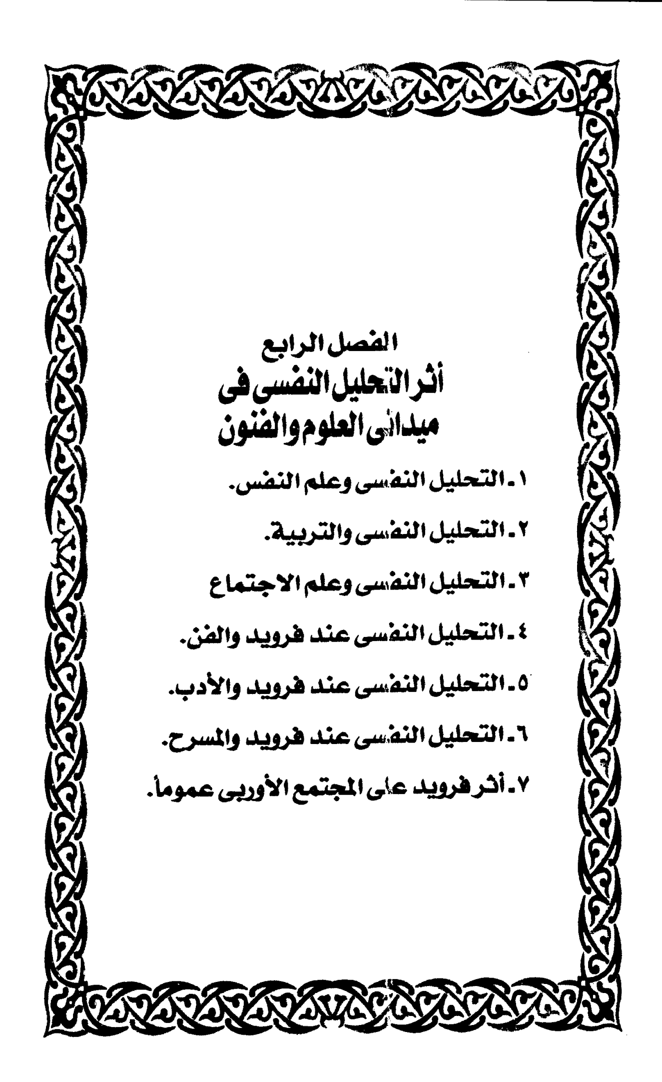
(١) انظر: نفس المصدر. ص١٨.
(٢) انظر: هؤلاء درسوا الإنسان. أ. كاردينر. ص٣٤٥.

الإنقاذ والمساعدة، لأن الإنسان لا يستطيع إنقاذ نفسه أو حتى مساعدتها إلا بالتخلى عن أوهامه الطفولية وباللجوء إلى قوته وعقله وقدراته [1].

وإذا كان الإله عند «فرويد» عبارة عن أب يمجد وصاحب مكانه عالية، فإن هذا يعنى أن الأب يحل محل الإله، والإله يأخذ شكل الإنسان وله كافة خصائصه وما فيه من فضائل ورذائل، وعواطف ومشاعر، ونزعات خير وشر. وبهذا فإن مفهوم الإله قريب جداً من مفهوم التجسد. وهذا يدل على تأثر «فرويد» بالأساطير اليونانية وبالآلهة عند الإغريق التى تأخذ شكل الإنسان وما يتصف به، وصراع الإنسان مع الطبيعة، والصراع بين الآلهة [2].

●●●●●

(١) انظر: مهمة فرويد تحليل لشخصيته وتأثيره. أريك فروم. ترجمة: د/ طلال عتريسى. ص٩٥.
(٢) انظر: مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق فى ضوء الإسلام. أنور الجندى. ص٢٤٠، ٢٤١.



الفصل الرابع

## أثر التحليل النفسي في ميداني العلوم والفنون

١ - التحليل النفسي وعلم النفس.

٢ - التحليل النفسي والتربية.

٣ - التحليل النفسي وعلم الاجتماع

٤ - التحليل النفسي عند فرويد والفن.

٥ - التحليل النفسي عند فرويد والأدب.

٦ - التحليل النفسي عند فرويد والمسرح.

٧ - أثر فرويد على المجتمع الأوربي عموماً.

## [١] التحليل النفسى وعلم النفس

لقد بدأ «فرويد» ممارسة الطب، وكان من الطبيعى وفقاً لإعداده العلمى أن يتخصص فى علاج الأمراض العصبية. وقد كان هذا الفرع من الطب فى مرحلة متخلفة، فلم يوجد فى هذا الوقت أى عمل من أجل أولئك الذين يعانون من الانحرافات العقلية. إلا أن «جين شاركو» (jeanchacot) فى فرنسا استطاع أن يحرز بعض النجاح فى التنويم المغناطيسى، خاصة فى حالات الهستيريا، فأمضى «فرويد» عاما (١٨٨٥ ـ ١٨٨٦) فى باريس يتعلم طريقة «شاركو» فى العلاج ولكنه لم يكن مستريحاً إلى التنويم المغناطيسى لأنه أحس أن آثاره مؤقتة وأنه لايصل إلى جذور المشكلة.

كما تعلم «فرويد» من طبيب آخر من فيينا هو «جوزيف بروير» (Breuer Jo-seph) فوائد عملية «التفريغ» (catharsis) أو ( الاسترسال فى الحديث عن مشكلاتك Talking `out ` your ` problems)فى العلاج، حيث المريض يتحدث والطبيب ينصت إليه. وطريقة «التداعى الحر» (free Association) أمدته بقدر عظيم من المعرفة عن العوامل التى تسبب السلوك غير السوى.

فقد بدأ يسبر أغوار الحياة العقلية عند مرضاه فى حماس وشغف علمى أصيل مما كشف له عن القوى الديناميكية الناشطة المتسببة فى الأعراض التى كان يروم علاجها. وبهذا بدأ يتشكل فى ذهن «فرويد» بالتدريج فكرة مؤداها أن معظم هذه القوى لا شعورية.

وكان فى هذا تحول فى حياة «فرويد» العملية، وإذا به يصبح باحثاً نفسياً قد انصرف عن علم وظائف الأعضاء (physiology) وعلم الأعصاب (physiology)، وتحولت الحجرة التى يعالج فيها مرضاه إلى معمل له واسترسالات مرضاه هى مادته العلمية.[1]

وإعجابه بـ « إرنست بروكه» الذى قال: أن الكائن الحى نظام ديناميكى تنطبق

(١) انظر: علم النفس عند فرويد. د/ كالفن س. هول. ص١٠.

عليه قوانين الكيمياء والفيزياء، أدى به إلى أن أصبح من المؤمنين بعلم الفيزيولوجيا الديناميكية الحديث. وتوصل إلى أن قوانين الديناميكا يمكن أن تنطبق على شخصية الإنسان كما تنطبق على جسمه. وعندئذ أخذ يبتدع «علم نفس ديناميكى» الذى يدرس ما يطرأ على الطاقة من ألوان التحول والتبدل فى داخل الشخصية [1].

لقد طبق «فرويد» على العقل البشرى مبدأ بقاء الطاقة، الذى يقول باستحالة إبادة أى مقدار من الطاقة ضمن نظام منفرد، وإذن فمصيره حافز غير مقبول هو التحول، لا الفناء. وبهذا تكون السيكولوجيا، تحت تأثير «فرويد» قد غدت دراسة للديناميات[2].

وكان هذا بمثابة أعظم الإنجازات التى حققها «فرويد»، وواحداً من أعظم الإنجازات فى تاريخ العلم الحديث. بل إن علم النفس الديناميكى هذا لهو بمثابة الواقعة الحاسمة فى تاريخ علم النفس[3].

وفى خلال العشر سنوات التالية لعام ١٨٩٠ بدأ «فرويد»، بما يتميز به من دقة، يحلل ذاته تحليلاً عميقاً ينقب فيها عن القوى اللاشعورية عنده شخصياً ليقابل بين هذا وما يمده به مرضاه من مادة. واستطاع أن يتعرف على حركة العوامل الديناميكية العميقة عنده، بعد أن أخذ يحلل أحلامه ويحدِّث نفسه بكل ما يرد إلى ذهنه. كما بدأ يرسى قواعد نظرية جديدة له فى الشخصية على أساس من المعرفة التى حصلها من مرضاه ومن نفسه، استخدم فيها أقصى طاقاته المبدعة طوال ما بقى له من حياة. وقد عبر هو فيما بعد عن ذلك بقوله: « لقد توجهت حياتى كلها نحو هدف واحد ألا وهو استنباط أو تصور الهيئة التى يتركب عليها الجهاز النفسى ومعرفة القوى التى تتفاعل وتتضاد فيه».

وفى أثناء تلك السنوات كتب «فرويد» كتابه «تفسير الأحلام» The Interpreta-tionof Dreams) الذى يعتبر الآن واحداً من أكبر الأعمال فى العصر الحديث. إنه كتاب عن ديناميكية العقل البشرى، والفصل الأخير منه بالذات يتضمن نظرية «فرويد»

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص ٨، ٩.
(٢) انظر: هؤلاء درسوا الإنسان. أ: كاردينز. ص ٣٣٤.
(٣) علم النفس عند فرويد. ص٩.

عن العقل[1].

وعلى الرغم من الاستقبال الفاتر لكتابه «تفسير الاحلام» فقد أنتج «فرويد» عديداً من الكتب والمقالات فى السنوات العشرة التالية. ففى عام ١٩٠٤ ظهر له «الانحرافات النفسية فى الحياة اليومية» (psychopathology of'everydaylife) وفيه أورد «فرويد» الفكرة الجديدة التى تزعم أن فلتات اللسان والأخطاء والحوادث، وأخطاء الذاكرة كلها ترجع إلى دوافع لا شعورية، وفى السنة التالية ظهرت له ثلاثة أعمال ذات خطر أحدها هو «حالة هستيريا» (Asaseofhysteria) وفيه بيان تفصيلى لطريقة« فرويد» فى استقصاء الأسباب النفسية للاضطرابات العقلية.

كما قدم كتابه «ثلاث مقالات فى الجنس(Three essays on sexuality ) آراء «فرويد» عن تطور الغريزة الجنسية [2].وهذا الكتاب أعطى لـ «فرويد» رأياً عاماً وشهرة مؤداها أنه يرى الجنس مسيطراً أو سائداً فى كل الأمور. (Apan ` sexualist).

وقد بين كتابه الثالث «الفكاهة وعلاقتها باللاشعور» (wit and its rel atioto Theunconcious) كيف أن الفكاهات التى يتناقلها الناس هى من إنتاج ميكانيات لا شعورية.

ومع أن «فرويد» عمل فى شبه عزلة عن الأوساط الطبية والعلمية عدداً من السنين، فإن كتاباته ونجاح طريقة التحليل النفسى فى علاج المرضى العصابيين لفتت إليه أنظار فئة صغيرة من الناس، من بينهم «كارل يونج» (carlJung) و«ألفرد آدلر» (Alfred Adler)، واللذان انشقا عن «فرويد» فيما بعد، وكونا مدرستين منافستين. ولكنهما كانا تابعين لهما خطرهما لـ«فرويد» فى السنوات السابقة على الحرب العالمية الأولى، كما ساعداه على أن يجعل من التحليل النفسى حركة دولية [3]. وتزايد الاعتراف بـ «فرويد» عقب الحرب العالمية الأولى إذ أصبح اسمه معروفاً لملايين الناس فى جميع أنحاء العالم. وانتشر التحليل النفسى انتشاراً كبيراً وتردد أثره فى كل جانب

---

(١) انظر: علم النفس عند فرويد. د/ كالفن س. هول .ص١١.
(٢) انظر: نفس المصدر.ص١٢.
(٣) انظر: نفس المصدر.ص ١٢، ١٣.

من جوانب الحياة. فقد كان أثر سيكولوجية «فرويد» واضحاً فى هذه الجوانب، وأصبح من الشائع المرغوب فيه أو موضة العصر، أن يحلّل المرء تحليلاً نفسياً وأن يستعمل ألفاظاً مثل اللاشعور أو النزعات المكبوتة (reprssed urges Unconscious) أو عوامل الكف (inhobtions) أو العقد (coml exes) أو حالات الثبوت (fixataions) فى أحاديثه العادية.

وكان جانب كبير من شيوع الاهتمام بالتحليل النفسى راجعاً إلى ارتباطه بالجنس.

واستمر «فرويد» يكتب طوال حياته. بل إنه لم يكد يمر عام من غير أن يخرج فيه كتاباً أو مقالاً ذا أهمية[1].

ولم يحس «فرويد» إطلاقاً أن عمله قد تم، فقد كان يرجع نظرياته الأساسية، ويوسعها كلما جاءه دليل جديد من مرضاه أو من زملائه، ففى عام ١٩٢٠ مثلاً، وكان فى السبعين من عمره، غيّر «فرويد» عدداً من آرائه الأساسية تغييراً تاماً؛ إذ جدد نظريته فى الدوافع (Motivation)، وقلب نظريته فى القلق وأنشأ نموذجاً جديداً للشخصية قائماً على «الهو» (Id) و«الأنا» (Ego) و«الأنا العليا» (Supregp)[2].

وبناء على ما سبق: أقام التحليل النفسى مدرسة فى ميدان علم النفس الذى اعترف بأهميتها، ولم يستطع علماء النفس الاستمرار فى إغفال دراسة ما كشف عنه التحليل النفسانى من نواح هامة من النفس الإنسانية، كانت من قبل بعيدة عن دائرة أبحاث علم النفس[3]، وهو القسم اللاشعورى من الطبيعة الإنسانية والذى يسيطر على حياتنا الشعورية ويتحكم فى أعمالنا وتصرفاتنا ومظاهر تفكيرنا عامة فى حالتى الصحة والمرض على السواء.

وبهذا تطور علم النفس من وراء ذلك تطوراً كبيراً، فاتخذ وجهة أخرى غير الوجهة القديمة، فأصبح يعنى باللاشعور وأعماله عناية كبيرة حتى أنه ليكاد يقوم علم

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص ١٣.
(٢) انظر: المرجع السابق. ص ١٤.
(٣) انظر: معالم التحليل النفسانى - فرويد ص ٣٢.

جديد من علوم النفس يسمى سيكولوجية اللاشعور، أو كما يسميها كثيرون من الباحثين «علم النفس الحديث» أو «علم النفس التحليلى» أحياناً. وموضوع هذا العلم الحياة الإنسانية كلها [1].

●●●●●

(١) أصول علم النفس وأثره فى التربية والتعليم. تأليف .أمين مرسى قنديل .ص ٥٧ .

## [٢]. التحليل النفسي والتربية

يقول «فرنزي»: «يوجد ميدان يعتبر فيه التحليل النفسى التطبيقى ضرورة لا مفر منها وهو «ميدان التربية والتعليم»؛ فجميع معلمى المدارس يجب أن يكونوا مدربين على أساليب التحليل النفسى تدريباً دقيقاً، لكى نودع بين أيديهم فلذات أكبادنا بقلوب ملؤها الثقة والاطمئنان» [١].

فإذا كان من أهم أغراض التربية توجيه السلوك الإنسانى لإيجاد شخصية سوية متوافقة متلائمة، فإن التحليل النفسى فى مجمله يطلق عليه « علم نفس الشخصية»، وذلك لأنه يعتبر أحد الاتجاهات الهامة فى تفسير الشخصية. ومن هنا يأتى تأثيره المباشر وغير المباشر على الدراسات النفسية والممارسات التربوية، ولذا فإن أفكاره وممارساته تنتشر بين كثير من المربين، بل وبين الناس عامة.

وفى الوقت الحاضر يهتم به كثيرون من المشتغلين بالتربية اهتماماً كبيراً، ويستغلون نظريات «فرويد» وأتباعه وآرائهم لمصلحة التربية وطرق التعليم المختلفة ويطبقونها فى الأبحاث الكثيرة التى تتعلق بالأطفال وغرائزهم وسلوكهم فى مراحل الترقى المختلفة. وذلك لأن التحليل النفسى يقصد به الوصول إلى معرفة الغرائز والأفكار التى كتمها المرء فى نفسه، وهذه الطريقة تستعمل غالباً فى اليقظة[٢].

ولقد أدت بحوث «فرويد» تغيرات كثيرة فى طرق التربية والتعليم، وفى علاقة المدرس بتلميذه، وفى تنشئة الأطفال. فكل هذه الأمور وغيرها يمكن إرجاع أصولها إلى تأثير «فرويد» فى حضه على وجوب فهم صعوبات الأطفال خلال سنى نموهم على نحو يقوم على العطف والتقدير [٣].

وإذا كانت التربية تزيد توجيه السلوك الإنسانى، فإن التحليل النفسى يعتبر«اللاشعور» و«الجنس» هما أساس السلوك الإنسانى.

---

(١) مشكلة التحليل النفسى فى مصر. محمد فتحى بك. ص ١٦٧.
(٢) انظر: أصول علم النفس وأثره فى التربية والتعليم. أمين مرسى قنديل. ص ٥٧.
(٣) انظر: مجلة التربية الحديثة. العدد الثانى. ديسمبر سنة ١٩٥٦. ص ١١٩.

وإذا كان التحليل النفسى عند «فرويد» يقوم على فكرة «اللاشعور»، فإن فكرة «فرويد» عن اللاشعور ـ كما يقول أستاذ التربية « و.ج. ماك كالستر» ـ لم تفرق بينه وبين العقل الطفلى، بل جعلتهما شيئاً واحداً. والعقل الطفلى هو ذلك الجزء الخاص من الإنسان الذى سبق أن انفصل فى الطفولة عن الشخصية ثم كُبت. ولا يخفى أن تفسير عقل الطفل على هذا النحو له قيمة كبيرة فى التربية إذ هو يستبعد تلك النظريات المثالية التى تفسر عقلية الشباب[1].

ويمكن دراسة هذا العقل مباشرة كما ندرسه فى حياة الراشدين. يقول «إرنست جونز» : يظل اللاشعور طيلة العمر على شكل ثابت لا يتغير إلى جانب عقل الراشد ومستتراً وراءه، وهذا الوجود المستمر هو وجود من نوع خاص لا مثيل له فى الطبيعة؛ والذى يجعله فذّاً إلى هذا الحد هو ذلك الظرف الغريب: وهو أن عقل الطفل يوجد فى حياة الراشد بشكله الأصيل ومن غير تغيير فيه، إلى جانب عقل الراشد الناضج الذى نشأ فيه وصار إليه؛ فذلك تناقض تقل دهشتنا منه إذا ما تذكرنا الفرق بين الشكل وبين الطاقة ـ بين ما يمكن أن نسميه الساكن الجامد (الاستاتى) وبين المتحرك (الدينامىّ) من العمليات العقلية. فوجود الطفل والرجل معاً جنباً إلى جنب فى شخص واحد أمرلا يتملق الطفل ولا يرفع من شأنه، ولا هو يجعل كبت الميول غير ضرورى التى إن كبتت ظلت مع ذلك قائمة بشكل ما فى الحياة فيما بعد [2].

إن هذه النظرة إلى العقل الطُّفلى، وفكرة استمرار هذا العقل نفسه فى حياة الراشد إذا ما أجتمعتا بعضهما ببعض أفضتا ـ كما يقول . و. ج . ماك كالستر ـ إلى استنتاج أن التربية كلها أمر لا طائل تحته، وأن الحرية حلم من الأحلام. والحق أن هذا هو رأى «فرويد» نفسه. فقد تناول فى مقال له بحث ما لهذه القوى البدائية أو الغرائز من أهمية فلسفية، وعرّف الغريزة بأنها: ميل فطرىّ فى المادة العضوية الحية يدفعها إلى استعادة حالة سابقة من القصور الذاتى غير الحىّ.

---

(١) انظر: نشأة الحرية فى التربية. تأليف و.ج. ماك كالستر. جـ٢. ص ١٨١.. ترجمة: أمين موسى قنديل. مراجعة محمد بدران. مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥١.

(٢) انظر: نفس المصدر. ص: ١٨١، ١٨٢.

ويقول «فرويد» : إن كانت جميع الغرائز العضوية محافظة، وحصلنا عليها تاريخياً بالوراثة من قديم الزمان، وإن كانت تتجه إلى التراجع، نحو استعادة شئ سابق، فإنا مضطرون إلى أن نعزو جميع نتائج الترقى العضوى إلى مؤثرات خارجية تحدث الاضطراب والتشتيت. فالكائن البدائى لم يكن منذ بدايته راغباً فى أن يتغير لو أن الظروف بقيت على ما كانت عليه، بل لظل دائماً يعيد ويكرر نظام الحياة ذاته، ولكن فى النهاية لابد أن يكون تطور الأرض التى نعيش عليها وعلاقتها بالشمس هو الذى ترك طابعه فى ترقى الكائنات الحية، ولابد أن تكون الغرائز العضوية المحافظة قد اقتضت، على مرور الزمن، كل تغيير من هذه التغييرات الإجبارية وادخرته لتكرره وتعيده، وبذلك فهى تقدم شكلاً خداعاً من أشكال قوى تجاهد فى سبيل التغيير والتقدم، فى حين إنها فى الواقع إنما تحاول الوصول إلى غرض قديم بطرق قديمة وجديدة معاً. وكذلك نستطيع أن نعين الغرض النهائى الذى يرمى إليه كل كائن حى مجاهد. إنه ليتعارض مع الطبيعة المحافظة التى تتميز بها الغريزة أن يكون غرض الحياة حالة لم تكن قد بلغتها قط إلى الآن، بل يجب أن يكون نقطة بداية قديمة سابقة غادرها الكائن الحى من زمن بعيد وأصبح يحنّ إليها من جديد بكل طرق التقدم والترقى الملتوية. فإن جاز لنا أن نفترض أن الخبرة التى لا استثناء فيها قد أثبتت حقيقة عامة وهى أن كل شئ حى يموت من أسباب كامنة فى ذات نفسه، ثم يعود « إلى الأشياء غير العضوية» فيحق لنا أن نقول إن الموت هو غرض الحياة كلها، ثم نعود إلى الوراء فنقول: كان الجماد موجوداً من قبل أن تنشأ المخلوقات الحية.

إن هذه النظرية لا ترى فى الترقى إلا أنه شر من شرور الحياة لابد منه، تُحدثه تغيرات خارجية عن الفرد. و«فرويد» يرجع التقدم إلى دوافع قوية بدائية لا يمكن أن تتغير وتقتصر قوتها على إرشاد دوافع الرغبة هذه إلى اتجاهات ملائمة وعملية[1].

هذا وينسب «فرويد» إلى اللاشعور أهمية كبيرة فى توجيه السلوك، ويرى أن شخصية الإنسان أشبه بجبل ثلجى ضخم، ولا يبرز فوق سطح الماء منه سوى جزء صغير، أما غالبية هذا الجبل فهى مستقرة تحت الماء، ضخمة خطرة مجهولة. وقد

(١) انظر: المرجع السابق. ص ١٨٢، ١٨٣.

يفسر هذا التشبيه من ناحية أخرى مفهوم الشخصية عند «فرويد». فإنسان «فرويد» يشبه جزيرة منعزلة، لا يكاد يتأثر بالعوامل البيئية الاجتماعية التى تحيط به [1].

وإذا كان لب «اللاشعور» هو الغريزة الجنسية، فإن «فرويد» يصور النمو النفسى للإنسان وخاصة فى مرحلة الطفولة المبكرة، بأنها مرحلة مليئة بالصراعات والاصطدام مع البيئة الخارجية والمجتمع ـ الأسرة على وجه الخصوص ـ التى تحاول كبت رغبات الطفل ودوافعه ـ وخاصة الدافع الجنسى. هذا التناقض والصراع يشكل شخصية الإنسان ويتسم سلوكه بالعدوانية.

كما يرى أن التكوينات النفسية الداخلية هى التى تشكل وتحدد العلاقات الاجتماعية. أى أن التكوين النفسى للفرد وتركيب الأسرة وموقفها من الفرد هى التى تحدد شكل المجتمع ومجرى التاريخ. ولكن العكس أقرب إلى الصحة، لأن العوامل الاجتماعية والحضارية هى التى تؤثر فى حياة الأسرة ومفاهيمها وتربيتها لأطفالها، وبالتالى تؤثر فى التكوين النفسى للفرد وسلوكه.

ويذكر «فرويد» أن السنوات الأولى من حياة الإنسان هى الفترة الحاسمة فى تشكيل شخصيته، وبالتالى فى تحديد مستقبله. فالنفس الإنسانية تكاد تتجمد على المبادئ والأشكال التى تكونت وفقاً لها فى فترة الطفولة المبكرة، ولا تكاد تتغير بعد ذلك. ومعنى هذا المبدأ أن تأثير المدرسة والتعليم المنظم فى تكوين الإنسان ضعيف جداً.

هذا ويعطى التحليل النفسى عند «فرويد» الغرائز البيولوجية والدوافع اللاشعورية أهمية كبرى فى تشكيل سلوك الطفل على نحو يتسم بالأنانية، على الرغم من محاولات وضغوط وتأثير المجتمع الخارجى. وليس من السهل التغلب على هذه الدوافع والغرائز، ولكن من الممكن «خداعها» أو توجيهها فى اتجاه آخر عن طريق «التسامى». فالدوافع الغريزية الجنسية للطفل مثلاً يمكن توجيهها لكى تفرغ طاقتها فى

---

(١) انظر: دراسات فى الفكر التربوى المعاصر .د/ محمد نبيل نوفل . ص٤٠ .مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٨٥.

أوجه سلوك يرضى عنها المجتمع. وبالتالى التسامى يمثل أساس العملية التربوية[1].

ويمكن إجمال أثر العوامل الداخلية الغريزية الطاغية فى السلوك التى تدفع المربين إلى اتخاذ موقف سلبى ازاء الانحرافات فيما يلى:

{١} أنهم يعالجون عدوان الأطفال وأخطاؤهم وتجاوزاتهم عن طريق التسامح، وفهم دوافع السلوك، وتحمله حتى يخف أو يزول، وتجنب استخدام العقاب كوسيلة تربوية.

{٢} أن التحليل النفسى يدعوهم بشكل ينفى «المسئولية الخلقية» للإنسان، على أساس أن إرادته يؤثر فيها دوافع لا يعيها ولا يسيطر عليها.

{٣} أن التحليل النفسى عند «فرويد» يفسر «ثورة الشباب» وحركات العصيان التى انتشرت فى الغرب والشرق على أساس «الكبت» الذى يعانى منه الطفل فى المدرسة والمجتمع.

فالشباب يلجأ إلى التنفيس عن هذا الكبت النفسى عن طريق الثورة. أى أنهم يفسرون عملاً وحركة اجتماعية بأسباب فردية نفسية لاشعورية غريزية، ويتجاهلون الأسباب الاجتماعية الموضوعية الدافعة للثورة. وكما يطرحون سبباً فردياً لظاهرة الثورة، فإنهم يطرحون علاجاً فردياً لها أيضاً ـ العلاج أو التحليل النفسى وما إلى ذلك من أساليب.

كما تجد «فرويد» يرجع كل ما تعانى منه المجتمعات الإنسانية من مشكلات ـ الحروب والتعصب العنصرى والطغيان واستعباد الإنسان واستغلاله... إلى عوامل وراثية غريزية فى الإنسان الفرد[2].

ونجد أن العناية فى التربية الحديثة والتى انتقلت من المادة إلى الطفل تتمشى مع فكر «فرويد»، لأنه هو الذى وجه العناية إلى الاهتمام بالطفل، بل إلى الاهتمام بالغريزة الجنسية فى مرحلة الطفولة. ومعنى هذا أن هذا الاتجاه منصب على شخصية الطفل كاملة، وليس إلى تهذيب عقله وحسب [3].

---

(١) انظر: المرجع السابق ص ٤٢,٤١.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٤٢، ٤٣، ٤١.

(٣) انظر: مؤتمر أساليب التربية الحديثة. ص ٦٧، ٦٨. رابطة خريجى معهد التربية.

كما إن التربية الحديثة فى مجملها تهدف إلى أن التلميذ يعلم نفسه بنفسه وهذا يؤدى بدوره إلى أن التعليم يخضع لرغبات وأهواء وميول التلاميذ. وتحصيل الرغبة عند الأطفال أصبحت شيئاً أساسياً فى التربية الحديثة التى ارتبطت بـ «جون ديوى»، وتحصيل الرغبة أيضاً عند «فرويد» شئ أساسى فى التحليل النفسى. وهذا يعنى أن «ديوى» قد تأثر «بفرويد» كما تأثر به فى موقفه من الدين، فقرر كما قرر فرويد: «أن الناس لم يستخدموا قط القوى التى يملكونها لنشر الخير تمام الاستخدام، وذلك لأنهم انتظروا قوة خارجية عنهم وعن الطبيعة لتؤدى عنهم العمل الذى تقع عليهم مسئولية أدائه»[1].

●●●●●

(١) الدين والتحليل النفسى. اريك فروم. ص ٢٤.

## [٢] التحليل النفسى وعلم الاجتماع

يعتقد «فرويد» أن الميول الاجتماعية التى توحد الأفراد داخل المتحد (جماعات، عشائر، منظمات مثل الكنيسة والجيش، المجتمع) تنجم عن ميول جنسية، وتتغذى بوصفها هذا من الليبيدو.

ويرى «فرويد» أيضاً بأن الروابط الاجتماعية لا تختلف بطبيعتها، عن الروابط العائلية.

ويعرض كيف انبثقت الروابط العائلية، وهى النموذج الأصلى للراوبط الاجتماعية، من ميول الطفل الجنسية بعد كبت الأهداف الغريزية، فيقول:

« يقدم لنا تطور الليبيدو عند الطفل أول وأفضل مثل عن الميول الجنسية المتحولة عن هدفها. . تبقى جميع المشاعر التى يحس بها الطفل تجاه الأشخاص الذين يعتنون به كما هى فى الرغبات التى تعبر بواسطتها ميوله الجنسية عن نفسها. يطلب الطفل من هؤلاء الأشخاص جميع أنواع الحنان التى يعرفها، يريد منهم تقبيله ولمسه والنظر إليه، وهو فضول لرؤية أعضائهم التناسلية ولمشاهدتهم يقومون بممارساتهم الحميمة جداً، ويصمم على الزواج من أمه أو من خادمته مهما كانت فكرته عن الزواج، وإلخ. تبدد الملاحظة المباشرة والفحص التحليلى اللاحق لبقايا الطفولة كل شك حول العلاقة الحميمة القائمة ما بين مشاعر الحنان والغيرة من جهة، والمقاصد الجنسية من جهة أخرى، ويثبتان لنا إلى أى مدى يجعل الطفل من الشخص الذى يحب موضوعاً لكل ميوله الجنسية التى ما تزال سيئة التوجيه. إن الشكل الأول للحب الذى يظهر عند الطفل والمرتبط بشدة بعقد «أوديب»، يصاب كما هو معروف، منذ بداية مرحلة الكمون، بدفعة قمعية. ولا يبقى منه إلا التعلق العاطفى بنفس الأشخاص، وهو تعلق يمتاز بالحنان الصافى بحيث لا يُمكن أن نطبق عليه نعت« الجنسى». لا يصعب على التحليل النفسى الذى يوضح أعماق الحياة النفسية أن يثبت أن التعلق الجنسى فى سنوات الطفولة الأولى يبقى، ولكن بحالة الكبت، ولا واعياً. وهو يسمح بالتأكيد بأن كل شعور حنان قد حل مكان تعلق «شهوانى» هدف بالشخص

المعنى، أو أنه الصورة الرمزية لهذا التعلق»[1].

لقد أثبت «فرويد» أن الميول الجنسية متعددة وأن قسماً منها يندمج فى المراهقة (التوليف الجنسى) ليشكل جنسية الراشد، وقسماً آخر منها يتخلى عن أهدافه الجنسية ويتبنى أهدافاً غير جنسية ذات صفة اجتماعية[2].

فحاول «فرويد» انطلاقاً من عقدة «أوديب» إعادة تركيب بنية العائلة فى البدايات الأولى للحياة الاجتماعية فيقول:

« تبنيت فى عام ١٩١٧، فرضية ش. داروين (ch.Darwin) القائلة بأن الشكل البدائى للمجتمع كان ممثلاً بالعشيرة الخاضعة خضوعاً مطلقاً لهيمنة ذكر قوى. وحاولت أن أثبت فى حينه أن مصير هذه العشيرة ترك آثاراً لا تُمحى فى التاريخ الوراثى للإنسانية، لاسيما وأن تطور الطوطمية الذى يحتوى بدايات الدين والأخلاق والتمييز الاجتماعى هو على علاقة مع إلغاء الزعيم بالقوة ومع استعمال العشيرة الأبوية بمتحد الأخوة»[3].

بهذا يطرح«فرويد» مسلمته القائلة بأن الأب (زعيم العشيرة) هو الذى يحتفظ لنفسه بحق الممارسة الجنسية مع جميع الأناث، سواء كنَّ من نسوته أو من بناته وإنه يعامل أبناءه بعنف وقساوة بوصفهم منافسين جنسين وطامحين إلى السلطة ويخصى أو يقتل من يفاجئه فى وضع جنسى مع امرأة أو فتاة.

يستمر هذا الوضع على هذه الشاكلة حتى اللحظة التى يسقط فيها أب (زعيم العشيرة) تحت ضربات واحد أو أكثر من أبنائه، وذلك إما لضعف قواه البدنية وإما بسبب ظروف غير ملائمة.

ولا يعنى قتل الأب نهاية المأساة بل بدايتها، فسرعان ما يشعر القاتل أو القتلة بانفعال حاد وبالندم على فعلتهم، إذ أن الأبناء الذين يكرهون الأب الذى كان يعارض بحدة حاجتهم إلى السلطة ومتطلباتهم الجنسية، كانوا فى نفس الوقت يشعرون نحوه

---

(١) انظر: فكر فرويد إدغاربيش. ص ٩٩، ١١٠

(٢) انظر: نفس المصدر. ص ١١٠. ١٠١.

(٣) انظر: نفس المصدر.

بالمحبة والإعجاب [1]. وقتل الأب يحطم من جهة المشاعر العاطفية الثنائية الكره ـ الإعجاب، كما يدمر من جهة ثانية استبدال الأب بأحد الأبناء العلاقات العاطفية بين الأخوة، ذلك أن القتل لم يؤد فى النهاية إلا إلى استبدال زعيم مستبد بآخر مثله.

يقول «فرويد» بصدد المشاعر العاطفية الثنائية:

« يمنع الأب البدائى أبناءه من إشباع ميولهم الجنسية المباشرة، ويفرض عليهم الامتناع عن إشباعها، وهذا ما يؤدى، بغية تصريف هذه الميول، إلى إقامة علاقات عاطفية تربطهم به وببعضهم البعض» [2].

فـ« فرويد» لا يتحدث عن الأسس الاجتماعية المختلفة أو عن الظروف الاقتصادية للمجتمعات، بحيث يبقى معرفته بعلم الاجتماع محدوداً جداً.

كما أنه يهمل دور العوامل التاريخية ـ السياسية فى تطور الحضارة، وهذا مايعطى نظرة ناقصة عن الحياة الاجتماعية.

ويهمل أيضاً أهمية الصراعات الاجتماعية داخل المتحد الاجتماعى مع أن هذه الصراعات الطبقية أو صراعات الطوائف قد لعبت دوراً كبيراً فى تطور الحضارة، وذلك إما بسماحها تبنى هيكل أكثر فعالية، وإما بإنقاصها فى حال استمرارها كمية الطاقة التى تمتلكها العشيرة فى صراعها مع القوى الطبيعية [3].

ثم يرى «فرويد» أن مسألة العلاقات القائمة بين الميول الجنسية والميول الاجتماعية تقوده إلى طرح مسألة العلاقات بين الجنسية والحضارة.

يقول«فرويد»: « لا تشجع الميول الجنسية المباشرة التشكيل الجماعى. عرف تطور العائلة مرحلة علاقات جنسية جماعية (زواج جماعى)، ولكنه كلما اتخذ الحب الجنسى أهمية متزايدة بنظر الفرد، كلما صار قادراً على أن يحب أكثر وعلى أن يحصر هذا الحب بين إثنين ـ ` Unacumuno وهذا ما يبدو أن طبيعة الهدف الجنسى

(1) انظر: المرجع السابق. ص ١٠٥.
(2) انظر: المرجع السابق. ص ١٠٦.
(3) انظر: المرجع السابق. ص ١١٠.

تفرضه. ويتوجب على ميول تعدد الزواج الاكتفاء بالاستبدال المتعاقب لهدف الحب بهدف آخر. يشكل الشخصان المجتمعان لغاية الإشباع الجنسى، بحكم بحثهما عن الوحدة، برهاناً حياً ضد، غريزة التجمع، وضد الشعور الجمعى. وكلما ازداد حبهما لبعضهما كلما اذداد طلبهما للعزلة»[1].

بهذا يشير «فرويد» إلى أن ظاهرة قمع الحياة الجنسية هى فى الأساس ظاهرة موجودة فى جميع المجتمعات البشرية.

وبما أن الجماعة تصبح قادرة على مواجهة العالم الخارجى كلما كانت متجانسة. فإن الحاجة الحيوية المفروضة منذ الأصل، هى تضييق العلاقات الاجتماعية، ولا يمكن الحصول على هذه النتيجة إلا بتقييد الحرية الجنسية.

ومن البديهى أن الحضارة لا تتغذى فقط من طاقة بعض الميول الجنسية، ولكنها تتغذى من ميول أخرى، ولاسيما تلك التى تعجز، بحكم طبيعتها، عن الاندماج فى التوليف الجنسى. وعلى هذا لا تُقصر المهام الاجتماعية بالحياة الجنسية لان هذه المهام تأتى من عناصر جنسية لا يمكن للفرد أن يستعملها أبداً[2].

وفى كتابه «مستقبل وهم» يرى «فرويد»: أن الحضارة هى التى تعين على جعل الطبيعة تخدم الإنسان وتتحكم فى علاقات أجزاء المجتمع بعضها ببعض. هذه الحضارة حماية للفرد، وعليه بالمقابل أن يتخلى عن بعض الأمور، كما أن على المجتمع أن يعوضه مقابل ما تخلى عنه وأن يضبط فى الوقت نفسه العداء الذى تطلقه المطالبة بالتخلى. وتتسهل العملية بكليتها بواسطة النزعة إلى الاتحاد مع الضغط الخارجى، كما يكافأ الفرد بواسطة عامل الضمير والذات ـ المثال لتحقيقه مثل الجماعة الأعلى.

والدين هو إحدى تلك القوى الاجتماعية التى تجنح إلى تماسك المجتمع[3].

---

(١) المرجع السابق .ص: ١٠١،١٠٢.
(٢) انظر: المرجع السابق .ص: ١٠٢.
(٣) انظر: هؤلاء درسوا الإنسان. تألف:ا. كاردينر، ا: بريسيل. ص: ٣٤٥.

**والخلاصة:**

أن غريزة التجمع غير موجودة عند «فرويد» بناء على أن الجنس يحتاج إلى العزلة. ومع ذلك فهو يعتبر أن عقدة «أوديب» هي الأساس الذى قامت عليه الأنظمة الاجتماعية والدين والأخلاق. فنشأت الأنظمة والنواهي وما تتضمنه من شعور اجتماعي للقضاء على المنافسة بين الأبناء بعد قتل الأب. ولولا وضعهم لهذه الأنظمة والنواهي لتقاتل الأبناء فيما بينهم، ولأدى ذلك إلى انقراض المجتمع الإنساني.

يقول «فرويد»: «أن الشعور الاجتماعي اكتسب عن ضرورة التغلب على المنافسة التى ظلت حينذاك باقية بين أعضاء الجيل الناشئ» [1].

فهو يربط مضمون العائلة بعقدة «أوديب» بصرف النظر عن العوامل الاقتصادية والسياسية. فـ«فرويد» لا يتحدث عن الأسس الاجتماعية المختلفة أو عن الظروف الاقتصادية للمجتمعات، بحيث يبقى معرفته بعلم الاجتماع محدوداً جداً.

كما أنه يهمل دور العوامل التاريخية ـ السياسية فى تطور الحضارة، وهذا مايعطى نظرة ناقصة عن الحياة الاجتماعية.

ويهمل أيضاً أهمية الصراعات الاجتماعية داخل المتحد الاجتماعي مع أن هذه الصراعات الطبقية أو صراعات الطوائف قد لعبت دوراً كبيراً فى تطور الحضارة. وذلك إما بسماحها بتبنى هيكل أكثر فعالية، وإما بإنقاصها فى حال استمرارها كمية الطاقة التى تمتلكها العشيرة فى صراعها مع القوى الطبيعية [2].

●●●●●

---

(١) الأنا والهو. سيجمند فرويد .ص: ٦٢.

(٢) انظر: فكر فرويد. إدغاريش .ص: ١١٠.

## [٤]- التحليل النفسى عند «فرويد» والفن والأدب

### [أ] التحليل النفسى عند «فرويد» والفن:

يقول «فرويد»: «إن الفن هو الميدان الوحيد فى حضارتنا الراهنة التى لا تزال تحتفظ فيه بالقدرة المطلقة للفكر. ففى الفن فقط يندفع الإنسان تحت وطأة رغباته اللاشعورية لينتج ما يشبه إشباع هذه الرغبات»[١].

«خذ مثلاً «ديستو يفسكى» - ففى شخصيته الخصبة التى تتم وجوه:

الفنان الخالق، والأخلاق، والعصابى. والإثم - فإن الصلة التى لا يمكن أن يخطىء المرء فى إدراكها بين قاتل الأب فى الأخوة «كارامازوف» ومصير «ديستويفسكى» نفسه، قد هزت أكثر من واحد من كتاب السير. وأدت بهم إلى الرجوع إلى مدرستنا «التحليل النفسى». لقد كان الحكم على «دستويفسكى» بالإعدام - كسجين سياسى - حكماً ظالماً.

ولابد أنه كان يعلم ذلك، لكنه قبل هذا العقاب الذى لم يكن يستحقه بين يدى الأب البديل - القصير - كعوض عن العقاب الذى يستحقه على خطيئته ضد أبيه الفعلى. فهو بدلاً من أن يعاقب نفسه، عوقب بواسطة أبيه الفعلى»[٢].

ولقد ذهب «فرويد» إلى أن التسامى **sublimation** هو العملية المؤدية مباشرة إلى الإبداع الفنى. فحين يتعذر الإشباع الكامل للرغبات الجنسية فى الحياة الواقعية، يتحول مجرى الطاقة إلى نشاطات أخرى هى عمليات الخلق والإبداع الفنى فى حالة الفنانين. إن هناك رابطة بين الدافع إلى البحث وبين الدافع الشبقى. ويلقى الدافع الشبقى عادة كبتاً حسب ما تقتضى به النظم الاجتماعية. ومن ثم يحدث أن يعم هذا الكبت دافع البحث أيضاً. وتكون النتيجة حياة فكرية ضيقة الأفق. ويحدث أحياناً أن يعجز الكبت عن الإضرار بدافع البحث، بل ويعجز أيضاً عن غمر جزء هام من الدافع الشبقى إلى التسامى[٣].

وهذا يعنى أن «فرويد» يربط الإبداع الفنى بالكبت والجنس والعصاب.

(١) الإنسان .. من هو؟ . قاسم حسين صالح. ص: ٨٦.
(٢) نفس المصدر. ص: ٤٢، ٤٣.
(٣) انظر: المرجع السابق. ص: ٤٠.

وذلك لأنه كما يقول: الأعمال الفنية إشباع خيالى لرغبات شعورية شأنها شأن الأحلام، وهى مثلها محاولات توفيق، حيث أنها بدورها تجهد كى تتفادى أى صراع مكشوف مع قوى الكبت. ولكنها تختلف عن منتجات الحلم النرجسية الاجتماعية، من حيث أن المقصود بها إثارة اهتمام الغير وأن بوسعها أن تستثير وترضى فيهم بدورهم الرغبات اللاشعورية نفسها. وزيادة علي ذلك فهى تستفيد من اللذة الحسية للجمال الشكلى بوصفها «جائزة مغرية»، وأن ما يفعله التحليل النفسى هو أن يأخذ العلاقات المتبادلة بين ما تأثر به الفنان فى حياته وخبراته ومنتجاته، ويستخلص منها نفسيته وما يحتمل فيها من دوافع [1].

ولقد اعتبر طفولة «ليونارد دافينشى» ذات الطابع الشبقى هى العوامل المحددة لسلوكه، فيذكر «فرويد» ما يقوله «موتر» عن «دافينشى»:

«لقد رسم ليوناردو من الجراد أكل الإنجيل، باخوس أبو لو، الذى ينظر إلينا بابتسامته الغامضة على شفتيه وبساقيه المتقاطعتين الناعمتين ـ بعينين ساحرتين». إن هذه لصور تنفث تصرفاً فى السر الذى لا يجرؤ المرء على النفاذ إليه. فالمرء يستطيع ـ غالباً ـ أن يبذل الجهد لإقامة صلة ذلك بأعمال «ليوناردو» المبكرة فالأشخاص فيها مخنثون، إنهم صبيان وسام، يتسمون بالرقة، ولهم أشكال أنثوية، إنهم لا ينكسون رؤوسهم وإنما يحملقون فى غموض بنظرة انتصار، كما لو كانوا يعملون عن حادثة هائلة سعيدة، وعليهم أن يحفظوها فى كتمان وتقودنا الابتسامة الفاتنة المألوفة إلى أن نستنتج أنه سر حب. ومن الممكن أن يكون «ليوناردو» قد أخفى فى هذه الأشكال تعاسة حبه، وهزمها بفنه، حيث مثل تحقيق رغبة الصبى الذى فتنته أمه فى وحدة هائلة للطبيعة الذكرية والأنثوية.

ولنكن على يقين من أن الأب أيضاً كانت له أهمية فى تطور «ليوناردو» من الناحية النفسية الجنسية. والأكثر من ذلك أن تلك الأهمية لم تكن بمعنى سلبى أثناء غيبة الأب خلال السنين الأولى من طفولة الصبى، وإنما كانت أهمية مباشرة أثناء حضوره فى طفولته المتأخرة. إنه لا يستطيع الامتناع ـ وهو طفل يرغب فى أمه ـ عن الرغبة فى أن يضع نفسه فى مكان أبيه، وأن يمثل نفسه به فى مخيلته، وأخيراً أن يجعل «همة حياته أن ينتصر عليه [2].

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص٤٠.

(٢) انظر: المرجع السابق. ص٤١، ٤٢.

وبناءً على ما سبق يوجد علاقة بين التحليل النفسى عند «فرويد» وخاصة الغريزة الجنسية والفن. فالعاشق يحسن الكتابة الفنية، ويجيد الشعر، ويتقن الرسم والتصوير، ويبدع فى الضرب والعزف والغناء، وينبغ فى الرقص والتمثيل وتأليف الروايات. وقد لوحظ أن الفنان ـ وهو أعزب ـ أقدر على إتقان الفن منه بعد أن يتزوج.

هذا ويقول « فرويد»: «إن الطاقة العصبية التى هى من آثار الغريزة الجنسية، لاتستنفد جميعها فى سبيل إرضاء هذه الغريزة، ووصولها إلى غايتها، فيبقى جزء منها يصير مدداً للقوة التى تستخدم فى الفنون أولاً، ثم فى أعمال عقلية أخرى لا علاقة لها بالغريزة الجنسية ثانياً» [1].

وإلى جانب هذا يوجد دراسات تناولت الجوانب الفنية والأدبية من حياة فرويد. فقد درس أحد مؤرخى الفن Jack. J.spector عام ١٩٧٩ الصور التى عرضت عن منزل «فرويد» ومحتوياته، وتبين له أن اهتمام فرويد بالأثريات يعود إلى فترة قراءته للتوراة، وتأثره بالصور الموجودة فى هذا الكتاب أما Marie Balmary. فدرست الأدب الذى قرأه «فرويد». وتوصلت إلى أن أكثر ما يذكره هذا الأخير كان على الترتيب التالى:

التوراة، فاوست، هاملت، أوديب الملك، ما كبث [2].

●●●●●

---

(١) فى علم النفس .د/ حامد عبد القادر. جـ١ .ص١٤٠.

(٢) انظر: فرويد والتراث الصوفى. دافيد باكان. ص١٨.

## [٥] التحليل النفسى عند «فرويد» والأدب

لقد بنى «فرويد» نظريته فى الأدب على أن الكاتب هو الشخص الذى يرضى الاندفاعات العشقية التى لا يمكن إشباعها فى الحياة الواقعية وذلك بخلق حياة خيالية حيث يحصل على إشباع غريزى فى شكل راق. وإذا كان هذا يعنى أن الكاتب نيروزى أو مصاب باضطراب عصبي **Neurotic** فإنه يعنى بالتالى أن الخلق الأدبي هو أحد أشكال العلاج الجماعي الذى يُمكنْ الكاتب من السيطرة على الاندفاعات الفطرية بشكل أفضل من الأعداد الهائلة من النيروزين غير الفنانين.[١] وإذا كان أى عمل أدبى ـ مهما كان منتظم ـ لا يمكن أن يكون إلا انعكاساً لرد فعل الكاتب تجاه الموقف الأوديبى، فإن «فرويد» وأتباعه يرون أن الأدب يقدم لهم فى شكل رمزى غالبية رغباتنا الأساسية. وهذا يعنى أن القارىء يعيش مرة أخرى أهمْ تجاربه الخاصة بمساعدة الرموز الشعرية [٢].

وأكبر مثل على ذلك ما اكتشفه «فرويد» فى مؤلف «هنرى بيل ستاندال»

«**Henri Brulard,standhal**» فى الفصل الثالث، الفقرة التالية المحيرة وهى قوله: «فى حبى«لأمى» اكتشفت أننى أتصرف بنفس الطريقة التى تصرفت بها فى حبى لـ «البرت دى رميمبر» هذا من ناحية المشاعر الحقيقية... ومنذ هذا الوقت فقد تغيرت قليلاً بطريقتى فى البحث عن السعادة، والاستثناء الوحيد هو تلك الناحية التى تشكل الجانب الجسدى للحب، كنت فى هذا الوقت مثل قيصر لو أنه عاد ثانية إلى الأرض ليستخدم المدفع والأسلحة الصغيرة. ولاشك أننى كنت سأدرك سريعاً هذا الأمر، ولم يكن هذا ليغير شيئاً فى مخططاتى. وددت لو غمرت أمى بالقبلات وأن تكون مجردة من الملابس، وأحبتنى هى بعاطفة فياضة وطالما قبلتنى وبادلتها قبلاتها بنفس الحمية حتى أنها فى بعض الأحيان كانت تلوذ بالفرار. وكنت أمقت أبى عندما كان يأتى ليقطع علينا قبلاتنا. ولطالما وددت تقبيل نهديها»[٣].

---

(١) انظر: موجز تاريخ النقد الأدبى. تأليف: فيرنون هول. ترجمة: د/ محمود شكرى، أ/ عبد الرحيم جبر. ص١٦٨. دار النجاح ـ بيروت . سنة ١٩٧١.

(٢) انظر: نفس المصدر. ص: ١٦٩، ١٧٠.

(٣) المرجع السابق. ص: ـ ١٦٨، ١٦٩.

قلما يعترف كاتب ما بمثل هذه الصراحة عن رغباته الرئيسية فى قتل أبيه ومبادلة أمه الحب. وعادة ما تكون مادة لاواعية موضوعاً لتمزقات خاصة هى التى سمحت لها بأن تكون مقبولة لدى عقله الواعى. وأعظم مثال مشهور على هذا هو «عقدة أوديب» لـ«سوفو كليس»، كانت من الشهرة بحيث استعار «فرويد» اسم الملك الذى استخدمه «سوفوكليس» ليكون اسمًا للعقدة الأساسية لكل الرجال. وفى أسطورة الملك أوديب يقتل البطل أباه ويضاجع أمه. لكنه يفعل هذا دون علم أى إدراك أى منهما بصلة الرحم التي تربطهما. ويقول «فرويد» أن هذا كان عرضاً شعرياً للحقيقة القائلة بأن البالغ ينسى تجربته الأوديبية.

وبنفس الطريقة فإن التمكن بأن أوديب كان سيقدم على ما فعله، تمثل حتمية القدر الذى يتطلب منا جميعاً أن نعيش هذه التجربة. وحتى عملية إقدام أوديب على فقأ عينيه يمكن أن تعد شكلاً شعرياً من الرغبة فى إقدام المرء على إخصاء نفسه [1].

وبهذا يبدو أن «فرويد» قصد الإشارة إلى أن الأعمال الأدبية التي تعكس رموزها التجربة الأوديبية العالمية هي أفضل الأعمال الأدبية. ثم يقول «فيرنون هول» أهناك أعمال أفضل من مسرحيتى «عقدة أوديب» لـ«سوفوكليس»، و«هاملت» لـ«شكسبير»، وأن ما تتفق فيه الإثنتان: هو أن كلاً منهما تستعرض النزوات اللاشعورية لكل منا مع أقل درجات التحريف.

وقد درس «أرنست جونز» Ernest Jonesخليفة «فرويد» الإنجليزى هاتين المسرحيتين فى كتابه «هاملت وأوديب» (١٩٤٩). وموضوع مسرحية «شكسبير» ما هو إلا تنويع لموضوع «عقدة أوديب». فقد قُتل والد «هاملت» علي يد عمه «كلوديوس» الذى تزوج بدوره «جيرترود» أم «هاملت»، ويختلف جذرياً موقف «هاملت» تجاه الجريمتين وهما مقتل الأب وعهر الأم. فهو يبغض الجريمة الأولى ويقر بمسئوليته فى الانتقام، لكن العلاقة المدنسة لأمه بكلوديوس لا تسبب له نفس درجة الاشمئزاز اللانهائى. وحتى قبل أن يعرف أن أباه قد اغتيل، فإن الكتابة لفكرة زواج أمه وعمه تدفعه إلى التفكير فى الانتحار.

وإليك جزءاً منها نقل عن ترجمة خليل مطران وهو كما يلى:

---

(١) انظر: المرجع السابق.

«أوَّه، ليت هذا الجثمان، وما أصلبه على الرزايا والكوارث، ليته يذوب ويسيل، وينحل إلى ندى، بل ليت باريء الإنسان لم يحرم عليه قتل نفسه.

أى إلهى، أى إلهى. ما أثقل جميع مصطلحات هذا العالم، وما أسفلها، وما أقدمها، وما أقلها جدوى. قبحاً لهذه الدنيا وتباً لها، إنها الحديقة غير مهذبة، ينمو فيها النبات فطرياً وتستولى عليه الأعشاب السمجة، إلى هذا الحد وصلت الأمور؟ مات منذ شهرين أو أقل ملك، وأى ملك! جواد لا يدانيه هذا إلا إذا دانى الهر الأسد، وما كان أرقه لوالدتى،وأعطفه عليها، حتى النسيم العليل لو مس وجهها بقوة لراعه وآله، يا للسماء! يا للأرض! بئست الذكرى، إذا تذكرت كان يعلق بها علاقة من لا يزيده تمثيل الطعام سوى تمادٍ فى الغرام، وهذا ما انتهى إليه وفاؤها فى شهر، لندع التفكير فى ذلك، يا سرعة التحول لو سميت لسميت امرأة.

فى شهر قصير قبل أن يعتق الحذاء الذى مشت به وراء الجنازة باكية، وأى بكاء غزير! يا عجبا...

أتلك هى هذه؟ تالله لو أصيب وحش ضار لم يوهب أدنى تعقل بما أصابها لكان إعواله أطول مدى من إعوالها، تزوجت من عمى وأين هو من أبى؟ أين «هرقل» القدير من ضعيف مثلى؟ تزوجت ولما ينقض الشهر، ولما تنصل حمرة جفونها من ملح دموعها. ويلها من عجلة عجلتها إلى مهد الحرام، ساء ما عملت وساءت عقباه، ولكن تفطر يا قلب، ولا تنطق يا لسان.» [1].

ثم يقول «فيرنون هول»:

وحتى عندما يصبح مقتنعًا بأن «كلوديس» هو قاتل أبيه، فإنه لم يستطع أن يقتله. فهو على عكس البطل التقليدى لتراجيديا الانتقام، يبدو أنه كان يتلمس الأعذار ليؤجل انتقامه. وعندما تتاح له فرصة مواتية لقتل «كلوديوس» يجد أنه لايستطيع الأقدام على هذا، ويبرر عدم قدرته بتبريرات عقلية بالتظاهر بأنه إذا اغتال «كلوديوس» ـ الذى كان راكعاً كما لو كان يصلى ـ فإنه سيبعث بروحه إلى السماء مباشرة.

---

(١) تجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الجزء نقل نصًا عن ترجمة خليل مطران. طبعة دار المعارف. سنة ١٩٦٥ صفحات ٢٦، ٢٧، ٢٨.

ويستطرد «جونز» قائلاً: إن الدليل على كل هذا يكمن فى حقيقة أن «هاملت» يتمثل نفسه لا شعورياً مع «كلوديوس». ألم يمارس «كلوديوس» فى الحياة الواقعية أعمق رغبات «هاملت»؟ ألم يقتل الأب ويبادل الأم الحب؟ على هذا فقتل «كلوديوس» قد يكون هو المعادل النفسى للإقدام على الانتحار. ويتأرجح عقل «هاملت» دائماً بين فكرتين: قتل عمه وقتل نفسه. ولم يحدث إلا قرب نهاية المسرحية عندما سرى السم فى عروق «هاملت» بالفعل حتى أنه استطاع أن ينقض على «كلوديوس» الذى يمثل بديلاً لنفسه هو.

ولا تخفق أفعال «هاملت» الأخرى فى التوافق مع هذا النمط الأساسى.

تنبع معاملته لأوفيليا ـ على الأقل فى جانب منها ـ من رغبته فى أن يستخدمها كوسيلة لاستثارة غيرة أمه، خاصة فى هذا المشهد العنيف، نسبيًا عندما يرفض الجلوس إلى جانب أمه ويلقى بنفسه تحت أقدام «أوفيليا» معلقاً « لا ياأمى الحبيبة الغالية، هنا ما هو أكثر جاذبية». ودون تردد يستطيع هو أن يغمد سيفه فى جسد «بولونيوس» والد «أوفيليا»، لأن «بولونيوس» ليس سوى صورة للأب وليس شبيهاً بـ«كلوديوس». الذى يتشابه مع الابن بالمثل [1].

وفى دراسة للكتاب الرومانتيكيين الإنجليز تحت اسم «المحب الشرير»

The Demon Lover (١٩٤٩) يطبق آرثر ورموت: Arhur Wormhoudt نتائج «برجار» على أشعار«ورد زورث»، «كوليردج»، «كيتس»، «شيللى»، «بيرون».

ويدعى «ورموت» أن أشعار هؤلاء الخمسة توضح عقدة التعلق بالأم. وفى استعراض للرموز الشعرية التى استخدموها، تمادى إلى حد القول:

«إن أشكال القباب، الجبال، الأهرامات، الأقداح فى حد ذاتها تعد إشارات للنهود. والجداول، النافورات، الينابيع يمكن استخدامها لتكون رموزًا لمصدر الغذاء السائل كما هو الحال بالضبط بالنسبة لثمار التفاح والأطعمة بوجه عام التى يمكن بالمثل أن ترتبط بنفس الموضوع. وهناك رمز ـ أكثر تعقيداً ـ لاتجاه الطفل نحو الثدى، هو الشجرة، فمثلما تمتص السائل من الأرض الأم وقت الربيع وتتنفس خلال أوراقها طوال الصيف ـ وتتخلص من عصارتها فى الخريف، فإن لهذه معان ضمنية محددة تتصل بالفم. ومع ذلك فتبدو الطيور هى أكثر الرموز شيوعًا بالنسبة للثدى فى الأدب

(١) انظر: المرجع السابق. ص١٧١، ١٧٢.

الرومانتيكى. وقد بدا هذا عسيراً على الفهم فى أول الأمر، وخاصة بالإشارة إلى حقيقة أن التحليق فى الجو له بعض الارتباطات بعملية الاتصال الجنسى، وإن الطائر يعد رمزاً لعضو التذكير. ومع هذا، فالطيور بالمقارنة إلى غالبية الحيوانات من الصعب تمييزها من الناحية الجنسية - فالاختلافات فى اللون تعد غير هامة بالنسبة للطفل فيما يتعلق بهذا الشأن. وهذا يجعلها رموزاً صالحة للمشاعر السابقة للعلاقة الجنسية المتعلقة بعقدة الثدى. وهى بالمثل تظهر وتختفى فى مفاجآت لا يمكن إيضاحها وقد يرمز هذا إلى حقيقة أن الطفل لايتحكم فى تقديم الثدى له أو إبعاده عنه. والحقيقة التى تبدو ذات أهمية خاصة بالنسبة للشعراء، هى أن الطيور تعد من بين فصائل الحيوانات التى تعبر عن مشاعرها فى أغان اضطرارية. وهو تفسير مناسب للرمز اللاشعورى المعادل لتعبيرات طلب الثدى بالنسبة للطفل» [1].

وذهب الأستاذ «كينتان ريتزان» الناقد الفرنسى إلى أن الإبداع الأدبى يأتى إذا كان عميقاً ذا قيمة أدبية - من صميم كيان الغريزة... غريزة الجنس فى الحفاظ على التراث وفى البنوة والأبوة معاً وفى حماية المجتمع وآثاره، مع تنمية تجربته ومواصلتها على المستوى الغريزى الجنسى البحت بعيداً عن التقدير الذهنى للموضوع. وهذه الغريزة التي ينتمى إليها الإبداع الأدبى ذو القيمة الجادة الحقيقية هى غريزة «الجنس».

وهى غريزة القدرة والقوة، كما أنها غريزة الاضمحلال والموت [2].

هذا ويقول د/«محمد غنيمى هلال» لقد كان لـ «فرويد» أثر فى النقد الأدبى الحديث فى نشأة المذهب السيريالى فلسفة الإيحاء عند المتأخرين من الرمزيين [3].

فـ «الرمزية» نادت بأن عقل الإنسان الظاهر الواعى محدود ضيق، وإنه يملك عقلاً غير واع أرحب من عقله الواعى بعشرات المرات وأحفل.

واتخذت من الإشارة واللمح أداة للتعبير عن الانطباعات النفسية، وأحلَّتها محلَّ الأسلوب الحقيقى المباشر الذى يَسْتَعْمِلُه الأدباء [4]، وهذا يعبر عن الحلم عند «فرويد»

---

(١) المرجع السابق. ص١٧٤.

(٢) انظر: ينابع الفكر المصرى المعاصر. د/ عبد الفتاح الديدى. ص١٣٧. مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٨٢.

(٣) انظر: ما الأدب؟. جان بول سارتر. ترجمة: د/ محمد غنيمى هلال. ص: ح. مكتبة الأنجلو المصرية. سنة١٩٧١.

(٤) انظر: نحو مذهب إسلامى في الأدب والنقد. د/ عبد الرحمن رأفت. ص: ٧٢، ٦٦. مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. سنة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م.

فهى تقوم على الهروب والفرار من واقع الحياة وحقائقها، إلى الغموض وعدم الوضوح.

ـ ويقول «دافيد باكان»: «أن الأدب اليوم يستخدم الألفاظ الفرويدية دون أن يشير إلى مصدر هذه الألفاظ وكان الأمر طبيعى جداً. وفى زمن باتت فيه الطريقة التلميحية موضة بائدة، نلحظ شيوعاً فى التلميح إلى المفاهيم الفرويدية، وثقة بأن القارىء سوف يفهمها» [١].

و«السريالية» المنبعثة عن الرمزية، يقول عنها الفيلسوف الوجودى « جان بول سارتر»: «كان عدوهم الأول آباءهم. ولكن ضروب الظلم فى السنوات السالفة وجهتهم وجهة الإصلاح السياسى، فبينما اقتصر أسلافهم على محاربة مذهب البرجوازية النفعى بطريق الاستهلاك، كانوا هم أعمق فى منحاهم، فسووا بين البحث النفعى والمشروعات الإنسانية الصادرة عن الحياة الإرادية الواعية. وبما أن الشعور برجوازى، والذات برجوازى؛ فيجب أن تمارس السلبية سلطانها، أولاً على هذه الطبيعة الإنسانية. فالقصد الأول هو هدم الفروق التى جرى بها العرف بين حياة الشعور واللاشعور، وبين الحلم واليقظة. ومعنى هذا تلاشى الذاتية. وكان السيريالى حاقداً على هذا التوكيد المتواضع، وإنما بُغِّض إليه ذلك التوكيد لما يحصرنا فيه من حدود، ثم لما يكله إلينا من تبعات. وكل الوسائل عند السيريالى طيبة ما دام يجد فيها هرباً من وعيه بنفسه يؤدى إلى هربه من الشعور بموقفه فى العالم. وهو يختار التحليل النفسى، لأن ذلك التحليل يمثل الشعور مغزواً بغدد طفيلية متضخمة منشؤها فى مكان آخر غير الذات [٢].

فـ «السريالى» ثائر، يرفض كل شىء... يرفض الدين والتقاليد، ويرفض الحضارة والقيم، ويرفض الواقع ـ بل قد يصل به الأمر إلى رفض الحياة ـ وذلك لأنه يرى فى كل ذلك مصادر قلقه وضياعه [٣].

ولهذا يحتل «فرويد» مكانة عالية عند «السرياليين»، بل ذهب البعض إلى أن «فرويد» يتحمل المسئولية الأبوية للسريالية، وذلك لأنه زودهم بالإطار العام لتحرر

(١) فرويد والتراث الصوفى اليهودى. دافيد باكان. ص٢٢.

(٢) ما الأدب؟ .جان بول سارتر .ص.٢١٠.

(٣) انظر: مدخل إسلامى لدراسة الأدب العربى المعاصر. د/ إبراهيم عوضين. ص٢١٠. الطبعة الأولى. سنة ١٤١١ هـ ـ سنة ١٩٩٠ .مطبعة السعادة.

النفس البشرية.

وهذا ما يراه «السرياليون» أيضاً وخاصة «بريتون Andre Breton» الذى كتب البيان السريالى فى عام ١٩٢٤، ووصف «فرويد» بأنه «قاد الحياة الكلية بفهم مشرق للإخلاص المطلق لتحرر الإنسان المدرك بشكله الأعظم كرامة» (١).

إن وصف «فرويد» للأحلام بأنها «مملكة اللامنطق والتحقيق المتنكر لأمنية مكبوتة، والتوفيق بين متطلبات ميل ممنوع والمقاومة التى تثيرها الرقابة النابعة من الأنا»، واكتشاف اللاشعور بالطريقة التي وصفها «فرويد». كل ذلك جلب لب، واستثار اهتمام وولع السرياليين بالفوز فى هذا «المجهول» من الوجود الإنسانى الذى أضاءه، والذى أصبح - من وجهة نظرهم - يمثل الحقيقة العارية للإنسان ومنبع الطاقة الحقيقى للإبداع الفنى. وتحت سحر هذا التأثير انطلق «السرياليون» لاستكشاف اللاشعور بطريقيتين هما: التلقائية Automatism والحلمDream. وهما طريقتان مماثلتان للتكنيك الفرويدى فى التداعى الحر Free Association وتحليل الأحلام Analysis Dream.

لقد مارس "بريتون" طريقة الكتابة التلقائية Automa tism Writing ونشر نتائج هذه الطريقة فى مؤلف اسماه «المجالات المغناطيسية Magnetic Fields». وحدد بأن السريالية «هى التلقائية النفسية الخالصة التى تهدف إلى التعبير شعوريًا أو كتابة أو بأية طريقة أخرى، عن الوظيفة الصادقة للفكر» (٢).

وقد اتهم «أراكون» الرسم السريالى بأنه تطبيقات عامة للرموز الجنسية المبنية على الفهم الفرويدى. وهذا وارد حيث أن الفرويدية اعتبرت أن هناك رموزاً معينة تظهر فى أحلام جميع الناس. فالمنزل يرمز غالباً لجسد الإنسان، فإذا كانت الجدران ملساء يكون الأمر متعلقاً برجل، أما إذا كانت مزودة بالأسوار فإن الأمر يكون متعلقا بامرأة، ويظهر الوالدان فى صورة ملك وملكة، على حين يظهر الأخوة والأخوات فى صورة حيوانات صغيرة أو ديدان. وترمز الحياة فى الحلم للميلاد.. أما العلاقات بين الأم وأطفالها فتمثل بواسطة النزول إلى الماء أو الخروج منه، بإنقاذ الغير أو الإنقاذ بواسطة الغير. ويرمز السفر للموت. وتمثل الأعضاء الجنسية بواسطة أشياء تشبهها من بعض

---

(١) انظر: الإنسان... من هو؟، قاسم حسن صالح. ص٨٧.
(٢) انظر: المرجع السابق. ص٨٧.

الأوجه. فعضو الذكر يمثل بشئ له القدرة على النفاذ (سكين أو خنجر أو رأس الجزر الخ..) ويمثل العضو الأنثوى بواسطة أشياء مقعرة «بئر، حفرة قدر، علبة، فوهة قنينة الخ..» [1].

ففى نظرية التحليل النفسى، يتضمن المحتوى الرمزى للأحلام تلميحات أو إشارات للصراعات اللاشعورية المهمة. ولقد تأثر الفن السريالى بنظرية «فرويد»، فأنتج هذا الفن لوحات بعضها كانت عادية، وكان فى بعضها الآخر ما يستحق التأمل فى فن رفيع [2].

●●●●●

(١) انظر: المرجع السابق .ص: ٨٩.
(٢) انظر: المرجع السابق. ص٨٨.

## [٦] التحليل النفسى عند «فرويد» والمسرح

إن العلاقة بين المسرح والتحليل النفسى ليست وليدة هذا العصر وليست بالعلاقة العرضية الجزئية. إن الصلة التى تربط بينهما صلة جوهرية أصيلة، ويمكن القول أنه لا وجود لمسرح بدون تحليل نفسى، كما أنه لا وجود لتحليل نفسى بدون مسرح. ففى كتاب «اعترافات مؤلف مسرحى» يقص علينا «هنرى رينية لـ«نورمان» زيارته لـ «فرويد» فى «فيينا». وبعد أن دار الحديث حول مسرحية لنورمان «ملتهم الأحلام» وتأثر بعض المسرحيات المعاصرة بالتحليل النفسى، اتجه «فرويد» نحو مكتبته وأشار إلى مؤلفات «اسخيلوس» و«سوفوكليس» و«يوربيدس» و«شكسبير» وهو يقول: هؤلاء أساتذتى، وفى أعمالهم كفالتى وضمانى. فدهش لنورمان لأهمية هذا التصريح وتواضعه، ومن رأيه أن التحليل النفسى يظل أكثر السبل جرأة التى شقها الإنسان للكشف عن أعماق النفس البشرية وتجلية غوامضها.. (١).

والفن المسرحى، كما يرى «توشار» شأنه شأن التحليل النفسى. أن إله الفن المسرحى هو قبل كل شيء إله الانطلاق وتجاوز حدود الذات وتحرير العواطف، إن هدف المسرح أن يبين للإنسان إلى أى حد أقصى يمكن أن يصل إليه الحب والكراهية والغضب والفرح والخوف والقسوة، أن يجعله يستشعر بإمكانياته، بما يمكن أن يكونه فى عالم متحرر من القيود. تلك هى الرؤية التى يلتمسها الإنسان من المسرح، رؤية عالم يكشف فيه عن ذاته. أننا هنا بصدد حقيقة سيكولوجية، حاجة الإنسان إلى أن يختبر دائماً حدوده القصوى، سواء فى الخير أو الشر. وهذه الحاجة ليست إلا مظهراً من حاجة أعمق هى الحاجة إلى الحرية لأن ممارسة الحرية هى فى نهاية الأمر الشرط الأساسى لتكامل الشخصية.

وحيث أن حريتنا محدودة ومراقبة، فى كثير من ميادين نشاطنا، فإن تصور الفعل الذى يطوف فى أحلامنا، أو امتثاله، أو مشاهدته، كل هذا يقدم لنا التعويض الذى يخفف إلى حد ما من إلحاح حاجتنا إلى الحرية. غير أن التعويض الذى تحصل عليه من قراءة قصة أو مشاهدة فيلم سينمائى لا يؤدى إلى التطهير الكامل، فى حين أن التطهير يصل إلى أقصى مداه بفضل مشاهدة المواقف المسرحية التى يحياها حاضرون

(١) انظر: علم النفس فى الفن والحياة. د/ يوسف مراد. ص١٤١، ١٤٢. سنة ١٩٦٦.

لهم وجود عياني ملء. وتلك التي يحققها الفن المسرحي شبيهة بالذي يحققه العلاج بالتحليل النفسي. .[1].

ويقول د/ «يوسف مراد»: أن المسرحية الاولى التي يكتبها الأديب الذي تملكه شيطان المسرح كثيراً ما تكون عملية تحليل ذاتي تؤدي إلى تخفيف عبء الصراع الداخلي.

وسنذكر مثلاً مقتبساً من أعمال الأديب المسرحي الكبير «يوجين أونيل» منشيء المسرح الأمريكي الأصيل والذي التقى في بعض مسرحياته بـ «فرويد» منشيء التحليل النفسي. وإني أفضل أن أقول «التقى» بـ«فرويد» بدلاً من أن أقول «تأثر» بـ «فرويد»، لأن «أونيل» أديب أصيل وشاعر ملهم ومفكر عميق بفضل ما أوتي من نفاذ الحدس وله قدرة على استشفاف غوامض النفس البشرية. أن «أونيل» في ثلاثيته الرائعة «الحداد يليق بألكترا» لم يستوح «فرويد» مباشرة، بل «اسخيلوس» نفسه، وعندما يستخدم الأقنعة في ثلاث من مسرحياته هي: «براون الإله الكبير» و«عازار يضحك» و«فاصل غريب» لكي يبرز التعارض بين شخصية الإنسان الاجتماعية وشخصيته الداخلية الحميمة، إنما يستوحي أيضاً المسرح القديم. فنفاذ «أونيل» إلى أعماق النفس البشرية ليس مجرد صدى لتأثير «فرويد» عليه، بل محصلة خبراته العديدة وتأملاته وهو على فراش المرض واصطداماته بنفسه وبالآخرين. أن «أونيل» اكتشف من جديد رسالة الأساطير القديمة فأجباها في صور حديثة جديدة ولم يعن بأن يترجم إلى لغة المسرح تعاليم التحليل النفسي عن العقد واللاشعور؟[2].

إن مسرحية «أونيل» على الرغم من طرافتها محدودة من حيث قيمتها الفنية، لأنه التقى بأن يحول اعترافاته إلي حوار. فكتابة المسرحية بالنسبة إلى مؤلفها لاتؤدي إلى علاج كامل، أنها تظل إلي حد كبير تصوير لأعراضه المرضية وهذه الأعراض هي بمثابة رموز لا يمكن أن يمثلها إلا شخص آخر غير المؤلف نفسه[3].

وإذا كانت معظم الأعمال المسرحية التي استوحت مباشرة تعاليم التحليل النفسي قد ماتت فذلك لأنها حصرت نفسها في دائرة التحليل النفسي من حيث هو علم ولم تتجاوزه للوصول إلى التحليل النفسي من حيث هو خبرة وحدس وإلهام شعري[4].

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص١٥١.
(٢) انظر: المرجع السابق. ص: ١٤٦، ١٤٧.
(٣) انظر: المرجع السابق. ص١٤٩.
(٤) انظر: المرجع السابق. ص١٤٧.

والخلاصة:

أن للتحليل النفسى عند «فرويد» أثر كبير في كل المجالات الفنية والأدبية.

فالنقد الأدبى والفنى المعاصر، يعتمد اعتماداً كبيراً على الفكر الفرويدى فى تقويمه لعملية الخلق الفنى ولدوافع الفنان فى خلقه. وليس الأمر مقصوراً على ذلك، بل ظهر فى مجال الفن والأدب نتاج، يتخذ من آراء التحليل النفسى مضامين عديدة للصياغات والأشكال الفنية والأدبية [1].

فتحت اسم التحليل النفسى ظهرت ألوان من الأدب ومن القصص خاصة التى تخوض فى أوحال الرذيلة، وتعرض خفايا العورات، وتجرح كثيراً من الفضائل بزعم أنها تورث الكبت، وتبرز كثيراً من الرذائل باسم «التنفيس»، وتسقط التبعية فى كثير من الجرائم بزعم أن أصحابها مصابون بأمراض نفسية [2].

●●●●●

(١) انظر: التحليل النفسى بين العلم والفلسفة.د/ أحمد فائق.ص٧٠، ٧١.

(٢) انظر: قضايا العصر فى ضوء الإسلام. أنور الجندى .ص٢١٣، ٢١٤.

## [٧] أثر فرويد على المجتمع الأوربى

من عام ١٩٠٢ بدأ يلتف حول «فرويد» لأول مرة نفر قليل من شباب الأطباء المعجبين بنظريته الجديدة بقصد تعلم مبادئها واكتساب الخبرة فيها. ثم أخذ عددهم يزداد رويداً رويداً. وبدأ ينضم إليهم أفراد من غير الأطباء من أهل الأدب والفنون.

ثم أخذت المعرفة بالنظرية الجديدة تنتشر بين الأطباء فى كثير من البلاد وخاصة فى سويسرا، حيث اكتسبت الحركة الجديدة صداقة «أوجين بلولر» Eugene Bleuleru المشرف على معهد الأمراض العقلية بالمستشفى العام بمدينة زيوريخ، و«يونج» Jung أحد مساعدى «بلولر».

وفى عام ١٩٠٨ عقد أول مؤتمر للتحليل النفسانى بزيوريخ بدعوة من «يونج» حيث تقرر إصدار مجلة للتحليل النفسانى تحت إدارة «فرويد» و«بلولر»، وأسندت رياسة التحرير إلى «يونج». وكان ذلك بدء صفحة جديدة فى تاريخ حركة التحليل النفسانى. وقد كان لـ «بلولر» و«يونج»، وخاصة الثانى، فضل كبير فى تطور حركة التحليل النفسانى وانتشارها. فقد أتاح لهما مركزهما فى مستشفى الأمراض العقلية بزيوريخ أن يدخلا التحليل النفسانى إلى محيط المستشفى العلمى، وأن يقوما بتدريس مبادئه والدعوة له بين طلاب الطب،وأن يقوما بإجراء التجارب العلمية لاختبار صحة نظريات «فرويد».

وفى عام ١٩٠٩ دعت جامعة كلارك بالولايات المتحدة الأمريكية «فرويد» و«يونج» للاشتراك فى احتفال الجامعة لمناسبة مرور عشرين عاماً على تأسيسها. فاستقبل «فرويد» وزميله فى أرض الدنيا الجديدة استقبالاً رائعاً، وقوبلت محاضرات «فرويد» الخمس، والمحاضرتان اللتان ألقاهما «يونج» بجامعة كلارك قبولاً حسناً كان له فى نفس «فرويد» أثر عميق.

وفى عام ١٩١٠ عقد المؤتمر الثانى للتحليل النفسانى فى مدينة نورمبرج حيث تم تأليف «جمعية التحليل النفسانى الدولية». وعمل «فرويد» على انتخاب «يونج» رئيساً لها. وتقرر فى ذلك المؤتمر إصدار نشره دورية تكون رابطة الاتصال بين

الجمعية الرئيسية وبين فروعها الأخرى فى برلين برياسة «أبرا هام» Abraham، وفى زيوريخ برياسة «يونج»، وفى فيينا برياسة «الفرد أدلر» AlFred Adler. وبعد ذلك أصدر «أدلر» و«شتيكل stekel مجلة ثانية للتحليل النفسانى فى فيينا.

ثم توالت بعد ذلك مؤتمرات جمعية التحليل النفسانى، وتكونت لها فروع فى معظم الأقطار الغربية [1].

ويقول «إدغاربيش»: لم تلق أفكار «فرويد» أى صدى قبل حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ إلا بعض الاستثناءات، منها مؤلف «فاشيد» Vaschid حول الأحلام عام ١٩١١، وخطاب ب. «جانى» P.Janet، وتطبيق العلاج بالتحليل النفسى من قبل الدكتور تربسات Dr.Trepsat منذ ١٩١٤، وصدر فى نفس السنة كتاباً حول العصاب النفسى الذى أعده بشكل مشترك الأستاذ «ريجى» Regis والدكتور «هيسنار» Dr. Hssnard [2]. كما أن الذين لم يوافقوا «فرويد» على جميع استنتاجاته اعترفوا بأهمية بعض المفاهيم الأساسية في نظريته.

ولذلك أعلن «بيرجانى» بعد تردد كبير فى المؤتمر الدولى للطب، عام ١٩١٣: «أن التحليل النفسى قدم خدمات كبيرة فى تحليل النفس البشرية».

كما أن حال «كلود»، الأستاذ الشهير، الذى أدرج، منذ عام ١٩٢٣، التحليل النفسى فى مواضيع تعليمه الرسمى فى جامعة الطب فى باريس، وذلك على الرغم من تحفظاته النظرية على بعض النقاط [3].

بهذا يتضح لنا أن التحليل النفسى لعب دوراً هاماً منذ بداية هذا القرن.

يقول «إريك فروم»: أن التحليل النفسى في الأصل منذ ١٩٠٠ وحتى العشرينات، كان أكثر جذرية مما أصبح عليه بعد أن اكتسب شعبيته. فبالنسبة للطبقة المتوسطة كانت تأكيدات «فرويد» حول الجنسية الطفلية، وحول الانعكاسات المرضية للكبت الجنسى... بمثابة الاختراق الجذرى للمحرمات القوية، وكان لابد من الشجاعة والاستقلال لهذا الاختراق. ولكن ثلاثين سنة فيما بعد، أى بعد أن حملت سنوات العشرين معها موجة من الحرية الجنسية وتخل واسع عن القيم باتت هذه

(١) انظر: معالم التحليل النفسانى. فرويد. ص٢٩ ـ ٣١.
(٢) انظر: فكر فرويد. إدغاربيش. ص٢٩.
(٣) انظر: المرجع السابق. ص٢٩، ٣٠.

النظريات لا تمثل أى صدمة أو إثارة. فى هذه الأثناء، اكتسبت النظرية التحليلية النفسية تأييداً واسعاً فى مختلف قطاعات المجتمع [1] لانها كانت شغوفة بنقد وانتهاك عادات القرن التاسع عشر المحافظة. وهكذا أصبح التحليل النفسى طريقة إشباع بديلة للتطلعات الإنسانية العميقة التى تبحث عن معنى للحياة؛ فقد بدا أنه يسمح بملامسة الحقيقة، والتخلص من الالتواءات والإسقاطات التى تحول بين الواقع وبين أنفسنا. وهو بذلك بات بديلاً عن الدين بالنسبة للطبقات الوسطى، وللمدنية الأقل جدية التى لا ترغب فى بذل جهد أكثر جذرية واكتمالاً. فقد وجدوا فى التحليل النفسى كل شئ: عقيدة، طقوس، زعيم، تراتب، إحساس بامتلاك الحقيقة وبالتفوق على المبتدئين، كل ذلك دون جهد كبير، ودون فهم أكثر عمقاً لمشاكل الوجود الإنسانى، ودون أى ضرورة لدراسة جدية ونقدية لمجتمعهم وتأثيراته السلبية على الإنسان، ودون أى تغيير أساسى فى السمات الهامة من طباعهم. وبمعنى آخر - دون أن يكونوا مرغمين على التخلص من مثالبهم، ومن غضبهم وحماقتهم.

هكذا بعد أن كان التحليل النفسى فكرة شجاعة وتقدمية، أصبح بمثابة العقيدة التي لا تحمل أى خطر لأولئك الأفراد الخائفين والمعزولين فى الطبقة الوسطى الذين لم يجدوا الفردوس فى الحركات الدينية والاجتماعية الأكثر تقليدية فى عصرهم [2].

وبهذا اكتسب التحليل النفسى هذه الشعبية بين الناس، بما هو «وسيلة» للحرية الجنسية التى تنشط الاستهلاك الجديد، أكثر مما هو مصدر هذه الأخلاقية الجنسية الجديدة [3].

وشعبية التحليل النفسى بين الناس أدت فى كثير من البلدان إلي وجود رابطة قوية للدراسات والأبحاث.

وبعد أن انقطعت أعمال هذه الروابط والتجمعات، بفعل الحرب العالمية الثانية، إستأنفت نشاطها تدريجياً ولعل ألمانيا الجديدة بعد «هتلر» هي التى ألغت، علي الأرجح، التحريم الذى كانت القومية الاشتراكية قد رمت به مذاهب التحليل النفسى.

والبلدان الأنكلو- ساكسونية هى التى تقف، حالياً، على رأس حركة التحليل

(١) انظر: مهمة «فرويد» .أريك فروم .ص١١٠.

(٢) انظر: نفس المصدر.ص١١١.

(٣) انظر: المرجع السابق.ص ١١٢، ١١٣.

النفسي. كما أن فرنسا تُعد الآن، وبعد مقاومات عديدة، مجموعة هامة من الأطباء والمؤلفين لهذه الحركة، ليس في فرنسا فقط بل في إنجلترا وأميركا وإيطاليا وسويسرا بنشر العديد من المجلات والدوريات، الطبية منها والموجهة إلي جمهور أوسع، لقبول أفكار «فرويد» وأتباعه، كما أنه يقدم لهذه الأفكار التعديلات والتوضيحات التي يتطلبها علم جديد لهذا الحد [1].

وفي فرنسا: ألقت أعمال التحليل النفسي حول أصل العصاب النفسي أضواء جديدة على اضطرابات الحياة العقلية ـ العاطفية والفكرية. وانفتح الطب العقلي تدريجياً، على تأثير أفكار «فرويد» الاساسية [2].

وبهذا أخذت تعاليم «فرويد» في الانتشار، وبدأت تجلب إليها كثيراً من الأصدقاء والأتباع لا من رجال الطب فقط، بل من رجال العلوم والفنون المختلفة. وقد تبع ذلك بطبيعة الحال ازدياد في المعلومات، واتساع لدائرة البحث وامتداده إلى ميادين جديدة [3].

وقد أدى هذا الانتشار إلى نشأ جيل متشبع بآرائه، بل يؤمن به إيماناً أعمى ويعتبره بطلاً من أبطال التاريخ. وليس غريباً ـ بعد ذلك ـ أن تعتبره مجلة لوك look الأمريكية، أحد العشرين الذين صاغوا القرن العشرين، وتعتبره المراجع التاريخية أحد أبطال العصر الحديث!.

*** ولقد نشأت أبحاث متعددة تقوم كلها على أساس التفسيرات التي قدمها «فرويد» للنفس الإنسانية، وتحاول أن تثبت أن «فكرة المجتمع» فكرة مضادة لطبائع الأشياء، وأن تقاليده وقيوده التي يحافظ بها على كيانه، هي قيود تحكمية ليس لها ما يبررها. وأن روابط الأسرة غل من الأغلال التي ينبغي الفكاك منه لتحقيق السعدة والهناء.**

**وزادت كراهية الأفراد للمجتمع، نتيجة للنظرة الفردية الأنانية التي أوحت بها نظرياته، حتى صار اسم المجتمع لا يذكر إلا وتلاحقه أوصاف الظلم والتعسف والاستبداد. وكذلك الأخلاق والدين والتقاليد لم تعد تذكر إلا بالحنق والسخط أو**

---

(1) انظر: فكر فرويد. إدغاربيش. ص٢٨.
(2) انظر: نفس المصدر. ص٢٩.
(3) انظر: معالم التحليل النفساني. سيجمند فرويد. ص٣١.

الهزء والاستخفاف.

وانتهى الأمر فى كثير من شعوب أوربا وفى أمريكا كلها إلى تحطيم المجتمع وحل روابط الأسرة، والانسلاخ الكامل من تراث الأجيال السابقة كلها من أخلاق وتقاليد.

- وليست دعوة «الوجودية» المنتشرة فى فرنسا، إلا امتداداً لإيحاءات نظرية «فرويد». فهى تدعو إلى تحطيم كل قيد يقف فى سبيل ذاتية الفرد الكاملة، سواء كان هذا القيد من دواعي السماء أو الأرض. فليفعل كل إنسان ما يبدو له هو شخصياً أنه حق، ولو خالف كل ما اصطلح عليه الناس، ولو خالف العقل والمنطق أيضاً، فتلك من القيود التى فرضتها «الذات العليا» على الفرد إطاعة لقوانين المجتمع. وإنما ينبغى أن ينطلق «اللبيد» الحيوانى الشهوانى حيث شاء الانطلاق وليذهب المجتمع إلى الجحيم، ولتذهب معه كل المثل التى تعبت الإنسانية فى إنشائها أجيالاً متطاولة من الزمان، إذا كانت لا تجىء موافقة لمزاج هذا «الفرد» المقدس الذات، الذى لا يجوز أن يتعدى على استقلاله شىء ولا أحد، ويجوز له هو أن يعتدى على كل شىء، وعلى كل قيمة من قيم الحياة![1].

وقد أدى الإيمان بالتحليل النفسى أن حدثت تطورات كبيرة فى المجتمع الغربى، فحطمت تقاليده وأخلاقه، وأثرت فى قوانينه كذلك، فقد أطلق العنان للفرد - فى المسألة الجنسية - يصنع ما يشاء بلا حظر ولا عقاب، مجبر على مايفعل. وليس أمامنا إذا منعناه إلا نتيجة واحدة، هى الكبت المدمر للأعصاب![2].

فهذا العنصر الجوهرى فى التحليل النفسى عند «فرويد» هو الغريزة الجنسية وإن لم يقصد به العلاقة بين الرجل والمرأة فقط، فقد ساعد على نشر الانحراف الجنسى تحت ستار العلم، وباستخدام مصطلحات علمية رنانة مستمدة من الأساطير الإغريقية لإبعاد الشبهة عن التوراة المحرفة، وغايته الإيهام بأن هذا الانحراف الجنسى والشخصى، إنما هو متأصل في طبيعة الإنسان الفطرية، وليس فقط فى الطبيعة اليهودية المحرفة وذلك حتى يمكن للنفوس السليمة أن تتقبل هذا الانحراف، دون أن يثير لديها التقزز، والغثيان بمجرد سماعها له، بالشكل الذى عرضته التوراة المُحرفة. وعندما تتقبل النفوس أن الجنس هو المُحرك لكل سلوك إنسانى وأن إشباعه. وعدم كبته يؤدى إلى نضج شخصية الإنسان واستقراره، أما كبته فإنه يؤدى بزعمهم إلى

(١) انظر: الإنسان بين المادية والإسلام. محمد قطب. ص: ٤٥.
(٢) انظر: المرجع السابق. ص٤٦.

اضطراب الشخصية وعدم اتزانها، فعندما تتقبل النفوس هذا الجنس، عند ئذ يتيسر نشر الإباحة الجنسية بأشكالها المختلفة سواء أكان زناً بالأجنبيات أم بالمحرمات، أم كان شذوذاً جنسياً فى شكل لواط أو سحاق[1].

●●●●●

(١) انظر: عوامل الانحراف الجنسى ومنهج الإسلام فى الوقاية منهما وعلاجها. د/ عبد الرحيم صالح عبد الله ص٥٤، ٥٥.

## وطء المحارم والأطفال[1].

ولقد نشرت «التايم الأمريكية» تحقيقاً واسعاً عن نكاح المحارم (عدد إبريل ٤/ ١٩٨٠) واستضافت فيه مجموعة من علماء الجنس والأنثروبولوجيا وأغلبهم يهود.

وقد جاء في ذلك التحقيق تصريحات الأنثروبولوجي اليهودي واسمه (كوهين) ما يلي:

«إن منع نكاح المحارم من الأمهات والأخوات والبنات بل والآباء ليس إلا من مخلفات الإنسان البدائي...».

ويقول (جون موني) من جامعة (هو بكنز) وأشهر الباحثين في الجنس في الأمة الأمريكية، وهو يهودي أيضاً: «إن تجارب الطفل الجنسية مع أحد أقاربه الكبار، أو غيرهم لا يشكل بالضرورة ضرراً على حياة الطفل».

ويشكو هذا الباحث وعشيقته (جيرترود وليامز) في كتابهما «الأفعال الجنسية الضارة وإهمال الأطفال» من أن الجمهور الأمريكي في غالبيته لا يزال يعتبر أي اتصال جنسي بالطفل، وكأنه اتصال ضار، ومحطم للطفل ويذكران في هذا الكتاب: بما أن المجتمع الأمريكي قد استطاع التغلب على مشكلة الدين بحيث لاينظر إلى الإنسان بازدراء إذا مرق من دينه، فإن على المجتمع الأمريكي أن يتسامح أيضاً، في موضوع نكاح المحارم من الأمهات، والأخوات، والبنات».

وقد نشرت صحيفة الهيراليد تربيون في عددها الصادر ١٩٧٩/٦/٢٩ ملخصاً لأبحاث قام بها مجموعة من الأخصائيين من القضاة، والأطباء، وعلماء النفس، في الولايات المتحدة حول ظاهرة نكاح المحارم في الولايات المتحدة خاصة، والمجتمعات الغربية عامة، ويقول الباحثون: أن نكاح المحرمات لم يعد نادر الحدوث، وإنما هو منتشر لدرجة يصعب تصديقها، فهناك عائلة من كل عشر عائلات أمريكية يُمارسُ فيها هذا الشذوذ.

ويذكر التقرير أن حالة واحدة من بين كل عشرين حالة، هي التي تصل إلى القضاء، أو إلى الدوائر الصحية، ومعظم هذه الحالات هي حالات اعتداء من الأب

---

(١) انظر: الإيدز. محمد علي البار، ومحمد أيمن صافي. ص: ٤٥ ـ ٥٦.

على ابنته، ولا يقتصر الاعتداء على البنت البالغة، وإنما يمتد ليشمل الصغيرات، وقد سجلت حالات من اعتداء الأب على ابنته ابتداء من سن ثلاثة أشهر إلى سن البلوغ.

وينتج عن ذلك الاعتداء أمراض تناسلية وتهتكات فى الجهاز التناسلى للطفلة إلى الإصابات النفسية البالغة للطفل...

ويعتبر التقرير أشد أنواع هذه الاعتداءات خطورة هو اتصال الأم بابنها جنسياً، ويعتبر ذلك محطماً للأسرة وهادماً للبنيان النفسى للابن والأم على السواء.

ويشير التقرير إلى أنه ينبغى على الآباء والأمهات ألا يهتموا بعلاقة الاتصال الجنسى بين الأخ وأخته إذا لاحظوها بل يتركونها للزمن فهو كفيل بعلاجها.

وبشكل عام فإن صيحات اليهود وكتاباتهم كما تنقلها عنهم «الهيرالدتربيون»، و«التايم»، ودائرة المعارف البريطانية (طبعة ٨٢) وغيرها من المراجع، تتحدث عن زنا الأخ بأخته باعتبارها شيئاً غير ضار، بل بلغ بهؤلاء اليهود أن يقولوا بأن منع الزنا بالمحرمات من الأمهات والأخوات والبنات، بل منع اللواط بالأبناء ليس إلا من مخلفات الإنسان البدائى، وأن يقولوا كل الاتصالات الجنسية بين المحارم مفيدة ولو كانت بين الأب وابنته، والأم وابنها، وأن الضار فقط هو الكبت وعقدة الشعور بالذنب [1].

وبهذا أتت دعوة «فرويد» ثمارها بالفعل، وكانت أكبر مشجع للأولاد والبنات أن ينطلقوا مع دافع الجنس بلا حواجز خوفاً من الكبت والعقد والنفسية. وأن ينظروا إلى الدين ـ الذى يحجزهم ـ على أنه قيد مناف للتعلم، لا يستحق الإصغاء إليه، كما قام علم التحليل النفسى الذى أنشأه «فرويد» لأهدافه الخاصة بعملية التبرير الضخمة للفساد الخلقى الذى حدث بالفعل. يقول الكاتب الإنجليزى «ألدوس هكسلى Aldous Haxley» فى كتابه «Texts and pretexts» إن المحلل النفسى يقف ـ لا محالة ـ إلى جانب المجرم الأخلاقى:

**The psycho - analyst is inevitably an the side of the immoralist**

وليست هناك حتمية فى الحقيقة، ولكن هذا هو التحليل النفسى على طريقة «فرويد» [2].

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص٦٧.

(٢) انظر: مذاهب فكرية معاصرة. محمد قطب. ص١١٣. دار الشروق ـ بيروت. الطبعة السادسة سنة ١٤١٢ هـ ـ سنة ١٩٩٢م.

فدعوة «فرويد» إلى الاهتمام بالجنس لها أثر كبير على المجتمعات البشرية فمن يستقرىء أحوال الأمم والشعوب على مدار التاريخ يستطيع أن يدرك أن الانحرافات الأخلاقية والإباحة الجنسية من أهم الأسباب والعوامل التى أدت إلى التفكك والانهيار، وبواعث الهزيمة والانكسار فيها[1]، وذلك لأن الجنس يبدد الثروة القومية، ويقوض الصحة العامة، ويهدم الأواصر الاجتماعية، ويخرب الأخلاق الإنسانية.

فالنتيجة المحتومة لانطلاق الغرائز ولإباحة الجنس إباحة مطلقة هى التى تهدم الأخلاق وانعدام الفضائل وانهيار الشعوب والأمم.. وهذا ما تؤكده الحركة الصهيونة التى تعمل على تقويض الشعوب ـ كل الشعوب غير اليهودية ـ بالجنس كما جاء فى بروتوكولات حكماء صهيون:

(يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق فى كل مكان فتُسهل سيطرتنا .. إن «فرويد» منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية فى ضوء الشمس لكى لا يبقى فى نظر الشباب شىء مقدس، ويصبح همه الأكبر هو إشباع غرائزه الجنسية وعندئذ تنهار أخلاقه)[2].

فحين تبتلى أمة من الأمم بمثل هذه الآفات بسبب تفحشها وتهتكها.. تتبدد ثروتها، وتتهدم أخلاقها، وتنفصم أواصرها.. وحين تجتاحها الأمراض الفتاكة تكون قد فقدت مقومات وجودها، وأسباب بقائها، واستمرارها ،ومن ثم تكون قد حكمت على نفسها بالإعدام[3].

يقول «جورج بالواشى هورفت» فى كتابه «الثورة الجنسية»:

(والآن، وبعد أن كانت أذهاننا تكف عن الخوف من الخطر الذرى ووجود (سترونيتوم ٩٠) فى عظامنا وعظام أطفالنا ، لا يفتقر العالم إلى عناصر بشرية تقلق للأهمية المتزايدة التى يكتسبها الجنس فى حياتنا اليومية، وتشعر بالخطر إذ ترى موجة العرى وعارات الجنس لا تنقطع . ينشغل هؤلاء الناس انشغالاً جاداً بالقوة الهائلة التى يمكن أن تصل إليها الحاجة الجنسية إذا لم يحدها الخوف من الجحيم، والأمراض السارية، والحمل.. وفى رأيهم أن أطنانًا من القنابل الجنسية تنفجر كل

---

(١) انظر : الإسلام والجنس. فتحى يكن. ص ٦٠. مؤسسة الرسالة ـ بيروت. الطبعة الرابعة عشر سنة ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

(٢) راجع بروتوكولات حكماء صهيون ـ البرتوكول الثانى.

(٣) انظر: الإسلام والجنس. فتحى يكن. ص ٦٣.

يوم، ويترتب عليها آثار تدعو إلى القلق، وقد لا يجعل أطفالنا وحوشاً أخلاقية فحسب، بل قد تشوه مجتمعات بأسرها).

وكتب «جيمس رستون» فى النيويورك تايمز مؤخراً:

(إن خطر الطاقة الجنسية قد يكون فى نهاية الأمر أكبر من خطر الطاقة الذرية؟؟)[1].

وهذا ما حدث بالفعل فى المجتمعات الغربية، لأن الاهتمام بالطاقة الجنسية أدى إلى الكثير من حالات التوتر والانهيار العصبيين وفى انتشار وتكاثر الأمراض النفسية مما تشهد وقائعه بالأرقام مصحات الأمراض العصبية فى شتى أنحاء العالم:

فهذه «مارلين مونرو» من أجمل نساء القرن العشرين، والمستوى الذى وصلته كرمز للجنس لم تصل إليه امرأة أخرى وذات يوم من صيف سنة ١٩٦٢ ولسبب ما، أدركت أن هذا الرمز سيتداعى، وأن هذا الجمال سيذبل ويزوى، وأن هذه الشهوة ستضمحل وتموت، فابتعلت كمية من الحبوب المنومة وضعت بها نهاية لحياتنا التعيسة القلقة؟؟

وكما وقع لـ«مارلين مونرو» وقع لـ« جين هارلو»ولـ« زوجة المركيز الإيطالى» بل لمئات الآلاف من ضحايا الجنس يقضون قتلاً أو انتحاراً هنا وهناك؟؟[2].

ولهذا يلفت المؤرخ «أرنولدتوينبى» النظر إلى أن سيطرة الجنس يمكن أن تؤدى إلى تدهور الحضارات[3].

ولذا نجد فى الغرب من ينادى بإنقاذ المعنويات. ففى نيسان سنة ١٩٦٤ أثيرت فى السويد ضجة كبرى عندما وجه ١٤٠ من الأطباء المرموقين مذكرة إلى الملك والبرلمان يطلبون فيها اتخاذ إجراءات عاجلة للحد من الفوضى الجنسية التى تهدد حقاً حيوية الأمة وصحتها. طالب الأطباء بقوانين ضد الانحلال الجنسى؟؟

وفى أيار سنة ١٩٦٤ قامت أكثر من ألفى إنجليزية بحملة( تنظيف موجات الإذاعة وشاشات التلفزيون من الوحل الذى يلطخها) وفى أول اجتماع لهن قال أحد

---

(١) انظر: نفس المصدر. ص ٩، ١٠.
(٢) انظر: المرجع السابق. ص ١٢، ١٤.
(٣) انظر: المرجع السابق. ص ١٠.

المذيعين: (يوجد فى الخارج أناس يتمنون أن تهدم الأخلاق الجديدة العصب الأخلاقى فى بلدنا).

حتى فى الصين الشعبية يشعر أتباع «مارتسى توتغ» أنهم مضطرون للقيام بحملة واسعة النطاق ضد الحب الحسى اللاجتماعى»[1].

ويرى كل من الاتحاد السوفيتى وبولندا وألمانيا الغربية أنهم مضطرون لإلقاء نظرة جديدة على قضايا الحب والأخلاق الفردية..

وفى سنة ١٩٦٢ صرح «كنيدى» بأن مستقبل أميركا فى خطر لأن شبابها مائع منحل غارق فى الشهوات لا يقدر المسئولية الملقاة على عاتقه، من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد ستة غير صالحين.. لأن الشهوات التى غرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية؟؟

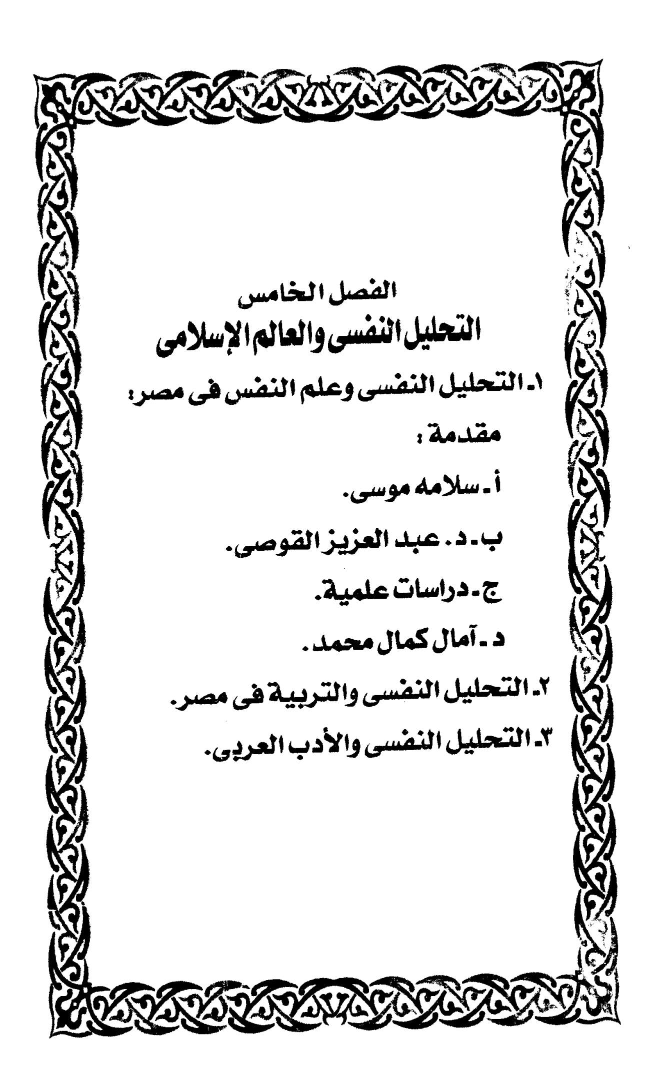
أن هذه الصيحات التى ذكرتها والتى تستنكر مؤخراً الانحرافات الجنسية الخطيرة التى آلت إليها المجتمعات العالمية قاطبة، لم تكن إلا بمثابة رد فعل على ماآلت عليه هذه المجتمعات[2].

وهذا كله سببه اليهود الذين يريدون أن ينشئوا مجتمعاً متفككاً لا روابط فيه، ذلك أن الروابط - من أى نوع - تبطىء عملية التحلل وتبطىء تحويل الأمميين إلى دواب الحمل التى يركبها بنو إسرائيل ويسخرونها لمصالحهم.. فيجىء «فرويد» فيقول بطريقة «علمية» أنه لا توجد فى حقيقة الأمر روابط بين البشر، ولا بين الولد وأمه، ولا بين الولد وأبيه ولا بين الزوج وزوجته، ولا بين الأخ وأخيه فضلاً عن أن تكون هناك روابط بين الغرباء الذين لا تصل بينهم صلة القربى، إنما كل إنسان فى الأرض يكره الإنسان الآخر فى قرار نفسه ويتمنى له الزوال.

باختصار: لقد كانت مهمة «فرويد» هى تغطية الفساد الضخم الذى تدبره العصابة الشريرة فى الأرض بإعطائه «التبرير العلمى» الذى يجعله أمراً طبيعياً لايستنكر. ويصبح المنكر عليه هو الرجعى المتأخر الذى يصدر عن الجهل بحقائق العلم، والتمسك بالخرافات السخيفة، أو المثاليات التى لا تقل عنها سخفاً ولامكان لها فى واقع الحياة[3].

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص ١٤.
(٢) انظر: الإسلام والجنس. فتحى يكن. ص ١٥.
(٣) انظر: مذاهب فكرية معاصرة. محمد قطب. ص ١١٣، ١١٤.



الفصل الخامس

# التحليل النفسى والعالم الإسلامى

١ـ التحليل النفسى وعلم النفس فى مصر:

مقدمة:

أ ـ سلامه موسى.

ب ـ د. عبد العزيز القوصى.

ج ـ دراسات علمية.

د ـ آمال كمال محمد.

٢ـ التحليل النفسى والتربية فى مصر.

٣ـ التحليل النفسى والأدب العربى.



## [١] التحليل النفسي و علم النفس في مصر

مقدمة:

إن علم النفس الحديث فى الغرب هو علم نفس الرجل الأبيض، وليس صحيحاً أنه كان كذلك فى أول الأمر ثم تطور، بل إنه ما زال كذلك. وهو علم نفس الرجل الأبيض ليس فقط لأن مجال دراسته كان مقتصراً «على دراسة الإنسان الراشد الكبير ذى البشرة البيضاء»[١]، بل لأن أهداف دراسته هى خدمة الرجل الأبيض. ولذا فإن علم النفس الحديث يمثل مرحلة المذهب النفعى أو العملى على يد كل من«وليم جيمس» و«جون ديوى»، ولا شك أن بعض الباحثين يدرسون هذا العلم لمجرد المعرفة، أو للاستفادة منه فى المجال العلمى بوجه عام، ولكن الهدف الأساسى فى كثير من جامعات الغرب ومعاهده هو تسخير هذا العلم لصالح الرأسمالية الصناعية[٢]. ولذا فليس غريبًا أن نرى الدول والمؤسسات الصناعية فى الغرب تنفق بسخاء على أبحاث علم النفس التى تخدم أهدافها.

وعلم النفس الحديث يمثل مدارس مختلفة[٣]،وذلك لأنه ما زال يؤمن بالمحاولة والتجريب فى الوصول إلى وضع حقائق معينة، وهى جميعاً تهتم بالسلوك.

ونظراً لإيفاد البعثات المصرية إلى الغرب للاستفادة من هذا العلم، فقد تبلور فى مصر ثلاث اتجاهات.

الاتجاه الأول:

يتزعمه المرحوم اسماعيل القبانى(١٨٩٨-١٩٦٣) وتلميذاه الدكتور عبد العزيز القوص، والمرحوم محمد فؤاد جلال، وهم من علماء النفس والتربية. وقد تعلموا جميعاً فى الجامعات الانجليزية فى أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينيات من هذا القرن. وأخذوا بالاتجاه التجريبى الإحصائى التطبيقى، الذى بدأ انتعاشه فى إنجلترا فى ذلك الوقت، فنقلوا هذا الاتجاه إلى مصر للفائدة التطبيقية فى ميدان التربية. فاهتموا بالنمو العقلى للطفل والذكاء والقدرات، وهم أول من حاولوا تقنين الاختبارات العقلية واختبارات القدرات على عينات مصرية، والقيام بتجريب طرق التدريس الحديثة فى

---

(١)أصول علم النفس. أحمد عزت راجح .ص ٣٥.

(٢) فقد أنشأوا علم النفس الصناعي، علم النفس التجارى، علم النفس الحربى.

(٣) المدرسة الوظيفية، والترابطية، والتحليلية، والسلوكية، والجشتالت.

المدارس النموذجية التى أنشأوها وقاموا برعايتها، وتقسيم مراحل التعليم إلى مراحل تتفق مع خصائص النمو. ويمكن اعتبار ما يقرب من ٨٠٪ من علماء النفس الحاليين من تلاميذهم حيث أوفدوا الكثير من الخريجين إلى الجامعات الأمريكية، وإليهم يرجع الفضل فى إدخال الميادين التطبيقية فى علم النفس عندنا والقيام بالبحوث فيه. لذلك يمتاز الجيل الحالى من خريجى الجامعات الانجليزية والأمريكية بأنهم واصلوا الرسالة التى بدأها «القبانى» و«القوصى» بإجراء البحوث المحلية فى ميدان التربية وفى الجيش، بالإضافة إلى البحوث التى تتناول مشاكل المجتمع المصرى[١].

**الاتجاه الثانى:**

يتزعمه المرحوم الدكتور «يوسف مراد» (١٩٠٢-١٩٦٧) وهذا الاتجاه يظهر فى تكوين جماعة علم النفس التكاملى، وهذا الاتجاه التكاملى متفق مع الاتجاه فى علم النفس الحديث بالتخلى عن التجزئة فى دراسة السلوك والاتجاه نحو دراسة الأنماط السلوكة المتكاملة[٢]. وكان ذلك الاتجاه فى كلية الآداب جامعة القاهرة.

**الاتجاه الثالث:**

يتزعمه الدكتور «مصطفى زيور» الذى بدأه فى جامعة الإسكندرية ثم تولاه فى كلية الآداب جامعة عين شمس التى أنشأت فى عام ١٩٥٠، وهذا الاتجاه يمثل الاتجاه التحليلى الفرويدى[٣].

وإليه يرجع الفضل فى أنه فتح المجال فى هذا القسم لغير المتخصصين فى التحليل النفسى لتدريس الإحصاء، والقياس النفسى وغيرهما من فروع علم النفس. لكن تلاميذه يتضح عندهم تأثرهم الزائد بالتحليل الفرويدى دون غيره وغلق عقولهم دون ميادين علم النفس الأخرى، بل ودون الاتجاهات الجديدة فى المدرسة التحليلية[٤].

كما سيأتى إيضاح ذلك بعد قليل.

---

(١) انظر: المرجع في علم النفس. تأليف: د/ سعد جلال. الجزء الأول. ص ٤٦، ٥١. ط ٨ - ١٩٨٢. دار المعارف.

(٢) انظر: نفس المصدر. ص ٤٨.

(٣) انظر: نفس المصدر. ص ٤٩.

(٤) انظر: المرجع السابق.

### أ ـ سلامه موسى:

ومن الذين تأثروا بالتحليل النفسى عند «فرويد» «سلامه موسى» حيث دعى وروّج لنظرية التحليل النفسى المعتمدة على نظرية التطور، وعمل على نشرها على مدى ما يقرب من أربعين عاماً وذلك منذ سنة ١٩٢٧م حيث كانت هذه النظرية لا تزال جديثة العهد فى منبتها، فقد نشر فى سنة ١٩٢٨م كتابه «العقل الباطن» ويبدؤه بالقول:

موضوع هذا الكتاب جديد فى اللغة العربية وهو فى اللغات الأوربية حديث العهد يقوم بزعامته (فرويد) العالم النمساوى يعاضده ويروج نظرياته وينقحها طائفة من العلماء مثل (يونج) فى سويسرا و(أدلر) فى ألمانيا (وبودوان) فى فرنسا (ورفرز) فى انجلترا. وربما كان هذا الأخير أكبر من نقح فى نظريات «فرويد» ولكن فضل الاختراع والابتكار ـ لفرويد وحده[1].

ويمكن للمستزيد أن يقرأ كتابى «اليوم والغد» ففيه فصول تتعلق بهذا الموضوع.

وفى سنة ١٩٤٧ أصدر كتابه «عقلى وعقلك» ثم أصدره فى طبعة ثانية سنة ١٩٥٣ ويقول فى مقدمة هذه الطبعة الأخيرة: «منذ خمس وعشرين سنة ألفت كتابى «العقل الباطن» فلقى إقبالاً عظيماً بين القراء وانتفع كثير منهم به لأنه صادف حاجة فى نفوسهم.. وقد وجدت أن الحاجة تمس فى الوقت الحاضر إلى كتاب أوفى وأكثر إسهاماً: أولاً لأن الذين قرأوا «العقل الباطن» يستطيعون أن يفهموا وأن يطلبوا أكثر منه. وثانياً لأن السيكولوجية قد سجلت كثيراً من التقدم. فالكاتب يستطيع أن يفيد ويفسر ويشرح كثيراً من التصرفات فى الصحة أو المرض أو السلوك أكثر مما كان يستطيع قبل ٢٥ سنة. وخاصة: بعد أن قام كثير من مؤلفينا فى مصر بشروح سيكولوجية مطولة أو موجزة[2].

ليس هذا فقط بل نجد «سلامه موسى» تتبع وجهة نظر «فرويد» وآرائه فى كتابه «العقل الباطن» وذلك كما يلى:

---

(١) العقل الباطن أو مكنونات النفس. سلامه موسى. ص ٥ دار الهلال بمصر. سنة ١٩٢٨.

(٢) انظر: عقلى وعقلك. سلامه موسى. ص: ١. ط٢ مكتبة المخانجى بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد.

**١ـ الجهاز النفسى:**

يرى «سلامه موسى»: «أن النفس طبقات أقدمها وأرسخها تلك الغرائز القديمة التى نشترك فيها والحيوان القديم مثل الشهوة للطعام. يليها هذا العقل الباطن الذى يعمل فى الحلم وأنا لا أعى بعمله، وأخيراً اى أن آخر طبقة فيها وأحدثها هو هذا العقل الواعى الذى نفكر به احياناً تفكيراً مدبراً منطقياً»[١].

وهذه الطبقات هى نفس مراحل «فرويد» للنفس وهى الهو، والأنا، والأنا الأعلى[٢].

**٢ـ الغريزة الجنسية:**

وفى الغريزة الجنسية نجد «سلامه موسى» قد أعطى لها اهتماماً كبيراً مثل «فرويد» لدرجة أنه يدافع عن وجهة نظر «فرويد» لها فيقول: أن الغريزة الجنسية هى أهم عوامل النشاط فى العقل الباطن وهى أهم أصل للأحلام والخواطر، وربما كانت أيضاً أكبر أسباب الجنون النفسى عند الرجال والنساء[٣].

هذه الغريزة هى الأصل فى اختراع الصوت و (اللغة)، كما هى الأصل فى وجود الأسرة والحياة الاجتماعية، وهى الأصل فى الجمال. فالحيوان لم تنشأ له أعضاء الصوت إلا لكى يجذب الأنثى إليه. ولم تنشأ له غريزة الجمال إلا إغراءً للأنثى بالذكر والذكر بالأنثى ومن الصوت نشأت اللغة. ومن الحب نشأت الأسرة. ومن الأسرة نشأ الاجتماع.

ولهذا السبب لم يبالغ «فرويد» إلا قليلاً حين زعم أن جميع أحلامنا تقريباً ترجع إلى هذه الغريزة الجنسية. لأنه لم يقصد الغريزة الغشيمة وحدها بل قصد منها أيضاً إلى تطوراتها المهذبة.

ونحن مع اتفاقنا وتواضعنا على الصمت والمداراة فى موضوع هذه الغريزة لانزال نري من الحوادث ما ينبه أذهاننا إلى قوتها[٤].

(١) العقل الباطن أو مكنونات النفس .سلامه موسى .ص ١٤.
(٢) راجع هذه المراحل في هذا الكتاب.
(٣) انظر: العقل الباطن .سلامه موسى .ص ٢٥.
(٤) انظر: المرجع السابق. ص ٢٣.

### ٣ـ الكبت:

وفى الكبت يرى «سلامه موسى» أنه ضرورى ويحدث لنا فى كل وقت. فكل ما يمر بنا فى حياتنا منذ أن نولد وتحس به حواسنا أو تفكر فيه عقولنا، إنما ننساه لا لأنه محى من ذاكرتنا بل لأنه كبت أى منع من الظهور فى العقل الواعى. فنحن فى الحقيقة لا ننسى شيئاً البتة، وإنما كل ما يقع لنا ولسنا فى حاجة إلى أن يكون ماثلاً لذهننا فى كل وقت، يندس فى العقل الباطن ويحتبس فيه، لأن العقل الواعى الذى نؤدى به أعمالنا فى اليقظة يكبت هذه الذكرى. وأحياناً إذا غفل عنها فى نوم أو غفوة أو مرض، وكانت هذه الذكرى قوية فإنها تعود إلينا فنتذكر أشياء كنا نظن بأننا نسيناها ومحيت من ذاكرتنا تمام المحو.

ويرى أن هذا الكبت يكون أحياناً من مصلحة الشخص لأنه ليس من المفيد لنا أن نذكر شىء بعقلنا الواعى فلو كان الطفل مثلاً يذكر كل المخاوف التى كانت تعترضه وهو يتعلم المشى لما استطاع بعد ذلك أن يمشى، فهو يكبت هذه المخاوف واحدة بعد أخرى وينساها ويستطيع بذلك أن يمشى. وكذلك فى حالة التلفظ وغيرها[١].

ويرى أن الكبت ضرورى فى انتقال الطفل من الطفولة إلى الصبا، ومن الصبا إلى الشباب. نعنى بذلك أننا يجب أن ننسى، لأن النسيان من مصلحتنا. ولكن النسيان لفظة عامية يقابلها فى علم النفس الحديث لفظة الكبت وعند التحليل يتبين لنا أننا لا ننسى شيئا البته. وإنما ما نظن أننا قد نسيناه إنما هو مكبوت فى العقل الباطن يمكن استثارته وهو إنما كبت لسبب[٢].

### ٤ـ الحلم:

يرى «سلامه موسى» أن المبدأ العام فى الأحلام هو: «أنها تحقق شهوة أو رغبة مكظومة»[٣] لأن الحلم يبرز العواطف المكظومة، ولكن على مستويات قديمة، ربما تعود إلى حال الإنسان قبل أن يخرج من الغابة.

ويرى أن العقل الباطن يبقى مكبوتاً مدة اليقظة، لأن العقل الواعى يكبته ويمنعه من الظهور. فإذا نشأت فينا وقت اليقظة عاطفة شوق أو جوع أو غضب أو كرامة

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص ٢٦، ٢٧.
(٢) انظر: المرجع السابق: ص ٢٨.
(٣) عقلى وعقلك . سلامه موسى .ص ١٠٧.

أو طمع وكبتها عقلنا الواعى. فإن هذه العاطفة تندس فى العقل الباطن وتبقى قوة مضغوطة إذا نمنا أو غفونا، ظهرت بمظهر الحلم أو الخاطر.

فمثلاً الجائع الذى كبت عاطفة الجوع تخطر فى باله ألوان الطعام وهو فى غفوة اليقظة أو يرى الطعام ويأكله فى الحلم. فنرى من هذا المثال إن الحلم هو تحقيق رغبة قامت فى النفس ولم تحقق فى اليقظة، ولكن ليست كل الأحلام كذلك.

فمعظم الأحلام هى فى الواقع صراع يحاول فيه الشخص أن يحقق رغبته، فإن نجح فذاك، وإلا فقد يستيقظ وهو ما يزال فى صراع. وكل ذلك يجرى بأسلوب النفس القديمة أى بذلك العقل الباطن الذى لا يعرف الطرق الحديثة لحل المعضلات التى تعترضنا.

فالجائع الذى حرم من الطعام قد: يرى الخبز ويأكله فى الحلم فيحقق بذلك رغبته. وقد: يرى الخبز فى الحلم ويحاول أن يأكله فلا يقدر، وهنا صزاع بين الشهوة والطعام والامتناع منه. وذلك لأن العقل الباطن كما اندست فيه الشهوة للطعام كذلك اندست فيه الرغبة فى الامتناع عنه لمصلحة الشخص حتى يشفى من المرض الذى يصوم من أجله. فالعقل الباطن يرغب فى بلوغ مصلحتنا على أسلوب قديم، وقد يستطيع أحياناً أن يبلغ حلاً موافقاً.

وهذا هو علة خروجنا من الحلم بحيرة نقف عندها لا نعرف وجه الحل فيها للمعضلة التى حاول العقل الباطن أن يحلها. فهذا العقل يرغب فى نجاحنا فهو يخيل لنا النجاح بتحقيق الرغبة، ثم يرى الصعوبة فى التحقيق فيقف حائراً[1].

فالأحلام عند«سلامه موسى» ترى أن العقل الباطن يرمز إلى المعنى المجرد بالشىء المجسم. وهذا يتسق مع ما يقوله من أن العقل الباطن يجرى على أساليب التفكير القديمة أو أساليب الطفولة، أى الأسلوب الذى كان يسلكه الإنسان فى العصور القديمة[2].

ثم يقول: ومما يجب التنبيه إليه أن الحلم لا ينبئ بالمستقبل، وإنما يعبر عن هموم صاحبه وقد يجهل صاحبه نفسه هذه الهموم. فقد تقوم فى نفوسنا عواطف بشأن الخوف أو الجوع أو الحب أو الغلبة، فتكبت هذه العواطف ونحن فى وعينا وقد ننساها

(١) انظر: العقل الباطن. سلامه موسى. ص ٤٤، ٤٥.
(٢) انظر: نفس المصدر. ص ٤٩.

تماماً ولكنها قد اندست فى العقل الباطن. فهى تظهر فى الأحلام بأشكال مختلفة بعد مضى السنوات على قيام العاطفة فى النفس[1].

**٥ـ الدين والأخلاق:**

يرى «سلامه موسى» أن العقل الباطن هو مصدر العقيدة (الدين)، وهو العامل المهم فى الأخلاق والأذواق، فيقول:

أن المعتقدات سياسية كانت أم دينية تسرى بين الجماعات بالعدوى (بالمحاكاة) على الخصوص. وعلى نسبة أفراد الجماعة يكون تأثير المحاكاة شديداً. ولا تلبث العقيدة الضعيفة أن تصبح قوية بعد أن يكتسب الأفراد الذين يعتنقونها صفة الجماعة. والمحاكاة النفسية هى أمر روحى ينشأ عنه التسلم ببعض الآراء والمعتقدات تسليماً غير إرادى. ولذلك لا يؤثر فيها البرهان أو التأمل وهى تشاهد فى الحيوان كما تشاهد فى البشر ولا سيما وقت الاحتشاد.

وقد نشأت حوادث الدين التاريخية عن العدوى النفسية، ومع ذلك لم يكن تأثيرها فى أحد الأزمنة الماضية كما هو فى الوقت الحاضر[2].

ثم يرى أن السبب فى انتشار الآراء والمعتقدات هو أنه لا رأى أو لا عقيدة تظهر بلا نفوذ أو تسيطر بلا توكيد أو تعيش بلا مثال أو تكرار. ويرى أن الصحائف اليومية لها أثر كبير فى غرس العقيدة فى النفوس، لأن فى الصحيفة مبدأ التكرار الذى يحيل العقيدة إلى عاطفة تعمل وتحرك الإرادة.

ويرى «سلامة موسى» أن الأخلاق الفاضلة عادات يتعودها الإنسان من البيئة التى يعيش فيها. وهى ليست معارف تحتاج إلى البرهان وإنما هى إيحاء يوحى إلى العقل الباطن عن جملة وسائل. وقد أدرك «مصطفى كمال» ذلك حين أجبر الأتراك على اتخاذ القبعة ونبذ الطربوش لأن المحاكاة من الشروط المهمة فى الايحاء. فإذا حاكى التركى الأوربى فى لباسه حاكاه أيضاً فى أخلاقه فينبذ عن نفسه التواكل الشرقى ويعمد إلى سائر العادات الأوربية فيصطنعها فتنتشر حضارة أوربا فى البلاد ولا تجد أدنى مقاومة[3].

---

(١) انظر: نفس المصدر. ص ٤٨.
(٢) انظر: نفس المصدر. ص ١٤٢.
(٣) انظر: المرجع السابق. ص ١٤٦.

كما يرى للصحيفة اليومية أثر كبير فى صوغ الأخلاق والأذواق من المدرسة.

وبناء على ما سبق يتضح لنا تأثر «سلامه موسى» بـ«فرويد» تأثراً كبيراً، وهذا وضح فى بعض عناوين كتبه: (العقل الباطن) و(عقلى وعقلك). والعمل على نشر آرائه مدة كبيرة. واعتناقه بعض آرائه كما ظهر لنا فى تقسيمه للجهاز النفسى وموقفه من الغريزة الجنسية باهتماماته الزائدة لها. واعتباره الكبت ضرورى. وأن الحلم يحقق الشهوة والرغبة ويبرز العواطف المكظومة: وأن العقل الباطن مصدر العقيدة والأخلاق.

•••••

ب - الدكتور «عبد العزيز القوصي»:

وإلى جانب «سلامه موسى» نجد الدكتور/ «عبد العزيز القرصي» يرى: أن طريقة التحليل النفسى هى التى تصل بنا إلى التعمق والوصول إلى العوامل البعيدة المنازل، حتى نصل إلى أسباب المشكلات النفسية. والطرق السابقة عليها[1] طرق سطحية، لأنها تتناول أعراض الموت دون أن تتناول العوامل البعيدة.

وتتلخص طريقته فى استخراج أسباب المرض من الحالة اللاشعورية إلى الحالة الشعورية، لأن الأمور المكبوتة فى حالة انفصال عن النفس الشعورية. وغاية التحليل هو تحويلها إلى حالة الشعور بحيث تتكامل مع الذات الشعورية وتصبح تحت سيطرتها. فالتحليل النفسى - كما يرى القوصى - يرمى إلى التكامل، والتكامل هو عنوان الصحة النفسية. أما الكبت والفصل والانقسام فإنها تدل على المرض النفسى[2].

ويرى أن طريقة التحليل النفسى تقوم على الكلام المسلسل المنطقى من جانب المريض: فهو ينام أو يجلس فى وضع مريح يساعده على الوصول إلى حالة التراخى ثم يتركه المحلل ليتكلم بدون التقيد بقيود الخلق أو المنطق أو الدين أو التقاليد وتساعد حالة التراخى على انسياب الأفكار. وعلى المحلل ألا يتكلم أو يعلق على كلام المريض إلا بمقدار ضئيل، فيتركه ينساب فى الكلام[3].

ثم يقول: وقد يظن البعض أن ذكر السبب الأصلى كاف لحل العقد النفسية. ولكن أهم شرط لحل هذه (العقد)، هو أن يمر المريض فى أثناء التحليل بمثل الحالة الانفعالية التى مر بها عند وقوع الحوادث التى أدت إلى بلورة المشكلة. ففى مثال الضابط الذى كان يخاف الأماكن المقفلة، لم يكن يكفى أن نذكره بأن السبب فى هذا أنه عندما كان صغيراً خرج عليه كلب كبير فى مكان مقفل؛ لكن حدث فى أثناء التحليل أن مر الضابط بمثل حالة الخوف والرعب التى مر بها فى الماضى وأدى هذا إلى تفريغ الطاقة الانفعالية المكبوتة. هذا التفريغ من العناصر الأساسية فى التحليل النفسى الناجح[4].

---

(١) مثل: الطريقة الاستهوائية، وطريقة التعليم المجدد، وطريقة تغيير البيئة.

(٢) انظر: علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية. د/ عبد العزيز القوصى. ص ٣٥٧.

(٣) انظر: نفس المصدر.

(٤) انظر: المرجع السابق. ص ٣٥٨.

كما نجده يوجه العناية إلى أهمية دراسة اللاشعور للمدرس، كما سيأتي بعد قليل في أثناء عرضنا للتحليل النفسي والتربية في مصر.

**جـ - دراسات علمية:**

وليست الدعوة إلى أهمية التحليل النفسي في مصر مقتصرة على «سلامة موسى» والدكتور «عبد العزيز القوصي» بل نجد الكثير من أساتذة علم النفس في مصر تأثروا به. ومما يدل على ذلك أن الدراسة التي قاموا بها سواء تحت عنوان الصحة النفسية أو الأمراض النفسية وتشخيصها تضمنت الحديث عن بعض فئات مرضية إكلينيكية كالفصام والسيكوباتية والاكتئاب، ولأنواع أخرى من الذهان والصرع والقلق والتوتر النفسي أو تحت عنوان الأعراض السيكوسوماتية. وقد وجدت تفسيراً لبعض جوانبها من زاوية التحليل النفسي، وخاصة ما أنجز في أقسام الصحة النفسية بكليات التربية أو أقسام علم النفس بآداب عين شمس بإشراف «مصطفى زيور» وبعض ما تم إنجازه بآداب القاهرة، ثم بآداب الإسكندرية، وأيضاً بقسم الصحة النفسية بتربية عين شمس بإشراف «صلاح مخيمر». هذا وقد حصلت على عدد من الدراسات تنتمي مباشرة إلى نظريات التحليل النفسي ومفاهيمه الرئيسية في مصر مما يدعم تأثر علم النفس في مصر بالتحليل النفسي وذلك على النحو التالي:

**(أ) المرحلة الأولى وحتى عام ١٩٥٠:**

لقد ظهر في هذه المرحلة عدد من الدراسات تنتمي بشكل مباشر إلى إطار التحليل النفسي منها دراسة «محمود الراوي» ١٩٤٧ عن عقدة أوديب وأثرها في الإجرام، ودراسة «مصطفى سويف» ١٩٤٨ عن التحليل النفسي والدراسات الاجتماعية، ومجموعة من الدراسات قام بها «كمال عبد الحميد نايل» عن ميكانيزم التبرير وميكانيزم الأبدال، والأحلام والخلق في ضوء التحليل النفسي(١)،(٢) ودراسة قام بها «صبري جرجس» ١٩٤٧ عن التحليل التنويمي، ودراسة «عدنا الذهني» ١٩٤٩ في سيكولوجية الرمزية.

**(ب) مرحلة ما بين عامي ١٩٥٠ - ١٩٧٠:**

وتعد هذه المرحلة امتداداً للمرحلة السابقة واستمراراً لها، حيث استمر «كمال عبد الحميد نايل» في دراسة موضوعات تنتمي إلى نظرية التحليل النفسي، كما أشرف

«مصطفى زيور» على عدد من الرسائل تنتمى إلى نفس الإطار فضلاً عن إسهام الفلسفة فى ذلك، حيث قام«زكريا إبراهيم» ١٩٥٠ ـ١٩٥١ بدراسة بعنوان الدلالة السيكولوجية للنظرة ودراسة «نجيب يوسف بدوى» عن تأويل شعبى لحلم تنبؤى، والتحليل الوظيفى للأحلام التنبؤية، ودراسة صلاح مخيمر فى سيكولوجية المودة، وسيكولوجية الحب، ودراسة «عبد السلام النقاش» بآداب عين شمس ١٩٦٢ حصل بها على الماجستير بعنوان «الأنا والآخر على ضوء الفنومنولوجية والتحليل النفسى. كما أسهم معهد العلوم الاجتماعية جامعة الإسكندرية فى دراسة بعنوان « موقف التحليل النفسى من قضايا علم الاجتماع المعاصر» ودراسة للماجستير ١٩٦٢ قام بها «سمير الدروبى»دراسة تحليلية لأحلام المكفوفين.

**(جـ) مرحلة ما بعد ١٩٧٠ وحتى ١٩٨٤:**

وقد تضمنت هذه المرحلة عدداً من الدراسات سبق الإشارة إلى بعضها تحت العناوين السابقة، فضلاً عن دراسة تمت بآداب عين شمس عن البوال العصابى ودراسة تجريبية فى ضوء مفاهيم التحليل النفسى، ودراسة عن المشكلات التوافقية لأطفال الحضانة دراسة فى التحليل النفسى ١٩٨٣، ودراسة لـ « محمد رشاد كفافى» ١٩٨٢ بعنوان التحقيق التجريبى (بواسطة القياس النفسى) لنظرية التحليل النفسى عند متعاطى الحشيش، فضلاً عن اشتراك كلية الاقتصاد المنزلى فى ذلك بدراسة ماجستير عنوانها «الأثر النفسى للملابس وإخفاء بعض العيون والعاهات الجسمية» ١٩٧٥ ،وثمة دراسة إكلينيكية متعمقة فى شخصية المتفوقين من الجنسين باستخدام منهج دراسة الحالة، ودراسة قامت بها«هدى برادة» و«حامد زهران» عن التأخر الدراسى دراسة إكلينيكية لأسبابه فى البيئة المصرية، فضلاً عن الدراسات التى استخدمت اختبارات إسقاطية. فجميعها تم فى إطار نظرية التحليل النفسى، وممن يهتمون بهذا المجال(مصطفى زيور، ولويس كامل مليكة، وأحمد عبد العزيز سلامة، وسيد غنيم وصلاح مخيمر ،وأحمد عبد الخالق، ومحمد الظاهر الطيب، وسامية القطان وفاروق أبو عوف، وعلى الخطيب) وانصبت أغلب دراسات«محمد الطيب» و«سامية القطان» على الدراسة الإكلينيكية فى ضوء الاختبارات الإسقاطية والتى تم تفسيرها فى ضوء التحليل النفسى، وثمة دراسة بآداب عين شمس ١٩٨٣ قامت بها «كريمة سيد

محمود» عن المشكلات التوافقية لأطفال الحضانة دراسة فى التحليل النفسى[1].

**د ـ آمال كمال محمد:**

وأخيرا نجد رسالة الدكتوراة للباحثة «آمال كمال محمد» بعنوان «البناء النفسى للمرضى المصابين بفقدان الشهية العصبى ـ دراسة إكلينيكية» قد حدث بسببها ضجة إعلامية كبرى خاصة فى «أخبار الحوادث» وذلك لما يلى:

* لقد أوضحت الباحثة فى رسالتها فى فصل خاص تحت عنوان «ميثولوجيا الجسد فى الفكر الدينى ـ رؤية سيكولوجية» قالت فيه:

**أنه كما شاعت الأساطير التى واكبت ميلاد البطل الأسطورى أو التى تعد إرهاصاً بمولده ـ شاعت كذلك الأساطير اللازمة لحياته والتى تم صياغتها بحيث تحتوى على الكثير من الخوارق والقدرات المطلقة لأفعاله الجسدية. وكانت أولى تلك الأساطير ما ورد فى زمن النبى إبراهيم «عليه السلام» عندما ألقاه قومه فى النار تلك القوة الخارقة المدمرة لأى كيان مادى ـ لكن طبيعتها تستحيل إلى النقيض فتصبح برداً وسلاما وينجو جسد النبى ـ البطل ـ من التدمير.**

وتضيف الباحثة ـ أن هذا ترديد لتلك القيمة المتكررة التى تنسج حول الأنبياء ـ الأبطال ـ الأسطوريين ـ من حيث الغياب ـ الحضور، الموت .. البعث..، التدمير .. رأب الصدع.

**والمثال الثانى نجده ـ كما تقول الباحثة أيضاً فى قصة النبى أيوب«عليه السلام» الذى أعيد جسده إلى صحته بعد أن كاد يتعفن ونخر الدود فى لحمه وعظامه.. والتفسير الدينى يرى أن إبراهيم كان صديقا نبياً، وأيوب كان صابراً تقياً ـ لذا كانت المفاجأة بحفظ الجسد من التدمير التام.**

**وتضيف الباحثة أنه من الأساطير الجديرة بالملاحظة تلك القائمة على تخيلات «ابتلاع الجسد» والنموذج الأمثل لها نجده فى قصة النبى يونس« عليه السلام» الذى ابتعله الحوت«أحد التدريبات المائية» وبقى فى جوفه ثلاثة أيام ثم لفظه على الشاطىء ـ أنها تخيلات الابتلاع ـ اللفظ ، الاستدماج ـ الإسقاط.**

---

(١) انظر: دراسة مسحية تقويمية للبحوث التربوية والنفسية منذ الثلاثينيات. ص ١٣٣ـ ١٣٥. أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا. سنة ١٩٨٨.

أما أسطورة الخضر« عليه السلام» فتذكر كتب السيرة ـ والكلام ما زال على لسان الباحثة ـ أنه سمى «بالخضر» لأن المكان الذى يحل به يتحول إلى«الاخضرار» وأنه لم يمت إلى الآن لأنه قد شرب من«عين الحياة» التى منحته الحياة الأبدية ـ وأنه يحل بالمكان عندما يذكر فيه اسمه ـ لذا يجب أن نقرئه السلام.

ومن القدرات المطلقة السحرية للأفعال الجسدية ما يذكره القصص الدينى عن النبى دواود «عليه السلام» الذى كان يصنع الدروع الحديدية ـ وكان الحديد يستحيل بين يديه لينا لدناً مما يسهل عليه مشقة العمل.

وتشير أسطورة «أهل الكهف» إلى تحدى الجسد لقوانين عمله الطبيعية، حيث نام الفتية ومعهم كلبهم ثلثمائة وتسع سنين، ثم استيقظوا من النوم متخطين فى ذلك قوانين عمل الجسد وحاجاته الطبيعية.

أما ما يذكر حول جسد السيد المسيح فهو كثير المصادر والروايات ـ كما تقول الباحثة ـ هذا الجسد قدسته العقيدة الإسلامية أكثر مما فعلته المسيحية « وما قتلوه وما صلبوه» إنما تم ورفع الجسد إلى السماء. . . وفى العهد الجديد يذكر أنه بعد ثلاثة أيام ثم كان الرفع إلى السماء. . إنها أسطورة الموت والبعث ثم العروج. وقبل المسيح كان العزيز «عليه السلام» قد نام هو وحماره مائة عام ثم بعثه الله وأراه بعينيه كيف يكسو عظام الحمار لحما. وكيف يعاد الخلق. وتنتقل الباحثة بعد ذلك إلى النبى محمد «عليه الصلاة والسلام» وتقول: أن جسده أيضاً قد أحيط بكثير من القدرات المطلقة أسوة بمن سبقه من الأنبياء. ففى طفولته كانت حادثة شق الصدر التى انتزع فيها جبريل قلبه من صدره وأخرج منه مضغة سوداء علامة على الحقد والكراهية ثم أعاد القلب إلى موضعه بعد أن تحرر من الضغينة والكراهية للناس.

أما حادثة الإسراء من مكة إلى المسجد الاقصى ثم العروج إلى السماوات السبع فيما يعرف بحادثة الإسراء والمعراج، فإنها أعطت للجسد قدرات مطلقة تخطى بها حدود الزمان والمكان.

وتنتهى الباحثة من رؤيتها فتقول: هكذا يطلعنا الفكر الدينى على القدرات المطلقة السحرية للفعل الجسدى والتى استطاع بها هؤلاء الأنبياء الأبطال أن يتخطوا حدود المكان والزمان والاستحالة من كيف إلى كيف ـ والقدرة على الغياب والحضور ـ وبعث الجسد وتحولاته . . وأيضاً التأثير على الأجسام المادية والبشرية وتغير كيفها أو

تعديله «المعجزات».

وأخيراً تقول الباحثة: أن تلك الوقائع التاريخية الدينية يمكن أن تعاد قراءتها فى ضوء تطور الفكر الإنسانى من الخرافة والأسطورة إلى العقلانية التجريبية ـ فتلك الوقائع تعكس طبيعة التفكير الأسطورى المتخيل الذى انبثقت منه تخيلات الغياب والحضور ـ واللانصهار وإعادة البناء ـ أو الفناء والبعث... وهى كلها تعطى للجسد قدرات مطلقة سحرية للفعل والتى تم استدماجها فى ثقافة الفرد لتلعب دورها فى مقدرات فكره.. وحياته وجسده منذ آلاف[1] السنين وإلى الآن.

فالباحثة أوضحت أن جميع معجزات الأنبياء من خروج سيدنا إبراهيم عليه السلام من النار سليماً.. والإسراء والمعراج بسيدنا محمد ﷺ .. وشفاء سيدنا أيوب.. وعصا موسى .. وخروج يونس من بطن الحوت، ماهى إلا تخيلات وأساطير اقتنع بها الناس[2].

وبناء على ما سبق: نجد الباحثة تشكك فى معجزات الأنبياء. ويقول(د/ محمد نجيب أحمد الصبوة) مدير مركز البحوث والدراسات النفسية:

أن الباحثة تنظر للأديان السماوية باعتبار أنها تراث فولكلورى يعرقل مشروع أو حلم الحرية الفردية (الوهمى) وأنها تنويعات من الإسقاطات المتبادلة (السوية والمرضية) إسقاطات الأخر على جسدى .. وإسقاطات التراث التى تحجم أو تطلق من قدرات هذا الجسد[3].

ويضيف الدكتور «محمد نجيب» تعليقاً على ما أتت به الباحثة فى رسالتها وهو كالتالى: يرى أن الباحثة ترى أن كثيراً من العقائد والعبادات والأصول ما هى إلا(قدرات مطلقة سحرية) وذلك عندما تحدثت عن الفناء والبعث، والغيب والحضور، والإسراء والمعراج. وأن هذه القدرات السحرية للجسد مشاعًا للخيال لدى العامة».

وأن الفكر الدينى أطلعنا على هذه القدرات السحرية للملائكة والشياطين، ثم

---

(١) انظر: أخبار الحوادث للسنة الثامنة .الخميس ٠ـ٢ محرم ١٤٢٠هـ ، ٦ مايو ١٩٩٩م عدد (٣٧٠). ص٩.

(٢) انظر: نفس المصدر .ص ٨.

(٣) البناء النفسى للمرضى المصابين بفقدان الشهية العصبى دراسة إكلينيكية. إعداد الباحثة: آمال كمال محمد ص ٣٥٩، ٣٦٠. رسالة دكتوراه (مخطوطة) جامعة عين شمس سنة ١٩٩٨م

الأنبياء، والأولياء، والقديسين، والأبطال الشعبيين(١).

كما ترى الباحثة أن هذيان مرضى الفصام وهلاوسهم واعتقاداتهم الخاطئة ماهى إلا هذه القدرات السحرية المطلقة التى يصدرها الجسد، وأنها «كانت يوما سياقاً فكرياً وعقائدياً لامناص من الإيمان به»(٢).

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل قامت الباحثة بتأويل كثير من الآيات التى وردت فى سفر التكوين، والإصحاح الثانى تأويلاً موغلاً فى الخطأ والخطيئة معاً فترى أن بعض الآيات «ربطت بين المعرفة والموت.. فالفعل الجنسى ذوبان وموت فى جسد الآخر»(٣).

وقد وجه عدة أسئلة إلى الباحثة وهى: هل الموت فيه حياة؟ وإذا لم يكن فيه حياة فكيف يكون الفعل الجنسى موت فى جسد الآخر؟ وما علاقة هذا بموضوع فقدان الشهية العصبى؟ وهل مثل هذا الفكر ينتج علماً؟

وبالطريقة نفسها استمرت الباحثة فى تأويل آيات أخرى من العهد الجديد (الكتاب المقدس) لدى المسيحيين(٤) حيث ذهبت إلى تقديس القضيب الذكرى وتقديس الرحم والثدى. ولم تقف الباحثة عند حدوث خطيئة التأويل الفاسد الذى يلوث العقول - بل تخطته إلى المساس وإهانة الأديان والعقائد الدينية السماوية وليس الأرضية.

وبالأسلوب نفسه ترى الباحثة أن معجزة يونس «عليه السلام» وأيوب والخضر وداود وأهل الكهف والمسيح ما هى إلا أساطير الأولين، كما أهانت الباحثة معجزات سيدنا محمد ﷺ كشق الصدر ومعجزة الإسراء والمعراج. وترى أنها جميعاً مجرد أساطير ووقائع تاريخية دينية يمكن أن تعاد قراءتها فى ضوء تطور الفكر الإنسانى من الخرافة والأسطورة إلى العقلانية التجريبية. وترى أن هذه الوقائع الدينية «يمكن استدماجها فى ثقافة الفرد لتلعب دورها فى مقدرات فكره وحياته وجسده(فى السواء والمرض) منذ آلاف السنين وإلى الآن»(٥).

فما ذهبت إليه الباحثة هو نفس ما قرره «فرويد» من قبل. فقد رد الدين إلى

---

(١) انظر: نفس المصدر .ص ٣٦٠.

(٢) انظر: نفس المصدر.

(٣) انظر: نفس المصدر .ص ٣٦١.

(٤) انظر : المرجع السابق .ص ٣٦١.

(٥) انظر: المرجع السابق .ص ٣٦٨، وأخبار الحوادث عدد (٣٧٤)١٨ صفر سنة ١٤٢٠هـ. ص٩.

الأساطير، واعتبر إجاباته وهمية، واعتبره مرض يعتمد على الخيالات مثل الذى توجد فى خيال المريض النفسى[1]. وهذا هو نفس ما تقرره الباحثة فى رسالتها السابقة.

وبناء على ما سبق: نجد أن الدراسات المتعددة لأساتذة علم النفس فى مصر وخاصة علم النفس فى كلية الآداب جامعة عين شمس والتى تدور حول التحليل النفسى تبين لنا مدى تأثرها بالتحليل النفسى. كما اتضح هذا بصورة أكبر فى رسالة الدكتوراة للباحثة «آمال كمال محمد».

●●●●●

(١) انظر: الدين عند فرويد فى هذا البحث.

## [٢] التحليل النفسى والتربية فى مصر

يقول د/ القوصى: أن طريقة التحليل النفسى هى التى تصل بنا إلى التعمق والوصول إلى هذه العوامل البعيدة المنال. وهى طريقة طويلة تحتاج إلى مران كثير وتحتاج إلى صبر وفن خاص لا يعرفه الكثيرون. وتتلخص الطريقة فى استخراج أسباب المرض من الحالة اللاشعورية إلى الحالة الشعورية، لأن الأمور المكبوتة تكون مفصولة عن النفس الشعورية. والغاية من التحليل هو تحويلها إلى الحالة الشعورية بحيث تتكامل مع الذات الشعورية، وتندمج فيها، وتصبح تحت سيطرتها. فالتحليل يرمى إلى التكامل، والتكامل هو عنوان الصحة النفسية. وأما الفصل والانقسام والكبت فإنها تدل على المرض النفسى.

وبالرغم من سهولة عرض طريقة التحليل النفسى، فإن القيام بها أمر فى غاية الصعوبة ولا يمكن المدرس أو الطبيب أن يمارسها إلا بعد دراسة طويلة ومران خاص[١].

ثم يقول: والمدرس الذى يتفهم طبيعة الحياة العقلية اللاشعورية يكون أكثر مقدرة على توجيه التلاميذ، ويكون فى العادة أكثر عطفاً عليهم من غيره، إذ أنه يدرك القوى الباطنية التى تؤثر فى تصرفات الأطفال بالرغم منهم. فالطفل الذى يندفع لمعاكسة زميله، أو للخروج على النظام، أو للهروب من المدرسة، قد يكون فى هذا كله متأثراً بعوامل لا شعورية ليس فى وسعه أن يتحكم فيها. ونجد أن المدرس الذى يفهم هذه الناحية يدرك ما بهذه القوى من شدة وعنف وحتمية، فلا يعود ينظر للطفل الذى يسرق أو يكذب أو يتمرد على أنه طفل مجرم، وإنما ينظر إليه على أنه ضحية قوى داخلية، وضحية البيئة ومعاملة ذوى السلطة. ومتى أدرك المعلم هذه القوى والعوامل، أمكنه أن يقطع شوطاً كبيراً فى الأخذ بيد الطفل فى طريق الإصلاح. فالحالات التى يمكنه معالجتها عن طريق التوجيه أو تغيير نوع العمل، يمكنه أن يسدى إليها فائدة عظيمة. أما الحالات التى تستحق علاجاً خاصاً، فإنه يمكنه أن يكشف عنها ويوجهها للعيادات السيكولوجية التى تقوم بالمعالجة[٢].

فالمدرس الذى يعتنى بهذا اللاشعور - كما يقول أمين مرسى قنديل - ويعرف شيئاً كثيراً عند وظائفه وأعماله، يستطيع أن يستفيد منه فائدة كبرى فى تعديل سلوك

---

(١) انظر: علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية. د/ عبد العزيز القوصى. ص ٣٥٧.
(٢) انظر: انفس المصدر. ص ٢٥٩.

الأطفال «وإعلاء» غرائزهم، والتوفيق بين رغباتهم وأمانيهم وبين ما يتطلبه المجتمع، توفيقاً يكون من ورائه مصلحة الاثنين. أى أن المدرس يجب أن يحاول أن يجعل جزءاً كبيراً من أعمال المرء العادية أعمالاً لا شعورية وذلك بعد أن ينظمها ويهذبها وينقيها من كل وضيع فيها بقدر الإمكان . حتى إنه ليفهم من أقوال بعض الكتاب والباحثين أن مسألة التربية كلها تكاد تكون مقصورة على تحويل الأعمال الشعورية إلى لا شعورية. ويقصد بذلك بث العادات الطيبة والصفات السامية فى نفوس النشىء.

وأخذهم بها حتى تصبح طبيعة ثابتة فيهم، يخضعون لها فى أعمالهم ومعاملتهم من غير تفكير أو تردد، أو شعور أيضاً. بل يتبعونها فى الصغير وفى الكبير فى الأمور، لأنهم لا يستطيعون اتباع سواها. فالتدريس يجب أن يكون بطرق منظمة تسير وعقل التلاميذ حتى يستطيعوا أن يمثلوا كل ما يعطى لهم من مختلف المعلومات ويهضموه حتى يصبح جزءاً من نسيجهم العقلى يؤثر فى تفكيرهم وفى سلوكهم ويدفعهم إلى اتباع ما امتلأت به نفوسهم من المثل العليا اتباعاً لا مندوحة لهم منه.

ومع ذلك، فإن عمل المدرس يجب أن يكون موجهاً إلى الشعور نفسه يحصره فى موضوع دروسه، ويرقى بعقول التلاميذ خطوة خطوة، معوّداً إياهم الشجاعة فى الرأى، ومدرباً لإرادتهم، مربياً لهم حتى يستطيعوا ملاقاة الصعوبات وجهاً لوجه ومحاولة التغلب عليها وإزالتها[1].

هذا ويقول د/ «القوصى»: لقد بدأ المدرسون على ضوء التحليل النفسى أن يفهموا ضرر الكبت والصد والأساليب الاستبدادية، فنجدهم يعطون التلاميذ فرصاً كافية للنشاط الذاتى، ويخلقون مجالات تظهر فيها الحرية التلقائية، وبدأ يحل التفاهم والأخذ والعطاء والمناقشة محل الأمر والنهى والنظام الاستبدادى [2].

ويهتم المدرس الحديث بدرس ما يصدر عن الطفل من غير قصد؛ ذلك لأن هذا النوع من السلوك يعبر تعبيراً صادقاً عن الحياة العقلية بوجه عام، واللاشعورية بوجه خاص. لهذا كان للرسوم الحرة والكتابات الحرة قيمة تشخيصية كبيرة. ويذهب بعض

---

(١) انظر: أصول علم النفس وأثره فى التربية والتعليم . أمين مرسى قنديل. ص ٦١، ٦٢.
(٢) انظر: علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية. د/ عبدالعزيز القوصى. ص٣٥٩.

المدرسين إلى أبعد من هذا فيجمعون رسوم التلميذ وكتاباته، ويجدون شبهاً كبيراً فى ميدانى التعبير المختلفين.

وتهتم بعض المدارس بتشجيع التلاميذ على إقامة الحفلات، التى يجد فيها التلاميذ متنفساً لكثير من نزعاتهم التى لا يسمح لها جو المدرسة العادى بالتعبير فيقلدون مدرسيهم وينتقدون الجو المدرسى فى دعابات لطيفة.

كذلك يجد المدرس فى هذه الدراسة فرصة لفهم نفسه. فكثير من مشكلات المدرس فى داخل المدرسة يكون فيها انعكاس لمشكلاته الخاصة. فقد تنعكس مشكلاته مع زوجته وأولاده على علاقته مع تلاميذه عن طريق ما سميناه بالتحويل. كذلك التلميذ قد يعكس فى جو المدرسة مشكلات تنشأ عن علاقاته فى المنزل. فالتلميذ الذى يكره والده ولا يمكنه أن يعبر عن ذلك قد يجد متنفسًا فى المدرسة عندما يثور على النظام أو يضايق المدرس بمختلف الأساليب المعروفة.

ويمكن المدرس أن يفكر فى أثر الثواب والعقاب، وفى أثر المدح والذم، وفى أثر إشعال المنافسة، وفى أثر الرسوب والامتحانات على الحياة العقلية للتلميذ.

ويبالغ بعض المدرسين أحياناً فى عقاب التلميذ وإذلاله والحط منه أمام زملائه، فهم يلصقون بالتلميذ لافتة يكتب علها كلمة «بليد» مثلا، وبعضهم يطلب من التلاميذ صفع واحد من زملائهم إلى غير ذلك من الأساليب التى تبغض التلميذ فى المدرسة بالرغم من اضطراره إلى البقاء فيها. كذلك يمكن لواضعى المناهج أن يفكروا فى أثر جفاف هذه المناهج، وعدم اتصالها بميول التلاميذ، وفى ازدحامها بالمادة العلمية، وفى تدريسها تدريساً تلقينيا. كل هذا من شأنه أن يقسم حياة الطفل العقلية قسمين: أحدهما يميل لدراسة هذه المناهج حتى يكون مقبولاً لدى المجتمع، والآخر ينفر من دراستها لأنها لا تتفق مع النزعات الطبيعية. وإلى جانب عيوب المناهج توجد عيوب فى مبانى المدارس فيجب أن يكون فى المدرسة ملاعب واسعة مجهزة بمختلف الأدوات ويجب أن تكون فيها المعامل والورش وغرف الاجتماعات، ما يتيح الفرصة لنشاط ذاتى شيق يتصل بالميول والدوافع[1].

وعلى المدرسين ـ كما يرى القوصى ـ أن يتخذوا الحيطة عن درسهم لسلوك الأطفال. فالمدرس عرضة لأن يفسر تصرفات التلاميذ بحالات نفسية شبيهة بحالته.

---

(١) انظر: المرجع السابق .ص ٣٦٠، ٣٦١.

ويلحظ التلاميذ أن بعض المدرسين أكثر حساسية من غيرهم. فيحدث أحياناً أن يتندر تمميذ على قصيرى القامة، فيهيج المدرس وينذر التلميذ بعقاب أشد مما يستحق لأن المدرس نفسه قصير القامة. ولعل التلميذ لم يكن يقصد المدرس إطلاقاً، ولكن حساسية المدرس فى هذا الاتجاه انعكست على الموقف وكانت لها هذه النتائج.

ويفيد المدرس من دراسته لسيكولوجية اللاشعور فى تقسيم تلاميذه. فهذا أميل إلى الانبساط وذاك أميل إلى الانطواء. ويصل المدرس من هذا إلى وضوح فهمه لتلاميذه، فيصبح أقدر على إعطاء كل ما يلائمه من ناحية، وما يكمل نقصه من ناحية أخرى. فالمنبسط يحتاج إلى أن يتعود شيئاً من عمق التفكير، والمنطوى يحتاج إلى التشجيع حتى يتصل بالناس وبالأشياء اتصالاً واقعياً[1].

وعلى ذلك - كما يقول «أمين مرسى قنديل» - أن المدرس واجب عليه أن يعرف الكثيرمن الحقائق عن اللاشعور وعن التحليل النفسانى وطرقه ونظرياته، ولكن يحسن به ألا يمارسه ويحاول تطبيق معلوماته بأن يحلل نفوس تلاميذه بنفسه، فالتحليل النفسانى الدقيق الكامل ليس بالأمر السهل الذى يستطيع كل مدرس عادى أن يقوم به بنجاح من غير أن يلحق التلاميذ والتدريس ضرر غير قليل. فهو يقتضى دراسة طويلة ورياضة ومرانة لا يتسنى للمدرس العادى الحصول عليها. هذا، وأن عمل المدرس المعتاد لا يستلزم«التحليل» الدقيق، فليس كل طفل مريضاً بأعصابه، ولا هو بالشاذ عن إخوانه شذوذاً كبيراً. كما أن المدرس ليس طبيباً، ولا هو بالأخصائى فى علم أمراض النفس. ومع ذلك، فمن واجب المدرس أن يدرس كل تلميذ من تلاميذه، ويفهم طبيعة نفسه ومزاجه حتى يحسن القيام على تربيته وتأديبه. وحتى يتسنى له فهم طبيعة التلميذ وإدراك العوامل المختلفة المؤثرة فى سلوكه، ومعرفة اتجاه ميوله وآماله، ومعرفة أخلاقة معرفة صحيحة، يجب أن يكون المدرس على علم بسيكولوجية اللاشعور وما يتعلق به من «التحليل» النفسانى والأحلام والاستهواء، حتى يستطيع أن يعرف كيف يقوم أخلاق تلاميذه ويعدل سلوكهم المعوج.

فمعرفة المدرس باللاشعور، وبالتحليل النفسانى تجعله على بصيرة مما يعمل وتقفه موقف المربى الحازم الفاهم لعمله. فلا شك أنه يوجد فرق شاسع بين عمل المدرس الفاهم طبيعة تلاميذه وبين عمل أخيه الجاهل ببواعث التلاميذ وغرائزهم.

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص ٣٦١.

فالفرق بين عمل الاثنين كالفرق بين العلم والجهل. وكم جر جهل المدرس وسوء تصرفه من أضرار وشرور وأمراض عصبية على تلاميذ كثيرين أسقمتهم وأتلفت حياتهم، وكل ذلك من جراء الجهل بتفسير سلوك التلاميذ وتأويله [1].

وخلاصة ما يراه «أمين مرسى قنديل» فى الفائدة التى تعود على المدرس من دراسة اللاشعور ما يلى:

١- تعرفه أن كل طفل يخالف الآخر مخالفة غير قليلة. فلكل منهم شخصية يجب أن يكون لها حظ من احترام المدرس.

٢ - تعرفه ما يجوز أن ينتظره من سلوك التلاميذ وأعمالهم فى الظروف المختلفة.

٣ - وبذلك يستطيع أن يفسر سلوكهم وردود فعلهم على مايقع عليهم من المنبهات والمؤثرات المختلفة.

٤ - تعرفه ما يجب أن يكون موقفه نحوهم فى الظروف الكثيرة التى تقتضى منه حزماً وحسن تصرف وتوضح له حدود عمله، فتقيه شر الوقوع فى أخطاء كثيرة فى معاملة التلاميذ قد تكون سبباً فى سقمهم العقلى أو الجسمانى.

٥ - تمكنه من تمييز المصابين بعاهات عقلية والشاذين فى سلوكهم، فيرسلهم إلى الطبيب الأخصائى، أن كان ثمة طبيب، أو على الأقل يخطر المدرسة وأولياء أمورهم بما يرى.

٦ - تعرفه أن غرائز الطفولة يجب أن يطلق لها شىء من الحرية فى اللعب حتى لا تكتم فى النفس وتترك وراءها أثراً غير حميد. كما أنها تعرفه أن كثيراً من الغرائز الضارة وغير الاجتماعية يجب أن تعطى مجالاً تبدو فيه بشكل يكون فيه مصلحة للفرد والمجتمع وذلك بنقلها إلى مستوى اجتماعى عال، أى بإعلائها.

٧ - أن معرفة الإنسان بنفسه من أصعب الأمور، أوهى تكاد تكون مستحيلة.

٨ - مما تقدم تظهر ضرورة زيادة العناية بإحكام العلاقة التى بين البيت والمدرسة حتى يشتركا معاً اشتراكاً تاماً فى فهم الطفل، ويعرفا طرق معاملته وعلاج شذوذه. إن كان بأخلاقه وتفكيره شذوذ ما [2].

---

(١) انظر: أصول علم النفس وأثره فى التربية والتعليم. أمين مرسى قنديل. ص٦٢، ٦٣.
(٢) انظر: المرجع السابق. ص٦٣، ٦٤.

وبناء على ما سبق: نجد أن التحليل النفسى قد أثر على المربين لدرجة أنهم يدافعون عنه، وهذا واضح فى قول الأستاذ «وديع الضبع»:

لقد أحدثت بحوث «فرويد» تغييرات كثيرة فى طرق التربية والتعليم، وفى علاقة المدرس بتلميذه، وفى تنشئة الأطفال. فكل هذه الأمور وغيرها يمكن إرجاع أصولها إلى تأثير «فرويد» فى حثه على وجوب فهم صعوبات الأطفال خلال سنى نموهم على نحو يقوم على العطف والتقدير [1]. كما أدى هذا التأثير إلى أن وضع المربون مناهجهم على أساس أن يتركوا الأطفال دون توجيه أو ضرب تحت زعم «فرويد» بأن معارضة رغبات الطفل تؤثر فى تصرفاته فى الكبر. وقد روج لهذه النظرية علماء التربية من أتباع (ديوى) وخاصة فى بلادنا العربية والإسلامية.

ومن أخطر آثار التحليل النفسى تقطيع العلاقات وانقطاع الأرحام حيث ساءت العلاقة بين الآباء والأبناء .

وإذا كان «فرويد» يقيم العلاقة بينهما على أساس من الكراهية والتنافس والتنازع على موضوع واحد، فأى احترام يدخره الطفل لأبيه حين يكبر وهو الذى يخبىء فى (لا شعوره) كل مشاعر الكراهية والحقد على أبيه لأنه يسلب منه أمه ويستأثر بها لنفسه.

وهذا التصوير كاف فى فقدان الأب لاحترامه، وضعف سيطرته على الأسرة وفقدانه للبر به من أولاده، بل ولكل حقوقه لدى الأبناء. كما أدى ذلك التصوير الحيوانى إلى أن يفقد الأطفال قدوتهم، فبدلاً من أن يكون الأب هو القدوة والمثل الأعلى لأبنائه، يصبح فى نظرهم نموذجاً سيئاً. وهذا ما يؤدى إلى الاضطرابات النفسية عند الأطفال، وبذلك تؤدى نظرية فرويد إلى نقيض ما بشرت به [2].

●●●●●

---

(١) انظر مجلة التربية الحديثة. العدد الثانى. ديسمبر ١٩٥٦. ص١١٩.

(٢) انظر: نظرية التحليل النفسى عند فرويد فى ميزان الإسلام . د/ سعد الدين السيد صالح. ص١٠٩، ١١٠.

## [٣] التحليل النفسى والأدب العربى

لقد كان لآراء التحليل النفسى عند« فرويد» أثر كبير على الأدب العربى، فنجد الكاتب المغربى «محمد شكرى» قد تأثر بهذه الآراء، وخاصة فى روايته «الخبز الحافى» وهذه الرواية هى سير ذاتية للمؤلف، وهى مليئة بقطع ،ونصوص جنسية مشينة. وقررتها الدكتورة «سامية محرز» وهى أستاذة الأدب فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة كنموذج للأدب العربى الحديث على الطلاب.

ومضمون هذه الرواية هو وصف للعملية الجنسية ولأعضاء الرجل والمرأة وغيرها من الأمور الشاذة. وهذا شىء مقزز للنفس.

وقد كتب الدكتور «عبد القادر النط» حول هذه الرواية مقالاً بعنوان «الخبز الحافى بين حرية الفن وقبح التسجيل» يرى فيه: أنها تجربة واقعية تصور قبح الواقع على نحو مباشر يثير الغثيان، وهى تشبع رغبة عند صاحبها. لقد كان الفتى شديد الفقر لكنه لم يكن جائعاً كل الوقت، وكان يسد رمقه بطريقة أو بأخرى، وينفق ما يكسب من مال قليل فى الخمر والمخدر والبغاء. لكن الكاتب - إمعاناً فى تصوير قسوة الجوع - يروى عن لحظة استبد فيها الجوع بالفتى - وكان صياداً قد رمى إليه جزءا من فطيرة لكى يلتقطها من الماء - على هذا النحو.

« رمى الفطيرة إلى الماء. انبجس طعم الماء لذيذاً فى فمى، أحسست بلذة تنعش جسدى الرخو، نزعت قميصى وسروالى وقفزت إلى الماء، قطع أخرى من الخراء والخبز تطفو أمامى. اختلط فى ذهنى الخبز بالخراء، تسرب الماء القذر إلى حلقى!»[١].

ثم يقول د/ «عبد القادر القط» وفى الجزء الثانى لها، يبقى صاحبها مشغولاً بالجنس على نحو أيسر وأقل صراحة، ولا يتحدث إلا قليلا عن تكوينه وعما قرأ وعما حاول أن يكتب، ويحاول أن «يفلسف» احتفاله الزائد بالجنس فيراه حيناً منقذاً من الحب وحيناً عشقاً طبيعياً للجسد.

«انتهى فى طنجة «زمن الدعارة الجميل» !! المواخير خاضعة للرقابة الطبية منذ

(١) انظر: جريدة الأهرام. يوم الاثنين ٢٢ صفر سنة ١٤٢٠ هـ - ٦/٧/١٩٩٩. عدد (٤١٠٩٠)ص٢٤.

سنوات . دور سرية وفنادق حقيرة حلت محلها لتمارس فيها المحترفات الهرمات مهنتهن مع الوافدين من البادية بحثاً عن عمل، لابخس الاثمان!..»[1].

وهذه الرواية رغم ما فيها نجد المدهش أن أستاذة الأدب العربى بالجامعة الأمريكية اختارت أن تقدم روايتها للطلاب الجدد الذى لا يزيد عمر بعضهم على ١٧ عاماً فى فصل دراسى يجمع بين الفتيات والشباب.

ورفضت رأى بعضهم وأصرت على أن يقرأوا أشياء يعاقب عليها القانون كما أصرت الأستاذة على أن يقوم بعض الطلبة والطالبات بالتعليق على ما جاء فى الرواية ومناقشتها. تخيلوا معى فتاة عمرها ١٨ عاما، تقف أمام زملاء من الشباب، لتعلق على سير ذاتية لمؤلف يصف كيف كان والده يمارس الجنس مع أمه ويصف مغامراته الشاذة !! [2].

وعلى هذا فما يحدث من مثل هذا الأمر فى داخل الجامعة الأمريكية بالقاهرة هو هدم لمبادىء المجتمع وقيمه وتقاليده. وهذا ما أصاب الآباء بالفجيعة لما يحدث فى الجامعة التى رفضت أن تتدخل عندما تقدموا بشكوى على أساس أن كل أستاذ حر فى مادته التى يدرسها بالطريقة التى تعجبه. هل هذا ما تريده الجامعة الأمريكية، أو هل هذا ماتسعى إليه الأستاذة وتقول إنه «حرية» لمجرد أن علاقتها قوية بالحركة الثقافية الفرنسية [3]؟

* وقد تعرض هذا الموضوع للمناقشة داخل الجامعة الأمريكية وجاء رد الجامعة عن طريق دكتور «محمود ربيعى» رئيس قسم اللغة العربية ليدافع.. ويعتذر عن تدريس الكتاب ويؤكد أن ذلك لن يحدث مرة أخرى. ثم تدخل د.«مفيد شهاب» وزير التعليم العالى لينهى هذه الأزمة ويوكد أن الجامعة الأمريكية ستراعى تقاليد المجتمع ولن يتكرر ما حدث. ثم انتقدت الصحافة العربية، صحف تكتب دفاعاً عن الدكتورة «سامية محرز» وكيف أن لها الحق فى تدريس ما تشاء وأنه لا يجب الحجر على فكرها و.. و.. عملية «بكاء» متواصلة وكأن المجتمع المصرى يحد الحرية الفكرية لكاتب داعر سافل.

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص٢٤.

(٢) انظر: جريدة الوفد .يوم الخميس ١٩ رمضان سنة ١٤١٩ هـ، ١٩٩٩/١/٧ عدد (٧٧٦) ص١٦.

(٣) انظر: نفس المصدر ص١٦.

والذى أفجعنى أكثر هو ما بدأت تلك الأستاذة فى ترديده فى أروقة الجامعة من الرسائل التى تلقتها للتأييد من جامعات أمريكية وأساتذة من خارج مصر. ومعنى ذلك: أنها بدأت حملة تشويه مباشرة لسمعة مصر فى الخارج. وبدأت المنشورات حول قتل حرية الفكر تظهر فى جامعات أمريكية تهاجم كل من يعترض على تدريس هذا الكتاب البذىء القذر.

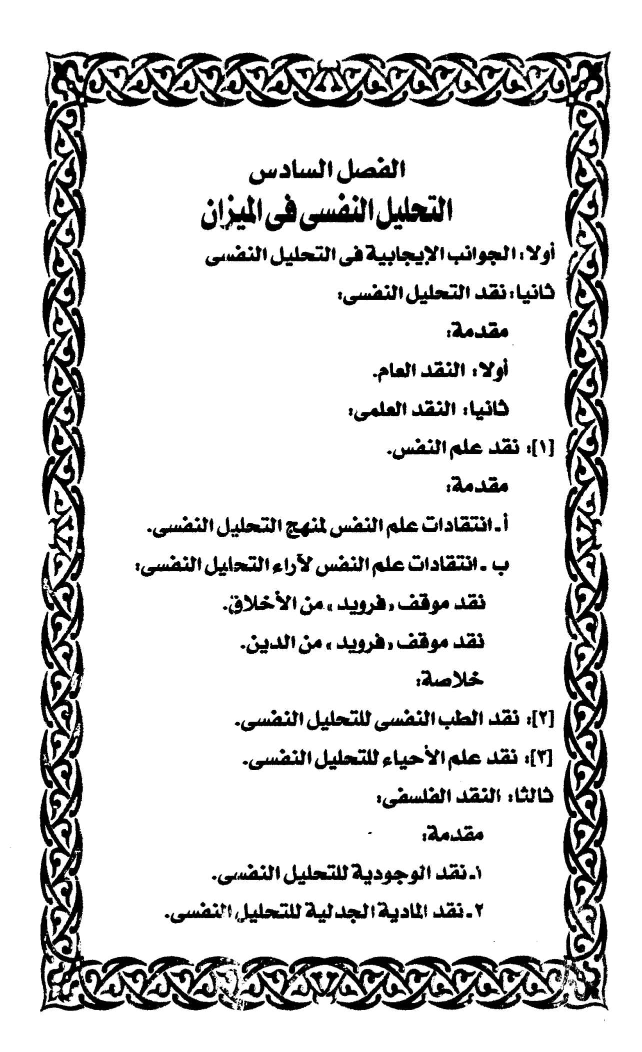
فهل دبرت الجامعة الأمريكية هذه الحملة؟ ولو كانوا يتباكون على الفكر والأدب، والمجتمع المصرى ليس بحاجة إلى «البكاء» الذى بدأت الجامعة الأمريكية ممارسته على حائط الحرية والفكر والاستنارة. وهكذا ترى أن هناك خطأ للهجوم الخارجى على مصر، وذلك أن البعض يطالب بمنع كتاب اعتذرت الجامعة أساساً عن تدريسه [1].

فهل تريد الجامعة الأمريكية بالقاهرة مباشرة قضايا فكرية واجتماعية ضارية للتشويه بسمعة مصر؟ أم أن هناك أيدى خفية خبيثة يحركون أستاذة الأدب العربى ليشوهون أيضاً سمعة مصر.

●●●●●

(١) انظر: المرجع السابق. ص١٦.





## الفصل السادس

# التحليل النفسى فى الميزان

أولا: الجوانب الإيجابية فى التحليل النفسى

ثانيا: نقد التحليل النفسى:

مقدمة:

أولا: النقد العام.

ثانيا: النقد العلمى:

[١]: نقد علم النفس.

مقدمة:

أ- انتقادات علم النفس لمنهج التحليل النفسى.

ب - انتقادات علم النفس لآراء التحليل النفسى:

نقد موقف «فرويد» من الأخلاق.

نقد موقف «فرويد» من الدين.

خلاصة:

[٢]: نقد الطب النفسى للتحليل النفسى.

[٣]: نقد علم الأحياء للتحليل النفسى.

ثالثا: النقد الفلسفى:

مقدمة:

١- نقد الوجودية للتحليل النفسى.

٢- نقد المادية الجدلية للتحليل النفسى.

## أولاً: الجوانب الإيجابية فى التحليل النفسى

يذهب أصحاب التحليل النفسى إلى وجود العديد من الجوانب الإيجابية له وتتمثل أهمها فيما يلى:

[١] كشفه لعالم «اللاشعور» وكيف أن هذا اللاشعور يساهم فى شخصيتنا. وثم بين كيفية الوصول إليه [١].

[٢] أن مبدأ «التداعى الحر» والذى يقوم على العلاقة الحرة بين المحلل النفسى والمريض الذى يضطجع على أريكة مريحة، تاركاً أفكاره تجول فيما يرغب فيه متحدثاً عن كل ما لديه من أشياء ومشاعر هامة كانت أم تافهة، جدية أو مخجلة أو مثيرة للحياء. فإن هذه العلاقة تقوم على ما يلى:

(أ) تفريغ المريض من شحناته الانفعالية، وشعوره بالتنفيس لوجود من يشاركه الإصغاء لمشاكله.

(ب) خلق الثقة والمعرفة لديه، وذلك بأن يرى الفرد ذاته من الداخل وتحليله بنفسه لكلماته ومشكلته. وهذا يكسب المريض نظرة جديدة لنفسه.

(جـ) إخراج الصراعات الراسبة فى اللاشعور إلى سطح الشعور؛ كعملية إخراج السمك من أعماق البحر لتطفو على سطح الماء.

ومع حالة (الاسترخاء) يتأمل المريض نفسه ويشعر وكأنه فى (حلم). وهنا ينخفض ضغط الشعور والإدراك «الأنا» إلى الحد الأدنى، وتظهر الفرصة (لصوت اللاشعور) باليقظة الكاملة والاسترسال فى التعبير عن العقد النفسية وجذورها وأسبابها.

[٣] يعمل التحليل النفسى على التخفيف من المقاومة **Theresis tance** التى قد تواجه المحلل حين يتردد المريض فى المصارحة بالمعلومات المرتبطة بحالته. فهناك حالات توقف مفاجىء عن الكلام أثناء المقابلة أو رفض لإجابة بعض الأسئلة أو حالة هروب وعدم تعاون مع المحلل [٢].

[٤] من أهم مميزات التحليل النفسى عند «فرويد» اكتشافه «عقدة أوديب» وذلك

---

(١) انظر: ملامح الفكر الاوربى. د/ صلاح عدس. ص٨٠.

(٢) انظر: قضايا نقدية في علم النفس المعاصر. د/ عطوف محمد يس. ص٦٣، ٦٤.

لأنها تمثل الموقف الذى يواجهه كل طفل كنتيجة حاسمة وتبعية لفترة الطفولة التى يعيشها مع والديه [١].

فاعتبر «فرويد» أن «عقدة أوديب» إنجاز يشبه اختراع الكهرباء والعجلة وقال: «إذا قدر للتحليل النفسى أن يعتز أو يفتخر فقط باكتشافه لـ «عقدة أوديب» فإن هذا وحده يعطيه الحق بأن يعتبر هذا الاكتشاف من أثمن ما حصل عليه الجنس البشرى).

ويقرر بأن «عقدة أوديب» هى لب العصاب أو جوهره. ويحدد أن الاعتراف بعقدة أوديب هو المبدأ الأساسى الذى يميز أتباع التحليل النفسى عن خصومه [٢].

{٥} لقد أحدث التحليل النفسى لـ «فرويد» تغييرات أساسية فى دراسة الشخصية والأمراض العقلية وذلك كما يلى:

(أ) أحدث وجود عمليات عقلية وجعل التفكير فيها بمنطق العلوم الطبيعية وهذا ما لم يكن يحدث إلا بعد اكتشاف «فرويد» للعقل الباطن وكيفية الوصول إليه..

(ب) اكتشف سيكولوجية الطفولة حيث كان علم النفس قبل «فرويد» يعتبر المريض وكأنه «رجلاً» لم يكن طفلاً فى يوم ما.

(جـ) فهمه الوراثى للغريزة الجنسية وكيف أن لها طفولة وأن للأطفال حياة جنسية[٣].

●●●●●

---

(١) ففى حوالى السنة الخامسة من العمر يصبح الطفل عاشقاً لأمه. يحب أن يمتلكها جسدياً بطرق يستوحيها من ملاحظاته وتخميناته البدائية للحياة الجنسية. ويتولد عند الطفل شعور بالكراهية لأبيه لكونه يصبح منافساً له فى أمه. ونتيجة هذا الشعور تنشأ عند الطفل عقدة أخرى هى « عقدة الإخصاء» التى تعنى خوف الطفل من أبيه بأن يقطع عضوه الذكرى إذا ما تمادى ـ الطفل ـ فى ميله الجنسى نحو أمه.

فحين يدخل الطفل فى المرحلة الأوديبية، يبدأ فى اللعب بقضيبه ويأخذ فى الوقت نفسه يتخيل، أنه يقوم مع والدته ببعض الأفعال التى يستخدم فيها عضوه الذكرى. ولكنه يصاب بالصدمة نتيجة تهديده بالإخصاء.

ويختلف الموقف مع البنت إذ يحدث العكس، حيث تحب البنت أباها وتغار من أمها لأنها تشاركها فى أبيها، ولأنها ـ البنت ـ لا تملك عضواً ذكرياً فإنها تحمل أمها تبعية ذلك وتتجه نحو أبيها، وهنا تسمى العقدة بـ«عقدة إليكترا». {أنظر: الإنسان ... من هو؟ ..قاسم حسين صالح. ص٦٩}

(٢) انظر: نفس المصدر ص٦٩، ٧٠.

(٣) انظر: ملامح الفكر الأوروبى المعاصر. د/ صلاح عدس. ص٨٠.

## ثانياً: نقد التحليل النفسى

**مقدمة:**

**بعد أن انتهينا فى عرضنا السابق للتحليل النفسى وعناصره أو افتراضاته وأثره.**

نسلط الضوء الآن على ما فى التحليل النفسى من إيجابيات وسلبيات لتتحقق بذلك المعرفة المتوازنة، والخبرة الشاملة، والفائدة المأمولة.

- ففى الجانب الإيجابى له يذكرون «اللاشعور» ومبدأ «التداعى الحر» والتغييرات التى أحدثها فى دراسة الشخصية، والاهتمام بالطفولة المبكرة..

- وفى الناحية السلبية تعرض التحليل النفسى إلى انتقادات عديدة وعنيفة حتى من علماء النفس.

ولقد قسمت هذه الانتقادات إلى ثلاث انتقادات: نقد عام، ونقد علمى ونقد فلسفى.

**وفى النقد العام:** الذى وجه إلى التحليل النفسى عند «فرويد» ذكروا أن عناصره ليست جديدة، وأن «فرويد» قصر دراسته على مجتمع معين وطبقة معينة، وأن افتراضاته وجهة نظر، وأنه يقوم على التعميم، واعتبر الإنسان عدو الحضارة.

**وفى النقد العلمى:** نجد نقداً لعلماء النفس موجهاً إلى منهج التحليل النفسى وافتراضاته. كما وجه علماء الطب النفسى له نقداً فاعتبروه مثالياً، ووصفه علاجاً يعد أمراً مشكوكا فيه. وأيضاً وجه علماء الأحياء نقداً له، لأنه يقول بوراثة الصفات المكتسبة وهم يرفضون هذا المبدأ، كما عارضوا وجهة نظره القائلة بأن معارضة رغبات الطفل فى صغره تؤثر فى تصرفاته إذا كبر.

**وفى النقد الفلسفى:** ذكرت نقد الوجودية والمادية الجدلية للتحليل النفسى.

وأخيراً بعد ذكر أهم الانتقادات، ذكرت أن «فرويد» نفسه لم يكن مقتنعاً بصحة افتراضاته.

●●●●●

## أولاً: النقد العام

نجد النقد العام الذى يوجه إلى «فرويد» يتمثل فيما يلى:

**[١] اعتبار الإنسان عدو الحضارة:**

يذهب «فرويد» إلى أن دوافع الإنسان الغريزية الفظة تتضارب مع أهداف المجتمع. ولذا يعلن «فرويد» أن «كل فرد هو عدو محتمل للحضارة، وإن كان يفترض أن الحضارة موضع اهتمام الجنس البشرى بأسره».

ونتيجة ذلك فالإنسان لا يمكنه أبداً أن يكون سعيداً فى المجتمع، لأن المجتمع يتناقض مع ميوله الفطرية. وعلى ذلك يستنتج «فرويد» أنه «إذا كانت الحضارة تفرض مثل هذه التضحيات الكبيرة لا على نشاط الإنسان الجنسى فحسب، بل على نزعته العدوانية، فنحن نستطيع أن نفهم على وجه أفضل، لماذا يصعب على الإنسان أن يحس بالسعادة فى كنف الحضارة؟ - لأن الحضارة فرضت عليه قيوداً - فالواقع أن الإنسان البدائى كان أحسن حالاً إذ لم يعرف قيوداً فرضت على غرائزه»[١].

**[٢] أن التحليل النفسى يقوم على خطأ التعميم:**

لقد بالغ «فرويد» فى التركيز على غريزة الجنس باعتبارها المصدر الأول للعصاب فى حالة تعرضها للكبت والاضطراب؛ وبأنها مفتاح العلاج فى حالة إشباعها وإروائها. فقد دلت البحوث التجريبية على وجود أفراد يعانون مشكلات نفسية وعقلية، رغم إشباعهم لهذا الدافع وعدم وجود أى اضطراب نابع منه وتظهر مبالغة «فرويد» فى تعليلة لأثر الجنس فى الأمراض النفسية والعقلية فى ربطه «الجنسية: sexuarty» بمراحل تطور النمو عند الطفل وصلاته بوالديه بادئاً من مص الطفل لأصابعه، إلى رضاعه ثدى أمه، إلى الدغدغة، والملاعبة، إلى التبرز، واللعب بأعضائه التناسليه، ثم ظهور «عقدة أوديب» وتضخيم حجمها فى تكوين الشخصية[٢].

كما اتخذ «فرويد» من دراسة نفسه وطفولته قاعدة عامة للبحث وعمد من خلالها إلى استخلاص قوانين عامة [٣].

ويعتبر النقاد هذه المبالغة أدت إلى خطأ هو خطأ التعميم.

---

(١) العلم فى منظوره الجديد. تأليف: أروبرت م. أغروس، جورج ن. ستانسيو. ص٨٢، ٨٣.

(٢) انظر: قضايا نقدية فى علم النفس د/ عطوف محمد يس ص٦٥.

(٣) انظر قضايا العصر فى ضوء الإسلام. أنور الجندى ص١٣٧ سلسلة البحوث الإسلامية أكتوبر سنة ١٩٧١.

{٣} أن التحليل النفسى وجهة نظر:

يوجد كثير من مفاهيم التحليل النفسى لـ «فرويد» كاللاشعور، والهو والأنا الأعلى، غامض، ولا يمكن تحديده بدقة. فهى لا تعدو أن تكون مجرد افتراض، حيث اختلف معه شريكاه فى النظرية «أدلر» و«يونج» لأنهما رفضا إقرار وجهة نظره فى إعلاء الجنس، فانفصلا عنه [1].

ولذا اعتبر النقاد أن معظم آراء «فرويد» هى «وجهات نظر» أكثر من كونها حقائق كمية ونتائج موضوعية علمية. وليس من السهل على أى إنسان أن يشاهد «الهو» أو «اللاشعور» تحت الميكروسكوب. ولقد اعتبر السلوكيون والتجريبيون أننا لا نستطيع تغيير أى نمط من أنماط السلوك ما لم نبدأ بتحديده وقياسه بحيث يكون بمقدورنا تعديله وتطويره [2]. ومما يوكد أن التحليل النفسى عند فرويد وجهة نظر، قوله:

«ولعل بعضهم يسألنى عن مدى اقتناعى بصحة الفروض التى قدمتها. وجوابى على هذا: أننى أنا نفسى غير مقتنع بها. ولا أطلب من الآخرين أنم يؤمنوا بها. وبعبارة أفضل: أننى لا أعرف مدى إيمانى بها» [3].

{٤} أن «فرويد» قصر دراسته على مجتمع معين وطبقة معينة:

لقد وصف أسلوب «فرويد» فى العلاج بأنه «طويل فى مراحله الزمنية»، والتى تغرق فى أحداث الطفولة فى الوقت الذى يعانى فيه الفرد من مشكلات حاضرة وآنية عاجلة، تتطلب علاجاً فورياً وسرعة فى المواجهة فى عصر معقد ازدادت فيه المشكلات حتى أصبحت تلازم الإنسان فى كل يوم. وقد تطول مدة العلاج النفسى من سنة إلى ست سنوات على شكل جلسات أسبوعية ونصف شهرية.

ويرى النقاد بأن الجلسة الواحدة للتحليل النفسى تكلف المريض ما يزيد على الـ ١٠٠ دولاراً فإذا كان على المريض مراجعة الطبيب النفسى فى أربع جلسات شهرية فإن تكاليفه الباهظة ستصل شهرياً إلى ٤٠٠ دولار وسنوياً إلى ٤٨٠٠ دولار، وكيف يمكن للعائلات ذات الدخل المحدود من مواجهة هذه الأعباء الباهظة التكاليف إذا كان بين أفرادها أكثر من مريض واحد ولديها عشرات النفقات والاحتياجات الأساسية الأهم. إن بين النقاد من يرى فى هذا الأسلوب مجرد أسلوب أرستقراطى يصلح للطبقة الثرية فى المجتمع التى لا تزيد نسبتها بين ٥ ـ ١٠ ٪ فى أى مجتمع، ويحرم

---

(١) انظر: نفس المصدر. ص١٣٨.
(٢) انظر: قضايا نقدية في علم النفس. د/ عطوف يس. ص٦٦.
(٣) انظر: الإنسان من .. هو؟ . قاسم حسين صالح. ص٥٨، ٥٩.

الطبقات الفقيرة التى ترزح تحت أعباء الحرمان والمرض والجهل والفقر وتشكل ما يزيد على ثلثى سكان العالم الحاضر، وكيف يتسنى لزنوج أمريكا الفقراء فى أحياء «هارلم» بنيويورك، «وشيكاغو» مجرد التفكير فى مراجعة المحلل النفسى، ومواجهته دون مقدرة على دفع التكاليف الباهظة (١).

## [٥] أن عناصر التحليل النفسى ليست جديدة:

تحدث «فرويد» عن وجود معنى فى أعراض الأمراض النفسية فيقول: « لقد كان "بروير" Breuer أول من كشف عن معنى الأعراض العصابية فى دراسته وعلاجه الناجح لحالة هستيريا أصبحت من الحالات الشهيرة التى يشار إليها منذ ذلك الحين «عام ١٨٨٠ ـ ١٨٨٢». والحق أن «جانيه» Janet قد ظفر بهذا الكشف نفسه مستقلاً عن "بروير"، بل لقد كان لهذا العالم الفرنسى أسبقية النشر، لأن "بروير" لم ينشر ملاحظته إلا بعد أكثر من عشر سنوات «عام ١٨٩٣ ـ ٩٥» يوم كنا نعمل معًا» ولا يعنينا كثيراً أن نعرف إلى من ينتمى هذا الكشف فكل كشف يصنع أكثر من مرة، وليس ثمة كشف صيغ كله دفعة واحدة والنجاح لا يعزى دائما إلى من يستحقه (٢).

ويتحدث «فرويد» عن الرمزية التى يستخدمها الحلم فى التعبير فيقول: «الرمزية ليست وقفاً على الأحلام وحدها، وليست خاصة مقصورة عليها دون غيرها...

فالرمزية فى الأحلام ليست من كشوف التحليل النفسى، ولو أن هذا العلم لم يقصر فى الحق عن الإتيان بكشوف رائعة. فإذا أردنا أن ننسب هذا الكشف إلى صاحبه فى العصر الحديث فإن صاحبه هو الفيلسوف شرنر Scherne. ويرجع «فرويد» اكتشاف اللاشعور إلى الفلاسفة السابقين عليه(٣).

ولقد نبه الفيلسوف الألماني «شوبنهور» من قبل «فرويد» بأكثر من نصف قرن إلى أهمية اللاشعور وسطحية الشعور. ومن آرائه: «أن الشعور هو مجرد السطح بالنسبة لعقولنا، التى لا نعرف ما بداخلها، كالكرة الأرضية لا نعرف منها إلا ماهو على سطحها فقط» (٤).

---

(١) انظر: قضايا نقدية فى علم النفس المعاصر د/ عطوف يس. ص٦٦، ٦٧.

(٢) انظر: علم النفس وقضايا العصر. د/ فرج عبد القادر طه: ص٢٧. ملتزم الطبع والنشر. مكتبة سعيد رأفت. جامعة عين شمس سنة ١٩٧٨.

(٣) انظر: نفس المصدر. ص٢٧، ٢٨.

(٤) انظر: نفس المصدر. ص١٨.

كما كان «اللاشعور» معروفاً عند «شاركو» و«جانيه» والجديد الذى جاء به «فرويد» هو التوكيد الذى أضفاه على اللاشعور لكونه الجانب الرئيسى فى الشخصية، وافتراضه بالإمكانية «المحدودة» للاستكشاف عن طريق الأحلام، فى حين كان «شاركو» يستقصى «اللاشعور» بالتنويم المغناطيسى»[1].

فاكتشاف التحليل النفسى للاشعور، وإعطاؤه أهمية كبيرة فى الحياة النفسية للإنسان يعتبر ضد المنطق. لأن التحليل النفسى لم يكن هو الذى اكتشف اللاشعور، بل هو الذى أقره وأقام الدليل على وجوده وأهميته ودوره الأساسى فى الحياة النفسية، ودافع عن كل ذلك فى جرأة شديدة[2].

ويرجع «فرويد» أول كشف لوجود دوافع جنسية فى الطفولة إلى الدكتور «لندنر». وفى هذا يقول «فرويد»: « سأحدثكم الآن عن أوضح ما يبدو من أوجه النشاط الجنسى عند الطفل.. إن أوجه النشاط الجنسى عند الرضيع تفتح للتأويلات ميداناً لا حد له كما سترون فى غير عناء. ولا شك فى أنها ستكون مثاراً لاعتراضات منكم... إن المظاهر الأولى التى تبدو بها الجنسية عند الرضيع تتصل بوظائف أخرى حيوية هامة.

فالرضيع كما تعرفون ينصب اهتمامه الرئيسى على الرضاعة حتى إذا نال حظاً موفوراً منها، فأخذه النوم على صدر أمه، بدت عليه من أمارات الرضا والارتياح ما سوف تبدوا لديه فيما بعد من حياته حين يقضى لبانته من الإشباع الجنسى على أن هذه الظاهرة لا تكفى أن تكون أساساً تبنى عليه نتيجة. لكن المشاهد المعروف أن الرضيع ينزع دائماً إلى أن يكرر الحركات التى تقترن عادة بعملية الرضيع. لا لأنه فى حاجة إلى التغذية بالفعل، بل لمجرد القيام بهذه الحركات فنقول عنه فى هذه الحالة أنه «يتمصمص». وأنه ليمضى فى فعله هذا حتى يحتويه النوم مرة أخرى هادئاً مغتبطاً، مما يحملنا على أنه يجد فى هذا التمصمص، فى ذاته لذة وسروراً، وسرعان ما ينتهى به الأمر ألا يستطيع النوم دون أن يتمصمص. لقد كان الدكتور لندنر **linduer** طبيب الأطفال ببودابست أول من أكد الطبيعة الجنسية لهذه العملية[3].

---

(١) انظر: الإنسان... من هو؟. قاسم حسين صالح. ص٦٨.
(٢) انظر: علم النفس وقضايا العصر. د/ فرج عبد القادر طه. ص٦٨.
(٣) انظر: انفس المصدر. ص١٩, ٢٠.

وإذا كانت عناصر التحليل النفسى عند «فرويد» أو آرائه ليست جديدة ومع ذلك نالت شهرة كبيرة فى جميع الأوساط، وطبقت فى مختلف الميادين فذلك راجع إلى أن صاحبها يهودى، وهذا يعنى أنها تهدف لأغراض خاصة.

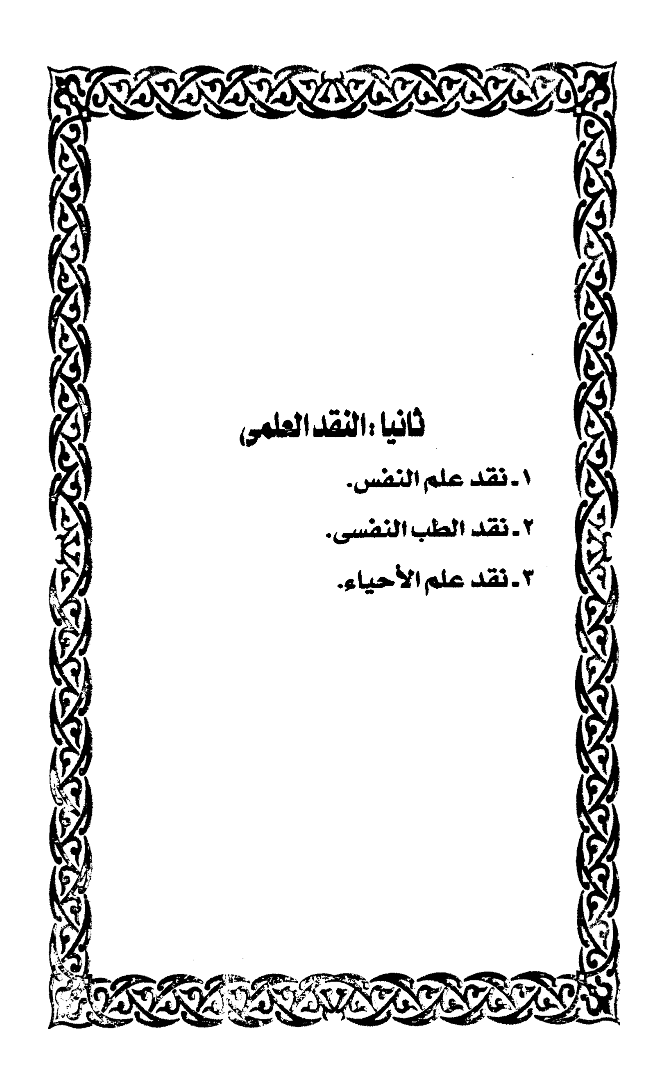
ومع ذلك يدافع د/ «فرج عبد القادر طه» عن التحليل النفسى عند «فرويد» الذى اكتسب صفة العالمية بقوله: لقد كان «فرويد» من التواضع العلمى الذى جعله يرجع الكثير من آرائه الهامة إلى غيره[1].

أن التحليل النفسى مؤسس على ملاحظات تتخذ من الحالات غير السوية أى المرضية نقطة البداية لها [2].

●●●●●

(١) انظر: المرجع السابق .ص:٢٧.

(٢) انظر: الماركسية والتحليل النفسى .د/ اوسبورن .ص:٥١.



## ثانيا: النقد العلمي

١ - نقد علم النفس.

٢ - نقد الطب النفسي.

٣ - نقد علم الأحياء.



## [١] نقد علم النفس

**مقدمة:**

لقد وجه إلى التحليل النفسى عند «فرويد» انتقادات عديدة وعنيفة، حتى أنه يمكن القول بأنه لم تتعرض أى نظرية أخرى فى علم النفس لأوجه النقد مثلما تعرض له التحليل النفسى عند «فرويد».

لكن ما يستحق الانتباه والتعب هو أن علم النفس الحديث يرى أن مفاهيم التحليل النفسى عبارة عن ضياع نظرى، وقصور وغموض لغوى [١].

وقد جاء الهجوم من جوانب عديدة حتى فى حياة «فرويد» نفسه. ففى المراحل الأولى من وضع نظريته خرج عليه تلامذته من أمثال يونج وأدلر وانفصلا عن جمعية التحليل النفسى [٢]. كما نجد محللون نفسيون يوجهون انتقادات لبعض آراء فرويدمن بينهم «اللندى» **Allendy**، «ستيكل» **Stekel** وبودوين **Beaudouin** [٣].

هذا وقد وجه علماء النفس عموماً نقداً منظماً موجهاً إلى التحليل النفسى ويمكن إجمال نقدهم فى نقطتين:

١ ـ نقد موجه إلى المنهج التحليلى فى دراسة النفس.

٢ ـ نقد موجه إلى آراء التحليل النفسى وقضاياه [٤].

●●●●●

---

(١) انظر: التحليل النفسى بين العلم والفلسفة. د/ أحمد فائق. ص:٧.

(٢) انظر: عوامل الانحراف الجنسى. د/ عبد الرحيم صالح عبد الله. ص:٣١.

(٣) انظر: فكر فرويد: إدغاربيش. ص:٩٢.

(٤) انظر: التحليل النفسى بين العلم والفلسفة. د/ أحمد فائق. ص:٧٥.

## أ- : انتقادات علم النفس لمنهج التحليل النفسى

لقد وجه إلى منهج التحليل النفسى انتقادات أهمها تتمثل فيما يلى :

{١} إن قيام المحلل النفسى بالبحث مباشرة بعرض نتائجه للتأثر بأحكامه الذاتية، لأن المحلل هو وسيلة البحث ويعتمد على إمكانياته الإدراكية والعقلية الخاصة فى استقصاء المعرفة، فإن اتجاهاته الذاتية وإمكانياته الشخصية ستكون معياراً ذاتياً يحدد ما يصل إليه من نتائج (١).

{٢} إن الاستخلاصات التى ينتهى إليها المحلل النفسى بعد فحصه للنتائج التى وصل عليها عن طريق أسلوبه الذاتى، تتعرض لعديد من التحريفات. ولعل أخطر تلك التحريفات هو ما ينشأ عن محاولته تأكيده لنظريته، سواء عن قصد أو غير قصد.

هذا بعكس الحال فى علم النفس التقليدى. فالنتائج فى علم النفس تتم تحت ظروف تجريبية مضبوطة يمكن تكرارها والخروج منها بنتائج كمية Quantitative Conclusoins تسمح بالمقارنة والتأكد (٢).

{٣} لقد أجرى «فرويد» ملاحظاته وتحليلاته فى ظروف تفتقر إلى الضبط العلمى، وتنقصها إمكانية تأكيدها بالمنهج التجريبى الذى يتيح المعالجة الإحصائية للمادة التى تلاحظ ؛ وهكذا يستحيل وزن الدلالة الإحصائية للاستنتاجات واختبار مدى ثباتها. وإلى هذا ذهب عالم النفسى البريطانى المشهور إيزنك Eysenk الذى يقول: « أن «فرويد» كان يفتقر كلية للقدرة على القيام بتصميم التجارب التى يمكن أن تضع هذه الفروض فى اختبارات حاسمة، ومن المؤكد أنه كان يتعالى علانية على البحث التجريبى»(٣).

لهذا يرى «إيزنك» أن التحليل النفسى غير علمى . ويتفق «ماركس» مع «إيزنك» فى أن التحليل النفسى لا تنطبق عليه المعايير العلمية، وأن معظم تركيباته ساذجة لا

---

(١) انظر: المرجع السابق .ص:٧٦.

(٢) انظر: المرجع السابق ص:٧٦.

(٣) علم النفس وقضايا العصر .د/ فرج عبد القادر طه .ص:٨،٧.

تتمتع بالصدق والثبات (١).

ولهذا وصف البعض نظرية «فرويد» ومنهجه فى البحث كاللبيت الذى كتب على واجهته: « اهجروا كل منطق يا من تدخلون هنا» أى أن المعايير العلمية لاتنطبق على التحليل النفسى.

وبالتالى فإن التحليل النفسى ليس علمياً، بل هو خليط من احتمالات بعيدة صيغت فى براعة على نحو يجعلها تبدو معقولة للبعض (٢).

وذلك لأنه أجرى ملاحظاته فى ظروف تفتقر إلى الضبط ولم يسجل ما يقوله هو والمرضى وما يفعلونه ساعة العلاج، وإنما كان يسجل مذكراته بعد ساعات من المراجعة العلاجية.

هذا ويذهب البعض إلى أن «فرويد» كان يقبل كل ما يقوله مرضاه كما هو دون محاولة التيقن منه عن طريق أى شكل من أشكال البرهان الخارجى. واعتماداً على هذه البيانات - المشكوك بصحتها - شرع «فرويد» فى استخلاص الاستنتاجات والوصول إلى النتائج بطريقة الاستدلال المنطقى التى تفتقر إلى السند العلمى. ولهذا يرى كثير من النقاد أن معظم ما نجده فى كتابات «فرويد» هو النتيجة النهائية لتفكيره(٣).

{٤} أن التحليل النفسى عند «فرويد» لا يسمح لأى فرد آخر بخلاف المحلل أن يلاحظ كيف تجرى عملية التحليل داخل جلسات العلاج، ويستتبع ذلك صعوبة الاطمئنان والتأكد من موضوعية استنتاجات المحلل واكتشافاته.

{٥} أن التحليل النفسى أتى باقتراضاته واستنتاجاته من دراساته للمرضى النفسيين وقام بتعميمها على الأسوياء مما أوقعه فى خطأ منهجى كبير (٤).

{٦} أن المحلل النفسى يوحى إلى مريضه بالأفكار التى يبحث عنها المحلل فيلجأ المريض إرضاء لمحلله إلى الانسياق وراء إيحاءات المحلل والاستجابة لها(٥).

---

(١) انظر: الإنسان..من هو ؟ .قاسم حسين صالح .ص:٨٢.
(٢) انظر: نفس المصدر .ص:٥٨.
(٣) انظر: نفس المصدر.ص:٨٤.
(٤) انظر: علم النفس وقضايا العصر .د/ فرج عبد القادر طه .ص:١٣، ١٥.
(٥) انظر: المرجع السابق.ص:١٥.

والخلاصة:

أن انتقادات منهج التحليل النفسى من جانب علم النفس تتمثل فى رفض الذاتية، لأن عالم النفس يحس بخطورة الذاتية على القوام العلمى المنشود لعلم النفس. أما المحلل النفسى فيعترف بالذاتية، ويأخذها على عاتقه باعتبارها أمراً لامفر منه فى علم النفس بالذات، ويدعى أنه يفيد منها، بل ويعتقد أن محاولة تجنبها تضر بعلم النفس ولا تفيده [1].

●●●●●

(١) انظر: التحليل النفسى بين العلم والفلسفة .د/ أحمد فائق .ص:٨١.

## ب- انتقادات علم النفس لآراء التحليل النفسى

تتمثل انتقادات علم النفس لآراء التحليل النفسى فيما يلى:

**[أ] افتراضات «فرويد» فى العقل والشخصية:**

لقد استنتج **Kline** من الدراسات العلمية، بأنه لا يوجد دعم ثابت من الدراسات الفسيولوجية العصبية لوظيفة الدماغ يؤيد التقسيم الثلاثى للعقل الذى جاء به «فرويد»

وفيما يخص الأدلة أو الافتراضات الوظيفية فإن دراسات عديدة أجريت فى هذا الميدان أهمها دراسات **Cattel** (١٩٥٧) و **Cattel Pawlik and** (١٩٦٤) انتهت إلى عدم وجود دليل قطعى يثبت نظرية «فرويد» تقسيم العقل والشخصية[1].

كما أن الشخصية عند «فرويد» متضمنة لدوافع متناقضة وجوانب متضارعة هى دوافع وجوانب «الهو» و«الأنا» و«الأنا الأعلى» بينما فكرة التناقض داخل الكيان الواحد لا تتفق مع المنطق [2].

وافترض «فرويد» للاشعور لم يكن جديداً كما ذكرت من قبل.

وهذا اللاشعور - من الوجهة العلمية - فراغ فى أصله، لا شئ فيه قبل أن يولد الإنسان. ومعنى هذا أن الذى يستقر فيه عن طريق الشعور ما يشغله الآن، لأن «اللاشعور» ليس سوى مخزن للمعلومات والمشاهدات التى شاهدها الإنسان فى حياته ولو مرة، ومن المستحيل أن يخترق حقائق لم يعلمها من قبل [3].

فكلمة «اللاشعور» مكونة من: «ال» وهى: أداة تعريف فى العربية تدخل على النكرة لتعرفها + (لا) وهى أداة نفى تدخل على الاسم أو الفعل لنفيه إن كان مثبتا + «شعور» وهو اسم نكرة لا يجوز عند تعريفه الفصل بينه وبين أداة التعريف بنفى أو غيره فنقول الشعور، فإذا أردنا نفيه وهو نكرة قلنا لاشعور، فإذا أردنا نفيه معرفاً قلنا: عدم الشعور، ذلك أن ضد الوجود فى العربية هو العدم، ولا يكون ضد الوجود وجوداً غير موجود. فهذه سفسطات الفلسفات الغربية التى لا يعرفها العرب

(١) انظر: الإنسان . . من هو؟ . قاسم حسين صالح . ص:٦٦.

(٢) انظر: علم النفس وقضايا العصر . د/ فرج عبد القادر طه . ص:٢٣.

(٣) انظر: الإسلام يتحدى. وحيد الدين خان . ص٣٢. ترجمة: / ظفر الإسلام خان. مراجعة: د/ عبد الصبور شاهين . المختار الاسلامى للطبع والنشر والتوزيع. . الطبعة الثامنة سنة ١٩٨٤

ولا تعرفها العربية، ولا يعرفها الإسلام، ولا يعرفها المسلمون. ومن هنا كان فساد هذا التعبير علمياً، لأن نفى الشعور لا يكون إلا عدمه ولا يكون إثبات نوع من الشعور الخفى، ذلك لأننا إذ أردنا أن نثبت شعوراً باطنا أو داخلياً قلنا الشعور الداخلى أو الشعور الباطن، إذ مما لاشك فيه للنفس حياة داخلية لا تستطيع إدراكها ولا نستطيع الشعور بها بهذا الإدراك وهذا الشعور الذى ندرك به الأشياء الخارجية أو ندرك ونشعر به الأفكار والمشاعر الظاهرة للعقل والنفس.

وعلى هذا الأساس نفسه نرفض مصطلح «اللاوعى» ونقول الوعى الباطن أو الوعى الداخلى لأنه مما لاشك فيه أن النفس تدرك إدراكاً باطناً أو داخلياً لايخضع لسيطرة الإدراك الخارجى..

وإذن فالذى عرفه الناس منذ القدم وصرح به الإسلام هو الشعور الباطن والوعى الباطن، ومنه الإلهام والأحلام الصادقة، والشعور عن بعد، والتأثير عن بعد، والإحساس بأحداث لم تقع بعد...الخ » [١].

**٢) الغريزة الجنسية:**

إذا كانت وجهة نظر« فرويد» فى اعتبار غريزة الجنس أهم الغرائز فى حياة الإنسان فهى وجهة نظر محدودة لا يؤيدها الواقع [٢].

« صحيح أن لغريزة الجنس أثراً فى العصاب والاضطراب النفسى، لكنها حين تصبح «وحدها» التعليل للمشكلات فإنها تحول علم النفس إلى سيكولوجية رجل عاطل يعانى الفراغ تقوده اللذة الجسدية» [٣].

ومن هنا فإن زعم«فرويد» بأن غريزة الجنس هى الغريزة الأساسية التى تتحكم فى شخصية الإنسان فى مختلف مراحل حياته زعم باطل، لأن الإنسان مجموعة من الغرائز كلها تحتاج إلى إشباع. ويرى غيره [٤] أن غريزة المأكل والمشرب أقوى من غريزة الجنس بكثير، وقد تجد إنساناً لا هم له إلا إشباع هذه الغريزة، وقد تكون هذه الغريزة هى الموجه الأساسى للغرائز الأخرى [٥].

---

(١) انظر: علم النفس الإسلامى العام والتربوى دراسة مقارنه. د/ محمد رشاد خليل. ص:٩٩. دار القلم للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ - سنة ١٩٨٧م

(٢) نظرية التحليل النفسى عند فرويد ..فى ميزان الإسلام .أ.د/ سعد الدين السيد صالح .ص:٧٣.

(٣) انظر: قضايا نقدية فى علم النفس .د/ عطوف محمد يس.ص:٦٥.

(٤) مثل: ابن مسكويه والإمام الغزالى.

(٥) نظرية التحليل النفسى عند فرويد فى ميزان الإسلام .د/ سعد الدين السيد صالح .ص:٧١.

فلقد كان «فرويد» صارماً فى طرحه لمفهوم الجنس، الأمر الذى أدى إلى أن ينشق عليه أقرب زملائه بسبب هذه المغالاة فى أهمية الجنس [1].

وهذا هو موقف الفرويديين من الجنس:

**أولاً: موقف ثلاثى التحليل النفسى «فرويد ،وأدلر،ويونج» من الجنس:**

لقد انفرط بسبب الجنس عقد ثلاثى التحليل النفسى، المكون من «فرويد»و«يونج» و«أدلر»، وذلك على النحو التالى:

ففى عام ١٩١١ انشق «أدلر» عن «فرويد» بسبب تأكيد الأخير وإصراره، على أن الأمراض النفسية تعود إلى أساس من التجارب الجنسية الفاشلة والمكبوته فى حياة الطفولة. فى حين يرى «أدلر» أن دافع السلوك هو الرغبة فى التخلص من الشعور بالنقص Inferiroity .ويرى « أدلر» بأن شخصية الفرد وحدة متكاملة واعتقاده بأهمية العوامل غير الجنسية فى إحداث الإضطرابات النفسية وفى أهمية الدور الذى تلعبه الذات والعوامل الثقافية والاجتماعية [2].

وفى عام ١٩١٢ انشق «يونج» عن «فرويد» لنفس السبب. ويرى «يونج» بأن الصراع فى الشخصية ليس بين الدوافع البدائية «الجنسية» وبين متطلبات المجتمع، وإنما بين نواحى من الشخصية لم تنمو نمواً متساوياً.

**ثانياً: موقف الفرويديون الجدد« سوليفان وفروم وهورنى» من الجنس:**

{١} لقد أجرى «سوليفان» تعديلاً على نظرية «فرويد» حيث أكد على التتابع التطورى لنمو الشخصية بدون التأكيد على النواحى الجنسية. وعلى حين يركز «فرويد» على الطاقة الجنسية، فإن «سوليفان» يؤكد على الذات والوسائل التى يحاول بواسطتها إحداث عملية التوافق، وفق نظام أسماه نظام الذاتSelf System . والشخصية عند «سوليفان» توجد فقط حيث توجد العلاقات المتبادلة وبين الأفراد.

{٢} نجد «فرومFromm» اعتبر الدوافع التى تحدد الاختلافات بين شخصيات الأفراد، كالحب، والكره، والجنس ،والخوف هى جميعها «منتجات اجتماعية».

وبعكس وجهة نظر«فرويد»من أن علاقة الفرد بالآخرين هى دائماً وسائل لإرضاء الدوافع البايولوجية [3].

---

(١) انظر: الإنسان .. من هو؟ .قاسم حسين صالح.ص:٨٧ (٢) انظر: نفس المصدر .ص:٧٦.
(٣) انظر: المرجع السابق .ص:٧٧، ٧٨.

{٣} أما «كارن هورنى» **Karen Horney** تشدد على المحددات الاجتماعية للشخصية وترفض نظرية الطاقة الجنسية. إن «فرويد» ينظر إلى المرأة على اعتبار أنها تحسد الرجل لامتلاكه العضو الذكرى. وتنكر «هورنى» ذلك وترى أن الرغبة فى أن تكون المرأة رجلا هى «تعبير عن الأنماط المرغوبة كالقوة والشجاعة والرجولة والاستقلال والنجاح والحرية الجنسية والحق فى اختيار شريك الحياة»[١] .

- فالفرويديين الكلاسيكيين والجدد لم يتفقوا مع «فرويد» فى تأكيده على عامل الجنس، كمتغير وحيد تختزل وتفسر على أساسه وجود وسلوك الإنسان. ويتفق معظم الفرويديين ومعظم علماء النفس فى الدول الغربية وجميع علماء النفس فى الأقطار الاشتراكية، على أن الإنسان كائن اجتماعى بالدرجة الأساسية.

ويؤكدون على أهمية البيئة والتنشئة الاجتماعية ولا ينفون ما للجنس من أهمية. ولكنهم لا يغلبون هذه الأهمية بالدرجة التى أكد عليها «فرويد» [٢].

ومن ناحية أخرى تجد أن الحرية الجنسية تجعل الإنسان قلقاً مضطرباً أكثر، بل معرضاً للجنون. والدليل على ذلك أن سيطرة الأهواء تهزم قيم الإنسان الفطرية وينشأ فراغ فى الحياة لا يمكن ملؤه بالجنس فيشعر الإنسان بظمأ وضياع[٣].

وإلى جانب ما تقدم يمكن القول: أنه بسبب النقائص الموجودة فى نظرية الغريزة الجنسية، لم يتمكن «فرويد» من الموافقة عليها من خبراء علم النفس فى عصره، بل إنهم ردوا عليها بصراحة، فقد قدم «ماكدوجل» نموذجاً لتكذيب آراء «فرويد» فى كتابه «أسس علم النفس» حين يتحدث عن العطف على الكلب وقال: إن كلباً يرتعد فى البرد ولا يحميه أحد فى ظلام الليل، فإذا مر به إنسان فرثى لحالته المؤلمة وأخذه رفقاً به إلى بيته وحماه وحفظه وكفله بكل طريقة ودفنه بعد الموت، فهل العطف والحب الخاص بهذا الكلب حب جنسى وشهوة؟ ثم يقول «ماكدوجل»:

« إنى مثلت بالكلب لأنه يرد على عقيدة «فرويد» بأن كل حب يتضمن بالضرورة الجنس»[٤].

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص ٧٧، ٧٨ .

(٢) انظر: المرجع السابق .ص:٧٩, ٨٠.

(٣) انظر: عصر الإلحاد خلفيته التاريخية وبداية نهايته. ترجمة: د/ مقتدى حسن ياسين. مراجعة وتقديم د/ عبد الحليم عويس .ص:١٥٩. دار الصحوة للنشر والتوزيع.

(٤) انظر: نفس المصدر. ص:١٦٢, ١٦٣.

كما نجده أساء بصورة كبيرة إلى التقاليد المتفق عليها عندما ينسب للطفل حياة جنسية منذ أيامه الاولى. فبالنسبة له رغبة امتلاك الطفل لوالده من الجنس الآخر وشوقه للملاطفات، والسعادة التى تغمره عندما تحتويه الأذرع، وسروره عندما يمص إبهامه، وغضبه عندما نشده منه، واللذة التى يحسها عندما يدغدغ، تعد كلها علامات واضحة على حياة جنسية مبكرة.

، وتسيطر الغرائز المكونة للجنس فى الحياة الجنسية للطفل الصغير، لكن لكل غريزة من هذه الغرائز وجود مستقل عن الأخرى تبعاً لطريقة إشباع كل منها وخلال النمو الجنسى يتم اندماجها واتساقها. أما إذا سيطرة غريزة واحدة على الحياة الجنسية للبالغ، مجبرة إياه على البحث عن إشباع جنسى ذى طابع طفلى. وتبعاً لهذا ـ كما يقول«روبن أوسبورن» ـ يكون الفساد هو الغالب خلال سن البلوغ بطريقة سلوك طفلية [1].

{٣} الكبت:

إن فكرة «فرويد» عن الإحساسات المكبوتة فى اللاشعور وكونها نابعة من الطفولة والجنس لم تكن فى الواقع مطابقة لقواعد الشعور. ولذا فإن الدفاع عنها قد لاقى حكماً عنيفاً بالإدانة [2].

{٤} عقدة أوديب:

تعتبر عُقدة أوديب، فى نظر« فرويد» هى المبدأ الأساسى، فى التحليل النفسى عنده. ومع أهميتها لا توجد دراسات تكفى للتدليل على وجودها، والدراسات التى تعرضت لها لم تدعمها بالمواصفات التى طرحها «فرويد»، بل اختلفت نتائج الدراسات التى تناولت موضوع التحقق من عقدة أوديب. وبغض النظر عن تفاصيل هذه الدراسات فلم يؤيدها دراستى

**Kuppuswany (1949) Biddle (1957)**

ودراسة واحدة قد أيدتها هى دراسة Fredman (1952). وبعض التأييد فى كل من دراستى **Whiting (1951) Michal smith (1958)**.[3].

(١) انظر: الماركسية والتحليل النفسى .د/ أوسبورن .\ص:٢٨،٢٩.
(٢) انظر: المرجع السابق .ص:٢٨.
(٣) انظر: الإنسان.. من هو؟ .قاسم حسين صالح ص: ٧٠.

وقد أثبتت دراسات العالم الأنتروبولوجى «مالينوفسكى» بأن «عقدة أوديب» وافتراضاتها لا توجد فى كثير من المجتمعات التى حاول «فرويد» تعميم استنتاجاته عليها؛ وعلى الأخص «المجتمعات البدائية فى جزر تروبرياند» وغيرها [1].

وبهذا نجد أن هذه الدراسات تعرضت لـ«عقدة أوديب» إما لدحضها أو لإيجاد تفسيرات لها، أو تأييد طفيف لبعض معطياتها [2].

كما اختلف الفرويديين - أدلر، كارن هورنى، فروم - فى «عقدة أوديب» ويمكن إجمال موقفهم من عقدة أوديب فيما يلى:

١] اتفقوا مع «فرويد» على وجود عقدة أوديب.

٢] قللوا من عامل الجنس فيها.

٣] اختلفوا مع «فرويد» فى تفسير سببها. فهو عند «فرويد» سبب بايولوجى وعند الفرويديين الجدد سبب اجتماع.

٤] أنكروا الشمولية والتعميم فيها مفضلين اقتصارها على علاقات الطفل بوالديه فى أنواع محددة جداً من العوائل [3].

ويبدو أن معظم السيكولوجيين - كما يشير « Valintine» - لم يتبلوا «عقدة أوديب». وبهذا يهتز المبدأ الأساسى فى التحليل النفسى «عقدة أوديب»، لكنه يبقى كمتغير فُرض فى هيكل نظرية «فرويد»، وكما يقول« إريك فروم» نتيجة لتسلط المجتمع الغربى فى الصراع الناتج بسبب المعاملة الخشنة القائمة بين الآباء والأبناء[4].

**[٥] الحلم:**

إذا كان للرغبة الدور الهام فى تكوين الحلم عند «فرويد»، فإن وجهة نظر«فرويد» عن الحلم تجعل له معنى باعتباره شكلاً للنشاط النفسى. وفى ضوء وجهة نظر«فرويد» للأحلام، ترى أن الطريقة التى تعبر بها الخيالات عقلنا فى حالة اليقظة مرتبطة

---

(١) انظر: قضايا نقدية فى علم النفس المعاصر. د/ عطوف محمد يس. ص: ٦٥.
(٢) انظر: الإنسان .. من هو؟ . قاسم حسين صالح . ص: ٧٣.
(٣) المرجع السابق. ص: ٧١
(٤) انظر: المرجع السابق. ص: ٧١.

بالأحلام التى تراودنا فى الليل. فنحن نعلم أننا نحاول فى أحلام اليقظة تحقيق الآمال والرغبات الواعية؛ فنرى أنفسنا وقد حققنا النجاح ونقوم بتحويل الأحداث لتعكس لنا صورة طيبة عن أنفسنا. وحسب «فرويد» نرى أن حدوث مثل هذه الميكانيكية أثناء النوم يصبح شيئاً ذا معنى. وقد كان الدكتور «براون» على حق عندما قال: إن فهم جزء كبير من هذه النظرية يرجع إلى أنها تعبر عن أشياء طالما عرفناها ولكن بصورة مشوشه.

ويذكر الدكتور «براون» حجة الأستاذ «نوتكات» فى كتابه« Psychology of prsonality » والتى مؤداها: أنه حتى أولئك الذين يعدون التعبير بالرموز فى الأحلام مفتعلاً ومضحكاً يعرفون تماماً معناه. فإذا ما حلم شخص بأنه ينزل إلى مطبخه ويفتح الفرن فيجد به قطعة من الحلوى، فإنه عندما يستيقظ يرى الحلم مجرداً من كل معنى؛ ومع ذلك فإنه عندما يجلس فى مقهى الحى مع جندى يقول له:« إن لدى زوجتى قطعة حلوى فى الفرن» يفهم بسرعة ما تعنيه هذه الجملة» [1].

وبرغم أن «فرويد» نادى بضرورة إدخال الحلم فى مجالات البحث العلمى وأن الحلم له معنى، ولا يقتصر على كونه نتاج نشاط نفسى لم يتم التحكم فيه ولذا نجد الدكتور/ « روبن أوسبورن» يقول:«لقد بالغ «فرويد» فى تقدير الدور الذى يلعبه تحقيق الرغبات فى صياغة الحلم. إن أقصى ما يمكن قوله: أن نشاط الحلم هو وسيلة للتعبير عن الرغبات المكبوتة، ولكن هذا لا يعنى أن نشاط الحلم يستمد من تحقيق الرغبات فقط وأنه لا تتدخل عوامل أخرى فى صياغة الأحلام. وتعلمنا تجربتنا من خلال الحياة اليومية أن خوفنا وقلقنا يعبران كذلك عن نفسيهما فى الحلم؛ وبرغم أن هذا الخوف والقلق يمكن أن يكون مصدرهما الرغبات المكبوتة بمعنى أن هذه الرغبات يحرمها المجتمع، وبذا يصبح سبباً للقلق، فإن الخوف والقلق يمكن أن يكونا مرتبطين بأسباب أكثر موضوعية.

ثم يقول: وعلى سبيل المثال أسر لى صديق فقد عمله لمدة ثلاث سنوات خلال أزمة الثلاثينات بأن الخوف من البطالة ظل يراوده ولم يستطع التخلص منه تماماً فى أية لحظة. وبرغم أنه يستطيع التحكم فى هذا الخوف فى أثناء يقظته فإنه يعود للظهور أحياناً فى أثناء نومه [2].

---

(١) انظر: الماركسية والتحليل النفسى .د/ أوسبورن. ص:٤٨.
(٢) انظر: نفس المصدر. ص:٤٩.

وإلى جانب هذا يؤكد «إدغاربيش» أن نظرية «فرويد» كما تظهر فى مؤلف Sci-ence des reves لا تستوفى البنية الداخلية للعملية الحلمية. وربما كانت محركات هذه العملية متعددة، ويبدو أن «فرويد» قد خضع لنوع من التخطيطية بجعله الرغبة المحرك الوحيد للحلم، وقد يكون من الأصح، بدون شك، القول بأن الحلم يجسد التحقيق الرمزى لميل غير مشبع [1].

●●●●●

(١) انظر: فكر فرويد . إدغاربيش. ص: ٩٣.

## نقد موقف «فرويد» من الأخلاق

لقد رأى « فرويد» أن الأخلاق نشأت من «عقدة أوديب» وتفسيره فى نشأة الأخلاق والضمير عند الفرد والذى ينمو بنمو «العلاقة الأوديبية» والذى يشمل المجتمعات عامة عرضة للمناقشة التى زعزعت كيانه.. فلقد تساءل Malinowski، عدة أسئلة كلٌّ منها كفيلة بأن يزعزع فكرة «فرويد» وتفسيراته فى «نظام الطوطم» الذى أراد أن يحصره داخل منهجه !!! لماذا طرد الأب أبناءه إذا كانوا طبيعيًا وغريزيًا لديهم ميل أو نزعة لترك العائلة حينما يشعرون بأنهم ليسوا فى حاجة إلى الحماية الأبوية؟ لماذا ينقصهم النساء إذا كانت الجماعة الأخرى يوجد فيها الجنس الآخر من المراهقات؟ لماذا كانوا يكرهون الأب ويرغبون موته؟ إننا كما نعلم أنهم كانوا في حالة سعادة وحرية وليست لديهم رغبة فى العودة إلى نظام القطيع الأبوى ..

كل هذه الأسئلة التى وجهها "Malinowski" كفيلة بأن تزعزع فكرة «فرويد» وتفسيراته فى نظام «الطوطم» وحتى ولو كان هناك رأى ثابت أو أساس ثابت فى أن الشعور بالندم كان نتيجة لقتل الأب وأن نظام العبادة يفسره هذا الحادث فإن نظرية «فرويد» تبقى مع ذلك عرضة للهجوم [(1)].

ولهذا يقول الأستاذ «محمد قطب» إن الاعتراف الذى أقر به «فرويد» دون أن يدرى وهو أن الإنسانية قتلت أباها الأول،ليستمتع الأولاد بأمهم فى شهوة جنس دنس مسعور ولكنهم ما كادوا يصنعون ذلك، ويرون أباهم جثة هامدة، حتى اعتراهم الندم على فعلتهم الآثمة... [(2)].

هذا الاعتراف يهدم كل ما أقامه بعد ذلك من فروض وآراء، لأنه يقرر بالإرادة الضابطة التي امتنع بها الأولاد عن غشيان أمهم. وينفى أن كل مشاعر الإنسانية غريزية، إذ يقرر إحساس الأولاد بالندم على ما صنعوه بدافع الغريزة. وينفى أن القيم الأخلاقية مفروضة على الإنسان من قوة قاهرة خارج نفسه، فهذا الندم ذاته قيمة أخلاقية، أحس بها الأبناء تلقائياً لحظة انتهائهم من الجريمة، ومن أين أتى لهم هذا

---

(١) انظر: فرويد والتحليل النفسى. برنال. ترجمة: يوسف الحجاجى. ص٨٢، ٨٣ ـ دار القومية العربية للثقافة والنشر. الطبعة الأولى سنة ١٩٦٢

(٢) انظر: الإنسان بين المادية والإسلام. محمد قطب. ص٢١٥، ٢١٦.

الشعور؟ ومن الذى أوحى لهم بأن عملهم هذا كان خطأ لايجوز؟ [1].

ويكفى فى موقف «فرويد» من الأخلاق ما قاله «جون كارل فلوجل» فى وصف التحليل النفسى: بأنه فى ذاته عملية غير خلقية، وذلك لأنه محاولة للانتقاض على سلطة القوى الخلقية، ولإظهار الميول غير الخلقية التى كان من الخير أن تظل خافية؟ لقد صار المريض يعترف بهذه الميول ويناقشها مع الطبيب فى غرفة الاستشارة. فلم يبق إلا خطوة ثم يطلق العنان لهذه الميول فى الحياة العادية. وماذا يحدث للمريض وللمجتمع فى النهاية إذا شجعت هذه الأمور؟

ثم يقول: وكان من أثر ذلك كله على المتحمسين من غير المختصين كانوا يدعون إلى التخلى الكامل عن التحكم وفرض النظام ـ سواء فى ميدان التعليم أو ميدان العلاقات الجنسية أو غير ذلك من الميادين ـ إلى درجة جعلت الآباء يخشون من ممارسة أبسط أنواع الرقابة على أبنائهم مخافة إصابتهم بالكبت أو بالأمراض العصبية[2].

فالتحليل النفسى قد ساعد فعلاً على تقويض أركان الأخلاق التقليدية. فلقد كشف عن شيء من السذاجة والخرق فى عمل سلطات الرقابة الخلقية فى الإنسان. وأوضح بجلاء لأول مرة أن الضمير عنصر فى العقل يستطيع الأذى كما يستطيع النفع. وأن الأمراض العصبية ترجع إلى صراع بين الرغبات المكبوتة وقوة خلقية كابتة، وأن هذا الصراع قد أدى إلى مهادنة عجيبة غير مرضية أصيب منها الشخص بالمرض.

ولقد أظهر هذا الاكتشاف أن «الرقيب» لم يكن دائماً بالحارس الكفء على الأخلاق [3].

وفضلاً عن ذلك فقد أدت زيادة المعرفة بالتحليل النفسى إلى إلقاء ضوء شديد على المتاعب التي يحدثها الكبت المسرف. فكثيراً ما توجد هوة سحيقة تفصل المستوى الخلقى للرقيب «وهو غالباً غير شعورى» عن المستوى الخلقى الشعورى لشخصية البالغ، وكذلك عن المستوى الخلقى للمجتمع المعاصر.

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص٢١٧.

(٢) انظر: الإنسان والأخلاق والمجتمع. جون كارل فلوجل. ترجمة: عثمان نويه. ص٥٢، ٥٣.

(٣) انظر: نفس المصدر. ص٥٤.

بل قد يصل الأمر بالرقيب إلى التخلف عن الأخلاق الواعية والقانون، فلا يميز بين الرغبة فى شىء والتعبير عن هذا الشىء، فيعامل مجرد الرغبة «حتى ولو كانت غير شعورية» معاملة إتيان الفعل نفسه أو الإصرار عليه [1].

●●●●●

(١) انظر: المرجع السابق. ص٥٥.

## نقد موقف «فرويد» من الدين

لقد رد «فرويد» الدين إلى «عقدة أوديب». وهذا يعنى أن الدين عنده نابع من النفس لا علاقة له بالله وبالسماء، فيكون الدين أمر أرضى بحت لا يوجد له قداسة. وبهذا شوه «فرويد» صورة الدين بجعله نابعاً من العلاقة الجنسية الأولى ولذا اعتبره منافيا للعلم [١].

وهذا أوقع «فرويد» فى عدة تناقضات:

{١} يزعم «فرويد» أن عدم اتفاق أصحاب الأديان على عقيدة واحدة واختلاف أصحابها، يؤدى إلى رفض الدين، وهذا زعم باطل، لأن معني ذلك أن هناك حقيقة معينة اختلف الناس حولها، وكان عليه بدلاً من رفض الأديان جملة أن يدرسها بموضوعية لكى يميز فيها بين الأديان الصحيحة والأديان الباطلة. ولكنه يرفض من البداية، وهذا ليس منهجاً علمياً [٢].

{٢} يزعم «فرويد» أن وصف الدين لخلق الكون هدمته نظرية التطور، ولم يعلم أن العلم الحديث قد أبطل نظرية التطور، وأصبحت واهية تفتقد إلى الدليل والبرهان[٣].

{٣} فى أثناء حديث «فرويد» عن نشأة الدين، وأن الإنسانية بدأت بالخرافة ثم الديانة الطوطمية، ثم الإيمان بما وراء الطبيعة. فهل يمكن أن يثبت هذا الكلام ببرهان علمى وهو الذى يطالب بتطبيق المنهج العلمى، وهل كان موجوداً عند بدء الخلق، وشاهد الإنسانية الأولى فى خرافتها وتحولها إلى الطوطمية، أم أنه أخذ ماكتبه «أوجست كونت» فى قانون الحالات الثلاث مأخذ التسليم، وحاول أن ينسبه إلي نفسه متناسياً تهافت هذا القانون ومعارضته للواقع التاريخى للإنسان، الذى بدأ على الأرض موحداً عابداً لخالقه، ثم تعرض للانحراف بعد ذلك [٤]. ومعنى ذلك أن الأصل فى الإنسان أنه موحد.

---

(١) انظر: مذاهب فكرية معاصرة. محمد قطب .ص١١١,١١٣.

(٢) انظر: نظرية التحليل النفسى عند فرويد ... فى ميزان الإسلام .د/ سعد الدين السيد صالح .ص٩٣.

(٣) انظر: نفس المصدر.. ص٩٣.

(٤) تاريخ الفلسفة الحديثة. يوسف كرم. ص:٣١٨.دار القلم. بيروت ـ لبنان.

{٤} يزعم «فرويد» أن الأديان تعتمد على الغيبيات والخيالات التى لا يمكن إخضاعها للمنهج العلمى التجريبى. مع أن نسبية «أينشتين» وهى آخر نظريات العلم الحديث قد أكدت أن الذرة ومكوناتها مجرد ضرب من الغيبيات، كما أثبتت أن المادة المحسوسة هى عبارة عن طاقة كامنة، وأن المادة والطاقة صورتان مختلفتان لشىء واحد، بمعنى أنه يمكن تحويل المادة إلى طاقة غير مرئية وغير محسوسة.

وإذا كانت الغيبيات تمثل طفولة البشرية كما يقول «فرويد» فهل العلم الحديث اليوم قد عاد إلى مرحلة الطفولة مرة ثانية؟ أم أن الغيبيات لها منهجها الذى نستطيع أن نثبتها من خلاله، كما أن المحسوسات لها منهجها الحسى التجريبى، لاينكرها إلا جاهل بمفهوم المنهج العلمى (١).

{٥} يزعم «فرويد» أن الدين مجرد إسقاط لمرحلة الطفولة لتحقيق رغبات الإنسان، وهذا زعم باطل. ولو سلمنا به جدلاً لقلنا له: إنك تزعم أن تحقيق رغبات الإنسان هو الذى يمنع من حدوث الكبت والمرض النفسى، فإذا كان الدين رغبة من رغبات الإنسان، فما بالك اليوم تصادر هذه الرغبة، وتحاول منع الإنسان من إشباعها.

أليس هذا تناقضاً وقع فيه «فرويد» من حيث لا يدرى؟ (٢).

{٦} لقد شوه «فرويد» صورة الدين وأزال القداسة عنه، واعتبره منافياً للعلم. ومع ذلك تجده اعتبر «التحليل النفسى» دين جديد يشبه التوراة. فيقول تلميذه «إريك فروم» إن رغبة «فرويد» فى تأسيس دين جديد فلسفى ـ علمى، كانت مكبوتة، أى لا واعية.

ومع ذلك، فإن «فرويد» نفسه، كتب فى رسالة مؤثرة إلى «فرنزى»، فى «8 أيار ـ مايو ـ 1913»

يقول: « من المحتمل جداً هذه المرة، أن ندفن حقاً، بعد أن تتلى علينا معزوفة جنائزية. إن ذلك سيغير كثيراً مصيرنا الشخصى، لكنه لن يبدل مطلقاً مصير العلم ـ إننا نمتلك الحقيقة، إننى متأكد من ذلك منذ خمس عشرة سنة »(٣). ثم يقول« إريك

---

(١) انظر: نظرية التحليل النفسى عند فرويد. . فى ميزان الإسلام. ص٩٢.
(٢) انظر: نفس المصدر. ص٩٥.
(٣) مهمة فرويد تحليل لشخصيته وتأثيره. أريك فروم: ترجمة. : د/ طلال عتريسى ص٩١.

فروم»: ماذا كانت تلك الحقيقة؟ وماذا كانت نواة ذلك الدين التحليلي النفسي؟ وماذا كانت تلك العقيدة التى انبثقت منها الطاقات الخاصة لتأسيس الحركة ونشرها؟

يقول «إريك فروم»: أعتقد أن «فرويد» يعبر بوضوح تام عن هذه العقيدة المركزية فى «الأنا والهو» بقوله: «إن تطور الأنا يتقدم، من معرفة الغرائز إلى السيطرة عليها، ومن الخضوع لها إلى ضدها. إن الأنا الأعلى الذى يتشكل جزئياً من رد الفعل ضد السيرورات الغرائزية الموجودة فى الهو، يشارك فى حصة كبيرة فى هذا الإنجاز. إن التحليل النفسى هو الوسيلة التدريجية لاقتحام الهو. ثم يقول «إريك فروم»: يعبر «فرويد» هنا عن هدف أخلاقى دينى هو اقتحام الرغبة بواسطة العقل. فلقد استمرت محاولات للسيطرة على الآثار اللاعقلانية للإنسان بواسطة العقل، دون معرفتها، أو حتى دون معرفة مصادرها العميقة. إن «فرويد» الذى يعتقد أنه اكتشف هذه المصادر فى الدوافع الليبيدية وآلياتها المعقدة من الكبت والتسامى، وتكوين الأعراض، . . . سيتخيل حتماً، أنه لأول مرة سيتحقق الحلم القديم فى السيطرة على الذات والعقلانية التى كانت تداعب الإنسان منذ زمن طويل جداً [1].

وفى ١٣ مارس من عام ١٩٣٨م عقدت جمعية «بناى بريث».

وهى من أكبر الجمعيات اليهودية انتشاراً فى العالم، وأشدها غلوًا فى الصهيونية اجتماعًا عاجلاً وقرر الأعضاء الفرار أمام النازية، وأعلنوا أن المقر الجديد سيكون حيثما يكون «فرويد»، وفوراً ارتفع صوت فرويد هادراً ودون تلعثم، وكأنما كان يتكلم من بطن التاريخ أو من اللاشعور أو الهو، على حد تعبير أصحاب التحليل النفسى: «إنه بعد تحطيم المعبد فى أورشليم على يد تيتوس طلب الحاخام يوحنا بن سكاى الإذن بفتح مدرسة في يابنية لدراسة التوراة، ونحن سنفعل نفس الشىء؛ إننا جميعاً معتادون على الاضطهاد، بحكم تاريخنا وتراثنا، وبعضنا بحكم تجاربنا الشخصية»[2].

فترى هنا «فرويد» يعتبر التحليل النفسى كالتوراة تراثاً يهودياً، فإن كانوا قد أغلقوا معبده فى فيينا، مثلما فعلوا من قبل مع معبد اليهود فى أورشليم، فسيفتح مدرسة لتعليمه فى مكان آخر . وليس عجباً أن يفصح فرويد، مراراً وتكراراً عن لا

---

(١) انظر: نفس الصدر. . ص٩٢.

(٢) انظر: موسى والتوحيد وسيجمند فرويد .ص٨ ـ ١٠.

شعوره الديني وامتلائه بالدين اليهودي - رغم تهجمه على الديانات الأخرى ودعوته الظاهرية إلى الإلحاد - في تشبيهه لنفسه بـ «يوسف» و«موسى» عليهما السلام، لأن الأول اشتهر بتفسير الأحلام مقارناً بفرويد، وأكبر كتبه هو كتاب تفسير الأحلام، والثاني لأنه رسول اليهودية مقارناً بفرويد رسول العلاج النفسي. وكان «فرويد» يرى في «يونج» ما كان يراه موسى في يشوع، فموسى رأى الأرض الموعودة، ولكنه لم يرتدها، ويشوع هو الذي ارتادها، ولذلك كان «فرويد» يطمع أن يكون «يونج» هو يشوع العلاج النفسي [1].

**والخلاصة:**

أن «فرويد» لم يستطع أن يقنع تلاميذه وأقرب الناس إليه بسبب نقص نظريته وضعفها، فقد خرج عليه «أدلر» و«يونج»، فحاولا تعديل نظرياته حتى انفصلا عن جمعية التحليل النفسي.

أما «أدلر» فقد أطلق على مدرسته اسم «علم النفس الفردي».. وعارض «فرويد» في تأكيده لأهمية الغريزة الجنسية في نشأة الأمراض العصبية، ورأى أن الشعور بالنقص هو السبب الرئيسي لتكوين هذه الأمراض، وهذا الشعور بالنقص ينشأ نتيجة لعيب أو ضعف بدني لدى الطفل أو نتيجة لبعض المتاعب في بيئته مثل حرمان الوالدين له من الحب والتشجيع.

ثم يقرر «أدلر» أن دافع القوة وتأكيد الذات أو إثبات التفوق هو الدافع الأساسي في الحياة وليس الدافع الجنسي كما كان يرى «فرويد». وأما «يونج» فقد كون لنفسه مدرسة جديدة هي «علم النفس التحليلي» ولقد رأى هو أيضاً أن «فرويد» يغالي في تأكيد أهمية الجنس في نشأة العصاب، وفضل أن يكون لكلمة «الليبيدو» معنى أوسع بمعنى الطاقة الحيوية الكلية التي تتشكل في النمو والتناسل والحب واللعب وسائر أنشطة الإنسان.

ويرى «يونج» أن فرويد» قد اهتم فقط بالجانب الجنسي من تلك الطاقة الحيوية بينما اهتم «أدلر» فقط بجانب السيطرة والتعالي [2].

---

(١) انظر: نفس المصدر. ص١٤.

(٢) انظر: ملامح الفكر الأوربي المعاصر. د/ صلاح عدس. ص ٧٧، ٧٨.

وهكذا نجد أن الذين انتقدوا «فرويد» يعارضونه فى بعض الموضوعات، مثل تأكيده لأهمية الطفولة فى الأمراض النفسية، واعتقاده أن الناس تتحكم فيهم غرائز أولية جامدة، ومبالغة فى أهمية الطاقة الجنسية فى تكوين الشخصة. . كما أن البعض الآخر يعارضون «فرويد» فى اعتقاده أن التداعى الحر وسيلة مضمونة لاكتشاف اللاشعور وهم يؤيدون حجتهم بأنه من الصعب تفسير المعطيات التى نستمدها من كلام المريض[1].

هذا إلى جانب ما ذكرته سابقاً من انتقادات لمنهجه ولفروضه.

●●●●●

(١) انظر: نفس المصدر .ص ٧٩.

## ٢- نقد الطب النفسى للتحليل النفسى

يمكن حصر أوجه نقد الطب النفسى للتحليل النفسى فيما يلى :-

١- يأخذ الطب النفسى على التحليل النفسى مثاليته وذلك فى تركيزه كل العلاج على الشخص ذاته .

فنظراً لأن المريض قلقاً، فإن هذا يعنى أن أمامنا مشكلة متعددة الأوجه: لها أصل فى البناء الشخصى للفرد، ولها سبب فى الظروف التى تحيط بالشخص ولها علة فى أحداث خاصة يتعرض لها المريض. لذلك يلجأ الطب النفسى إلى أسلوب فى العلاج يمزج بين هذه الأوجه فى وحدة متكاملة أساسها مداواة النفس والجسم معا .

* وعلى هذا الأساس يرادف الطب النفسى بين العرض والمرض التزاماً منه - كما يظهر - بموقف علمى مادى .

* ولذا يرى أنه علم تطبيقى وليس نظرياً، مادى وليس مثالياً كالتحليل النفسى[١].

٢- يرى علماء الطب النفسى أن التقدم الذى أحرزه علم الأدوية phar-macalogy وعلم الأعصاب Nemrology يسمح باستعمال العقاقير الطبية والعلاج الكيميائى لتصحيح توزيع التعصيبات فى الجسم، بل وإلى تفريغ شحنات وجدانية عنيفة بواسطتها. ويقولون أن ذلك يتمشى مع أسلوب العلاج التحليلى تماماً. فمادام التحليل النفسى يهدف إلى إتاحة الفرصة للمريض كى يستعيد الشحنات الوجدانية المكبوتة، فإن هذه العقاقير تسمح بذلك بكفاءة أكبر ومن جانب آخر يرون أنه بوساطة هذه العقاقير يستطيعون تقصير مدة العلاج أو الإسراع بجعل المريض فى حالة تسمح بعلاجه النفسى بحيث لا تطول عملية التداعى الحر لديه[٢].

وإلى جانب هذا زود علم الأعصاب الطب النفسى بمادة غزيرة لتفسير كثير من دروب السلوك سوية ومريضة، كما زوده علم الأدوية بإمكانيات عديدة للتحكم فى السلوك، كماً وكيفاً.

---

(١) انظر: التحليل النفسى بين العلم والفلسفة .د/ أحمد فائق. ص ٨٨.
(٢) انظر: نفس المصدر. ص ٩٠.

واتجاه الطب النفسى الى الأساس العصبى والنواة [illegible] للسلوك، أصبح فى موقف يسمح له برفض التحليل النفسى بعد فترة مهادنة. فقد وجد الطب النفسى فى علم الأعصاب أساساً مادياً لتفسير مشكلة اضطرابات السلوك وتكوين الأعراض، أى أنه اتخذ من نشاط الجهاز العصبى نواة لنظرية تفسيرية للمرض.

كذلك وجد فى علم الأدوية أساساً مادياً موازياً لتفسير العمليات المرضية وتحولات السلوك، أى أنه اتخذ من كيميائية الجسم نواة لنظرية تطبيقية فى العلاج. فهذه المادية زودت الطب النفسى بالمعلومات العصبية والكيميائية المستحدثة منذ الحرب العالمية الثانية. وعلى هذا فلا شك فى أن الطب النفسى المعاصر رفض التحليل النفسى، لما وجد فيه من بعد عن الأصول المادية للطب العام[1].

٣ـ إن الطب النفسى يحاول أن يتناول التحليل النفسى من زاويتين ليبين أنه بوصفه علاجاً يعد أمراً مشكوكاً فى قيمته. والواقع أن التحليل النفسى حتى الآن لم يقدم بعد تحديداً كمياً لاحتمالات الشفاء بواسطة . ولا يمكن أن يصدر عن محلل نفسى ادعاء بأن احتمال الشفاء لديه سيزيد عن ٥٠٪ بل لا يمكن أن يؤكد محلل نفسى شفاء المريض ولو شفاء نسبياً. أما بالنسبة إلى طول فترة العلاج فالأمر أيضاً يدعو إلى تأمل، فالمحلل النفسى لا يمكن أن يحدد وقتاً ـ ولو تقريبياً ـ لانتهاء العلاج إذا طلب منه ذلك. وعادة ما لا يقل علاج الحالات البسيطة عن بضعة أشهر تتجاوز فيها جلسات العلاج المئة جلسة. وفى حالات أخرى قد يستغرق العلاج بضع سنوات تزيد فيها الجلسات عن ذلك الحد كثيراً.

فهذا الاعتراض يدور حول فكرتين:

(أ) أن نسبة الشفاء من الأعصبة أو الأذهنة بالتحليل النفسى قليلة .

(ب ) طول فترة العلاج والإرهاق المادى الذى يتحمله المريض عند علاجه بالتحليل النفسى[2].

●●●●●

---

(١) انظر: المرجع السابق . ص ١٣٣.

(٢) انظر: المرجع السابق . ص ٨٦، ٨٧.

## ٣. نقد علم الأحياء للتحليل النفسي

لقد رفض علماء الأنثروبولوجيا بحق محاولة «فرويد» لتفسير بعض مظاهر الحياة الاجتماعية للإنسان، كما أوردها فى كتابه «الطواطم والمحرّمات» وذلك لأن«فرويد» قد رجع إلى ما كتب فى موضوع الأنثروبولوجيا التطورية لإثبات نظريته السيكولوجية فى تطور الإنسان البدائى إلى عوامل عضوية محدّدة فى حياة الإنسان الحديث[١]. فنظرية «فرويد» عرضة للهجوم لأن نظريته السيكولوجية غير مقبولة لأنها حينما تعتمد على الأبحاث البيولوجية تصبح أيضاً غير مقبولة لأنها تقوم على وراثة الصفات المكتسبة. وهذا المبدأ مرفوض من أساسه من علماء البيولوجيا. وبالرغم من الجهود التى قامت لإثباته إلا أنها لم تستطع أن تساند هذا الرأى. فهذا المبدأ مجرد نظرية وليس له أى أساس ثابت.

وعلى أية حال فإن المادة التي تحمل الصفات الوراثية ليست أيضاً ثابتة، لأنها لايمكن أن تتغير تحت تأثير الوسط العضوى أو تتحول بواسطة المرض(السم. الطعام) أو تحت إفرازات الغدد الصماء فى الجسم.

فعلماء البيولوجيا قد أبطلوا الرأى القائل بتوارث الصفات المكتسبة ومنهم: «Guenot»و«ألكسيس كارل» العالم البيولوجى الشهير فى كتابه«الإنسان ذلك المجهول» فهو يقول: «إن الصفات التى تكتسب بواسطة الفرد أثناء حياته لا يمكن أن تنتقل إلى ذريته»[٢].

وهذا ما أكده تلميذ فرويد « أ. كاردينر» الذى درس الطب النفسى فى النمسا فى عام ١٩٢٠م تحت إشراف «فرويد»:

إن ميول «فرويد» للعالم البيولوجى «لامارك» القائل بتوارث الخصائص المكتسبة، وغالبية من أتبعه، بالإضافة إلى النقد الكاسح للأنثروبولوجيا التطورية من قبل(بواس وجولد نوايزر وكروبر)هو ما أبطل اللجوء إلى التفكير الفرويدى فى الأنثروبولوجيا[٣]. كما عارض العلماء[٤] وجهة نظر«فرويد» القائلة :«إن معارضة

---

(١) انظر: هؤلاء درسوا الإنسان. تاليف: أ. كاردينر، أ. بريبل ترجمة : د/ أمين الشريف .ص٨.
(٢) انظر: تصدع الشخصية فى نظريات علم النفس يوسف الحجاجى. ص١٨٠ .الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٦م.
(٣) انظر: هؤلاء دارسوا الإنسان. أ. كاردينز. ترجمة أمين الشريف. ص٨.
(٤) علماء البيولوجيا والإحصاء، والبحث النفسى والاجتماعى.

رغبات الطفل فى صغره تؤثر فى تصرفاته إذا كبر». وأعلنوا استخدام« الضرب» كوسيلة لتقويم الطفل، وانتهوا إلى ما يناقض نظرية « فرويد» مناقضة تامة وهو أن مسلك الطفل يتأثر بعدد كبير من العوامل غير البيئة والوسط والحالة الاجتماعية، فلا سبيل لإخضاع تربية الطفل لنسق واحد[1]. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لقد تساءل «مالينوسكى» وهو من علماء الأنثربولوجيا المعاصرين - عدة أسئلة كل منها كفيل بأن يزعزع فكرة فرويد عن نظام «الطوطم» الذى أرا أن يحصره داخل المنهج فقال:

« لماذا طرد الأب أبناءه إذا كانوا من الناحية الطبيعية والغريزية لديهم الميل والنزعة لترك العائلة عندما شعروا بأنهم ليسوا فى حاجة إلى الحماية الأبوية؟! وكيف ينقصهم النساء، والجماعات الأخرى القريبة منهم مليئة بالجنس الآخر من المراهقات؟! فى هذه الحالة لا يكرهون الأب أو يرغبون فى ذبحه والتخلص منه بل إنهم يصبحون فى حالة سعادة وحرية وليست لديهم رغبة فى العودة إلي نظام القطيع الأبوى؟! كل هذه الأسئلة التى وجهها Malinowski... كفيلة بأن تزعزع فكرته وتفسيراته فى نظام «الطوطمية»، حتى ولو كان هناك رأى ثابت فى الشعور المليء بالندم، كان نتيجة لقتل الأب وأن نظام العبادة يفسر هذا الحادث[2].

●●●●●

(١) انظر: قضايا العصر في ضوء الإسلام أ الجندى ص ١٤١.
(٢)انظر: تصدع الشخصية فى نظريات علم النفس يوسف الحجاجى. ص١٨٠.

## ثالثا: النقـد الفلسفى

مقدمة:

ترتكز نظرية التحليل النفسى على مبدأ أن التفكير والنشاط مشتقان من «اللاشعور». وعند «فرويد» يعبر «اللاشعور» عن اختزان الأحاسيس التى تصبح لا شعورية بمرور الزمن. وقد ركز«فرويد» بوجه خاص على الطبيعة الإيجابية والصفة الديناميكية لهذه الميكانيكيات اللاشعورية التى تؤثر فى أفكارنا وتحدد حركاتنا الشعورية.

لقد تعرضت هذه الفكرة عن الميكانيكيات النفسية اللاشعورية لانتقادات كثيرة، وبخاصة فى الأوساط الفلسفية، لأنها يمكن أن تبدو متناقضة فى ظاهرها

* فالنقد الفلسفى يرى أن أى واقعة نفسية هي واقعة شعورية . ومن هنا يستحيل القول أن هناك واقعة نفسية لا شعورية. وهذا يعنى أنه يمكن وجود وقائع نفسية لا تتمشى مع التعريف.

وسوف نكتفى فى النقد الفلسفى بالنقد الوجودى، والمادى الجدلى[1]:

**أولا: نقد الوجودية للتحليل النفسى:**

سوف نقتصر فى النقد الوجودى للتحليل النفسى على ما وجهه«سارتر» إلى التحليل النفسى فيما يلى:

يرى الوجوديون أن التحليل النفسى عند تناوله لأصل السلوك وتفسيره له يرجعه إلى إحالات. فقد يرجع المحلل اهتمام طفل الثانية بالفجوات والثقوب إلى اهتماماته بالنشاط الشرجى، حيث يكون شغفه بفحص الفجوات بديلاً رمزياً عن تطلعه إلى جزء من جسمه محرم عليه. أو قد يرجع المحلل عادة التدخين إلى تثبيت على أنشطة فمية لم يفك أسار الإهتمام بها. هذه الإحالات التحليلية قد توقع المحلل النفسى فى تزييف الذات لواقعها ثم يقول «سارتر»: هذه الإحالات وإن لم توقع المحلل فى تزييف الذات لواقعها، فإنها توقعه فيما هو شر من ذلك إن تفسيره للنشاط الحالى

(١) انظر: الماركسية والتحليل النفسى . د/أوسبورن. ص١٥ .

بأمر سابق عليه كالخبرات الطفلية، هو «إحالة» إلى «أشياء» objects فى تاريخ الشخص. ووضع هذه الأشياء أو الموضوعات فى التفسير، وضع«السبب» إلى «النتيجة» . لذلك يصبح التحليل كشفاً بدون مستقبل، وانعدام مستقبله يأتيه من كونه بحثاً عن مركبات نفسية psychic Complexes إن المركب النفسى يبنى نظاماً لترجمة السلوك تحليلياً، بحيث يقوم المحلل بإلحاق القيمة الفعلية للنشاط الإنسانى بالإنسان، دون النظر فيما وراءها من قصدية. . Intenionality وإختيار لوجوده، سواء جاء قصده واختياره عفواً وبتمويه على ذاته أو إرادياً وبوعى بالمعاش[1].

فالتحليل النفسى ـ كما يرى «ساتر» ـ يعد بحثا موضوعياً، لأنه يبحث فى ظروف خارجية أحاطت بالتربية وفى قوى حيوية تتغير فى مجرى التطور ، يبنى على ماهو خارجى موضوعى على استقلال عن الذات وما هو «ذاتى». لذلك يطالب «سارتر» بضرورة البحث فى «المعاش Vecue والقصدية الذاتية وراء الاختيار. فالإنسان فى رأيه كل لا يقبل تحليلاً، يعيش المعاش بقصد ـ يجانبه الوضوح ـ لتمويه الذات على نفسها، ذلك ما يجعل خبرته الحالية غير واعية بهدفها (كالعرض فى التحليل النفسى). ولكن هذا لا يلغى نوعاً من الاختيار.[2] ويختلف المحلل النفسى مع الوجودى فى تحديد معنى التمويه على الذات فالوجودى يرى أن شفافية الشعور، وعدم قدرته على التعالى أو المفارقة (مفارقة ذاته لتأملها والوعى بها) هو المسئول عن غياب القصد عن القاصد. أما المحلل النفسى فيرد التمويه على الذات إلى المركب النفسى المكبوت، الذى يسمح للمحلل أن يحيل إليه غياب القصد عن القاصد.( غياب معنى العرض عن المريض) ذلك ما جعله يصوغ فهمه للأمور فى أقوال ك. . .«هذا المريض يعانى من . . .» أو «لديه. . .» هذه الصياغة تبدو لـ«سارتر» موضوعية وسببية. والموضوعية المتضمنة فى الصياغات التحليلية تلغى القيمة الحقيقية للنشاط الإنسانى لتلحق سلوكه به. فى حين يرى «سارتر» أن الواجب هو إلحاق الإنسان بالقيمة الحقيقية لنشاطه. فالإنسان هو الذى يخلق المركب النفسى، وليس المركب النفسى هو الذى يخلقه. هذا الرأى يجعل من الوجودية والتحليل النفسى على طرفى نقيض ويجعل فكرهما عكسيين، حتى أن «سلرتر» قد عبر عن ذلك بقوله إن وضع

(١) انظر: التحليل النفسى بين العلم والفلسفة . د/أحمد فائق. ص٩٨ .

(٢) انظر: نفس المصدر .

الليبدو(الطاقة الجنسية) كسبب ومفسر للحياة النفسية، أشبه بوضع الحصان خلف العربة[1].

أما(السببية) التى يرفضها «سارتر» فأمر لا يقل خطورة، فكما هو مألوف لدى المحللين، يفسر السلوك المرضى والسوى كذلك بأنه أسلوب خاص لتحقيق «رغبات» ذات طبيعة ليبيدية . ويتراوح الأمر بين إشباع مهتلس وإشباع واقعى، وبين تحقيق مباشر وتحقيق مخفى(على الشخص ذاته). وينظر المحللون إلى الرغبات نظرة عيانية، تكاد تصل فى عيانيتها إلى حد تقرير المرغوب فيه شكلاً وموضوعاً. فهذا السلوك إشباع وهمى لرغبة فى إلتهام الثدى، وذاك سلوك سوى لأنه يحقق واقعياً اتزان النزعة إلى العدوان مع النزعة إلى المسالمة. ولا شك أن هذه الصياغات خليقة بأن تجعل الخبرة المعاشة بمعزل عن المرغرب فيه، سواء فى مادته أو شكله . ولا يوجد المحلل إزاء هذا الموقف الغريب إلا حلاً واحداً وهو إرجاع مادة وشكل الرغبة إلى نظام لا شعورى. إن حل الإشكال على هذا النحو يوقع المحلل فى إشكال أدق هو إمكان «وجود رغبة لا نعرفها ورغم ذلك نقصد إشباعها بأسلوب لا نعرفه بل ولا نلتذ منه». ويصل من تلك النقطة إلى التساؤل عن احتمال ـ أو مجرد ضرورة ـ وجود نظام من الرغبات التى لا تكون موضع شعور لصاحبها. فإعطاء اللاشعور برغباته هذه المكانة يجعله «لاذاتياً» ويسمح بإحالة الأمور«الذاتية» إليه.

إن الموضوعية والسببية التى يراها«سارتر» فى التحليل النفسى دعته إلى تسميته بالتحليل النفسى التجريبى فى مقابل التحليل النفسى الوجودى . إنه يرفض مفهوم الرغبة Desire، ويرى ضرورة تعليق«مضمون الرغبة» لمناقشة «معنى رغبة» بوصفها ظاهرة إنسانيةHnman phenameaوشكل للوجود. إن مناقشة «معنى رغبة» يدعو إلى تأمل مفارقة الذات لنفسها Transcendence أثناء الفعل والنشاط وأثناء تأمل الفعل كحدث تاريخى منقضى، وتؤدى مناقشة كهذه إلى تبين قيمة الجسد فى تخطيط عالم الرغبة. وبدون كشف دور الجسد تنعزل الرغبة عن خبرة معاشاتها. فالضرورة التحليلية هى ضرورة تناول الرغبة من خلال مفارقة الذات لذاتها، وليس من خلال افتراق «الأنا» عن «الهوى» [2].

---

(١) انظر: المرجع السابق ص ٩ .

(٢) انظر: المرجع السابق ص ١٠٠ .

فإذا قارنا قولاً لـ«فرويد» بقول يختصر رأى«سارتر»، يقول«فرويد» بأنه قد بدأ بنفسه ثم بمرضاه لينتهى إلى فهم الجنس البشرى برمته.

أما«سارتر» فلسان حاله يقول: لنبدأ بالجنس البشرى ثم بالمرضى لنصل إلى وجودنا[1].

**ثانيا: نقد المادية الجدلية للتحليل النفسى:**

يقوم نقد المادية الجدلية للتحليل النفسى على مثاليته. وهذا النقد عبارة عن خليط من اعتراضات على الصياغات النظرية، والنتائج العلمية، والتبعية الفكرية.

**١ـ الاعتراض على الصياغة النظرية:**

أن التحليل النفسى فى نظر المادى الجدلى علم مثالى للنفس من حيث صياغاته النظرية وتعبيره عن فهمه للنشاط النفسى. وذلك لأن«فرويد» قد عبر عن أمور فسيولوجية، بعبارات جوفاء لا مقابل مادى لها.

فالغريزة ليست أكثر من ذلك الاستعداد العصبى الأصلى لدى الكائن، فضلاً عن أن الغريزة مفهوم غائىTeleologyical وغير مادى.

وكذلك لا يزيد مفهوم الكبت عن مقابل مادى عصبى هو الكف المركب الذى تقوم به المراكز العصبية الراقية كما أن وصف«فرويد» للكبت يكاد ينمو إلى الفهم الوظيفى له.

أما الجنسية الطفلية فهى وهم مثالى لعمليات فسيولوجية بحتة، لبعض أعضاء جسم الطفل[2].

**٢ـ الاعتراض على النتائج العملية:**

أن المادى الجدلى يأخذ على التحليل النفسى تعميماته للنتائج العيادية على الإنسان، ويتلخص النقد الماركسى لهذه التعميمات فى نقطتين:

(أ) رأى «فرويد» بأن مراحل التطور الجنسى لدى الإنسان أقرب إلى أن تكون وراثية بيولوجية، و ـ تب على هذا الرأى أن يصبح «مركب أوديب» عاما فى الجنس البشرى باختلاف الظروف الاجتماعية. وهذا الرأى يتناقض مع الماركسية التى تؤمن بأن الفرد صنعة المجتمع، وأن «مركب أوديب» ومشاكل التصور الجنسى ليست أكثر من انعكاس فردى لظروف اجتماعية. بذلك يصبح تفسير المرض النفسى فى التحليل

---

(١) انظر: المرجع السابق ص ١٧٧ .

(٢) انظر: المرجع السابق ص ١٧٧ .

النفسى متعارضاً مع الماركسية من جانب، وذا أثر ونتائج عملية محبطة للفكر الجدلى[1].

(ب) يأخذ المادى الجدلى على «فرويد» افتراضه نشأة الحياة الاجتماعية بأنها نتيجة لصراع جنسى بين أب «أسطورى» وأبنائه، وذلك على نساء يملكهم الأب ويمنعهم عن الأبناء، وبانتصار الأبناء، وقتلهم للأب جاء الشعور بالذنب، وحل الدين محل سلطة الأب. وعلى أساس هذا الفرض، فسر «فرويد» بعض ظواهر التفكير السحرى، ورموز الحضارات ورموز الأحلام والكثير من مشاكل الذاكرة. وانتهى إلى وجود لا شعور بدائى، مغرق فى القدم يرثه الفرد عن أجداده، هذا اللاشعور السحيق فى قدمه يمتزج ببقايا طفولة الفرد - أولا شعوره الحديث - ليخلقا معا الظواهر المرضية[2] وهذا الرأى يتناقض مع الماركسية فى العديد من النقاط. أهمها: التفسير الجنسى للحياة الاجتماعية بدلا، من التفسير الاقتصادى الذى تأخذ به الماركسية[3].

ويرى الماركسيون بأن مفاهيم التحليل النفسى شوهت العلاقات المتداخلة بين الفرد والبيئة الاجتماعية، وفسرت العمليات التاريخية بلغة العواطف والمغامرات. ويرون أيضاً أن الفرويديين يفسرون حركة الشباب وبقية الأفعال الاجتماعية على أنها صراعاً داخلياً يقع في عالم«لا عقلانى» فى شكل ثورة جنسية [4].

يقول «جورج لوكاش» الماركسى الهنغارى: «صحيح أن لغريزة الجنس أثراً فى العصاب والاضطراب النفسى، لكنها حين تصبح «وحدها» التعليل للمشكلات فإنها تحول علم النفس إلى سيكولوجية رجل عاطل يعانى الفراغ تقوده اللذة الجسدية»[5].

وعلى ذلك كما يرى الماركسيون أن تعميمات «فرويد» على الغريزة الجنسية ومركب أوديب ونشأة الحياة والخلق الإجتماعى ،تصلح لطبقة معينة، وفى زمن معين هو بداية القرن العشرين. ويتهمون «فرويد» بأنه قد قصر فى جمع مادته مما جعله يرى الأمور من خلال ثقب ضيق، ظنه مدخلاً رحبًا لفهم الإنسان[6].

### ٣- الإعتراض على التبعات الفكرية

نجد ميل التحليل النفسى إلى التعميم من الفرد على المجتمع وتركيزه على الفرد دون ظروفه، يجعله ينتهى إلى تفسيرات مناقضة لتفسيرات الماركسيين، وذلك بصدد

(١) انظر: المرجع السابق. ص ١١٨.
(٢) انظر: المرجع السابق. ص١١٨.
(٣) انظر: المرجع السابق. ص١١٨.
(٤) انظر: الإنسان.. من هو؟. قاسم حسين صالح. ص٨٦.
(٥) قضايا نقدية في علم النفس المعاصر .د/ عطوف محمد . ص ٦٥.
(٦) انظر: التحليل النفسى بين العلم والفلسفة .د/ أحمد فائق. ص ١٢٠.

أخطر قضايا الفكر.

فمثلاً يفسر التحليل النفسى نشوب الحروب بأنه أمر نهائى، ولا منجاة منه لتضمن الإنسان نزعة بيولوجية أصيلة هى العدوان. وعلى هذا الأساس يصبح فهمه للحرب بأنه نتيجة حتمية لتجمع طاقات العدوان لدى الأفراد. ويخرج من ذلك إلى تقدير ما لظهور الزعامة. هذا التقدير يدور حول الدور الخطير الذى يلعبه الفرد «الزعيم» فى تشكيل الجماعات . ويزيد على ذلك أن الزعماء إنما تصدر زعامتهم عن مركبات نفسية. هذا التفسير التحليلى ـ ليس فى هذا فقط ـ بل فى جميع قضايا الفكر العامة والخاصة يتعارض مع الفكر الماركسى.

فالماركسى يرى الحرب نتيجة لصراعات طبقية ذات أسباب اقتصادية. وأن الحروب أمر ينتهى بانتهاء سيطرة رأس المال على مصادر الإنتاج، واستيلاء الطبقة العاملة على السلطة. وتكون الزعامة فى هذه الحالة ليست أكثر من انتقاء شعبى، لطليعة فكرية قائدة، حيث يخلق الشعب قيادته، ويصدر هذا الخلق عن وعى بالظروف التاريخية التى يمر بها المجتمع.

وعلى ذلك: فجميع قضايا الفكر العامة والخاصة تتناقض بين التحليل النفسي والماركسى حيث ينقلب السبب إلى نتيجة فى نظر الفكرين[1].

**خلاصة:**

وبناء على ما سبق : نجد أن الماركسيين يأخذون على التحليل النفسى مثاليته، وذلك بتقديمه:

١ـ عبارات جوفاء.

٢ـ تعميماته للنتائج العيادية على الإنسان فجعل مركب أوديب عاماً فى الجنس البشرى، وأن الحياة الاجتماعية نشأت نتيجة لصراع جنسى بين الأب وأبنائه.

٣ـ تركيزه على الفرد دون ظروفه.

كل ذلك أدى إلى تفسيرات مناقضة بين الفكرين حيث ينقلب السب إلى نتيجة.

كما أنهم يرون لذلك أن «فرويد» أقام علماً بورجوازياً فى صياغته لمشكلة الإنسان(الجنس) وأسلوب علاجه (الفرد) وفى نظريته عن المجتمع (الصراع النفسى بدلا من الصراع الطبقى)[2].

بعد أن عرضت أهم الانتقادات التى وجهت إلى التحليل النفسى عند«فرويد»

---

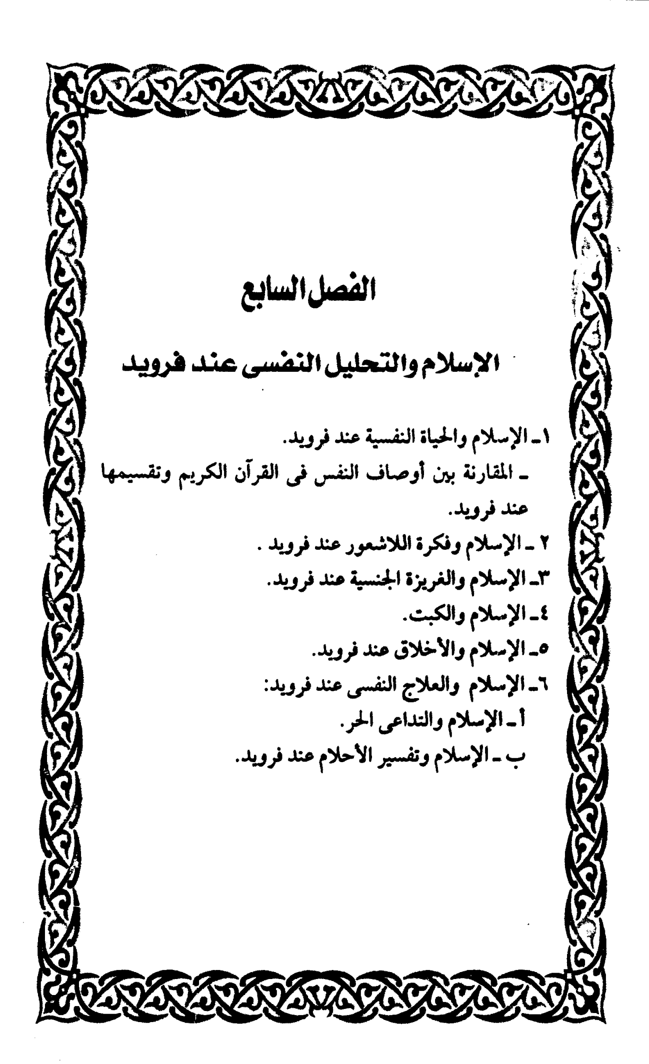
(١) انظر: المرجع السابق. ص١٢٠، ١٢١.

(٢) انظر: المرجع السابق. ص ٧.

يكفي في هذا ما قاله «فرويد» عن مدى اقتناعه بصحة فروضه فيقول: (ولعل بعضهم يسألني عن مدى اقتناعي بصحة الفروض التي قدمتها. وجوابي على هذا أنني أنا نفسي غير مقتنع بها. ولا أطلب من الآخرين أن يؤمنوا بها. وبعبارة أفضل أنني لا أعرف مدى إيماني بها)[1].

ولهذا استنتج «فاري» Farrell أن نظرية التحليل النفسي لا يمكن أن يقال عنها أنها صحيحة، ولا يمكن أن يقال عنها أنها غير صحيحة[2].

(١) الإنسان.. من هو ؟. قاسم حسين صالح. ص ٥٨، ٥٩.
(٢) انظر: نفس المصدر. ص٨٢.



# الفصل السابع

## الإسلام والتحليل النفسى عند فرويد

١ـ الإسلام والحياة النفسية عند فرويد.
ـ المقارنة بين أوصاف النفس فى القرآن الكريم وتقسيمها عند فرويد.
٢ ـ الإسلام وفكرة اللاشعور عند فرويد .
٣ـ الإسلام والغريزة الجنسية عند فرويد.
٤ـ الإسلام والكبت.
٥ـ الإسلام والأخلاق عند فرويد.
٦ـ الإسلام والعلاج النفسى عند فرويد:
أ ـ الإسلام والتداعى الحر.
ب ـ الإسلام وتفسير الأحلام عند فرويد.

## ١ـ الإسلام والحياة النفسية عند فرويد

لقد قسم «فرويد» الحياة النفسية إلى قسمين هما: الشعور واللاشعور. واعتبر هذا التقسيم هو الفرض الأساسى الذي يقوم عليه التحليل النفسى. ولقد اتضح لـ«فرويد» أن آراءه السابقة فى الجهاز النفسى (العقل) غير دقيقة وأنها فى حاجة إلى تعديل. فانتهى إلى ضرورة تعديل آرائه السابقة فى تركيب الجهاز النفسى. وقد احتفظ فى هذا التعديل بالقول بوجود الكيفيات النفسية الثلاث التى سبق أن قال بها، وهى «الشعور» و «ما قبل الشعور» و«اللاشعور» . ولكنه عدل نظريته فقال بوجود تصورات جديدة تثير النشاط النفسى بطريقة أكثر دقة، فاستعمل تصورات: الأنا الأدنى (الهو) والأنا، والأنا الأعلى. وهى عبارة عن مكونات الشخصية[1].

وعلى هذا فقد أتى (فرويد) بنظرية فى الشخصية ميزفيها بوجود ثلاثة أقسام للنفس هى: الهو، والأنا، والأنا الأعلى.

أما النفس فى الإسلام فواحدة، ولكن لها صفات، فتسمى باعتبار كل صفة باسم، وهى: اللوامة، والأمارة بالسوء، والمطمئنة.

١ـ النفس الأمارة بالسوء:

هى التى تأمر صاحبها بالشر، وتحضه فى فعله[2] ، وقد حكى الله تعالى عن امرأة العزيز قولها﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [3].

فهذه النفس هى المذمومة لأنها تأمر بكل سوء، وهذا من طبيعتها إلا ما وفقها الله وثبتها وأعانها، فما تخلص أحد من شر نفسه إلا بتوفيق الله له كما أشارت الآية السابقة إلى ذلك.

وهذه النفس تعنى أن الشر كامن فى النفس وليس شيئاً خارجاً عنها كما ذهب القائلون بالطبيعة الخيرة مثل سقراط الذى قال بأن الشر غير إرادى فى الإنسان، وزعم بناء على ذلك أن الشر ناتج عن الجهل وسوء التقدير ، وذلك انطلاقاً من زعمه بأن

---

(١) انظر: الأنا والهو. د/ محمد عثمان نجاتى ص١٦.

(٢) انظر: علم النفس الإسلامى العام والتربوى مقارنة. د/محمد رشاد خليل ص٦٢،٧٣ دار القلم للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ ـ سنة١٩٨٧م

(٣) سورة يوسف: آية(٥٣).

المعرفة هى الفضيلة، وأن من يعرف الشر لا يمكن أن يفعله وهذا مخالف للعقل والواقع، كما أنه مخالف للخبر الصحيح عن الله تعالى.

كما أن هذا أيضًا مخالف لما ذهب إليه الفلاسفة المحدثون القائلون بأن النفس محايدة بطبيعتها لا هى خيرة ولا شريرة، وأنها تتشكل حسب التربية وظروف البيئة وهو اتجاه المدارس النفسية الاجتماعية البيئية الحديثة علي اختلافها والتى تري أن الإنسان من صنع البيئة أو التربية.

أما الذى يقرره الإسلام لا يعنى أن الإنسان شرير بطبيعته وإنما يعنى أن الشر والخير معا مغروسان فى نفس الإنسان، وقد صرح القرآن الكريم بذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾[1]. وسوف نبين ذلك أكثر فى الحديث عن النفس المطمئنة.

**٢ـ النفس اللوامة:**

لقد سمي الله تعالى النفس اللوامة وأقسم بها فقال: ﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾[2].

وقد فسرت النفس اللوامة بعدة تفسيرات: فقال بعضهم اللوامة: هى التى لا تثبت على حال واحدة، وفى هذه الحالة تكون اللوامة من التلوم بمعنى التردد، فالنفس كثيرة التقلب والتلون. ومن تلون النفس أنها تذكّر وتفعل، وتقبل وتعرض وتلطف وتكثف، وتنيب، وتجفو، وتحب وتبغض، وتفرح وتحزن وترضى وتغضب، وتطيع وتعصى وتفجر... الخ[3].

وقال بعضهم إن اللفظة مأخوذة من اللوم وهو التأنيب والزجر، وهذا اللوم نوعان: لوم المؤمن التقى، ويكون اللوم عنده لوم التقصير فى الطاعة، والغفلة عن الذكر، والإقدام على المعاصى. ولوم الفاجر الغافل، ويكون على التقصير فى طلب الدنيا، وانتهاز الفرص، وفوات الحظوظ والأهواء. وهو اللوم الشائع اليوم والذى يسبب القلق، والكآبة، والتوتر فى عالمنا المعاصر، لأن هذه الأمراض كلها سببها النفس اللوامة بهذا المعنى، لأن النفس اللوامة المؤمنة تحمى صاحبها من هذه الأمراض كلها، وترتفع به إلى مرتبة الطمأنينة التى سنتكلم عنها، والتى فيها الشفاء لكل أمراض العصر النفسية.

---

(١) سورة الشمس: الآية ٧، ٨.
(٢) سورة القيامة: آية (٢).
(٣) المرجع السابق ص٧٤، ٧٣.

### ٣ـ النفس المطمئنة

والنفس المطمئنة هى حالة الأنبياء والصديقين من عباد الله، وهي حالة تكون النفس فيها مطمئنة بالله تؤمن بلقائه، وترضى بقضائه، وتقنع بعطائه. وهذا دعاء علمه رسول الله ﷺ لرجل كما جاء فى حديث أبي أمامة الذى رواه الحافظ بن عساكر بسنده أن رسول الله ﷺ قال لرجل.

**«قل اللهم إنى أسألك نفسا بك مطمئنة تؤمن بلقائك، وترضى بقضائك، وتقنع بعطائك».**

ويمكن الوصول إلى هذه الحالة عن طريق المجاهدة لكل من وفقه الله لذلك وحقيقة الطمأنينة أن تطمئن النفس بالمعرفة الصحيحة بالله وأسمائه وصفاته فتطمئن بما أخبر به سبحانه عن نفسه،، وبما أخبر به من أمور الغيب، وأحوال الآخرة، وتطمئن بما أخبر به النبى عن ربه، وتستجيب لكل ما أمرت به من ضروب الطاعه وما نهيت عنه من ضروب المعصية، وتمتثل للأمر امتثالاً كاملاً، ولا تقدم عليه إرادة ولا هوى ولا تقليدا، وعلاقة هذه الحالة أن يطمئن صاحبها من قلق المعصية[١] إلى سكون التوبة. ويجد فى قلبه لذة الطاعة والأنس بها والإقبال عليها . فإذا اطمأنت(النفس) من الشك إلى اليقين، ومن الجهل إلى العلم ومن الغفلة إلى الذكر، ومن الخيانة إلى التوبة، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الكذب إلى الصدق ومن العجز إلى الكسل، ومن صولة العجب إلى ذل الإخبات ومن التيه إلى التواضع ومن الفتور إلى العمل فقد باشرت روح الطمأنينة[٢].

ولا تقف وحدة النفس فى الإسلام عند حدود النفس الداخلية أى داخل الجسد، وإنما تمتد وحدة النفس فى الإسلام لتشمل الإنسان كله فيدخل فيها الجسد. وإذا كان الإسلام قد بين أن الإنسان فى أصل الخلقة، مكون من روح وجسد، إلا أنه لم يقل أن الروح والجسد منفصلان، أو أنهما يعملان بصورة مستقلة كل عن الآخر أو أن الجسد سجن الروح أو النفس. وإنما أكد أن الروح والجسد فى حال اتحادهما يعملان كمركب من نوع خاص، لأنه مركب لا تفنى فيه الروح فى الجسد كلية، ولا تستقل

(١) انظر: المرجع السابق. ص٧٤.
(٢) انظر:المرجع السابق ص٧٤، ٦٣,٧٥.

عنه كلية[1].

**المقارنة بين أوصاف النفس فى القرآن وتقسيمها عند فرويد:**

يوجد أوجه تشابه واختلاف بين الأوصاف (المفاهيم) للثلاثة للنفس فى القرآن الكريم، وأقسام النفس الثلاثة عند فرويد، نجملها فيما يلى:

**أولا: أوجه الشبه بينهما:**

يمكن أن نلمس فى بعض وظائف النفس عند«فرويد» بعض أوجه الشبه بمفاهيم النفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة الواردة في القرآن الكريم وذلك كما يلى:

١ـ أن«الهو» فى رأى« فرويد» هو ذلك الجزء من النفس الذى يحوى الغرائز التى تنبعث من البدن. وهو يطيع «مبدأ اللذة»، ويهدف دائماً إلى الإشباع من غير مراعاة للمنطق أو الأخلاق أو الواقع . و«الهو» بهذا المعني، يشبه إلي حد ما مفهوم« النفس الأمارة بالسوء».

٢ـ «الأنا الأعلى» هو ذلك الجزء من النفس الذى يتكون من التعاليم التى يلقاها الفرد من والديه ومدرسيه ومن قيم الثقافة التى ينشأ فيها، ويصبح قوة نفسية داخلية تحاسب الفرد وتراقبه وتنقده وتهدده بالعقاب، وهو ما يعرف عادة بالضمير[2]. ويرى«فرويد» أن«الأنا الأعلى» يمثل ما هو سام فى الطبيعة الإنسانية، وهو بهذا المعنى، يشبه إلى حد ما مفهوم «النفس اللوامة».

٣ـ «الأنا» هو ذلك الجزء من النفس الذى يقبض على زمام الرغبات الغريزية المنبعثة من الهو ويسيطر عليها، فيسمح بإشباع ما يشاء منها، ويؤجل ما يرى تأجيله، ويكبت ما يرى ضرورة كبته مراعياً «مبدأ الواقع» أو العالم الخارجى بما يتضمنه ذلك من قوانين وقيم وأخلاق وتعاليم دينية. ويقوم الأنا فى رأى«فرويد» بالتوفيق بين الهو، والواقع أو العالم الخارجى، والأنا الأعلى، بحيث يسمح بإشباع رغباته الغريزية فى الحدود التى يسمح بها الواقع، ويحد من تطرف الأنا الأعلى بحيث لا يجعله يسرف فى النقد والتهديد بالعقاب بدون مبرر معقول وإذا نجح الأنا فى وظيفته التوفيقية أمكن أن يتحقق للإنسان الاتزان والسواء والصحة النفسية[3].

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص٦٣.

(٢) انظر: القرآن وعلم النفس. د.محمد عثمان نجاتى ص٢١٦.

(٣) انظر: المرجع السابق ص٢١٧.

وعلى ذلك، فإننا نستطيع أن نجد شبهاً بين النتيجة التى يؤدى إليها نجاح الأنا فى وظيفته وما يحققه للإنسان من اتزان وسعادة، وبين حالة «النفس المطمئنة» التى يصل إليها الإنسان بالتغلب على أهوائه، وبتحقيق التوازن بين مطالبه البدنية ومطالبه الروحية، مراعياً فى ذلك «مبدأ الواقع» الذى يفرضه نظام الحياة فى المجتمع المسلم من القيام بالعبادات المفروضة، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والعمل الصالح، و اتباع قواعد الأخلاق الإسلامية[1].

**ثانيا: أوجه الاختلاف بينهما:**

يوجد اختلاف كبير بين المفاهيم الثلاثة للنفس كما وردت فى القرآن الكريم وبين أقسام النفس الثلاثة عند «فرويد»، وذلك كما يلى:

١- أن مفاهيم النفس الأمارةبالسوء، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة حالات مختلفة تتصف بها النفس أثناء صراعها الداخلى بين الجانب المادى والجانب الروحى فى شخصية الإنسان، وهى ليست أقساماً مختلفة للنفس.

أما مفاهيم «الهو»، و«الأنا»، و«الأنا الأعلى» فهى، فى رأى «فرويد» أقسام مختلفة للنفس[2].

٢- أن صفات النفس الواردة فى القرآن الكريم وهى الأمارة بالسوء واللوامة والمطمئنة لا تتكون أثناء مراحل نمو معينة يمر بها الإنسان، بينما «الهو» و«الأنا» و«الأنا الأعلى» فى نظر «فرويد» تتكون فى مراحل مختلفة من نمو الطفل. «فالهو» هو نفس الطفل عقب ميلاده مباشرة، إذ يكون الطفل واقعاً كلية تحت تأثير متطلباته الغريزية، ثم تحت تأثير العالم الخارجى يبدأ يتكون من«الهو» جزء متميز عنه هو«الأنا»، وهو الذى يقوم بالتحكم فى الغرائز المنبعثة من«الهو» مراعياً مقتضيات الواقع والعالم الخارجى. ومن التعاليم والنواهي التي يتلقاها الطفل من والديه والثقافة التى ينشأ فيا يتكون «الأنا الأعلى» وهو الضمير الذى يحاسبه ويلومه ويؤنبه على ما يقوم به من أخطاء[3].

٣- يوجد صراع بين أقسام النفس الثلاثة عند«فرويد» يحاول فيه الأنا أن يوفق بين متطلبات الهو والأنا الأعلى والعالم الخارجى، فإذا نجح فى ذلك كان الإنسان سوياً

(١) انظر: المرجع السابق ص ٢١٧.
(٢) انظر: المرجع السابق ص ٢١٧.
(٣) انظر: المرجع السابق. ص٢١٧.

ومتمتعاً بالصحة النفسية.

أما فى الإسلام فإنه وفقاً لتصوير القرآن الكريم لطبيعة تكوين الإنسان الذى يتضمن فى شخصيته صفات الحيوان المتمثلة فى الحاجات البدنية التى يجب إشباعها من أجل حفظ الذات وبقاء النوع، كما يتضمن أيضاً صفات الملائكة المتمثلة فى تشوقه الروحي إلى معرفة الله سبحانه وتعالى والإيمان به وعبادته وتسبيحه، فإنه يحدث بين هذين الجانبين من شخصية الإنسان صراع، فتجذبه أحيانًا حاجاته وشهواته البدنية، وتجذبه أحياناً أخري حاجاته وأشواقه الروحية ويشعر الإنسان بالصراع فى نفسه بين هذين الجانبين من شخصيته.

ويشير القرآن الكريم إلى حالة الصراع النفسى بين الجانبين المادى والروحى فى الإنسان فى قوله.

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾[١].

ويشير القرآن الكريم أيضاً إلى هذا الصراع النفسى بين الجانبين المادى والروحى فى الإنسان في وصفه تعالى لخروج «قارون» على قومه فى زينته مما جعل بعض الناس يتمنون أن يكون لهم ما لقارون من ثروة، فيرد عليهم البعض الآخر بأن ما عند الله خير وأبقى[٢]. وذلك فى قوله تعالى:

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾[٣].

ويشير القرآن أيضاً إلى الصراع بين الجانبين المادى والروحى فى الإنسان فى وصفه لانفضاض بعض المسلمين من حول النبى ﷺ حينما سمعوا بأنباء وصول قافلة محملة بالمؤونة إلى المدينة. وذلك فى قوله تعالى:

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾[٤].

---

(١) سورة النازعات: آية٣٧ ـ ٤١.
(٢) انظر: المرجع السابق. ص٢١٧، ٢١٠.
(٣) سورة القصص: ٧٩، ٨٠.
(٤) سورة الجمعة: ١١.

ولعل مشيئة الله سبحانه وتعالى قد اقتضت أن يعانى الإنسان ـ من بين ما يعانيه من مشاق الحياة ـ هذا الصراع النفسى بين مطالبه البدنية ومطالبه الروحية.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾[1].

ولعل مشيئة الله تعالى قد اقتضت أيضاً أن يكون أسلوب الإنسان في حل هذا الصراع هو الاختبار الحقيقى والأساسى الذى وضعه الله تعالى للإنسان فى هذه الحياة. فمن استطاع أن يوفق بين الجانبين المادى والروحى فى شخصيته، وأن يحقق بينهما أكبر قدر مستطاع من التناسق والتوازن، فقد نجح فى هذا الاختبار واستحق أن يثاب على ذلك بالسعادة فى الدنيا وفى الآخرة. وأما من انساق وراء شهواته البدنية وأغفل المطالب الروحية فقد فشل فى هذا الاختبار، واستحق أن يجازى على ذلك بالشقاء فى الدنيا وفى الآخرة قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[2].

﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[3].

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾[4].

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾[5].

ولقد شاءت رحمة الله تعالى وحكمته أن يمدّ الإنسان بجميع الإمكانات اللازمة لحل هذا الصراع، واجتياز هذا الاختبار الصعب، بأن وهبه العقل ليميز به بين الخير والشر، وبين الحق والباطل. كما أمده سبحانه بحرية الإرادة والاختيار ليستطيع أن يبت فى أمر هذا الصراع، وأن يختار الطريق الذى يريده لحل هذا الصراع. وإن حرية إرادة الإنسان، وحريته فى اختيار الطريق الذى يحل به هذا الصراع إنما يمثلان أساس مسؤليته وحسابه قال تعالى:

﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾[6].

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[7].

---

(١) سورة البلد: آية ٤.
(٢) سورة المنافقون: آية ٩.
(٣) سورة التغابن: ١٥.
(٤) سورة الاعلى: آية ١٤ـ ١٧.
(٥) سورة الملك: آية ٢.
(٦) سورة البلد: آية ١٠.
(٧) سورة الإنسان: آية ٣.

﴿ ونفس وما سواها (٧) فألهمها فجورها وتقواها (٨) قد أفلح من زكاها (٩) وقد خاب من دساها ﴾[1].

﴿قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ﴾[2].

﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا﴾[3].

﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ﴾[4].

﴿كل نفس بما كسبت رهينة (٣٨) إلا أصحاب اليمين (٣٩) في جنات يتساءلون (٤٠) عن المجرمين (٤١) ما سلككم في سقر (٤٢) قالوا لم نك من المصلين (٤٣) ولم نك نطعم المسكين (٤٤) وكنا نخوض مع الخائضين (٤٥) وكنا نكذب بيوم الدين (٤٦) حتى أتانا اليقين ﴾[5].

وعلى هذا يوجد في طبيعة تكوين الإنسان استعداداً لفعل كل من الشر والخير، استعداداً لاتباع أهوائه وشهواته البدنية، ولاستغراق فى الاستمتاع بملذاته الحسية ورغباته الدنيوية، واستعداداً للتسامى إلى أفق الفضيلة والتقوى والمثل الإنسانية العليا، والعمل الصالح، وما يحققه ذلك من سكينة نفسية وسعادة روحية . ومن الطبيعى أن تتضمن طبيعة الإنسان وقوع الصراع بين الخير والشر، بين الفضيلة والرذيلة، بين طاعة الله ومعصيته. وأن الاختبار الحقيقي للإنسان فى هذه الحياة هو ما تتجه إليه إرداته، وما يقع عليه اختياره. هل سيختار طريق الخير أم طريق الشر، طريق طاعة الله أم معصيته؟ هل سينساق الإنسان وراء أهوائه وشهواته ومتع الحياة الدنيوية، ويغفل عن ذكر الله، وينسى اليوم الآخر، أم هل سيتحكم فى أهوائه وشهواته، ويقوم بتحقيق التوازن بين مطالبه البدنية ومطالبه الروحية؟

وحينما يختار الإنسان الملذات الدنيوية، وينساق وراء أهوائه وشهواته، وينسى ربه واليوم الآخر، إنما يصبح فى معيشته أشبه بالحيوان، بل أضل لأنه لم يستخدم عقله الذى ميزه الله تعالى به على الحيوان. قال تعالى:

﴿ أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا (٤٣) أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ﴾[6].

---

(١) سورة الشمس: آية ٧ـ ١٠.
(٢) سورة الأنعام: آية ١٠٤.
(٣) سورة الكهف: آية ٢٩.
(٤) سورة فصلت: آية ٤٦.
(٥) سورة المدثر: آية ٣٨ـ ٤٧
(٦) سورة الفرقان: آية ٤٣، ٤٤.

والإنسان الذى يعيش هذا النوع من المعيشة يكون غير ناضج الشخصية ويكون أشبه بالطفل الذى لا يهمه إلا إشباع حاجاته ورغباته ، ولم تقو إرادته بعد، ولم يتعلم بعد كيف يتحكم فى أهوائه وشهواته، فينساق وراء إشباعها، ويصبح خاضعاً لتوجيه« نفسه الأمارة بالسوء». قال تعالى:

﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

وفى هذا المعنى جاء فى الأثر: « أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك، فمن أدبها أو قمعها آمن ظلمها»[2].

وحينما يبلغ الإنسان مرتبة أعلى من الكمال الإنسانى، يبدأ ضميره الاستيقاظ، فيستنكر ضعف إرادته وانقياده لأهوائه وشهواته وملذات الحياة الدنيوية مما يوقعه فى الخطيئة والمعصية، فيشعر بالذنب، ويلوم نفسه على ما فرط منها ويتجه إلى الله تعالى مستغفراً تائباً، فإنه يصبح فى هذه الحالة تحت تأثير «النفس اللوامة». قال تعالى:

﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾[3].

وإذا أخلص الإنسان بعد ذلك فى توبته، وأخلص فى تقربه لله تعالى بالعبادات والأعمال الصالحة، والابتعاد عن كل ما يغضب الله، وتحكم تحكماً كاملاً فى أهوائه وشهواته وقام بتوجيهها إلى الإشباع بالطريقة التى حددها الشرع فقط، فحقق بذلك التوازن التام بين مطالبه البدنية ومطالبه الروحية، فإنه يصل إلى أعلى مرتبة من الكمال الإنسانى، وهى المرتبة التى تكون فيها نفس الإنسان فى حالة اطمئنان وسكينة، وينطبق عليها وصف«النفس المطمئنة». قال تعالى:

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[4].

وعلى هذا يمكن أن نتصور المفاهيم الثلاثة للنفس، وهى النفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة على أنها حالات تتصف بها شخصية الإنسان فى مستويات مختلفة من الكمال الإنسانى التى تمر بها أثناء صراعها الداخلى بين الجانبين

---

(١) سورة يوسف: آية٥٣.

(٢) انظر: تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين. أبو القاسم الحسن بن محمد المفضل الراغب الأصفهانى صـ٨٨، ٨٩. بيروت ـ ١٣١٩هـ.

(٣) سورة القيامة: آية ١، ٢.

(٤) سورة الفجر: آية ٢٧ ـ ٣٠.

المادى والروحى من طبيعة تكوينها. فحينما تكون شخصية الإنسان فى أدنى مستوياتها الإنسانية بحيث تسيطر عليها الأهواء والشهوات والملذات البدنية والدنيوية ، فإنها تكون فى حالة ينطبق عليها وصف النفس الأمارة بالسوء. وحينما تبلغ الشخصية أعلى مستويات الكمال الإنسانى حيث يحدث التوازن التام بين المطالب البدنية والروحية، فإنها تصبح فى الحالة التى ينطبق عليها وصف النفس المطمئنة. وبين هذين المستويين مستوى آخر متوسط بينهما يحاسب فيه الإنسان نفسه على ما يرتكب من أخطاء، ويسعى جاهداً عن الامتناع عن ارتكاب ما يغضب الله ويسبب له تأنيب الضمير، ولكنه لا ينجح دائماً في مسعاه، فقد يضعف أحياناً ويقع فى الخطيئة. ويطلق على الشخصية فى هذا المستوى النفس اللوامة.

## ٢ـ الإسلام وفكرة اللاشعور عند فرويد

اللاشعور عند«فرويد» هو عبارة عن الحالات العقلية التى لا يمكن استرجاعها إلا بطرق فنية خاصة، هى طريقة التحليل النفسى. وهذه الحيل العقلية هى عبارة عن سلوك دفاعى يلجأ إليه الإنسان لوقاية نفسه من الشعور بالقلق الذى يمكن أن ينتابه إذا ما عرفت دوافعه الحقيقية الكامنة فى نفسه، والتى يحاول إخفاءها بالالتجاء إلى الحيل العقلية(١).

وعلى هذا فـ«فرويد» يرى أن «اللاشعور» يحوى الدوافع الغريزية والتى غالباً تكبت. فهو يمثل المنطقة التى تنتقل إليها رغبات الإنسان المكبوتة وذكرياته المؤلمة ونزعاته الجنسية والعدوانية التى لم تجد سبيلاً إلى التحقيق والإشباع (٢).

ويرى «فرويد» أنه اكتشف فى سلوك مرضاه الذى يعالجهم بعض هذه الحيل العقلية، كالإسقاط، والتبرير، وتكوين رد الفعل.

**أما فى الإسلام فنجد ما يلى!**

**١ـ أشار القرآن إلى التعبير اللاشعورى عن طريق فلتات اللسان عما يجيش فى النفس من دوافع يحاول الإنسان كتمانها وإخفائها، وذلك فى قوله تعالى:**

**﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾**(٣).

ويروى عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه قال فى هذا المعنى «ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه»(٤).

وفى الحديث الشريف: **«ما أسر أحد سريرة إلا كساه الله جلبابها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر»**(٥).

**٢ـ نجد القرآن الكريم أيضا، أشار إلى بعض الحيل العقلية التى كان يستخدمها**

---

(١) انظر: القرآن وعلم النفس. ص ٢٣٠.

(٢) انظر: الأنا والهو.د/ محمد عثمان نجاتى .ص ١٥.

(٣) سورة محمد: آية ٢٩، ٣٠.

(٤) تفسير ابن كثير. جـ٤ .ص١٨٠.

(٥) نفس المصدر.

المنافقون فى سلوكهم، لأن شخصية المنافق تتميز بالشك والتردد.

ولقد كانت شخصية المنافقين تتميز، كما بينا ذلك من قبل، بالشك والتردد وضعف الثقة بالنفس، والخوف من انفضاح أمرهم، والرهبة من أن يعرفهم المسلمون فيبطشون بهم. وقد دفعتهم طبيعة شخصيتهم هذه إلى كثرة الالتجاء إلى الحيل العقلية كسلوك دفاعى. وقد أشار القرآن إلى ثلاثة أنواع من الحيل العقلية كان المنافقون يقومون بها وهى:

الإسقاط، والتبرير، وتكوين ردّ الفعل.

*** الإسقاط:**

حيلة عقلية يقوم فيها الفرد بإسقاط حالته النفسية ودوافعه وعيوبه وأخطائه على الغير فيدركها فيهم بدلاً من أن يدركها فى نفسه. فمثلاً، الشخص الذى يضمر فى نفسه العداء لأحد أصدقائه، قد يسقط شعوره العدائى علي صديقه فيدرك أن صديقه يعامله بعداء. وكان المناقون يضمرون العداء للمسلمين ويخفون حقدهم عليهم وكراهيتهم لهم. وكانوا يسقطون شعورهم العدائى على المسلمين، فيظنون أن المسلمين يريدون البطش بهم. وقد صور القرآن الكريم وصف المنافقين الذين يحسبون أن كل صيحة يسمعونها تصدر عن المسلمين موجهة ضدهم. وذلك فى قوله تعالى:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[1].

إن كل صيحة يسمعونها يظنون أنها عليهم، ويظنون أن المسلمين يريدون أن يبطشوا بهم، وذلك نتيجة لما يضمرونه من شعور عدائى نحو المسلمين، فيقومون بإسقاط هذا الشعور العدائى عليهم. ويلاحظ أنه بعد عبارة «يحسبون كل صيحة عليهم» تقول الآية مباشرة: «هم العدو فاحذرهم»، وهذا يوضح أنهم هم الذين يضمرون العداء للمسلمين فى الحقيقة، وأن إدراكهم لما يسمعون من صيحات كأنها ضدهم ليس إلا وهماً نتيجة عملية الإسقاط.

(١) سورة المنافقون آية ٤.

* التبرير:

التبريرحيلة عقلية دفاعية يحاول بها الإنسان تبرير دوافعه وأفعاله غير المقبولة بأن يعطيها تفسيراً يكون مقبولاً. وقد كان المنافقون يلجأون إلى التبرير فى كثير من الأحيان لتفسير سلوكهم تفسيراً يكون مقبولاً. فإذا أفسدوا فى الأرض قالوا إنما هم يقصدون الإصلاح، وهم بذلك إنما يقومون بتبرير أفعالهم تبريرات تبدو مقبولة ومعقولة. وقد وصف القرآن الكريم التبرير الذى يقوم به المنافقون فى قوله:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾[1].

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (61) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (62) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا ﴾[2].

والحيل العقلية سلوك يقوم به الإنسان بطريقة لاشعورية. فحينما يسقط الإنسان مثلاً شعوره العدائى على آخر فيعتقد أن هذا الشخص الآخر هو الذى يضمر له العداء، فإنه يقوم بذلك بدون وعى منه بأنه يقوم بعملية إسقاط. وكذلك حينما يقوم الإنسان بالتبرير فهو لا يكون واعياً بأنه يقوم بعملية تبرير، بل إنه يعتقد فعلاً أن يقوم به من أعمال سيئة إنما هى أعمال حسنة ومفيدة، أو إنه يقصد منها الخير والإصلاح. ويشير القرآن إلى هذه الناحية اللاشعورية من الحيل العقلية بقوله فى وصف سلوك المنافقين الذين يقومون بعملية التبرير.«ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون». فالقول: «ولكن لا يشعرون» إنما يشير إلى عدم وعيهم بأن ما يفعلونه إنما هو إفساد وليس إصلاحاً.

* تكوين ردّ الفعل:

وتكوين رد الفعل حيلة عقلية دفاعية يتخذ فيها الفرد سلوكاً يكون مضاداً لسلوك آخر يريد إخفاءه. فالفرد، مثلاً، قد يبدى كثيراً من المجاملة والأدب والاهتمام فى

---

(1) سورة البقرة: آية 11، 12.

(2) سورة النساء: آية 61 ـ 63..

معاملة شخص معين كوسيلة دفاعية يخفى بها كرهه له وشعوره العدائى نحوه. وقد كان المنافقون يلجأون إلى هذه الحيلة العقلية الدفاعية لإخفاء حقيقة شعورهم بالكراهية والعداء للمسلمين. فكانوا يحسنون الكلام معهم ويظهرون حبهم وإعجابهم بهم وتقديرهم لهم بقصد إخفاء ما تضمره نفوسهم من كراهية وعداء[1].

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾[2].

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[3].

**٣ـ لقد كان«فرويد» يعتبر أن لب اللاشعور هو الغريزة(الرغبات) الجنسية والتى تؤدى بدورها إلى القلق وعدم الطمأنينة وإلى تحول الإنسانية إلى الحيوانية وعدم الارتقاء.**

ويرى أن عودة اللاشعور إلى الشعور لا يمكن إن يتم إلا بطريقة التحليل النفسى. ومع ذلك يعترف «فرويد» نفسه بأن النفس يمكن أن تسكن وتطمئن ولا تمرض عن طريق آخر غير الرغبات الجنسية. فيرى أن سكون النفس يمكن أن يحصل بالأشياء الأخرى غير الرغبات الجنسية، وهذه المدراج تحفظ الإنسان من الأمراض النفسية، فمثلا يرى «فرويد» أن طرق عبادة الصوفية والزهاد يحدث تغييراً فى الأجزاء المختلفة للنفس الإنسانية، وفى ذلك يقول: «من المحتمل أن بعض الطرق الصوفية تغير العلاقات العادية لمدراج النفس الإنسانية المختلفة، وذلك مثل اشتمالها على قوة الإدراك لبعض أعماق اللاشعور التى تكون خارجة عن قوتها.

**ثم يقول: وهنا يرد السؤال حول ما إذا كانت هذه«الفرق» قادرة على إرشادنا إلى الحقائق الأبديه التى تظهر بها جميع التصرفات؟ وهذا أمر مشكوك فيه، ولكن ينبغى أن نسلم بأننا أيضاً قد اخترنا هذه الطريقة نفسها فى محاولتنا للعلاج على أساس التحليل النفسى، فإن هذه الطريقة تهدف إلى تقوية «الأنا» وفصله عما فوق الشعور**

(١) انظر: القرآن وعلم النفس. د/ محمد عثمان نجاتى. ص٢٣٠ ـ ٢٣٢

(٢) سورة البقرة:آية ٢٠٤، ٢٠٥. نزلت هذه الآية فى الأخنس بن شريق، كان منافقاً حلو الكلام للنبى ﷺ يحلف أنه مؤمن به ومحب له فيدنى مجلسه، فأكذبه الله فى ذلك. (تفسير الجلالين. ص٢٨).

(٣) سورة المنافقون:آية ٤.

وتوسيع وجهة نظره وتوسيع نطاقه حتى يحتوى على أجزاء أكثر للاشعور وحتى يصل الشعور إلى حيث كان اللاشعور أولا[١].

وعلى أساس اعتراف فرويد يتضح لنا أن العمل الذى أنجزه على أساس التحليل النفسى قد أنجزه الصوفية بطريقة العبادة والرياضة.

وإذا ثبت له أن الطرق الصوفية قد نجحت عن طريق العبادة والرياضة فى إشباع عاطفة اللاشعور دون حاجة للرغبات الجنسية.

فبناء على ذلك ألا يحق لنا أن نقول: أليس من الأولى عبادة الله سبحانه وتعالى عن طريق الذكر والشعائر التى يمكن أن تشبع هذه العاطفة، وتوفر وسائل تهدئتها؟[٢].

## ٣- الإسلام والغريزة الجنسية عند فرويد:

لقد ذهب «فرويد» إلى أن الغريزة الجنسية هى الباعث الوحيد الذى تنشأ عنه جميع البواعث التى تدفع الإنسان إلى العمل. فهى مدار الحياة كلها ومنبع المشاعر البشرية كلها. والغريزة الجنسية لا تعنى الشهوة فقط، بل كل ما يتلذذ به المرء فى كل حركة من حياته، حتى حركات الطفل الرضيع مصبوغة بصبغة الجنس:

فالطفل حينما يرضع يجد فى رضاعته لذة جنسية ويلتصق بأمه بدافع الجنس ويمص إبهامه بنشوة جنسية، ويحرك أعضاءه بنفس الدافع ولنفس الغاية .. إلخ ماعدا حالات الشذوذ وهى أمر مشكوك فيه.

هذه الغريزة قد استعملت بحسب المفهوم الشائع وهو الشهوة الجنسية، وقد يكون هذا بقصد أو بدون قصد... ونظراً لعدم وجود ضوابط أو قيود لها فأطلق لها العنان.. وقد أدى هذا إلى وجود الفواحش والأمراض.

والمنحلين فى الغرب ومن على شاكلتهم فى الشرق يفتحون عيونهم على الإباحية الحيوانية ويقولون:

لماذا يكبت الناس دوافعهم الغريزية التى تريد أن تنطلق؟ إن كل واحد فينا يشتهى بينه وبين نفسه، ويعرف أنها شهوة لذيذة.

---

(١) انظر: عصر الإلحاد. ص١٦١.

(٢) انظر: نفس المصدر. ص١٦١، ١٦٢.

وعلى هذا فكبت الشهوة عند«فرويد» محرمًا. وبناءً على هذا تكون نظرية «فرويد» فى التحليل النفسى قامت على أساس حيوانية الإنسان، وسيطرة غرائزه الحسية وحدها على كل تصرفاته.. وإذا كانت نظرية«فرويد» تركز على الغرائز الحسية وحدها، فإن ذلك يرجع إلى أنها نظرية مادية، ترى أن الجسم هو الأصل دون اعتبار بأن الروح أيضا أصل.

أما الإسلام فنجده اعتبر الإنسان كائن متميز عن الحيوان. ومن أجل ذلك ينبغى له أن يحقق ؛كيانه الإنسانى المتميز ولا ينحرف إلي حياة الحيوان. ومن الضرورى لذلك ألا يخضع خضوعاً مطلقاً لدوافع الغريزة[1].

ولذا كانت نظرة الإسلام إلى الإنسان نظرة كلية. ونظراً لأنه اعتبر الإنسان مكون من جسم وروح وعقل. فوازن بين حاجاته البدنية وحاجاته الروحيه. فلم يهتم بالماديات فقط، ولا بالروحانيات فقط. ولم يفصل بينهما. قال تعالى:

﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾[2].

وذلك لأن الغاية العليا للإسلام، هى إيجاد التوازن فى نفس الفرد فيؤدى ذلك إلى إيجاد التوازن فى المجتمع، فى الإنسانية كلها بعد ذلك، بقدر ما يكون هذا فى حدود الإمكان.

ووسيلته فى ذلك أن يمسك بالإنسان من خيط الصعود، ليساعده على موازنة الثقل الذى يجذبه إلى الأرض. ولكنه لا يعنف فى جذبه إلى أعلى حتى يمزق أوصاله، أو يقطع ما بينه وبين الأرض من صلات، لأنه حين ذلك يفقده التوازن المنشود.

والإسلام يكره فقدان التوازن ولو كان إلى أعلى، لأنه يحرص علي أهداف الحياة العليا، التى لا تتحقق بغير الاستجابة لنوازع الأرض، وكل ما يعمله ويهدف إليه هو تنظيف الوسائل التى يستجيب بها الفرد لنوازعه، حتى ترتفع الحياة كلها وتصبح كريمة جميلة، خليقة بمعنى التكريم الذى أسبغه الله على الإنسان.

(١) انظر: قضايا العصر فى ضوء الإسلام. أنور الجندى . ص١٧٦.
(٢) سورة القصص: آية (٧٧).

من هنا يقول الرسول ﷺ:

**«لا رهبانية في الإسلام»**. فالرهبانية - في نظر أصحابها - ارتفاع بالحياة عن نوازع الجسد، وتطهير للروح لتكون خليقة بالدخول في ملكوت الله. ولكنها في نظر الإسلام - اختلال غير متوازن، يعطل أهداف الحياة، ويعذب الفرد في سبيل هدف - مهما يكن نظيفاً في ذاته - فهو غير عادل بالنسبة للفرد والمجتمع والحياة. ومن هنا كذلك يتضح أن الإسلام يسعى إلى التوفيق الدائم بين أهداف الحياة وضرورات المجتمع ونوازع الفرد، دون أن يطغى هدف على هدف، ولا مصلحة على مصلحة، وإنما يسير الكل في توافق و(اتساق) يحقق - حين يتم - أقصى مايمكن من السعادة علي ظهر الارض[1].

- فالإسلام يوازن بين حاجات البدن وحاجات الروح. وهذا البدن توجد له نوازع فطرية، وتوجد له شهوة ملحة لا تهدأ. والإنسان مطالب بحفظ حياته على الأرض فالمحافظة علي ذاته بالطعام والشراب والمسكن والكساء... والمحافظة على نوعه بالنسل والإكثار.

والإسلام يتعامل مع الإنسان طبقاً لفطرته التى خلق عليها. ولذا يعترف الإسلام بكل النوازع الإنسانية والغرائز الطبيعية ويحدد لها الطريق نحو الإشباع بصورة متوازنة بحيث يظل الإنسان إنسانا، فلا ينحط إلى دركة الحيوان الذى تتحكم فيه غرائزه، وتستولي على عقله وإرادته، فتسوقه إلى حيث تريد هى، بينما هو مسلوب الإرادة معطل الفكر، والعقل. فالله لم يخلق الشهوة والغضب كما يقول الإمام الغزالى:

(لتكون أسيرهما، ولكن خلقهما ليكونا من أسراك، فتسخرهم للسفر الذى أمامك، تجعل أحدهما مركبك والآخر سلاحك حتى تصيد سعادتك)[2].

يقول ابن مسكويه:

«يجب على العاقل أن يعرف ما ابتلى به الإنسان من هذه النقائص التى في جسمه، وحاجاته الضرورية إلى إزالتها وتكميلها إما بالغذاء الذى يحفظ به اعتدال مزاجه وقوام حياته فينال منه قدر الضرورة في كماله، ولا يطلب اللذة لعينها، بل

(١) انظر: الإنسان بين المادية والإسلام. ص٧٠.

(٢) انظر: الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالى بوجه خاص. عبد الكريم عثمان. ص٢٠٨. مكتبة وهبه. ط١٩٨١٢م.

قوام الحياة التى تتبعه اللذة، فإن تجاوز ذلك قليلاً فبقدر ما يحفظ رتبته ومرؤته ولا ينسب إلى الدناءة والبخل بحسب حاله، ومرتبته بين الناس، وإما باللباس فالذى يدفع به أذى الحر والبرد، ويستر العورة فإن تجاوز ذلك فبقدر مالا يستحقر، ولا ينسب إلى الشح على نفسه وإلى أن يسقط بين أقرانه، وأهل طبقته وإما بالجماع: فالذى يحفظ نوعه، وتبقى به صورته، أعنى طلب النسل فإن تجاوز ذلك فبقدر مالا يخرج به عن السنة، ولا يتعدى ما يملكه إلى ما يملك غيره»[1].

- ومن أجل المحافظة علي النوع الإنسانى يعترف الإسلام بالطاقة الجنسية ولا يبددها وبذلك لا يصطدم مع فطرة الإنسان، وإنما يعترف بالطاقة الجنسية على أنها شيء مزين للناس لا يستطيعون الاستغناء عنها. يقول الله تعالى:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[2].

فالإسلام يعترف بكثير من شهوات النفس ومنها شهوة الجنس كما يعترف للناس بحق الإحساس بها فى الشعور. وذلك لأنها مسألة بيولوجية وبدونها لايمكن استمرار الحياة علي وجه الأرض. ولكنه لم يطلق لها العنان، أو يطلق الحبل على الغارب في هذه المسألة. فوضع لها ضوابط وقيود تضمن الاستمرارية فى الحياة، وتحقيق أهدافها العليا، ويحترم كل ما يؤدى إلي تحقيق هذا. وهذه الضوابط والقيود عبارة عن طريقة التنفيذ لتلك الأهداف. وسوف أتحدث بإيجاز عن أهم الأمور التى استعملها الإسلام للانتفاع بها من الغريزة الجنسية:

### ١ـ الحض على الزواج:

نظراً لأن الغريزة الجنسية مسألة بيولوجية، وبدونها لا يمكن استمرار الحياة علي وجه الأرض، والإسلام يحرص على تحقيق أهدافها العليا. من أجل ذلك دعى الإسلام إلى إشباع دافع الجنس من خلال الطريق المشروع وهو الزواج الحلال الذى يضمن نظافة المجتمع. يقول الله تعالى:

---

(١) انظر: نظرية التحليل النفس عند فرويد.. فى ميزان الإسلام. ص٨٣.
(٢) سورة آل عمران: آية ١٤.

﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ﴾[1].

فالزواج فى الإسلام هو الطريق الفطرى الذى يحقق للطاقة الجنسية هدفها الإنسانى فضلاً عن تحقيقه اللذة الوقتية منها. ولذا نجد الرسول يحض على الزواج وتسهيله وتيسير أسبابه[2] .فيقول: **«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»**[3] . ويقول ﷺ **«إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف دينه فليتق الله فى النصف الباقى»**[4] . فاعتبر ﷺ الزواج نصف الدين، ويؤكد هذا أيضاً قوله ﷺ : **«أكملوا نصف دينكم بالزواج»** .

وليس الإسلام كما يفهم البعض بأنه يقصد بالغريزة الزواج ذاته لما فيه من إحصان للفرد، أى أنه ينظر إلى الناحية الأخلاقية لا الجنسية، فقد جمع الإسلام بينهما - حيث قال: **«وفى بضع أحدكم أجر»** أى أن الرجل يثاب على العمل الجنسى الذى يأتيه مع زوجته. فلما سأله المسلمون متعجبين:

يا رسول الله أيأتى أحدنا شهرته ويكون له فيها أجر؟

قال «أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه فيها وزر؟

فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر)[5].

وقال«**من كان موسراً لأن ينكح ثم لم ينكح فليس منى**»[6]. وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال«**جاء رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى، فلما أخبروا كأنهم تقالوها. فقالوا : وأين نحن من النبى ﷺ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. فقال أحدهم: أما أنا فإنى أصلى الليل أبداً وقال آخر: أنا أصوم الدهر، ولا أفطر أبداً، وقال آخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء الرسول ﷺ إليهم فقال: أنتم القوم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إنى لأخشاكم**

(١) سورة النساء آية(٣).
(٢) الإسلام والجنس. فتحى يكن. ص٣٣، ٣٤.
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) رواه البيهقى.
(٥) ارواه البخارى .
(٦) رواه الطبرانى.

لله وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء. فمن رغب عن سنتى فليس منى»[1].

من أجل هذا كله كان الزواج فى الإسلام ستراً للفروج والأعراض والعورات.

**٢ـ خلق المودة والرحمة بين الرجل والمرأة:**

نجد الإسلام يحرص على تحقيق التكامل فى العلاقات الجنسية بين الزوجين فيتصور وجود علاقة بينهما علي أنه الشيء الطبيعى الذى ينبغى أن يكون، فهو يقرر أن الله جعل فى قلب كل منهما هوى للآخر وميلاً إليه، يقول الله تعالى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

كما يصف القرآن العلاقة بين الرجل والمرأة، فى تعبير دقيق جميل حيث يقول: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[3]. ففى هذه الكلمات القليلة تصوير رائع لعلاقة الجسد وعلاقة الروح فى آن. فاللباس ألصق شيء ببدن الإنسان، وهو الستر الذى يستتر به، وهو فى الوقت ذاته مفصل على قده لا ينقص ولا يزيد. والرجل والمرأة ألصق شيء بعضهما ببعض: يلتقيان فإذا هما جسد واحد وروح واحدة. وفى لحظة يذوب كل منهما فى الآخر فلا تعرف لهما حدود وهما أبداً يهفوان إلى هذا الاتصال اللصيق الذى يشبه اتحاد اللباس بلابسه.

ثم هما ستر، كل واحد للآخر، فهما من الناحية الجسدية ستر وصيانة.. وهما على الدوام ستر روحى ونفسى فليس أحد أستر لأحد من الزوجين المتآلفين يحرص كل منهما على عرض الآخر وماله ونفسه وأسراره أن ينكشف منها شيء. فتنهبه الأفواه والعيون. وهما كذلك وقاية تغنى كلا منهما عن الفاحشة وأعمال السوء، كما يقى الثوب لابسه من أذى الهاجرة والزمهرير

وهما بعد ذلك كاللباس فى تفصيله مضبوطاً على القد.. يلبسه صاحبه فيستريح إليه ويتحرك نشيطاً فى محيطه، ويكتسب به زينه وجمالاً تعجب صاحبها وتعجب الناظرين.

(١) رواه البخارى. (٢) سورة الروم: آية (٢١).

(٣) سورة البقرة: آية (١٨٧).

فليس أبدع من تصوير هذه المعانى كلها فى تشبيه واحد شامل عميق.

وإذا كانت العلاقة بين الرجل والمرأة وثيقة، فقد وجب أن يلتقيا ليكون كل منها لباساً لصاحبه، يزينه ويكمله، ويلتصق به للوقاية والستر[1]،

لهذا يحرص على إحاطة هذه العلاقة بنوع من القدسية والسرية. حفاظا على المروءة والشرف وصيانة للفرد والمجتمع مما تسببه المجاهرة من أخطار وأضرار تقوض الفضائل الإنسانية [2]. ولذلك حذر الإسلام الأزواج من ممارسة الجنس علانية أو جعله موضع أحاديثهم وثمرهم. فقال ﷺ :

«شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى إلى المرأة وتفضى إليه ثم ينشر سرها» [3]. وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال صلى بنا رسول الله ، فلما سلم أقبل علينا بوجهه فقال: «مجالسكم. هل منكم الرجل إذا أتى أهله أغلق بابه وأرخى ستره، ثم يخرج فيحدث فيقول: فعلت بأهلى كذا وفعلت بأهلى؟ فسكتوا. ، فأقبل على النساء، فقال هل منكم من يحدث؟ فجاءت فتاة كعاب على إحدى ركبتيها وتحاولت ليراها رسول الله ﷺ ويسمع كلامها. فقالت: أى والله، إنهم يتحدثون وإنهن يتحدثن فقال عليه السلام هل تدرون ما مثل من فعل ذلك؟ إن مثل من فعل ذلك مثل شيطان وشيطانة لقيا أحدهم صاحبه بالسكة فقضى حاجته منها والناس ينظرون إليه»[4].

### ٣- استمرار النوع وتكاثر النسل:

إذا كان الله سبحانه وتعالى ألقى فى قلب كل من الرجل والمرأة ميلاً إلى الآخر، فإن الهدف أولاً من ذلك هو إنتاج النسل لحفظ النوع. فيقول تعالى: ﴿نساؤكم حرث لكم﴾[5] فيحدد بذلك هدف العلاقة بين الجنسين بتلك الصورة الموحية: صورة الأرض التى تحرث، لوضع البذرة، وتعهدها حتى تنبت، وتأتى بثمرة جديدة من نفس النوع[6].

---

(١) انظر: الإنسان بين المادية والإسلام. ص١٩٤-١٩٦..

(٢) انظر: الإسلام والجنس. فتحى يكن. ص٣٨,٣٩.

(٣) رواه مسلم وأبو داود..

(٤) رواه أحمد وأبو داود..

(٥) سورة البقرة: آية(٢٢٣).

(٦) انظر الإنسان بين المادية والإسلام. محمد قطب. ص١٩٤.

يقول الإمام الغزالى: «إن شهوة الجماع خلقت لتكون باعثة للإنسان على الجماع وهو سبب بقاء النوع الإنسانى، فيطلب النكاح للولد والتحصن لا للعب والتمتع» أى أن المؤمن الحقيقى لا يكون هدفه من الجماع الحسى فقط، بل بالإضافة إلى ذلك يجب أن يهدف إلى التناسل، يقول الحبيب المصطفى ﷺ «تزوجوا الودود الولود فإنى مكاثر بكم الأمم»[1].

ويقول: «تناكحوا تناسلوا تكثروا فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة». وبهذه الصورة الموحية يتبين رأى الإسلام منذ البدء، فهو يرى أن للشهوة هدفاً محدداً ولا يوافق على أن إرضاء الشهوة هو فى ذاته الهدف الأول والأخير[2].

**٤ـ تكوين الأسرة:**

إن الهدف الأسمى من إلقاء الله سبحانه وتعالى فى قلب كل من الرجل والمرأة ميلاً للآخر هو تكوين الأسرة التى تستجيب لمشاعر الألفة فى نفس الرجل والمرأة استجابة كاملة، لا تتيسر بنوعها ومداها ودوامها فى أية علاقة أخرى يمكن أن تقوم بين فردين وتستجيب فى ذات الوقت لمطالب الأطفال، الذين أنجبتهم فى المرحلة السابقة ـ أو فى الجزئية التى سبقت هذه فى الترتيب. وفي الأسرة تتربى الطفولة على مشاعر الحب، التى تخفف من شهوة الصراع الذى تدفع إليه طبيعة الحياة قال تعال: «وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ»[3] فيتحقق بذلك أكبر قسط من السعادة لهؤلاء الأطفال أنفسهم، ولآبائهم من قبل، وهم فى الوقت ذاته نواة المجتمع المستقبلة، منهم يتكون الجيل الجديد الذى يحكم المجتمع عما قليل[4].

فالأسرة هى موطن الراحة والاستقرار ومصنع الأجيال والشعوب ومنبع المسؤلية. فالرجل راع فى بيته ومسؤل عن رعيته، والمرأة راعية فى بيتها ومسؤلة عن رعيتها، وهما معاً راعيان فى المجتمع ومسؤلان عن رعيتهما، ينشدان لهما الخير ويحققان لها السعادة ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[5].

---

(١) أبو داود. كتاب النكاح. ٣م. رقم الحديث (٢٠٥٠)..
(٢) الإنسان بين المادية والإسلام. ص١٩٤.
(٣) سورة البقرة: آية ٢٥١.
(٤) انظر: الإنسان بين المادية والإسلام. ص١٩٦.
(٥) سورة الفرقان: آية: ٧٤.

وهكذا تكون الأسرة التى شملت جزئيات أصغر منها فى تناسق وتوافق كاملين، جزئية فى نظام أكبر منها، تؤدى وظيفتها الخاصة القريبة، ووظيفتها الأخرى فى التناسق الاجتماعى وهو أوسع مدى وأشمل. وهكذا نتدرج من المجتمع الواحد إلى المجتمعات الأخرى، إلى الإنسانية الشاملة فى النهاية، على هذا النسق المتوافق الذى يجعل كل جزئية وسيلة لغاية أكبر حتى تتحقق غايات الحياة العليا، بالجملة والتفصيل فى لحظة واحدة، وبنظام واحد دقيق[1].

٥- تفريغ الطاقة الجنسية:

إن تفريغ الطاقة الجنسية لدى كلا من الرجل والمرأة تحقق للإنسان نفعاً حسياً وآخر نفسياً.

من أجل ذلك نجد الإسلام وضع للعملية الجنسية (الجماع) ما تحتاجه من توجيه وتنظيم. فهو يدرك أن (الجماع) كى يكون مثالياً محققاً الغاية الفطرية منه يجب أن يكون منسجمًا فى العمل والاستجابة، مؤدياً إلى الاستمتاع والاتحاد الحسيين والنفسيين بين الزوجين.

والاستعداد النفسى والتحضير العاطفى خير سبيل للبلوغ بالزوجين معاً الإشباع المطلوب.. وإلى ذلك يشير الرسول ﷺ بقوله: «**لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة، وليكن بينهما رسول قيل وما الرسول يا رسول الله؟ قال: القبلة والكلام**»[2].

ويقول عليه الصلاة والسلام: «**ثلاث من العجز فى الرجل: الأول أن يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعلم اسمه ونسبه. والثانى: أن يكرمه أحد فيرد عليه كرامته. والثالث: أن يقارب الرجل جاريته أو زوجته فيصيبها قبل أن يحدثها ويؤانسها**»[3].

وحول هذا المعنى يقول الإمام الغزالى فى: (**ثم إذا قضى وطره فليتمهل على أهله حتى تقضى هى أيضاً نهمتها. فإن إنزالها ربما يتأخر فيهيج شهوتها. ثم القعود عنها إيذاء لها. والاختلاف فى طبع الإنزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقاً إلى الإنزال، والتوافق فى الإنزال ألذ عندها**)[4].

---

(١) انظر: الإنسان بين المادية والإسلام. ص١٩٦..

(٢، ٣) رواه الديلمى فى مسند الفردوس.

(٤) إحياء علوم الدين - أدب المعاشرة - صفحة ٤٠.

إن الاتحاد الحسى والنفسى الذى يحرص الإسلام على تحقيقه بين الزوجين أثناء الجماع له فوائده الكثيرة التى لا تخفى على من لهم إلمام فى العلوم النفسية والجنسية. ويكفى أنه يضمن الإشباع الكامل للطرفين مما يتحقق معه إحصانها وتوثيق عرى الحب والمودة بينهما..

ولذا كثيراً من الدراسات الجنسية تشير إلى أن الانحرافات والخيانات والمشاكل التى تصيب الحياة الزوجية إنما تعود فى معظم الحالات إلى عدم التجانس الجنسى والنفسى بين الزوجين، وعدم بلوغهما درجة الاتحاد..

وإلى أن تتهيأ للشباب فرص الزواج وأسبابه فإن الإسلام يدعوهم إلى الاستعفاف وهو علاج مقبول وطبيعى فى مجتمع نظيف خال من المثيرات مجتمع لا يترك الإنسان فريسة القصف الغريزى المدمر، كما هو مشاهد اليوم فى المجتمعات البشرية كافة[1]. وهذا الاستعفاف يكون حين لا يجد الإنسان الإمكانات التى تؤهله للزواج المشروع. يقول الله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[2] ويقول الرسول ﷺ: «**ثلاث حق على الله عونهم: المجاهد فى سبيل الله، والمكاتب الذى يريد الأداء، والناكح الذى يريد العفاف**».[3] ويقول الله تعالى في حق يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾[4]. ومن أجل هذا كان توجيه الرسول ﷺ للشباب باستفراغ طاقاتهم فى الرماية، والسباحة، وركوب الخيل، وكان ينادى فى الشباب دائماً: «**يا شباب قريش: احفظوا فروجكم لا تزنوا، ألا من حفظ فرجه فله الجنة**».[5] ويقول ﷺ «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»[6].

لذا نجد الإسلام يأمر بغض البصر، ويمنع المرأة من التبرج وإظهار مفاتنها ويحرم الاختلاط بين الرجل والمرأة فى خلوة غير مشروعة. وكل هذه وسائل لضبط الغريزة والتحكم فيها[7].

---

(١) انظر: الإسلام والجنس. فتحى يكن. ص٣٣.

(٢) سورة النور: آية ٣٣.

(٣) رواه الترمذى.

(٤) سورة يوسف: آية ٣٣.

(٥) رواه الحاكم والبيهقى.

(٦) رواه البخارى ومسلم.

(٧) انظر: نظرية التحليل النفسى عند فرويد. ص٨٥.

وقد رسم الإمام الغزالى لعلاج آفة الغريزة الجنسية أموراً ثلاثة هى:

الجوع، وغض البصر، والاشتغال بشىء يستولى على القلب[1].

**والخلاصة:**

أن الإسلام اعترف بكثير من شهوات النفس، ومنها شهوة الجنس، إلا أنه لم يطلق لها العنان حتى تشيع الفاحشة يقول تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾[2].

ويقول المصطفى ﷺ: «**وما تشيع الفاحشة فى قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء**» ،وهذا ما قرره أبو بكر الصديق رضى الله عنه حين قال: «ما ترك قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة فى قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء»[3].

من أجل ذلك حض الإسلام على الزواج بالطريق المشروع، وسمح بالتعدد لأسباب معينة وليس امتهانا للمرأة. وذلك لأن الزواج فيه المودة والمحبة، وبه يستمر النوع الإنسانى وتتكون الأسرة،وتهدأ الطاقة الجنسية. وقد جعله النبى ﷺ بمثابة نصف الدين لأنه يقى من الشهوة العارمة، ويخلص النفس من سطوتها ومشغلتها، ويهيئ المشاعر والأفكار لاستقبال الأهداف العليا، والعمل فى سبيلها[4].

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل حارب الانحراف فى إشباع الجنس والمتمثل فيما يلى:

**١ـ الرهبانية والتبتل:** نهى الإسلام عن التطرف فى إشباع الدافع ولو كان إلى أعلى، لذلك منع الرهبانية التى تقوم على القضاء على نوازع الجسد من أجل العبادة قال تعالى: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾[5].

كما نهى الإسلام عن التبتل: وهو الامتناع عن النكاح من أجل العبادة.

«يروى أن ثلاثة رجال جاءوا إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادته

(١) انظر: قضايا العصر فى ضوء الإسلام. أنور الجندى. ص١٧٥.

(٢) سورة النور: آية(١٩).

(٣) انظر: الإسلام والجنس. فتحى يكن. ص٦٧.

(٤) انظر الإنسان بين المادية والإسلام. محمد قطب. ص١٩٧.

(٥) سورة الحديد: آية ٢٧.

فلما أخبروا عنها كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من رسول الله ﷺ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

فقال أحدهم: أما أنا فإننى أصلى الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر أنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبداً.

فجاء رسول الله ، فقال: **أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم، ولكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى**[1].

**٢ـ الزنا:** حارب الإسلام الزنا واعتبره من الفواحش قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[٢] وذلك لأن ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣] وشدد الإسلام فى عقوبة الزنا، فحدد العقوبة بمائة جلدة لكل واحد منهما، وتكون العقوبة على مرأى من الناس. قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤].

وإثبات الزنا لا يكون مجرد تهمة أو إدعاء لفظياً، بل يتطلب ذلك أربعة شهود: قال تعالى: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾[٥].

وفى الوقت نفسه وضع الإسلام عقوبة لرمى المحصنات، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٦].

**٣ـ اللواط:** هو شذوذ جنسى. أول من لجأ إليه قوم لوط عليه السلام، فقد قال

(١) رواه البخارى.
(٢) سورة الإسراء: آية ٣٢.
(٣) سورة النور: آية ٣.
(٤) سورة النور: آية ٢.
(٥) سورة النساء: آية ١٥.
(٦) سورة النور: آية ٤.

لهم سيدنا لوط عليه السلام: ﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾[1].

وقد استغرب سيدنا لوط عليه السلام شذوذهم هذا، فتساءل قائلا: **﴿أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون﴾**[2].

ثم وضح طبيعة هذا الشذوذ فقال: **﴿إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء﴾**. وحكم عليهم فقال: ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾[3]. ثم قال ﴿بل أنتم قوم تجهلون﴾[4].

وقد شدد رسول الله ﷺ فى عقوبة اللواط بحديث رواه ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ، قال: من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط، فاقتلوا الفاعل والمفعول به»[5].

**٤- السحاق:** وهو شذوذ جنسى قد يوجد بين النساء، حيث تباشر المرأة امرأة مثلها. وقد نهى الإسلام عنه، لقوله ﷺ: **«لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضى الرجل إلى الرجل فى الثوب الواحد ولاتفضى المرأة إلى المرأة فى الثوب الواحد»**[6].

**٥ ـ الجماع فى الحيض:** منع الإسلام الجماع فى الحيض، وذلك لما يؤدى إليه من ضرر صحى جسمانى وذلك لقول الله تعالى: **﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾**[7]. وقد أثبت الطب الحديث أن الجماع فى فترة الحيض يحدث أضراراً كثيرة، منها:

(أ) بالنسبة للمرأة: **آلام فى الأعضاء التناسلية عند الأنثى، وربما حدثت التهابات فى الرحم أو المبايض مما يضر بصحتها ضرراً بليغاً، قد يساهم فى أحداث العقم.**

(ب) بالنسبة للرجل: إن دخول **مواد الحيض فى عضو التناسل عند الرجل قد**

---

(١) سورة الأعراف: آية(٨٠).
(٢) سورة النحل: اية (٥٤).
(٣) سورة الأعراف: آية (٨١).
(٤) سورة النمل: آية (٥٥).
(٥) رواه أصحاب السنن.
(٦) رواه مسلم.
(٧) سورة البقرة: (٢٢٢)

يحدث التهاباً صديدياً يشبه السيلان، وربما امتد ذلك إلى الخصيتين فآذاهما، وقد يصاب الرجل بمرض الزهرى إذا كانت جراثيمه موجودة فى دم المرأة[1].

(1) انظر: تفسير المراغى..

## ٤ـ الإسلام والكبت

لقد ذهب «فرويد» إلى أن عملية الكبت تستبعد من الشعور الخبرات المؤلمة حتى لا تحدث ألما للشعور[١]. وهو ينشأ من استقذار الدافع الغريزى فى ذاته وعدم اعتراف الإنسان بينه وبين نفسه أن هذا الدافع يجوز أن يخطر فى باله أو يشغل تفكيره. وعلى هذا فالكبت بهذا المعنى مسألة لا شعورية، وقد لا يعالجها إتيان العمل الغريزى، لأن الذى يأتى هذا العمل وفى شعوره أنه يرتكب قذارة لا تليق به، شخص يعانى الكبت حتى ولو ارتكب هذا العمل عشرين مرة كل يوم لأن الصراع سيقوم فى داخل نفسه كل مرة بين ما عمله وما يجب أن يعمله، وهذا الشدّ والجذب فى الشعور وفى اللاشعور هو الذى ينشىء العقد والاضطرابات النفسية[٢].

وعلى هذا فالكبت هو قمع الشهوات، ومحاولة الامتناع عن الإحساس بها رغبة فى التطهر والترفع. وهذا له عواقب وخيمة.

فالكبت ليس هو الامتناع عن إتيان العمل الغريزى. ولذا فرق «فرويد» بين «الكبت اللاشعورى» وبين عدم الإتيان بالعمل الغريزي لأنه مجرد تعليق للعمل[٣].

أما «الإسلام» فنجده اعترف بالدوافع الفطرية كلها من حيث المبدأ وعدم كبتها فى اللاشعور، ثم إباحة التنفيذ العملى لها فى الحدود التى تعطى قسطاً معقولاً من المتاع، وتمنع وقوع الضرر سواءً على فرد بعينه أو على المجموع كله.[٤] ومن هنا نجد الإسلام لا يستقذر الدوافع الجنسية، بل يعترف بها اعترافاً صريحا واضحاً على أنها أمر واقع لا يستنكر ولا يستقذر.

يقول الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾[٥] . فيجمع فى هذه الآية شهوات

---

(١) انظر: التحليل النفسى بين العلم والفلسفة د/ أحمد فائق . ص٢٧ .
(٢) انظر: شبهات حول الإسلام .ص١٧١ ، ١٧٢ .
(٣) انظر: نفس المصدر .ص ١٧٢ .
(٤) انظر: نفس المصدر. ص ١٧٣ .
(٥) سورة آل عمران: آية (١٤).

الأرض ويقرر أنها أمر واقع مزين للناس لا اعتراض عليه فى ذاته، ولا إنكار على من يحس بهذه الشهوات، لقول النبى ﷺ «حبب إلى من دنياكم الطيب والنساء، وجعلت قرة عينى فى الصلاة».[1] وقوله : "إن فى بضع أحدكم (أى لقائه بزوجته) لأجرا..»[2].

فالإسلام لا يبيح للناس أن ينساقوا مع الشهوات إلى المدى الذى يكونوا فيه مستعبدين لها، لا يملكون أمرهم منها حتى لا يهبطوا إلى عالم الحيوان[3].

وذلك لأن الاستغراق فى الشهوات يحدث منه ضرر للفرد والمجتمع، أما الضرر الذي يحدث للفرد من استغراقه فى الشهوات هو إفناء طاقته الحيوية قبل موعدها الطبيعى، واستبعاد الشهوات له بحيث تصبح شغله الشاغل وهمه المقعد المقيم، فتصبح بعد فترة عذاباً دائماً لا يهدأ، وجوعة دائمة لا تشبع ولا تستقر.

أما الضرر الذى يحدث للمجتمع من استغراق فى الشهوات هو استنفاد الطاقة الحيوية التى خلقها الله لأهداف شتى، فى هدف واحد قريب وإهمال الأهداف الأخرى الجديرة بالتحقيق فضلا عن تحطيم كيان الأسرة، وفك روابط المجتمع وتحويله إلى جماعات متفرقة لا يجمعها رابط ولا هدف مشترك مما يسهل على غيرهم غزوهم وتحطيمهم كما حدث لفرنسا.

ومن هنا نجد الإسلام وضع حدوداً لضبط الشهوات حتى يمنع الضرر الذي يحدث من الاستغراق فيها. وفى هذه الحدود - التى تمنع الضرر - يبيح الإسلام الاستمتاع بطيبات الحياة بل يدعو إليه دعوة صريحة فيقول مستنكراً: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾؟[4] ويقول: ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾[5].
ويقول: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُم﴾[6]. ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾[7].

---

(١) رواه ابن كثير فى التفسير.
(٢) رواه مسلم.
(٣) انظر: شبهات حول الإسلام. محمد قطب. ص ١٧٢.
(٤) سورة الأعراف: آية ٣٢.
(٥) سورة القصص: آية ٧٧
(٦) سورة الأعراف: آية ١٦٠.
(٧) سورة الأعراف: آية ٣١.

بل يصل فى صراحته فى الاعتراف بالإحساس الجنسى خاصة، وهو مدار الحديث عن الكبت في الاديان - لقول الرسول ﷺ «حبب إلىّ من دنياكم الطيب والنساء، وجعلت قرة عينى فى الصلاة»[1].

فيرجع الإحساس الجنسى إلى درجة الطيب أزكى رائحة فى الأرض، ويقرنها إلى الصلاة أزكى ما يتقرب به الإنسان إلى الله. ويقول فى صراحة كذلك: إن الرجل يثاب على العمل الجنسى يأتيه مع زوجته فإذا قال المسلمون متعجبين:

«يا رسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال الرسول ﷺ: «أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر»[2].

ومن هنا لا ينشأ الكبت إطلاقا فى ظل الإسلام. فإذا أحس الشباب بالرغبة الجنسية الدافقة فليس فى ذلك منكر، ولا يوجد داع لاستقذار هذا الإحساس والنفور منه. وإنما يطلب الإسلام من الشباب أن «يضبط» هذه الشهوات فقط دون أن يكبتها. وليست الدعوة إلى ضبط الشهوات فى الإسلام تحكما يقصد به حرمان الناس من المتاع وذلك لأن التاريخ يشهد أنه ما من أمة استطاعت أن تحافظ على كيانها وهى عاجزة عن ضبط شهواتها والامتناع بإرادتها عن بعض المتاع المباح.

كما يقرر من الجانب الآخر أنه ما من أمة ثبتت في الصراع الدولى إلا كان أهلها مدر بين على احتمال المشقات، قالقادرين على إرجاء ملذاتهم - أو تعليقها - حتى تقتضى الضرورة ساعات أو أيام أو سنوات ومن هنا كانت حكمة الصوم فى الإسلام[3].

وعلى هذا فقمع الشهوات فى الإسلام دليل على أن النفس سوية، ودليل على اقتدارها. ولا يمنع الإسلام الإحساس بالشهوة فى داخل النفس فإذا أحس بها فليس ذلك من نوازع الشيطان، ولا مما هو يجلب غضب الله تعالى عليه لكنه وضع - كما قلت - قيوداً أو حدوداً لضبطها حتى لا يصبح الإنسان عبداً لها مستغرقاً فيها فيقع فى الضرر.

ومن هنا نجد أن نظرة الإسلام تتمشى مع الطبيعة البشرية لأنه لا يكبت طاقتها

---

(1) رواه ابن كثير فى التفسير.

(2) رواه مسلم.

(3) انظر: شبهات حول الإسلام. محمد قطب. ص ١٧٣ - ١٧٥.

الحيوية ومن ثم لا يلجىء الناس إلى النفاق، لانه لا يتطلب منهم ما يحوجهم إلى النفاق.

فهو يدعوهم دعوة صريحة إلى أخذ نصيبهم من المتاع الجنسى إذ يدعوهم إلى الزواج والتبكير فيه. كل ما فى الأمر أنه يمنعهم من أخذ هذا النصيب فوضى على طريقة الحيوان، ويفتحه لهم نظيفاً طاهراً كما يليق بالإنسان. فإذا أطاع الناس تعاليم دينهم فى هذا الموضوع فلا نفاق إذن ولا حاجة إلى النفاق وإنما هو الصراحة الكاملة والسعى الواضح المكشوف[1].

**الضبط والكبت:**

لقد سبق أن ذكرت أن الإسلام وضع قيوداً وحدوداً لضبط الشهوات حتى لا يستغرق الفرد فى شهواته، فيقع فى الضرر الذى يعود على نفسه وعلى مجتمعه.. وهذا الضبط يختلف عن الكبت فيما يلى؟

١- أن الكبت عملية قمع لا شعورية. أما الضبط فهو عملية عقلية إرادية واعية يقوم بها الإنسان العاقل المسئول بما يملكه من اختيار وعقل.

فالضبط عملية لتحكيم العقل وسيطرته على الغريزة وتوجيهها فى الاتجاه الصحيح الذى يرضاه لها الإسلام. وعلى ذلك يكون العقل هو أداة الضبط الأساسية فى النفس، ولذا سماه العرب عقلاً لهذا السبب لأنه يكف ويضبط: يضبط العلم ويضبط الأهواء، والشهوات والغرائز... وتمده من الداخل النفس اللوامة بما فطرت عليه من كراهية الفجور والشر، وتمده من الخارج الشرائع والتربية السليمة[2].

٢- أن عمل «الضبط» يكون بعد أن نخرج الشهوة من ظلمات اللاشعور إلى الشعور. وتكون مهمته أن ينظم مساربها وينظفها ويتحكم فى القدر الذى يسمح به منها، واللحظة المناسبة «للتفريغ»، بحيث يوازن بين المطالب المختلفة للفرد: أولا بوصفه شخصية مستقلة، فيمنعه من الإسراف المضر. وثانيا بوصفه عضواً فى الجماعة، فلا يصرح له بإيذاء غيره، حرصاً على المصلحة العامة التى تعود آخر الأمر على هذا الفرد ذاته بالخير الجزيل[3].

---

(١) انظر: فى النفس والمجتمع محمد قطب. ص ١٠٤، ١٠٥.
(٢) علم النفس الإسلامى العام والتربوى. ص ١٣٢.
(٣) الإنسان بين المادية والإسلام محمد قطب. ص ٩١.

بينما عملية «الكبت» تتعرض للشهوة فى منبتها ، وقبل أن تظهر فى الشعور لأن ذلك يحبس النشاط الحيوى عن منطلقه الطبيعى، ويضيع الجهد المطلوب لذاته، لتحقيق أهداف الحياة الأصلية. وهي أهداف يحرص الإسلام على تحقيقها وعدم التعرض لها[1].

٣ـ أن الضبط يعترف بحق الشهوة فى الوجود، لكنه يعلق تنفيذها العملى إلى اللحظة المناسبة. وخير مثال لذلك فى الإسلام «الصيام».

فالصائم لا يحرم على نفسه الطعام والشراب من حيث المبدأ، وإنما هو يعلق أو يؤجل تنفيذ حقه فيهما إلى لحظة معينة.

وهذا هو الذى يدفع الأطفال إلى التشبث بالصيام دون أن يكلفهم به أحد وهو الذى يجعل عدد الصائمين ـ حتى فى وقت الانحلال الدينى ـ أكبر من عدد المصلين على عكس ما كان ينتظر، نظراً لمشقة الصوم وسهولة الصلاة بالنسبة إليه. ويرجع ذلك إلى أن مغالبة النفس أوضح فى الصوم منها فى الصلاة، وهى ـ كما يشهد الواقع ـ عملية محببة حين يوجه إليها الإنسان[2].

وبهذا يختلف الضبط فى طبيعته اختلافاً أساسياً عن الكبت اللاشعورى .

٤ـ أن سلوك الإنسان فى الضبط سلوك إرادى يتميز بالقدرة على الكف وتركيز الانتباه فى اتجاه مرسوم، وذلك لتحقيق إعلاء الميول، وعناصر هذا الضبط حاضرة فى شعورنا ولذلك لا يترتب عليه ضبط ما، وهو عملية واعية لا تتعرض للشهوة فى منبتها ، والمهمة الأساسية لها التنظيم والتصعيد[3].

وقد تمثل هذا الضبط فى قصة سيدنا يوسف عليه السلام. وهى نموذج هادف يتمثل بالطهر نابض بالعفة نرى فيه الاشتهاء والرغبة والجوع الجنسى كما نرى فيه العاطفة المتأججة تطول ألسنتها، ويندلع فحيحها فى وجه العقل الصامد.

فنرى امرأة العزيز تعد العدة وتستخدم أسلحتها وأساليبها:

تبدى زينتها وتظهر مفاتنها، تتفنن وتتحايل، ويوسف يستعصم ويقاوم بعد أن

---

(١) انظر: نفس المصدر. .

(٢) انظر: نفس المصدر ص ٩٣.

(٣) انظر: دراسات فى الفلسفة الإسلامية .د/ أبو الوفا التفتازانى. ص ١٤٤. القاهر ١٩٥٧، والدراسات النفسية عند المسلمين والغزالى بوجه خاص. عبد الكريم العثمان ص ٢١٣، ٢١٤ مكتبه وهبه. الطبعة الثانية ١٩٨١.

رأى برهان ربه، قال تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[1].

٥- أن الضبط الواعي، المنظم المتحكم، هو الرقيب اليقظ الذي يحاسب النفس على أعمالها ويوجهها إلى طريق الصلاح، أو إلى الصراط المستقيم كما يعبر القرآن، وكلما زادت درجة التهذيب زادت اليقظه بالنسبة لهذا الرقيب، وزاد إشرافه على ما يأتيه الإنسان من أعمال، بحيث لا يفر عمل واحد من رقابته، ولا يخرج إلى الوجود دون تصريح منه.

وإذا كان الرقيب يحاسب النفس بموجب هذا القرآن المنزل عن اقتناع شعورى واع بمعقوليته ومشروعته، فليس معنى هذا أن الكبت ينتفى تماماً من النفس البشرية لأن بعض الكبت قد لا يكون خيراً. و«فرويد» ذاته يقرر أن قدراً معيناً من الكبت ينشأ بطريقة ذاتية ولا ضرر فيه، ولولا وجود الكبت لظل الإنسان فى عذاب دائم من رغبات لا يمكن تحقيقها أصلاً، وهذا لا يرجع إلى أن المجتمع أو الدين أو الأخلاق تحول دونها، ولكن لأن الطاقة البشرية تقف دونها عاجزة، كالرغبة فى الطيران فى الجو، والرغبة فى السيطرة المطلقة على قوى الطبيعة، ورغبة بعض الأطفال فى الحصول على القمر. ولعل كبت هذه الرغبات المستحيلة هو الذى يوجه النشاط العلمى لمحاولة تحقيقها من طريق آخر ويوجه الفن لتحقيقها فى الخيال.

وهذا يعنى إذا كان الكبت لا ينتفى إطلاقاً، فإن الرقيب يظل بيقظته الدائمة يعمل على إخراج الممنوعات من اللاشعور إلى الشعور، وبذلك ينتفى الأثر الضار للكبت وتضيق دائرته إلى أبعد الحدود[2].

وبناء على ما سبق نجد أن الضبط يختلف فى طبيعته اختلافا أساسيا عن الكبت اللاشعورى.

---

(١) سورة يوسف: آية ٢٣ .

(٢) انظر: الإنسان بين المادية والإسلام محمد قطب. ص ٩١، ٩٢.

## الصبر والكبت

١ـ يرى أصحاب التحليل النفسى الحديث، أن الصبر نوع من الكبت، وأن جوهر الكبت يكمن فى تجنب ماهو مؤلم وأن مصدره صراع بين رغبات وأهواء متضادة متضاربة تؤدى إلى الكبت[1].

أما الصبر فهو عمل واع وطريق اختيارى فهو علم ثم جهاد ومعاناة ومكابدة فى سبيل الحق. وذلك لأن الصابر يتحمل المعاناة لشتى أنواع الابتلاءات وهى اختبارات تحتاج من المرء إلى الكظم، والتوكل، والرضا في جميع الأحوال فيحتاج إلى علم[2].

وأما «الكبت» فهو عملية هروب مستمرة دائمة فهو فرار من الوعى إلى اللاوعى، وكأنه لا يوجد شيء يصبر عليه فيحاول الكبت التخفيف عن المرء عما يقاسيه بكبته فى اللاشعور، إذ يهرب مما يحاصره من دوافع.. خوفاً وعلماً من وقوعه تحت طائلة القانون.. إذ فضحته نفسه أو خشى انكشاف أمره، فيحتقره المجتمع، وتتنصل منه الجماعة، فهو يكبت ليهرب من النزعات والصراعات، فإذا وجد باباً لاستظهارها انفجرت المكبوتات فى صور ضروب من الأفعال الشاذة، والنشاط التدميرى والسلوك الانحرافى. وعلى هذا فالكبت لا يتحمل شيئاً لأنه كالوتر المشدود، مرتاباً.. قلقاً .. خائفاً يحيا فى الهم والغم، متشائماً، يرى الحياة بمنظار شديد السواد [3].

وعلى هذا فالصبر ليس نوعاً من الكبت.

ويدعى أصحاب التحليل النفسى هروب الناس جميعاً إلى كبت دوافعهم العدوانية والشهوانية. وهذا الفرض لا تؤيده أى أسانيد منطقية أو أسباب مقبولة عقلية، لأن الإنسان مسئول عن نفسه، وعليه أن يختار طريق الخير أو طريق الشر ثم هناك فى آخر الأمر جزاء من الله حسب الإخلاص فى الأعمال إما بالنعيم أو بالعذاب الأخروى. والله ـ سبحانه وتعالى ـ يأمر الناس باتباع الطريق القويم والصراط

---

(١) انظر: نحو علم نفس إسلامى. د/حسن الشرقاوي. ص ٣٥٩.
(٢) انظر: نفس المصدر. ص ٣٦١.
(٣) انظر: نفس المصدر. ص ٣٦١، ٣٦٢.

المستقيم، ويبين لعباده أن الصبر الجميل أفضل طريق للإنسان فى الدنيا والآخرة[1]. فيقول تعالى:

﴿ فاصبر صبراً جميلاً ۝ إنهم يرونه بعيداً ۝ ونراه قريباً ﴾[2].

﴿ وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ﴾[3].

﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾[4].

يقول الرسول ﷺ فى نصيحة لغلام منها:

**«.. واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب.. وأن مع العسر يسرا»[5].**

٣ـ الكبت ناتج عن ضغوط بيئية قسرية كما يدعى «فرويد» أما الصبر ابتلاء وامتحان من الله للفرد لمعرفة قدرته على التحمل فى سبيل الله يقول الله تعالى: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾[6]

وبذلك يكون للصبر موقفاً إيجابياً فيه سمو عن الأحداث وارتفاع عن الغرائز ورضا بالقضاء وليس هو بموقف المرتعب، وإنما هو موقف المطمئن، هو سكينة ليس فيها عجلة.. ولا حركة[7].

٤ـ الصبر علاج للنفس البشرية من آفاتها لأنه عملية تخلية وتحلية بإرشاد ربانى وتوجيه رحمانى. فهو تخلية من العدوان وسلب لنزعات النفس الشهوية كما أنه تحلية للنفس بالصفح الجميل وعدم رد الأذى، والبعد عن الآفات.. وبذلك يحقق صاحب الصحة النفسية التى ينشدها كل إنسان، لأنه قوى بالله صاحب عقيدة يؤمن بها إيماناً لا ريب فيه.

---

(١) انظر: المرجع السابق ص ٣٦٥، ٣٦٦.
(٢) سورة المعارج: آية ٥، ٧.
(٣) سورة: البلد: آية ١٧.
(٤) سورة العصر: آية ٣.
(٥) انظر: تنبيه الغافلين. السمرقندى. ص٩٠. مكتبة زهران.
(٦) سورة محمد آية: ٣١.
(٧) انظر: نحو علم نفس إسلامى. د/ حسن الشرقاوى ص ٥٤، ٥٥.

أما الكابت غير الصابر لأنه يحمل نفساً مريضة تخاف أن تفضحه، وتكشف عن نزعاته الشهوية، وأهوائه المتقلبة. وربما وقع فى العلل والأمراض وما يسمى بالأمراض الهستيرية كنتيجة لكبت دوافعه العدوانية أو الشهوانية، كما أنه يجزع ويحيا في عالم من الاوهام، لا تتحمل أعصابه شيئاً، وأنه كآلة مشدودة نكاد تتقطع أوتارها[1].

وأخيراً أجد أن خير مثال للتفرقة بين الصبر والكبت ما حدث فى قصة يوسف عليه السلام، حيث أوذى يوسف عليه السلام ـ من إخوته، وألقوه فى الجب، وصبر والده يعقوب ـ عليه السلام ـ على فقده صبراً جميلا، رغم معرفته اليقينية، وعلمه اللدنى الذى وهبه الله تعالى إياه، بأن أولاده جاهلون وكاذبون وأن ما ادعوه افتراء، فقال لهم كما ورد فى الآية الكريمة: **﴿بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل﴾**[2] ثم ابتلى بفقد ابنه الآخر «بنيامين» ولم يقنط من رحمة الله، إنما كظم غيظه وصبر على بلائه. ومع توجهه إلى الله تعالى بالدعاء فقد استجاب لدعائه وبشر بعودة ابنه من الله تعالى بعد غياب طويل. «فقال إنى لأجد ريح يوسف»[3].

ثم تتابع المبشرات ويحظى يعقوب ـ عليه السلام بالنعم الإلهية، كثمرة لصبره، ومثابة لتحمله، وجزاء لصدقه وتوكله... لقد رجع إلى يعقوب ـ عليه السلام ـ فى غمرة البشرى باللقاء الموعود نور عينيه.. بلا علاج ولا دواء كأنه لم يمرض كمداً، ولم يكابد صبراً، ولم يتحمل كظماً.. وكأن قلبه لم يتفطر ألما وحزناً، وقال تعالى: **﴿ فَلَمَّا أن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾**[4].

ثم أخذ يذكر أولاده بقوله السابق عند البلاء.. عسى أن يكون ذلك عبرة وتذكرة، وهو مطمئن النفس.. رابط الجأش.. ساكن القلب، لقول الله تعالى: **﴿ألم أقل لكم إنى أعلم من الله ما لا تعلمون﴾**[5].

وبناء على ما سبق: نجد أن الصبر نوعًا من الكبت، ويختلف فى طبيعته عن الكبت وليس كما يدعى «فرويد».

**الخلاصة:**

أنه لا يوجد كبت فى الإسلام، لأن الإسلام لا يمنع من تحقيق الرغبات وإنما

---

(١) انظر: المرجع السابق ص ٣٦١,٣٦٧، ٥٤.
(٢) سورة يوسف: آية ١٧.
(٣) سورة يوسف : آية ٩٤.
(٤، ٥) سورة يوسف: آية (٩٦).

يوجد كظم للغيظ. وعلى فرض أنه يوجد كبت، فهو ليس كبتاً مطلقاً، وإنما هو كبت مؤقت إلى حين تنفيذ العمل.

كما أن كبت الأفكار التى تتصادم مع الفطرة فى الإسلام ليست محرمة، ما دام لم يتم عملها، لأن العبرة فى الإسلام بالعزم والتصميم، والإنسان مسئول ومحاسب على ما تم عمله فقط. وهذا بخلاف كبت الأفكار عند «فرويد» لأنها محرمة.

## ٥. الإسلام والأخلاق عند فرويد

سوف أعرض بإيجاز لنقاط ثلاث عند «فرويد» وأوضح موقف الإسلام منها وهى موقف «فرويد» من الأخلاق عموماً ومصدرها، ثم موقفه من الشعور بالإثم وأخيراً الضمير أو الذات العليا.

**أولا: الأخلاق ومصدرها.**

نظراً لأن الإنسان عند «فرويد» تحركه الغرائز، وخاصة غريزة الجنس، فقد ذهب إلى «أن الإنسان لا يحقق ذاته بغير الإشباع الجنسي... وكل قيد من دين أو أخلاق أو مجتمع أو تقاليد هو قيد باطل مدمر لطاقة الإنسان وهو كبت»[١]. فاعتبر «فرويد» الدين والأخلاق موانع.. لأنها تحجب الإنسان عن إشباع طاقته الجنسية ولذا فإنها تؤدى إلى الكبت. وهذا يعنى أن الكبت عنده يؤدى إلى الرهبنة.

بل ذهب إلى أن الأخلاق، والتى هى تقييد لطاقة الإنسان تؤدى إلى الاضطرابات النفسية والعصبية. ولهذا يقول: «إن الأخلاق تتسم بطابع القسوة حتى فى درجتها الطبيعية العادية»[٢]. ويعتبر كتابه «التوتم والتابو» تشنيع على الأخلاق، وذلك لأنه جعل مصدر الأخلاق هو الغريزة الجنسية.

- وأما الأخلاق فى الإسلام فهى أخلاق رفيعة أخلاق سامية، أخلاق تزكوا بها النفوس وتطهر. هذه الأخلاق مصدرها القرآن الكرم، فحينما سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن خلق الرسول ﷺ فقالت:

**«كان خلقه القرآن»[٣].**

ولقد وصف القرآن الكريم أخلاق الرسول ﷺ فى قوله تعالى:

**﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٤].**

هذه الأخلاق تهدف إلي إقامة الأهداف العليا أمام البشرية، وتذكير الناس بها

---

(١) انظر: الحب والجنس من منظور إسلامي. محمد قطب. ص ١٠٧.
(٢) انظر: الإنسان بين المادية والإسلام. محمد قطب. ص ٩٠.
(٣) رواه البخاري.
(٤) سورة القلم: آية ٤.

كلما انحرفوا عنها أو هبطت بهم شهوات الجسد عن التوجه إليها بأفكارهم وأرواحهم جميعاً.

ومهمة «الأخلاق» دائما هى هذا التذكير الدائم بالأهداف العليا للحياة. تذكير الإنسان بأنه لا يعيش وحده فى هذا الكون، بل يعيش معه فيه أفراد آخرون، فلهم مثل ماله من الحقوق، وعليهم مثل ما عليه من الواجبات. وتذكيره بأن شهوات جسده وسيلة لغايات أخرى هي حفظ الذات وحفظ النوع فينبغى دائماً أن نعمل على تحقيق تلك الغايات. وتذكيره أخيراً بأن الانسياق مع الشهوات يغشى روحه بظلام يتراكم بعضه على بعض حتى يخفى الجانب المشرق من الفطرة الإنسانية ذلك الجانب الذي ينزع بطبعه إلى التطور والارتفاع، فينبغى أن يجلو هذا الظلام لتتكشف له طبيعته على حقيقتها، ويؤمن بعظمته القادرة على ما يشبه المعجزات حين يوجه نشاطه التوجيه الصحيح.

فالإسلام يهتم اهتماماً بالغاً بالأخلاق، لأنها هى مناط «النظافة» الداخلية وهى التى تقدر علي توجيه الإنسان إلى من يصلح به حاله، فرداً وعضواً فى جماعة، بطريقة ذاتية تشبه أن تكون لا شعورية، وإن كانت دائماً «تحت طلب» القوة الواعية فى الإنسان ، إذا اقتضى الأمر أن يناقشها بوعيه، ويتعرف على حكمتها. وهو يعنى ببذر بذور الأخلاق فى نفس الطفل وهو وليد، لأن ذلك أحرى أن يجعلها متينة الأساس قوية البنيان. ثم يكل إليها بعد ذلك التنظيم الحقيقى لنشاط الفرد فى المجتمع، ولا يعتمد على القوانين إلا فى الحالات التى تخفق فيها الأخلاق عن أداء مهمتها، والتى تهبط فيها فطرة الفرد رغم كل التوجيه والتهذيب[1].

**ثانيا : الشعور بالإثم:**

يذهب علماء النفس الغربيون إلى أن الشعور بالإثم يكبت النشاط الحيوى للإنسان، وينكّد عليه حياته. وهذا الشعور يخيل لهم بأن كل ما يصنعونه خطايا لا يطهرها إلا الامتناع عن ملذات الحياة[2].

ولهذا يذهب «فرويد» إلى أن الأخلاق لا يمكن إلا أن تكون كبتاً لا شعورياً

(١) انظر: الإنسان بين المادية والإسلام. محمد قطب. ص ٨٩..
(٢) انظر: شبهات حول الإسلام. محمد قطب. ص ١٧١.

للنشاط الحيوى للإنسان ويذهب إلى أن الشعور بالإثم كامنًا فى اللاشعور، وهذا الشعور يدفع اللناس إلى طلب توقيع العقوبة عليهم على جرائم لم يرتكبوها أو إلى تعذيب النفس تكفيراً عن هذا الإثم الخفى[1].

وعلى هذا فقد جعل «فرويد» الشعور بالإثم لا شعورياً. ومعنى هذا أن الإثم أو الذنب الذى يرتكبه الإنسان لا يفعله بإرادته واختياره، أى يفعله بدون علمه وذلك لأنه مفروض على لا شعوره لأن الإنسان مغلوب على أمره[2].

بذلك يكون الإحساس بالذنب عند «فرويد» مرضاً، والندم عليه تعقيداً. فهذا الإحساس بمثابة المنكر أو المحرم.

وإذا كان «فرويد» اعتبر الإحساس بالإثم مرضًا، فإن هذا الشعور والندم عليه دليل على وجود نفس سوية لاعترافها بالخطأ. كما أن رأي «فرويد» مرفوض فى جميع الشرائع، بل مرفوض فى الفطرة السليمة، لأن الله تعالى يقول:

﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾[3].

﴿وهديناه النجدين﴾[4].

أى طريق الخير وطريق الشر.. وأن الإنسان قادر على أن يختار بينهما وليس مغلوباً على أمره كما يدعى «فرويد». وعلى هذا نجد أن الإنسان «الفرد» السوى هو الذى يشعر بالإثم. وخيرمثال على ذلك، حادثة «ماعز بن مالك» عن عبيدة قال: «جاء ماعز بن مالك إلى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله طهرنى فقال ويحك. ارجع فاستغفر الله وتب إليه. قال: فرجع غير بعيد، ثم جاء فقال: يا رسول الله طهرنى، فقال النبى ﷺ مثل ذلك، حتى إذا كانت الرابعة قال رسول الله: مم أطهرك؟ قال من الزنا. فسأل رسول الله: أبه جنون؟ فأخبر أنه ليس بمجنون. قال أشَرب خمراً؟ فقام رجل فاستنكهه فلم يجد منه ريح خمر. فقال: أزنيت؟ قال: نعم: فأمر به فرجم فلبثوا يومين أو ثلاثة ثم جاء رسول الله ﷺ

(١) انظر: الإنسان بين المادية والإسلام. محمد قطب. ص ٩٠، ١٠٨.

(٢) انظر: التراث اليهودى الصهيونى والفكر الفرويدى. د/ صبرى جرجس. ص١٠، نحو علم نفس إسلامى. د/ حسن الشرقاوى ص ٥٠، ٥١.

(٣) سورة الشمس: آية (٧، ٨).

(٤) سورة البلد: آية (١٠).

فقال: استغفروا لماعز بن مالك. لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم. ثم جاءته امرأة من غامد من الأزد، فقالت: يا رسول الله طهرني. فقال ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه. فقالت: تريد أن تردني كما رددت ماعز بن مالك؟ إنها حبلى من الزنا: فقال: أنت؟؟ قالت: نعم! قال لها: حتى تضعي ما في بطنك. قال: فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت فأتى النبي ﷺ فقال: قد وضعت الغامدية. فقال إذن لا نرجمها وندع ولدها صغيراً ليس له من ترضعه. فقال رجل من الأنصار فقال: إليّ رضاعه يا نبي الله. قال فرجمها. ويروى أنه قال لها: اذهبي حتى تلدي فلما ولدت قال اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه. فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز، فقالت: هذا يا نبي الله قد فطمته وقد أكل الطعام، فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها، وأمر الناس فرجموها . فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها، فتنضح الدم على وجه خالد، فسبها. فقال رسول اله ﷺ : مهلاً يا خالد، فوالذى نفسى بيده، لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له. ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت»[1].

فهذه الحادثة ترد على ما ذهب إليه «فرويد» بأن الشعور بالإسم لا شعورياً يفعله الإنسان بدون علمه وإرادته. أما مجرد إحساس الفرد بالرغبة أو أن يشتهي فليس محرماً أو منكراً في الإسلام، لأن الإنسان مسئول عن كل ما يعمله ويحاسب عليه أما مالا يعلمه أو يجهله فهو مرفوع عنه فلا يحاسب عليه، لأن العبرة بالعزم والتصميم. ولذا يقول ﷺ :من ضم أحدكم بحنة فعملها كتبت له حسنة إلى سبعمائة ضعف، وإذا هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة»[2].

**ثالثا: الضمير.**

إن الذات العليا التي رسمها«فرويد» تمثل ضميراً نفعياً، مهمته (حماية) الذات من ضغط المجتمع الخارجي، بإجبارها على الخضوع لأحكامها التي تتمثل أولاً في الوالد، ثم في الإله، إلخ..

(١) رواه البخاري. كتاب المحاربين. رقم (٦٨٢٤).
(٢) رواه مسلم. كتاب الإيمان. رقم الحديث (٣٥٤).

وليس صادراً من الكراهية الطاغية التى تحتاج النفس البشرية تجاه كل شخص آخر حتى من تحبهم وتقربهم، حتى إذا أرادت النفس أن تخرج من ظلام اللاشعور اصطدمت بأن ظهورها أمر لا يجوز أن يحدث، فإذا اصطدمت بهذا المنع، انقلبت فصارت حباً أو تظاهراً بالحب للغير، وللخير.

وأما فى الإسلام فنجد الضمير ذو خلق واع يتفاهم مع النفس ويحاول تذكيرها دائماً بأهداف الحياة العليا، وبأن الإنسان لا ينبغى أن يعيش لنفسه فقط، ولا ينبغى أن يستعبد لشهواته كالحيوان.

هذا الضمير لا يكبت المشاعر الشهوية بل يضبطها وينظمها بعد أن تظهر فى عالم الشعور ولا ضير فى الإسلام إذا كان نشوء الضمير ذاته فى نفس الطفل يتم بطريقه لا شعورية عن طريق تلبس الطفل بشخصية والده، واتخاذه قدوه لاشعورية يحاول تقليدها بقدر ما تسمح قواه.

ويهتم الإسلام اهتماماً بالغاً بتربية هذا الضمير منذ الطفولة، ويدع له تهذيب النفس والارتفاع بمشاعرها على أساس الغيرية، على أساس أن يقيم الإنسان من نفسه رقيبا على أعماله يزجره عن يذاء غيره أو الاعتداء على حق من حقوقه ولو كان لا يحبه، يقول تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[1]. ويذهب فى هذا تحريم الاعتداء بالقول - لا بالفعل - سواء كان مواجهة أو فى الغيبة. يقول تعالى: ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾[2]. ويقول تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾[3]. هذا فى المواجهة.

أما في الغيبة فيقول تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[4]. وكذلك يمنع التجسس للغرض ذاته. ويدعو إلى أن تقوم العلاقات بين الناس على أساس الحب والتعاون **«أحب لأخيك كما تحب لنفسك»**. **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»**[5]. **«مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل**

---

(١) سورة المائدة: آية (٨).

(٢) سورة الحجرات: آية (١١).

(٣) سورة الحجرات: آية (١١).

(٤) سورة الحجرات: آية ١٢.

(٥) رواه البخارى: كتاب المظالم باب رقم (٥) رقم الحديث (٢٤٤٦).

**الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**[1]..
«**الناس بخير ما تعاونوا**».. إلخ وذلك كله على أساس وحدة الإنسانية، واشتراك الناس جميعا فيها بنسبة واحدة «**الناس سواسية كأسنان المشط**».

فلا يجوز إذن أن يكون لأى فردكان حق الاعتداء على فرد آخر أياً كان وعلى أساس أن الحب والتعاون هو الطريق الوحيدلتحقيق أهداف الحياة العليا التى تنبت من نفس الفرد ذاته حين تهيأ لها أسباب النماء[2].

---

(١) رواه مسلم. كتاب البر والصلة والأدب. باب ١٧. حديث رقم (٦٧٥١).
(٢) انظر: الإنسان بين المادية والإسلام. محمد قطب. ص ٩٦، ٩٧.

## (٦) الإسلام والعلاج النفسى عند فرويد

**مقدمة:**

لقد أدرك «فرويد» عقم معالجة الأمراض النفسية «العصبية» بالوسائل العادية كالعقاقير أو الأشعة فوق البنفسجية. ولم يلبث طويلاً حتى وضع أسس العلاج بالتحليل النفسى بواسطة تداعى المعانى غير المقيد وتأويل الأحلام، وقال بأمراض نفسية المنشأ «بتاتاً» لا يمكن معالجتها وشفاؤها إلا بالوسائل النفسية. وعندئذ تحدد مفهوم العلاج النفسى فأصبح علاج الأمراض النفسية بالوسائل النفسية[1].

وبُذلت جهود كثيرة فى ميدان العلاج النفسى للأفراد الذين يعانون من اضطرابات الشخصية والأمراض النفسية، وظهرت فى هذا الميدان أساليب مختلفة للعلاج النفسى، غير أنها جميعاً لم تحقق النجاح المرجو فى القضاء على الأمراض النفسية أو الوقاية منها. فقد بينت بعض الدراسات إن معدلات الشفاء بين المرضى النفسيين الذى يعالجون بطريقة التحليل النفسى تتراوح بين ٦٠٪، ٦٤٪، وهى معدلات غير مرضية، إذا أخذنا فى اعتبارنا أن معدلات المرضى النفسيين الذين يتخلصون من أعراضهم من غير أن يتلقوا أى علاج نفسى تتراوح بين ٦٤٪،٦٦٪ يضاف إلى ذلك أن بعض المرضى كانت تسوء حالتهم بعد العلاج النفسى. وفى دراسة أخرى تَبيّن أن المرضى النفسيين من المجموعة الضابطة التى لم يتلق أفرادها أى علاج نفسى، قد أظهروا تحسنًا مساوياً للتحسن الذى أظهره المرضى الذين عولجوا نفسياً كما بينت الدراسة أيضًا أن بعض هؤلاء المرضى الذين عولجوا قد زادت حالتهم سوء[2].

وتُبين مثل هذه الدراسات أن معدلات الشفاء نتيجة العلاج النفسى لم تصل بعد حتى الآن إلي درجة تبعث على الرضا. ولكن يبدو أن هناك اتجاهاً جديداً بدأ يظهر أخيراً بين علماء النفس والمعالجين النفسيين يدعو إلى اهتمام أكبر بتأثير العوامل الاجتماعية والثقافية فى الشخصية، وبطبيعة الإنسان الاجتماعية وحاجته إلى الانتماء، مما جعلهم يميلون إلى التأكيد على أهميه العلاقات الإنسانية فى توافق الشخصية وفى سوء

---

(١) انظر: علم النفس فى الفن والحياة. د/ يوسف مراد. ص ١٦٣.

(٢) انظر: علم الأمراض النفسية والعقلية. ريتشارد م. شوين. ترجمة: أحمد عبد العزيز سلامة. ص ٨٦٤. القاهرة دار النهضة العربية ١٩٧٩.

توافقها. ومما يؤيد هذا «شيلدون كاشدان» sheldon cashdan فيقول في هذا الصدد: إن(نموذج المستقبل قد يزداد تأكيده على ما يربط بين الناس من اعتماد بعضهم على بعض ولذلك نقول: إن بعض المفاهيم من قبيل العلاقة الوثيقة والتبادل والالتزام، قد تحل فى آخر الأمر محل مفاهيم من قبيل الأنا الأعلى، والتثبيت، والعصاب والذهان. بل إن نموذج المستقبل قد يتضمن كذلك مفهوماً جديداً ، ذلكم هو مفهوم الحب)[1].

ويبدو أن هذا الاتجاه عند علماء النفس والذى يدعو إلى أهمية العلاقات الإنسانية هو الذى أدى بدوره فى آخر الأمر إلى تبنى وجهة نظر الدين، أو على الأقل، وجهة نظر قريبة من وجهة نظر الدين فى طبيعة الإنسان وأسباب انحرافه وأساليب علاجه. ونتيجة لذلك بدأت تظهر حديثاً اتجاهات بين بعض علماء النفس تنادى بأهمية الدين فى الصحة النفسية وفى علاج الأمراض النفسية وترى أن فى الإيمان بالله قوة خارقة تمد الإنسان المتدين بطاقة روحية تعينه عل تحمل مشاق الحياة، وتجنبه القلق الذى يتعرض له كثير من الناس الذين يعيشون فى هذا العصر الحديث الذى يسيطر عليه الاهتمام الكبير بالحياة المادية. ويسوده التنافس الشديد من أجل الكسب المادى، والذى يفتقر فى الوقت نفسه إلي الغذاء الروحى مما سبب كثيراً من الضغط والتوتر لدى الإنسان المعاصر وجعله نهباً للقلق، وعرضة للإصابة بالأمراض النفسية[2].

ومن بين من نادى بذلك من علماء النفس المحدثين:

١- وليم جيمس williamames الفيلسوف وعالم النفس الأمريكى قال:(إن أعظم علاج للقلق، ولا شك هو الإيمان)، وقال أيضاً.(الإيمان من القوى التى لابد من توافرها لمعاونة المرء على العيش وفقده نذير بالعجز عن معاناة الحياة). وقال أيضاً:( إن بيننا وبين الله رابطة لا تنفصم، فإذا نحن أخضعنا أنفسنا لإشرافه ـ تعالى ـ تحققت كل أمنياتنا وآمالنا). وقال أيضاً:( إن أمواج المحيط المصطخبة المتقلبة لا تعكر قط هدوء القاع العميق ولا تقلق أمنه، وكذلك المرء الذى عمق إيمانه بالله، خليق بألا تعكر طمأنينته التقلبات السطحية المؤقته. والرجل المتدين حقا عصى على القلق،

---

(١) القرآن وعلم النفس. د/ محمد عثمان نجاتى. ص ٢٤٧.

(٢) انظر: نفس المصدر.

محتفظ أبداً باتزانه، مستعد دائماً لمواجهة ما عسى أن تأتى به الأيام من صروف[1].

٢ـ كارل يونج carL. c.jung المحلل النفس قال: استشارنى فى خلال الأعوام الثلاثين الماضية أشخاص من مختلف شعوب العالم المتحضرة، وعالجت مئات من المرضى.. فلم أجد مريضاً واحداً من مرضاى الذين كانوا فى المنتصف الثانى من عمرهم ـ أى جاوز سن الخامسة والثلاثين ـ من لم تكن مشكلتهم فى أساسها هي افتقاره إلى وجهة نظر دينية فى الحياة. وأستطيع أن أقول إن كل واحد منهم قد وقع فريسة المرض لأنه فقد ذلك الشيء الذى تمنحه الأديان القائمة فى كل عصر لأتباعها وأنه لم يتم شفاء أحد منهم حقيقة إلا بعد أن استعاد نظرته الدينية فى الحياة»[2].

٣ـ أ. أ. بريل A.A .Brill المحلل النفسى يقول:

«إن المرء المتدين حقاً لا يعانى قط مرضاً نفسياً»[3].

وبهذا يتضح لنا أن هناك اتجاهاً جديداً فى علم النفس ينادى بأهمية الدين فى علاج الأمراض النفسية. كما أشار كثير من المفكرين الغربيين فى العصر الحديث إلى أن أزمة الإنسان المعاصر إنما ترجع أساساً إلى افتقار الإنسان إلى الدين والقيم الروحية فقد أشار المؤرخ «أرنولد توينبى A.Toynbee»إلى أن الأزمة التى يعانى منها الأوربيون فى العصر الحديث إنما ترجع فى أساسها إلى الفقر الروحى وأن العلاج الوحيد لهذا التمزق الذى يعانون منه هو الرجوع إلى الدين[4].

ونظراً لعدم النجاح المرجو للعلاج النفسى عن طريق التحليل النفسى وظهور اتجاه جديد فى علم النفس ينادى بأهمية الدين فى علاج الأمراض النفسية وظهور كثير من المفكرين الغربيين المعاصرين يرون أن أزمة الإنسان المعاصر ترجع إلى افتقاره إلى الدين والقيم. لهذه الأسباب واختصاص البحث فى التحليل النفسى عند«فرويد» وعلاجه القائم على التداعى الحر وتفسير الأحلام، فقد أردت أن أوضح موقف الإسلام منهما كما يلى:

---

(١) انظر: دع القلق وابدأ الحياة. ديل كارنيجى. ترجمة عبد المنعم الزيادى. ص ٢٢٦، ٢٣٢ وما بعدها مكتبة الخانجى القاهرة. ط١٦. ١٩٥٦.

(٢) انظر: نفس المصدر. ص٢٢٦ .

(٣) انظر: نفس المصدر. ص٢٢٢.

(٤) انظر: مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق فى ضوء الإسلام. أنور الجندى. ص ١٩٥ . دار الاعتصام ١٩٧٧.

## (أ) الإسلام والتداعى الحر (التفريغ)

لقد لجأ «فرويد» إلى فكرة «التداعى الحر» لتخليص المريض من الكبت ومساعدته على نقل الأفكار والذكريات المؤلمة من اللاشعور إلي الشعور. وهذا «التداعى الحر» معناه:

إفساح المجال أمام المريض لإطلاق أفكاره ورغباته بطلاقة ودون تقييد ودون اختيار منظم للأفكار أو الألفاظ. وهنا يسمح للمريض بإطلاق أفكاره التى قد يخجل أو يخشى عادة أن يطلقها ولابد للمريض من ذكر كل ما يجول فى خاطره وإن بدا له تافهاً أو غير ذى قيمه، ولهذا يتخلص المريض من المواد المكبوتة من جهة،ولأن الطبيب يقوم بتفسير هذه الأفكار للمريض وشرح معناها من جهة أخرى مما يزيد فى استبصاره لما لم يكن يعيه من قبل ويخلصه من تأثيرها فى نفسه[1].

وعلى هذا فهذه الفكرة هى تفريغ لكل ما يعانيه المريض من مشكلات والإفصاح عن كل ما يقلقه أو يؤلمه أو يخفيه. فالمريض في هذه الحالة يعبر عن كل انفعالاته.

ولقد استند التحليل النفسى فى مبدئه هذا على حقيقة أن الإنسان يشعر بالارتياح والطمأنينة ،ويتخلص من مصادر قلقه إن هو تحدث عنها. وهذه الحقيقة نلمسها نحن فى حياتنا اليومية حيث أننا نبحث دوما عن شخص نطمئن إليه لنحدثه عن كل ما يضايقنا. ولكننا كما فى حالة التحليل النفسى ـ لا نحصل دوما على النتائج المرجوة، لأن الطبيب أو(الصديق)له ارتكاسه المحدد تجاه ما تقوله ويمكن لهذا الارتكاس أن يتحكم فى عواطفنا فلا يتحقق لنا الارتياح الذى ننشده واعتمد التحليل النفسى فى هذه الفكرة كذلك على الجو الهادىء والسكينة وتأمين الظروف الملائمة لكل ما يحقق ارتياح المريض أثناء تحدثه إلى الطبيب، فإذا تركنا التحليل النفسى وذهبنا إلى الإسلام وجدنا الأمر أيسر من ذلك بكثير: فلقد هيأ الله عز وجل لنا السبيل الذى نستطيع به أن نفضى بكل ما يضايقنا وأن نعترف بما يؤنب ضميرنا دون أن يعرقلنا الخجل أو الشعور بالذنب ،وذلك لأننا نتحدث إلى الله عز وجل لا إلى بشر مثلنا، وهذا السبيل هو (الدعاء) يقول الله تعالى:

---

(١) انظر: الإسلام والأمراض النفسية.د/ منى المضواحى .ص ٩٨، ٩٩.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1]. ففى الدعاء يركن المؤمن فى سكينة وهدوء بين يدى الله عز وجل معترفاً بذنوبه سائلاً إياه العفو والعافية والمغفرة وهو مطمئن إلى أن الله عز وجل سيجيب دعوته قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[2].

وإذا كان المعالج النفسى قد بذل مجهوداً كبيراً ليخلص مرضاه من الخبرات المؤلمة القديمة المكبوتة فى اللاشعور ودفع المريض إلى تذكرها ومواجهتها من جديد وإصدار نوع من الحكم العقلى فيها بدلاً من إنكارها والتهرب من مواجهتها عن طريق الكبت، فإن نجد الإسلام قد عالج القلق الناجم عن فكرة الذنب بالاستغفار والتوبة. فتذكر المؤمن بذنوبه واعترافه بها واستغفاره الله سبحانه وتعالى عن ارتكابه لها وتوبته إليه، يعمل على وقايته من الكبت اللاشعورى للإحساس بالذنب الذى يسبب القلق وظهور أعراض الأمراض النفسية.

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب**»[3].

وعندما يتوجه المسلم إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء فإنه موقن من قرب الله منه ومن علمه لخبايا نفسه لأنه سبحانه وتعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[4]. ولهذا فإنه لا يتردد بالإفصاح عن كل ما يجول بخاطره دون أن يعرقله خوف أو قلق، فيحقق له هذا الإفصاح الراحة المنشودة ويبعث فى نفسه الثقه باستجابة الله سبحانه وتعالى له. ومع انتهائه من الدعاء يكون قد تخلص من مشاعر الضيق.

فالدعاء هو علاج للنفس من كل أسباب علاتها. وأهم مافيه أن المؤمن ومن خلال إفضائه المستمر لمصادر وأسباب ضيقه لن يعانى من الكبت الذى يعتبره أطباء النفس عاملاً أساسياً فى إحداث المرض النفسى.(ومن فضائل الدعاء أنه لون من ألوان ذكر الله والتقرب إليه. وذكر الله هو طب النفوس ودوائها وعافية الأبدان وشفاؤها،

---

(١) سورة غافر: آية ٦٠.

(٢) سورة الزمر: آية ٥٣.

(٣) رواه أبو داود. وابن ماجه. والنسائى. والحاكم.

(٤) سورة غافر: آية ١٩.

به تطمئن القلوب وتنفرج الكروب وتغسل المعاصى والذنوب). والمتأمل للدعاء يلاحظ مدى تأثيره فى نفس الإنسان ومدى قدرته على بث الطمأنينة والانشراح فيها. فالله عز وجل يقول فى كتابه العزيز: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾(١).

وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال ﷺ:

«**إن ربكم حى كريم يستحى من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردها صفراً**»(٢). وهذا يعطى اليقين بأن الله سبحانه وتعالى هو المستجيب لدعواتنا، وهو القوة التى تدفعنا إلى الحياة بثقة واعتزاز، فنكمل مسيرتنا فيها ونحن أبعد ما نكون عن القلق وعن كل ما قد يسبب للنفس أمراضها. والأولى والأجدر للمسلمين أن يحذوا حذو رسول الله ﷺ فى كل الأمور، وأن يتأملوا دعاءه الذى يتجه به إلى الله سبحانه وتعالى، لأنه الأسوة والقدوة الحسنة التى يجب أن نقتدى بها. يقول تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(٣).

وما أحوجنا إلى أن نذكر الله سبحانه وتعالى فيعافى نفوسنا ويشرح صدورنا ويعالج قلقنا الذى هو العرض لكل الأمراض العصابية، والذى من أجله أوجد علماء النفس العلاج بالتحليل النفسى.

**والخلاصة:**

أن ذكر الله تعالى والدعاء له يحقق لنا الهدف الذى من أجله كان التحليل النفسى، دون عرقلة من أى نوع سواء كان من جانب المريض أو الطبيب. قال تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾(٤).

---

(١) سورة النمل: آية ٦٣ .
(٢) أخرجه أبو داود والترمذى.
(٣) سورة الأحزاب: آية ٢١.
(٤) سورة الأحزاب :آية ٣٥.

## (ب) الإسلام وتفسير الأحلام عند فرويد

كما لجأ «فرويد» إلى التداعى الحر لتخليص مرضاه من الكبت، لجأ أيضاً إلى تفسير الأحلام لهذا الغرض.

**والأحلام:** هى نشاط ذهنى يحدث أثناء النوم، يرى فيها الإنسان وهو نائم صوراً وأحداثاً مختلفة، ويقوم فيها بأفعال وأنشطة كثيرة قد يستطيع تذكرها حينما يستيقظ فى بعض الأحيان، وقد يصعب عليه تذكرها فى بعض الأحيان الأخرى وقد تكون الأحلام أحياناً واضحة ومفهومة وسهلة التفسير، وقد تكون فى بعض الحالات الأخرى غامضة مبهمة يصعب تفسيرها.

**الأسباب المختلفة فى تفسير الأحلام:**

لقد حاول المفكرون منذ القدم تفسير الأحلام ومعرفة أسبابها وذكروا لذلك طرق مختلفة أهمها:

١ـ أن الأحلام تحدث نتيجة لتأثر الإنسان وهو نائم ببعض المؤثرات الحسية سواء كانت هذه المؤثرات الحسية واردة من الخارج كالأصوات أو الأضواء أو الروائح أو كانت صادرة من داخل بدنه هو كالإحساس بالجوع، أو العطش، أو الألم، أو غير ذلك من الإحساسات البدنية المختلفة.

٢ـ أن الأحلام قد تحدث لظهور بعض الصور الحسية فى خيال الإنسان وهو نائم، مما هو مخزون فى ذاكرته من أحداث حياته فى الماضى.

٣ـ أن الأحلام قد تحدث نتيجة لاستمرار الذهن في التفكير أثناء النوم فى الأمور الهامة التى كان يفكر فيها أثناء اليقظة. وقد ذكر بعض العلماء أنهم وجدوا فى أحلامهم حلولاً لما كانوا يفكرون فيه من مشكلات علمية أثناء اليقظة.

٤ـ أن هذه الأحلام عبارة عن تنفيس عن بعض الرغبات وتحقيق إشباعها فى الحلم حين يتعذر علي الإنسان إشباعها فى اليقظة. فكثيراً ما يحلم الإنسان بتحقيق أمانيه ورغباته وطموحاته التى يصعب عليه تحقيقها فى حياته.

٥- أن هذه الأحلام عبارة عن حل وسط يحل فيه الصراع بين بعض دوافع الإنسان المكبوتة والمقاومة النفسية التى تمنعها من الظهور فى الشعور لما يسببه إدراكها من قلق، ويظهر هذا الحل الوسط عادة فى صورة حلم غامض. وهذا المعنى هو الذى اتخذه «فرويد» مؤسس مدرسة التحليل النفسى فى تفسير الأحلام.

٦- أن الأحلام قد تكون تنبؤية أو كشفية، تخبر بأحداث سوف تتحقق فيما بعد، سواء كانت مبشرة بخير، أو منذرة بشر، أو تكشف للإنسان بعض الأسرار وبعض الحقائق الخفية والأمور الغيبية ويسمى هذا النوع الأخير من الحلم بالرؤيا.

وعلم النفس الحديث يغفل دراسة الأحلام التنبؤية أو الكشفية ويقصر اهتمامه فقط على دراسة الأنواع الأخرى من الأحلام التى ذكرناها سابقا[1].

والذى يهمنا بحكم موضوع البحث هو الحديث عن تفسير «فرويد» للأحلام لنبين موقف الإسلام من هذا التفسير.

وقد سبق لى أن تحدثت فى هذا البحث عن تفسير «فرويد» للأحلام، ولا مانع أن أذكر بإيجاز أن الحلم عند «فرويد» هو قناع يحقق رغبة مكبوتة أو هو التحقيق المتنكر لأمنية مكبوته. والتوفيق بين متطلبات ميول ممنوعة والمقاومة التى تثيرها الرقابة التابعة من الأنا[2]. وبهذا يذهب «فرويد» إلى أن الأحلام تحرس النوم، وتشبع الرغبات المكبوتة المترسبة فى اللاشعور، ثم تسنح لها الفرصة أثناء النوم فتطفو، والمحلل النفسى يحاول اكتشاف تلك الرغبات المكبوتة من خلال تفسيره للأحلام[3].

ولذلك يطلب من المريض أن يقص حلمه ويقوم بتسجيل هذا الحلم ثم يعمل على استجلاء غوامضه مستعيناً فى ذلك على ما ذكره المريض فى مرحلة التداعى الحر وببعض الأسئلة التى يطرحها على المريض لكشف غوامض الحلم[4].

وقد قبل كثير من علماء النفس هذه الفكرة القائلة بأن الحلم هو رغبة ثابتة تريد أن تتحقق لأنهم تصوروا أن الأحلام هى نتاج للمجال اللاشعورى الذى لا يعرف

---

(١) انظر: الحديث النبوى وعلم النفس. د/ محمد عثمان نجاتى. ص ٢١١. دار الشروق. بيروت. ط٢ ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٢) انظر: الماركسية والتحليل النفسى. ص ٤٣.

(٣) انظر: ملامح الفكر الأوربى. ص ٦٣، ٦٤.

(٤) انظر: الإسلام والأمراض النفسية. ص ٩٩.

لنشاطه غاية غير تحقيق الرغبات المكبوتة والدوافع المرغوب فيها..

ولهذا السبب يقول «فرويد» أن تعبير الأحلام إنما هو الطريق الملكى لمعرفة النشاط اللاشعورى فى العقل الإنسانى..

ويضرب فرويد مثلاً للحلم الغير معقول والذى يرى أن له تفسيراً فيقول[1]:

«إذا حلم احد أن هناك منزلاً وعلى سطحه باخرة، ورأى حرفاً من الحروف الأبجدية، ثم رأى شخصاً يجرى منزوع الرأس..

فيقول: إذا أردنا أن نوفق فى تعبير هذا الحلم - الذى هو لغز - يجب أن تستبعد الانتقادات الموجهة إليه، وبذلك يمكن أن نركب من عندنا صورة شعرية رائعة لهذا الحلم، فالحلم هو لغز مصور من هذا القبيل، ويستطرد قائلاً:

«إن أفكار الحلم الكامنة قد ظهرت لنا فى هذه الصورة كمعنى رمزى ولايمكن ترجمة هذا الرمز إلا بتطبيق قاعدة التداعى المطلق، وذلك بتحديد العناصر التى يومىء إليها الحلم أو يدل عليها دلالة ملتوية، فمتى حصلنا على هذه العناصر، تمكنا من فهم الحلم وعرفنا مقصده على وجه الدقه»[2].

فهذه الصورة التي يتمثل بها«فرويد» هى نوع من الحلم المفزع والمرعب الذى يحمل الخديعة والخوف. ومن ناحية أخرى فإن إمكان تفسير الأحلام عن طريق التداعى الحر إنما هو تفسير لأمانى النفس ومخاوفها، ولا يصلح دليلاً على الصدق والحق. وإلى جانب هذا نجد«فرويد» وتلاميذه يفسرون الأحلام من منطق غريزى وهو ارتباط الأحلام بالميول الكامنة والدوافع والغرائز الخفية والانفعالات والرغبات المكبوتة والإحساسات السابقة، وينتهون إلى تعريف الأحلام بأنها تعبير عن العقل الباطن أو اللاشعور. أى أن الحلم هو نوع من المكبوتات تظهر وجودها فى الحلم كرغبة لم تشبع بعد، فهى نوع من الإرضاء الخيالى للرائى[3]. وهذه نظره مادية لاترى فى الأحلام إلا الجانب الحسى الشهوانى، فالأحلام كلها إشباع لرغبات مكبوتة وهى تحرس النوم بهذا الإشباع المتجدد الذى يريح النفس من أشواقها الملحة فتسترسل فى

(١) انظر: تفسير الأحلام. فرويد. ترجمة: مصطفى صفوان . مراجعه: مصطفى زيور. ص ١٢٩- ٢٩٢ دار المعارف.

(٢) انظر: نفس المصدر.

(٣) انظر: نحو علم نفس إسلامى. د/ حسن الشرقاوى. ص ٢٢٣، ٢٢٤.

نومها، وفرويد وأصحابه لا يرون بذلك إلا نوعاً واحداً من الأحلام وجانباً واحداً من النفس هو الجانب المادى الحيوانى.(١).

وهذا النوع من الأحلام الذى اشتغل «فرويد» بتفسيره هو الذى سماه الإسلام «أضغاث أحلام» وهى حديث النفس الأمارة لشهواتها ورغباتها، أو حديث الشياطين إلى تلك النفس أثناء النوم، أو الأحلام التى تكون بسبب تأثير الحوادث الخارجية أو أوضاع جسدية أثناء النوم.. هذه الأحلام غير منطقية لا يقبلها العقل، وهى أسطورية لا يمكن أن تحدث فى واقع الحياة، وهى عشوائية لا تستند إلى أى أساس علمى. من أمثلة ذلك أن يرى النائم فى حلمه: «أن شجرا قد نبت فى السماء أو يرى النجوم تطلع من الأرض، أو يرى أن فيلاً تحول إلى نملة مثلاً». والمفسرون المسلمون يعتبرون هذا النمط من الأحلام إنما هو من عمل الشيطان(٢).

بل نجد «فرويد» ذهب فى ماديته في تفسيره للأحلام، إلى إنكار كل حقيقة خارجة عن نطاق الأرض، بل عن نطاق الإنسان ذاته فى حيزه المحدود، فهو ينفى نفياً باتاً ما نسميه «الأحلام التنبؤية» لأنها قائمة على أساس «الروح» وعلى أساس صلة هذه الروح بالعالم الأكبر وبالغيب المجهول(٣).

وهذه الأحلام التنبؤية هى الرؤيا التى تأتى إلى النفس من الملأ الأعلى وتكون حديثا من الله إلى نفس النائم، أو حديثاً من الملائكة المكلفين إلى تلك النفس ومثال ذلك الرؤى الصادقة التى تحقق بحذافيرها ونصها. ولا مكان لهذه الرؤيا عند «فرويد» ونظريته تعجز تماما عن تفسيرها، مع أنها خبرة عادية عاشها كل منا وجرب طرفا منها.. ولقد ميز القرآن بين هذين النوعين من الأحلام ويفصل بينهما ويذكر قول فرعون، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ﴾(٤). ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾(٥) فهناك إذن أضغاث ورؤيا. ولكن «فرويد» لا يرى من الأحلام إلا تلك الأضغاث والهلوسة الشهوانية(٦).

---

(١) انظر: من أسرار القرآن الكريم. د/ مصطفى محمود. ص ٥٠. دار المعارف ـ الطبعة الثامنة.
(٢) انظر: علم النفس الإسلامى. معروف زريق. ص ٨٢.
(٣) انظر: الإنسان بين المادية والإسلام. محمد قطب. ص ٣٦.
(٤) سورة يوسف: آية ٤٣.
(٥) سورة يوسف: آية ٤٤.
(٦) انظر: من أسرار القرآن الكريم. ص ٥١.

أما الرؤيا الصادقة قد تكون حلماً تنبئياً أو كشفياً يخبر الله تعالى فيه بحقيقة غيبة أو بأمر سيحقق فى المستقبل، أو قد تكون، وبخاصة إذا كانت لنبى أمراً يكلف الرائى بتنفيذه، وقد ذكر القرآن الكريم كثيراً من رؤى الأنبياء فذكر مثلا رؤيا إبراهيم عليه السلام يذبح ابنه إسماعيل عليه السلام. وهذه الرؤيا من النوع الذى يوحى فيه الله تعالى لنبيه بأمر يكلف بتنفيذه .

قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾[١] .

وذكر القرآن الكريم أيضا رؤيا يوسف عليه السلام وهى من النوع التنبؤى قال تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾[٢] .

وذكر القرآن الكريم أيضا رؤيا الرسول ﷺ أنه والمؤمنون دخلوا مكة محلقين ومقصرين، وهى أيضا رؤيا من النوع التنبئى. قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾[٣] .

هذه الرؤيا الصادقة هي أول ما بدأ بها الوحى لرسول الله ﷺ فقد أخرج البخارى ومسلم عن عائشة قالت: «أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم. وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»[٤] .

ورؤيا المسلم بشرى من الله تعالى، وهى جزء النبوة عن أنس أن النبى ﷺ قال: «**إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدى ولا نبى**». قال فشق ذلك على

---

(١) سورة الصافات : آية ١٠٢ إلى ١٠٥ .
(٢) سورة يوسف : آية ٤ .
(٣) سورة الفتح : آية ٢٧.
(٤) رواه الشيخان .

الناس فقال: «لكن المبشرات». قالوا: يا رسول الله، وما المبشرات؟ قال: «رؤيا المسلم وهى جزء من أجزاء النبوة»[1].

وعن عباده بن الصامت أن الرسول ﷺ قال: **«رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة»**[2].

وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ، يقول:

**«لم يبق من النبوة إلا المبشرات» قالوا: وما المبشرات؟ قال«الرؤيا الصالحة»**[3].

وقد فسر الرسول لله ﷺ البشرى: **فى قوله تعالى:**

**﴿لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة﴾** بأنها الرؤيا الصالحة[4].

فالرؤيا الصالحة، إذن جزء من النبوة، إنها من الله تعالى يطلع بها عبده على ما سيكون من خير أو شر.

وعن أبى سعيد الخدرى أن الرسول ﷺ قال: **«إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هى من عند الله فليحمد الله وليتحدث بها. وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هى من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره»**[5].

وعن أبى قتادة أن الرسول ﷺ قال:

**«الرؤيا الصالحة»**. وفى رواية **«الرؤيا الحسنة من الله، والحلم من الشيطان فمن رأى شيئاً يكره فلينفث عن شماله ثلاثاً وليتعوذ من الله، فإنها لا تضره»**[6].

والرؤيا الصادقة لا تكون للأنبياء وعباد الله الصالحون فقط بل تكون لغيرهم وذلك كحدوث الرؤيا لملك مصر ولصاحبى يوسف عليه السلام فى السجن فهذا يدل على أن الرؤيا لا يراها فقط الأنبياء وعباد الله الصالحون، بل قد يراها أيضاً غيرهم من غير الصالحين من الناس، أو من الكفار لحكمة يعلمها الله تعالى[7].

---

(١) أخرجه البخارى والترمذى.
(٢) أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذى.
(٣) أخرجه البخارى.
(٤) تفسير الاحلام - بن سيرين ص ١٩.
(٥) أخرجه البخارى.
(٦) أخرجه الشيخان.
(٧) الحديث النبوى وعلم النفس .ص ٢١٣.

والخلاصة:

إن للإيمان أثر عظيم في نفس الإنسان. فهو يزيد من ثقته بنفسه، ويزيد قدرته على الصبر وتحمل مشاق الحياة، ويبث الأمن والطمأنينة في النفس، ويبعث على راحة البال ويغمر الإنسان بالشعور بالسعادة[1]. ويبعد عنه الأمراض النفسية وكل ما يؤلمه. فالإسلام علاج لكل الأمراض النفسية.

(١) انظر: القرآن وعلم النفس .ص ٢٤٩.

# فهرست المراجع


(١) القرآن الكريم.

(٢) كتب السنة النبوية.

(٣) أخبار الحوادث. عدد (٣٧٠) الخميس الموافق ٢٠ محرم - ١٤٢٠ - ٦ مايو ١٩٩٩.

(٤) أخبار الحوادث. عدد (٣٧٤) الموافق ١٨ صفر (١٤٢٠)هـ - ٣ يونيه ١٩٩٩م.

(٥) أخبار الحوادث. عدد (٣٧٥). الموافق ٢٥ صفر (١٤٢٠)هـ - ١٠ يونيه ١٩٩٩م.

(٦) الأمراض النفسية مع إشارة إليها فى المجتمع المصرى. د/أحمد عزت راجح. دار الشروق للطبع والنشر. الطبعة الأولى.

(٧) الأناو الهو. تأليف: سيجموند فرويد. ترجمة: د/محمد عثمان نجاتى. دار الشروق. الطبعة الخامسة. ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٨) الأنا وميكانيزمات الدماغ. أنا فرويد. ترجمة: صلاح مخيمر. تقديم: مصطفى زيور. مكتبة الأنجلو المصرية.

(٩) إحياء علوم الدين. للإمام الغزالى. تقديم: د/بدوى طبانه. المكتب الثقافى للطبع والنشر والتوزيع. دار إحياء الكتب العربية.

(١٠) الإسلام فى مواجهة الأيدليولوجيات المعاصرة. د/عبدالعظيم المطعنى. مطبعة السعادة. الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(١١) الإسلام والأمراض النفسية. د/منى أحمد المضواحى. ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(١٢) الإسلام والجنس. فتحى يكن. مؤسسة الرسالة - بيروت. الطبعة الرابعة. ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(١٣) الإسلام يتحدى. وحيد الدين خان. ترجمة: ظفر الإنسان خان. مراجعة وتقديم: د/عبدالصبور شاهين. المختار الإسلامى للطبع والنشر والتوزيع. الطبعة الثامنة ١٩٨٤.

(١٤) الإنسان بين الجوهر والمظهر. تأليف: أريك فروم. ترجمة: سعد زهران. مراجعة وتقديم: لطفى فطيم. مطابع السياسة - الكويت. ذو الحجة ١٤٠٩ - أغسطس ١٩٨٩م.

(١٥) الإنسان بين المادية والإسلام. محمد قطب. دار الشروق - بيروت. الطبعة السادسة. ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(١٦) الإنسان . . من هو؟. قاسم حسين صالح. دار الشئون الثقافية العامة - بغداد ١٩٨٦م.

(١٧) الإنسان والأخلاق والمجتمع. تأليف: جون كارل فلوج. ترجمة: عثمان نويه. دار الفكر العربى.

(١٨) أسس الصحة النفسية. د/عبدالعزيز القوصى. مكتبة النهضة المصرية. الطبعة التاسعة ١٩٨١م.

(١٩) أسس علم النفس العام. د/طلعت منصور وآخرون - مكتبة الأنجلو المصرية. ١٩٨٧م.

(٢٠) أصول علم النفس وأثره فى التربية والتعليم. تأليف: أمين مرسى قنديل. المطبعة العربية بمصر. الطبعة الأولى. سنة ١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م.

(٢١) البناء النفسى للمرضى المصابين بفقدان الشهية العصبى. دراسة إكلينيكية إعداد الباحثة: أمال كمال محمد. رسالة دكتوراة مخطوطة ـ جامعة عين شمس.

(٢٢) تاريخ الفلسفة الحديثة. يوسف كرم. دار القلم ـ بيروت. لبنان.

(٢٣) التحليل النفسى بين العلم والفلسفة. د/أمد فائق. مكتبة الأنجلو المصرية.

(٢٤) التراث اليهودى الصهيونى والفكر الفرويدى. د/صبرى جرجس.

(٢٥) تصدع الشخصية فى نظريات علم النفس. يوسف الحجاجى. الهيئة العامة للكتاب. ١٩٨٦م.

(٢٦) التطور والثبات فى حياة البشرية. محمد قطب. دار الشروق. الطبعة الخامسة. ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

(٢٧) تفسير ابن كثير.

(٢٨) تفسير الأحلام. ابن سيرين. مكتبة الإيمان.

(٢٩) تفسير الأحلام. فرويد . ترجمة: مصطفى صفوان. راجعه: مصطفى زيور. دار المعارف.

(٣٠) تنبيه الغافلين. للشيخ: نصر بن محمد بن إبراهيم السمر قندى. مكتبة زهران.

(٣١) جذور البلاء. عبدالله التل. المكتب الإسلامى ـ بيروت. الطبعة الثانية ١٩٧٨م.

(٣٢) جريدة الأهرام. عدد (٤٠٦٠). الموافق: الأربعاء ١٠ شوال ١٤١٩هـ ـ ٢٧ يناير ١٩٩٩م.

(٣٣) جريدة الأهرام. عدد (٤١٩٠). الموافق: الإثنين ٢ صفر ١٤٢٠هـ ـ ٧ يونيه ١٩٩٩م.

(٣٤) جريدة الوفد. عدد (٧٧٦). الموافق: الخميس ١٩ رمضان ١٤١٩هـ ـ ٧ يناير ١٩٩٩م.

(٣٥) جريدة الوفد. عدد (٧٨٢). الموافق: الخميس ٢ ذى القعدة ١٤١٩هـ ـ ١٨ فبراير ١٩٩٩م.

(٣٦) الحب والجنس من منظور إسلام. محمد قطب. مكتبة القرآن للطبع والنشر.

(٣٧) الحديث النبوى وعلم النفس. د/محمد عثمان نجاتى. دار الشروق. الطبعة الثانية ١٩٩٣م.

(٣٨) خلاصة علم النفس. د/أحمد فؤاد الأهوانى. وزارة المعارف العمومية ـ ١٩٥٤م.

(٣٩) دع القلق وابدأ الحياة. تأليف: ديل كارنيجى. ترجمة: عبدالمنعم الزيادى. مكتبة الخانجى ـ القاهرة. الطبعة الخامسة ـ ١٩٥٦م.

(٤٠) دراسات فى الفكر التربوى المعاصر. د/محمد نبيل نوفل. مكتبة الأنجلو المصرية ـ ١٩٨٥م.

(٤١) دراسات فى الفلسفة الإسلامية. د/ أبو الوفا التفتازانى ـ القاهرة ـ ١٩٥٧م.

(٤٢) الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالى بوجه خاص. عبدالكريم العثمانى. مكتبة وهبة ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٨١م.

(٤٣) دراسة مسحية تقويمية للبحوث التربوية والنفسية منذ الثلاثينيات. أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا ـ ١٩٨٨م.

(٤٤) الدين والتحليل النفسى. أريك فروم. ترجمة: فؤاد كامل. دار غريب للطباعة.

(٤٥) شبهات حول الإسلام. محمد قطب. دار الشروق. الطبعة العشرون ١٩٩٢م.

(٤٦) الشخصية السوية بين الإسلام وعلم النفس دراسة مقارنة: د/أحمد السيد على رمضان. الدار الإسلامية للطباعة والنشر - المنصورة - الطبعة الأولى - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٤٧) الشخصية فى سوائها وانحرافها. د/مصطفى فهمى. مكتبة مصر. ١٩٦٦م.

(٤٨) عصر الإلحاد خلفيته التاريخية وبداية نهايته. تأليف: محمد تقى الأمينى الندوى. مراجعة وتقديم: د/ عبدالحليم عويس - دار الصحوة للنشر والتوزيع.

(٤٩) العقل الباطن أو مكنونات النفس. سلامة موسى. دار الهلال بمصر ١٩٢٨م.

(٥٠) عقلى وعقلك. سلامه موسى. مكتبة الخانجى. الطبعة الثالثة - ١٩٦٤م.

(٥١) علم الأمراض النفسية والعقلية. ريتشارد م. شوين. ترجمة: د/ أحمد عبدالعزيز سلامه. دار النهضة العربية - القاهرة. ١٩٧٩.

(٥٢) العلم فى منظوره الجديد. تأليف: روبرت م. أغروس - جورج. ستانسيو. ترجمة: د/ كمال خلايلى. مطابع الرسالة - الكويت ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

(٥٣) علم النفس الإسلامى. معروف زريق. دار المعرفة - دمشق. الطبعة الأولى - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٩م.

(٥٤) علم النفس الإسلامى العام والتربوى دراسة مقارنة. د/ محمد رشاد خليل. دار القلم - بيروت. الطبعة الأولى - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٥٥) علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية. د/ عبدالعزيز القوصى. المجلد الأول ـ مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الأولى . ١٩٤٨م.

(٥٦) علم النفس .. عند فرويد. د/ كالفن س. هول. ترجمة: د/ أحمد عبدالعزيز سلامه. مكتبة الأنجلو المصرية ـ ١٩٨٨م.

(٥٧) علم النفس فى الفن والحياة. د/ يوسف مراد. ١٩٦٥م.

(٥٨) علم النفس وقضايا العصر. د/ فرج عبدالقادر طه. ملتزم الطبع والنشر ـ مكتبة سعيد رأفت ـ جامعة عين شمس ـ ١٩٧٨م.

(٥٩) عوامل الانحراف الجنسى ومنهج الإسلام فى الوقاية منها. د/ عبدالرحيم صالح عبدالله. دار النفائس ـ الطبعة الأولى ـ ١٤١٣هـ ـ ٢٩٩٢م.

(٦٠) فرويد والتحليل النفسى. يوسف الحجاجى. الدار القومية العربية للثقافة والنشر. الطبعة الأولى ـ ١٩٦٢م.

(٦١) فرويد والتراث الصوفى اليهودى. دافيد باكان. ترجمة وتقديم: د/ طلال عتريس. المؤسسة الجامعية للدرسات والنشر والتوزيع ـ بيروت. الطبعة الأولى ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(٦٢) فكر فرويد. إدغا ربيش. ترجمة: جوزف عبدالله. المؤسسة الجامعية للدرسات والنشر والتوزيع ـ بيروت. الطبعة الأولي ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

(٦٣) فلسفة النفس والشذوذ. د/ عبدالله حسين. مطبعة الشباب الحديثة ـ ١٩٤٨م ـ ١٩٤٩م.

(٦٤) فى علم النفس. د/ حامد عبدالقادر وآخرون. مطبعة المعرفة ـ القاهرة ـ ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م.

(٦٥) فى النفس والمجتمع. محمد قطب. دار الشروق ـ بيروت. الطبعة التاسعة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

(٦٦) القرآن وعلم النفس. د/ محمد عثمان نجاتى. دار الشروق. الطبعة الرابعة ١٩٨٩م.

(٦٧) قصة الفلسفة. ول ديورانت. ترجمة: د/ فتح الله محمد المشعشع ـ مكتبة المعارف ـ بيروت. الطبعة الخامسة. ١٤,٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(٦٨) قضايا العصر فى ضوء الإسلام. أنور الجندى. سلسلة البحوث الإسلامية ـ أكتوبر ١٩٧١م.

(٦٩) قضايا نقدية فى علم النفس المعاصر. د/ عطوف محمد يس. مؤسسة نوفل ـ بيروت. لبنان ـ ١٩٨١م.

(٧٠) قلق فى الحضارة. سيجمند فرويد. ترجمة: جورج طرابيشى. دار الطبيعة ـ بيروت. الطبعة الثالثة ـ نيسان (أبريل) ١٩٨٢م.

(٧١) الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الحديث). دار الكتاب المقدس.

(٧٢) ما الأدب؟. جان بول سارتر. ترجمة: د/ محمد غنيمى هلال. مكتبة الأنجلو المصرية ـ ١٩٧١م.

(٧٣) الماركسية والتحليل النفسى. تأليف: د/ روبن أوسبورن. ترجمة: د/ سعاد الشرقاوى. مراجعة: د/ مصطفى زيور ـ دار المعارف ـ الطبعة الثانية.

(٧٤) مؤتمر أساليب التربية الحديثة. رابطة خريجى معهد التربية. فبراير ١٩٤٥م. مطبعة الاعتماد بمصر.

(٧٥) مجلة التربية الحديثة. العدد الثانى ـ ديسمبر ـ ١٩٥٦م.

(٧٦) مدخل إسلامي لدراسة الأدب العربي المعاصر. د/ إبراهيم عوضين. مطبعة السعادة. الطبعة الأولى - ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

(٧٧) مذاهب فكرية معاصرة. محمد قطب. دار الشروق - بيروت. الطبعة السادسة - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٧٨) المرجع فى علم النفس. د/ سعد جلال. الجزء الأول - أسس السلوك. دار المعارف. الطبعة الثامنة - ١٩٨٢م.

(٧٩) مشكلة التحليل النفسى فى مصر. محمد فتحى بك. مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية - ١٩٤٦م.

(٨٠) معالم التحليل النفسانى. سيجمند فرويد. ترجمة: د/ عثمان نجاتى. دار النهضة العربية - الطبعة الرابعة - ١٩٦٦م.

(٨١) مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق فى ضوء الإسلام. أنور الجندى. دار الكتب الجزائر.

(٨٢) ملامح الفكر الأوربى المعاصر. د/ صلاح عدس. دار الهلال. عدد (٣٠٤).

(٨٣) من أسرار القرآن الكريم. د/ مصطفى محمود. دار المعارف. الطبعة الثامنة.

(٨٤) مهمة فرويد تحليل لشخصيته وتأثيره. أريك فروم. ترجمة: د/ طلال عتريس. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٨٥) موجز تاريخ النقد الأدبى. تأليف: فيرنون هول. ترجمة: د/ محمود شكرى. - أ/ عبدالرحيم جبر. دار النجا - بيروت.

(٨٦) موسى والتوحيد. سيجمند فرويد. ترجمة: د/ عبدالمنعم الحفنى. مطبعة الدار المصرية ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٧٨م.

(٨٧) نحو علم نفس إسلامى. د/ حسن الشرقاوى ـ مؤسسة شباب الجامعة ـ ١٩٧٤م.

(٨٨) نحو مذهب إسلامى فى الأدب والنقد. د/ عبد الرحمن رأفت. مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(٨٩) نشأة الحرية فى التربية: و. ج. ماك كالستر. جـ٢. ترجمة: أمين مرسى قنديل. مراجعة: محمد بدران ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٥١م.

(٩٠) نظرية التحليل النفسى عند فرويد .. فى ميزان الإسلام. أ.د/ سعد الدين السيد صالح. دار نوبار للطباعة ـ الطبعة الأولى ـ ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م.

(٩١) هؤلاء درسوا الإنسان. تأليف: أ. كاردينر ـ أ. بيريبل. ترجمة: د/ أمين الشريف. دار اليقظة العربية ـ بيروت ـ نيويورك ١٩٦٤م.

(٩٢) ينابيع الفكر المصرى المعاصر. د/ عبدالفتاح الديدى. مكتبة الأنجلو المصرية.

# فهرست الموضوعات

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |